

أوري سبير كبير المفاوضين الإسرائيليين

المسيرة

«حكاية أوصلو من الألف إلى الياء»

ترجمة : بدر عقيلي



المسيرة ♦♦♦♦♦

خفايا "أوسلو" ... من الألف إلى الياء

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٨/٨/١٢٣٢)

رقم التصنيف : ٩٥٦,٤٠٦

المؤلف ومن هو في حكمه: أوري سبير، ترجمة بدر عقيلي

عنوان الكتاب: المسيرة : خفايا أوصلو من الألف الى الياء

الموضوع الرئيسي : ١- التاريخ

٢- فلسطين - التاريخ

بيانات النشر: عمان- دار الجليل

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة- هاتف ٤٨٩٤٩٤١

تصميم الغلاف:  **الأوقاف**

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

١٩٩٨

دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية-عمان
تلفون ٥١٥٧٦٢٧ فاكسميلي ٥١٥٣٦٦٨
ص.ب ٨٩٧٢ الرمز البريدي ١١١٢١

أوري سبير
كبير المفاوضين الإسرائيليين في أوسلو

المسيرة.....

خفايا "أوسلو" ٠٠٠٠ من الألف إلى الياء

ترجمة :

بدر عقيلي



**إصدار
دار الجليل للنشر**

والحراسات والبحاث الفلسطينية

عمان - ص.ب ٨٩٧٢

تلفون ٥١٥٧٦٢٧ - فاكسميلي ٥١٥٣٦٦٨

المحتويات

٥	- تقديم :
٧	- الباب الأول - الانفراج -
٩	- الفصل الأول
	اللقاء الأول
٤١	- الفصل الثاني
	خارطة طرق أوصلو
٨٥	- الفصل الثالث
	الاعتراف المتبادل
١١٣	- الباب الثاني - تعارضات وتناقضات -
١١٥	- الفصل الرابع
	الفلسطينيون استقبلوا الاتفاقية بمزيج من الارتياح والشكوك
١٥١	- الفصل الخامس
	من تونس إلى غزة
١٧٧	- الفصل السادس
	أوصلو فتحت أبواب الشرق الأوسط أمام إسرائيل
٢٣٧	- الفصل السابع
	تفكيك الاحتلال
٢٩٣	- الباب الثالث - النضال -
٢٩٥	- الفصل الثامن
	سلام وعنف
٣١١	- الفصل التاسع
	شرق أوسط قديم - جديد
٣٣٩	- الفصل العاشر
	ببرس طرح شعار السلام وتنتيا هو أبدى أوصلو ككارثة . . . قفازت الكارثة .
٣٥٣	- الفصل الحادي عشر
	لقاء آخر

تقديم:

يكاد المرء أن يقفز من مكانه، وهو يقرأ تفاصيل التفاصيل، في حكاية أو سلو، بقلم عرابها الإسرائيلي أوري سبير، وإن نرى مصداقية الرجل أكثر تجسيدا في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة صدور كتابه "المسيرة"، وحضره بيرس-سابير وأبو علاء، فإننا نضع علامات استفهام كبرى حول بعض الحثيات، ليس تشكيكا في حدوثها، بل لانها، ربما، لا تتساق مع مفاهيمنا المتواضعة، وثمة حاجة ملحة لتوضيحها فلسطينيا.

نفهم المأزق الفلسطيني الذي راكمته سنون طويلة من عمر زمن المعاناة والقهر والتشرد، ونذكر مدى الإحباط الذي رافق مسيرة النضال الفلسطيني، منذ بداية البدايات، لكننا نفضل ألف مرة، شعار "لو بقيت أم فلسطينية واحدة لأحبت شعبا"، على مباحكات تفاوضية تدور بأدق التفاصيل المملة، حول "هذه لنا وتلك لكم"، لأننا بذلك نجسد مقولة الإسرائيليين، المعتدلين جدا، الداعية إلى التخلي عن أجزاء من "أرض إسرائيل" مقابل السلام، وذلك يعني ببساطة، أن ما تقدمه الدولة العبرية، لا يعدو كونه مئة، وليس حقا ٠٠٠ هذه واحدة أما الثانية، فإن "التنازل" الإسرائيلي لم يأت من فراغ بل نتاجا لأعمال المقاومة بكل قروعا وطقوسها.

نقرأ الكتاب، ونحلق بعبارات تتسم بالخبط الإسرائيلي المستند إلى صف خلفي من خبراء القانون، فيما تفوح منها روائح اللامبالاة، أو ربما جهالة المفاوضات الفلسطينية ذلك أن "بريستيج" الزعامة طفا على السطح، مع أنه لا يعدل ذرة من تراب أو حق.

الصدقات التي نشأت عبر "أو سلو" بين المفاوضين الإسرائيليين والفلسطينيين، وعبر عنها سابير في كتابه، بصيغ بيانية رائعة، هي مصلحة إسرائيلية لا ترتبط بالعواطف، فالغزل هنا، محاولة للحصول على الصيد، وليس تعبيراً عن الإعجاب والحب العذري.

نرفض بملء الفم مزاعم أن "أو سلو" وضعت القدم الفلسطينية على أرض الوطن وصولاً إلى الدولة، من خلال "خذ وطالب"، بمثل الإصرار على رفض مقولة أن "حرب السلام" أشرس من "ساحة الوغى"، ذلك أن السلام لا يتحقق بمصطلحات الضعف العربي عامة والفلسطيني خاصة.

نتميز من الغيظ، ونحن نستعرض عبارات من مثل "الحرص الفلسطيني على الأمن الإسرائيلي" و"تنازل القيادة الفلسطينية عن تحديد حجم الانسحابات الثلاثة، مقابل مركز شرطة في الخليل" إلى الإيحاء بسطوة

بيرس على عرفات، وسابير على أبو علاء... ثم نتساءل وبقوة: هل حدث هذا فعلاً؟ إنه سؤال بحاجة إلى إجابة موثقة.

حكاية "أوسلو"، كما جاءت في كتاب سابير "المسيرة"، تعيدنا إلى الجدل البيزنطي حول "أيهما أفضل حزب العمل أم الليكود، وهذا في اعتقادنا، مرادف لـ "أيهما أكثر سوءاً"؟

لا نشك للحظة، في أن الحزبين الكبيرين يتفقان في النظرة إلى "أرض إسرائيل"، وإذا يعمد الليكود إلى رفع شعار القوة لفرض الأمر الواقع، فإن حزب العمل يطرح شعار رفض دولة يهودية بقوميتين"، وهو يبدي استعداداً للتنازل، خاصة في المواضيع التي لا تشكل "إجماعاً وطنياً" كقضية القدس، ولعل صعود نتنياهو على رأس الليكود والأحزاب المتطرفة إلى الحكم، حرماناً من متابعة ما سيؤول إليه الأمر، في الانسحابات والتسوية الدائمة، فيما لو نجح حزب العمل ومرشحه لرئاسة الوزراء في الانتخابات. عزأونا الوحيد، أن اتفاقيات أوسلو، ترقد في غرفة العناية المركزة، والعرب الإسرائيلي يصر على أنها تجتاز حالة ما يشبه الموت الدماغي، ولا بد من نزع كل الأجهزة التي تتصل بأمل الحياة سعياً وراء دفنها. نحسب أن الزعامة الإسرائيلية، ستتخسر ذات يوم، على "أوسلو" التي تقاطعت مع أيديولوجيتهم، إذ سيكتشفون أنهم اختاروا طريق العذاب بدل السلام، وحينئذ ستفرض "ولات مندم" رتم الأحداث.

كتاب سابير "المسيرة"، ليس ككل الكتب التي تحدثت عن "أوسلو"، ذلك أن الرجل كان رئيس طاقم المفاوضين الإسرائيليين الذي رصد بالحرف والكلمة دقائق أحداث المفاوضات مع الفلسطينيين، من خلال تفاصيل مثيرة، سوف تتعامل معها عيون القراء بدهشة تصل حد الصدمة، فيفقهون منها على حقائق التاريخ والجغرافيا، التي يرسمها الشعب الفلسطيني لاعادة الحق إلى نصابه بإيقاع مختلف تماماً ولغة لا يفهم المحتل سواها.

"دار الجليل"

الباب الأول

-الإنفراج-

الفصل الأول

اللقاء الأول

- من خلف كواليس الحسم التاريخي -

عرفات: مفاوضات واشنطن محاولة لطحن الماء

إتفاق على الحديث عن المستقبل والتخلي عن الشجار حول العدل والظلم

بدأت الرواية بأكملها في ساعات ما بعد ظهر يوم الجمعة، الرابع عشر من أيار ١٩٩٣، فقد اتصل بي وزير الخارجية شمعون بيرس ، وطلب أن آتي إلى شقته الرسمية في القدس.

كان بيرس، قبل فترة قصيرة، قد اختارني مديرا لوزارة الخارجية ونظرا لأنني لم أكن آنذاك قد تجاوزت الأربعين، فقد أثار تعيينه لي عاصفة شديدة. وعندما وصلت إلى شقته وجدته مستلقيا على أريكة، وإلى جواره رئيس مكتبه آفي جيل.

بادرني بيرس بالقول، هل تحب أن أقدم لك كأسا من النبيذ؟؟ فأومأت برأسي دلالة الموافقة، فنهض لاعداده، وسأل بصورة عرضية: ما رأيك في قضاء نهاية الأسبوع في أوسلو؟ حاولت إخفاء مشاعري، وأنا أسمع سؤاله، فقد كنت أدرك أن الذهاب إلى أوسلو يعني إجراء أول حوار رسمي مع ممثلي منظمة التحرير.

لقد كنت أعلم أن اثنين من الأكاديميين الإسرائيليين- يائير هيرشفيلد، ورون فوندك-يجريان، منذ خمسة أشهر، حوارات سرية وغير رسمية مع ثلاثة شخصيات رفيعة من منظمة التحرير، وهم: أحمد قريع(أبو علاء) وحسن عصفور، وماهر الكرد، وهم جميعا من مقربي ياسر عرفات.

ويرجع الفضل في بدء هذه الحوارات السرية إلى صديقي الدكتور يوسي بيلين الجريء داعية السلام الذي لا يكل. فقد عقد صداقة خلال عام ١٩٩٢ مع

الباحث النرويجي في علم الاجتماع (تاري لارسون) الذي كان يترأس مركز (أف آيه أف أو) النرويجي، والذي يعتبر أحد أهم المعاهد الأوروبية لأبحاث السلام، والذي تعمق في دراسات شروط حياة الفلسطينيين في المناطق المحتلة.

وقد تمكن الاثنان-لارسون وبيلين- من دفع الأمور باتجاه بدء المحادثات غير الرسمية في العشرين من كانون الثاني، في النرويج، والتي مثلها عن الجانب الإسرائيلي البروفيسوران آنفا الذكر، وعن الجانب الفلسطيني الشخصيات الفلسطينية الثلاثة الذين أشرنا إليهم. وقد تمثل هدف هذه المحادثات في بلورة صيغة غير رسمية بشأن المبادئ الأساسية لصيغ السلام في المستقبل بين إسرائيل والفلسطينيين.

وسرعان ما اتضح خلال المفاوضات، أن المفاوضات الثلاثة- وعلى وجه الخصوص ارفعهم مقاماً- أبو علاء، يتخذون عدة مواقف مفاجئة في مرونيتها خلال الحوارات.

لقد كانت المواقف التي طرحها الثلاثة عملية أضعافاً مضاعفة قياساً بالتعقيدات القانونية التي خلقها الوفد الفلسطيني الذي لا ينتمي إلى منظمة التحرير، خلال المفاوضات في واشنطن. ذلك الوفد الذي تم تشكيله من فلسطيني الضفة والقطاع، وتفاوض مع إسرائيل بصورة رسمية منذ مؤتمر مدريد، أواخر علم ١٩٩١.

استغرقت مفاوضات واشنطن شهراً طويلاً، وأتت في نهاية المطاف إلى طريق مسدود وفي مرحلة معينة بعث أفي جيل- مدير مكتب بيرس- إلى بيلين وبيرس وإلى مجموعة من التقارير حول هذه المفاوضات، بعد أن شطب منها تاريخ إعدادها. ونظراً لأن المفاوضات، كانت تجري في واشنطن، على نار هادئة فإن أي منا لم يستطع تحديد هامش الترتيب الزمني الذي أعدت فيه هذه التقارير.

ومن الجدير بالذكر، أن أبو علاء حدد، فيما بعد، مبدأين مهمين من مبادئ المحادثات السرية الجارية في أوصلو، وقد نال هذان المبدآن إعجابنا الشديد: التقدم بصورة عملية من القضايا السهلة إلى القضايا الصعبة، وتعاون فلسطيني إسرائيلي بصورة خاصة في المجال الاقتصادي.

لقد أثار التناقض الواضح بين نمطي مفاوضات واشنطن، وأوصلو، انطباعاً لدينا، يشير إلى أن عرفات يلمح إلينا بوضوح إلى أن: محادثات واشنطن لا تعدو كونها "محاولة لطحن المياه"، لزمّن لا يعلمه إلا الله، بيد أنه في أوصلو، أي في المكان الذي نتحاور فيه، مع ممثلي منظمة التحرير، فإنه على استعداد للتسوية، وتأسيساً على هذا الانطباع، اعتقدنا أنه آن الأوان لاجتياز ساعة الامتحان الحقيقية.

ببرس وضعنا في صورة الحوارات التي أجراها مع رئيس الحكومة، اسحق رابين، بهذا الصدد، فقال: "أعلمت رابين بأن المفاوضات السلمية على شفا الانهيار، رغم أن الأرضية باتت مهيأة للتقدم".

تحدثنا في الكثير من الأحيان عن التناقض المائل على أرض الواقع، فقد طرأ تغيير واسع جداً على أرض الواقع، في غضون السنوات الخمس الماضية على الوضع في الشرق الأوسط، إذ انهار الاتحاد السوفيتي "الصديق الحميم"، ونصير الدول العربية ذات الأنظمة الراديكالية، وبرز عدد من التصدعات في أوساط العالم العربي في أعقاب حرب الخليج، وإيران منشغلة في تصدير الإرهاب، وتطوير المعدات الحربية غير التقليدية. وأصبحت الأصولية الدينية، التي يعتبر الفقر مرتعاً خصباً لنموها - عاملاً مهدداً لغالبية الأنظمة العربية في المنطقة، الأمر الذي حدا بالدول العربية للشروع بأخذ قضايا التطوير الاقتصادي بعين الاعتبار بصورة جدية أكبر بكثير مما كانت عليه في السابق، إضافة إلى التقديرات الاستراتيجية التقليدية.

لقد بذلت جميع دول المنطقة -تقريباً- جهوداً واسعة لمغازلة الولايات المتحدة. وعملت على إبراز الاستقرار في أراضيها كوسيلة رئيسية لجذب رؤوس الأموال والاستثمارات الاقتصادية الأميركية.

لقد بدأت جهات عربية ترى في إسرائيل شريكاً في جهودها الجديدة. فالفلسطينيون أدركوا أن سني الانتفاضة لم تجن أي إنجازات سياسية. وبدت منظمة التحرير، وكأنها قد وصلت إلى نهاية الطريق، وإلى حالة الإفلاس، ثم جاءت حرب الخليج لتقويض التحالفات السياسية الإقليمية التي كانت سائدة في المنطقة، مما خلق انطباعاً يشير إلى أن الاستعداد العربي للتفاوض مع إسرائيل، قد نضب، وبات في متناول اليد.

وعلى خلفية كل هذه الأحداث والمستجدات، ولد مؤتمر السلام في مدريد، الذي تخضعت عنه مفاوضات واشنطن. بيد أن هذه المحادثات سرعان ما بلغت حد الجمود التام. وقد أبدى السوريون تصلباً أيديولوجياً وسياسياً شديداً. وبدأ تقدمهم بطيئاً جداً أو معدوماً.

أما الأردنيون، فآلمحوا إلى أنهم سينتظرون، طالما لم يحدث الانفراج المأمول مع الفلسطينيين.

وهكذا، شاعت المفارقات أن يصبح الفلسطينيون الذين يعتبرون أضعف حلقة في السلسلة بمثابة العامل الأساسي المحرك للمسيرة كلها. بيد أن المشكلة التي كنا نواجهها معهم تتمثل في أن الدكتور حيدر عبد الشافي يرأس طاقتهم التفاوضية ثم فيصل الحسيني، اللذين لم يحصلوا على تحويل حقيقي للتفاوض. وكل قضية تم طرحها خلال المفاوضات، كانت ترسل من الوفد إلى قيادة منظمة التحرير في تونس.

وبدا بوضوح، أننا نشارك في حفلة تكرية رغم أننا لم نعترف بذلك آنذاك فالسياسة الإسرائيلية كانت ترفض، منذ زمن بعيد، إجراء أي مفاوضات مع منظمة التحرير وهام ممثلو إسرائيل، يجرون الآن، مفاوضات مع ياسر عرفات عبر أجهزة الفاكس.

قال لي شمعون بيرس إبان اللقاء أنف الذكر في بيته: "بات واضحاً لنا من هي الجهة التي تدير المسرحية الفلسطينية، وقد قلت لرابين، أنني على استعداد للسفر إلى أوسلو، والالتقاء بممثلي منظمة التحرير سرا، والتعرف على نواياهم الحقيقية، نحن ملزمون بدفع المسيرة السلمية إلى الأمام، ولا جدوى من إضاعة الوقت سدى في واشنطن، من خلال الإدعاء بعدم مشاركة منظمة التحرير في المفاوضات".

وأضاف بيرس: "بدا بوضوح أن رابين أيضاً كان قد ضجر من مفاوضات واشنطن، بيد أنه كان يعتقد، أن من المبكر جداً الآن، إشراك وزير إسرائيلي في الاتصالات مع منظمة التحرير لذا، فإنه يفضل إرسال موظف رفيع المستوى إلى أوسلو، وقد وقع اختيارنا عليك أنت".

فغزت فمي كي أعقب على ما قاله، بيد أنه قال لي: انتظر لحظة، رابين يصر على شرطين للحوار: توخي السرية التامة، واستئناف المفاوضات في واشنطن، لأن هذه المفاوضات، يجب أن تظل المسار الرئيسي للمفاوضات. ويجب عليك أن تعلم الفلسطينيين بذلك، عبر الوسطاء النرويجيين، أوضح لهم، بصورة قاطعة، أنه إذا ما تسربت كلمة واحدة حول لقاءاتكم، فسوف تكون تلك هي نهاية مسار أوسلو".

أما فيما يتعلق بالقضايا الجوهرية، فقد كلفني بيرس وبناء على مشاوراته مع رابين- بأن أطرح ثلاث قضايا، وقال: "قبل كل شيء، يجب على الفلسطينيين أن يوافقوا على أن القدس لن تدرج في إطار تسوية الحكم الذاتي. فإذا رفضوا ذلك، يجب أن يدركوا أنه لن يحدث أي تقدم.

ويجب عليهم ثانياً أن يتخلوا عن النمط التقليدي الذي يتبعونه، والذي ينص على عرض جميع الخلافات التي تحدث بيننا للتحكيم الدولي، فنحن لا نرغب في إدخال أي جهاز من أجهزة مجلس الأمن في الصورة، فمن المهم أن نعرف كيف نحل مشاكلنا بأنفسنا.

وبعد ذلك، سيمكننا أن نستوضح منهم ومعهم فكرة إقامة الحكم الذاتي في غزة أولاً، والذي تستطيع زعامة منظمة التحرير الانخراط فيه".
كان بيرس يرفع، منذ زمن طويل، فكرة ضرورة فحص الحكم الذاتي للفلسطينيين، أولاً في قطاع غزة، قبل توسيعها إلى الضفة الغربية وفي السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٩٢، طرح بالتشاور مع اسحق رابين - اقتراحاً بهذه الروحية، خلال الحديث الذي أجراه مع الرئيس المصري حسني مبارك الذي قام بدوره بنقل الاقتراح إلى عرفات.

ويبدو أن منظمة التحرير كانت تنزع نحو قبول الفكرة بصورة مبدئية، بيد أن عرفات طلب إضافة أريحا إلى غزة، وسيطرة الفلسطينيين على أحد المعابر الحدودية على نهر الأردن. أو بمعنى اصح، فإنه أراد الحصول على موطن قدم في الضفة الغربية، وعلاقة مباشرة مع الأردن. بيد أن رابين رفض إضافة أريحا إلى غزة، ورفض رفضاً قاطعاً تنازل إسرائيل، بأي صورة من الصور، عن السيطرة الإسرائيلية على أحد جسور الأردن. وأصر رابين على إبقاء جميع المناحي ذات العلاقة بأمن إسرائيل والضفة الغربية الخارجي، في أيدي إسرائيل. وقال: يجب على إسرائيل أن تعيثر سيطرة كاملة على جميع الخطوط الحالية.

وأضاف بيرس: "لذا من الأفضل أن تطرح فكرة غزة أولاً، ولا تلزمنا بإضافة أريحا إليها. وفيما يتعلق بمسودة إعلان المبادئ، التي تمت صياغتها في أوسلو مع فوندك وهيرشفيلد، يمكنك أن تتفحص الجوانب المختلفة، لكن لا تبدأ المفاوضات وفقاً لما هو وارد في المسودة نفسها. وبعد عودتك سنقرر كيف يمكن التقدم. هل كل شيء واضح لك؟".

بدلي وجه شمعون بيرس، وقد اكتسب طابعاً جدياً أكثر مما عرفه، فلوامات براسي بالإيجاب، فقال: "ليحالفك النجاح".

أعلمنا النرويجيون، في غضون يومين، أن منظمة التحرير توافق على الشرطين اللذين طرحناهما لإجراء اللقاء القادم في أوسلو، وهما: السرية التامة،

واستئناف المفاوضات في واشنطن، وحينئذ بدأت دراسة المستندات والوثائق الموجودة حول مسار أوصلو.

نزولا عند توجيهات بيرس، تم ترتيب إجراءات سفري إلى أوصلو عبر مكتب يوسي بيلين. وكانت الحوارات غير الرسمية أجريت في أوصلو، خلال الأشهر الماضية، قد هدفت إلى بلورة تصور مبدئي حول التعاون، مع تطبيق التسويات بصورة تدريجية.

وفي تبريري لسفري، قلت لموظفي مكتبي أنني متوجه إلى فرنسا لإجراء مفاوضات اقتصادية، وسأضم، كما يبدو، بعد ذلك، إلى زوجتي عليزة الموجودة في مدينة (كان) لحضور مهرجان السينما. وكانت زوجتي ستتوجه إلى هناك بحكم عملها كرئيس لشعبة الفنون في وزارة الخارجية بيد أنني ألمحت لابنتي، بأن هذه الرحلة لن تكون رحلة عادية. ومن الجدير بالذكر، أن ابنتي (مايا) -التي أنهت خدمتها العسكرية لتوها- كانت تؤيد، بحماس بالغ، أي نشاطات لدفع المسيرة السلمية إلى الأمام فقد رافقتنا منذ سن الرابعة في المظاهرات السلمية التي كنا نشارك فيها، وتبنيت وجهات نظرنا القاتلة بضرورة إجراء حوار مع منظمة التحرير، وبأهمية هذا الحوار. ولم أكن قادرا على البوح لها بشيء، بيد أنني أردت أن تدرك أن أحد آمالنا على وشك التحقق، لذا، قلت لها قبل سفري بيوم أو يومين، بصورة عارضة: "هذه الرحلة مهمة" فتساءلت بفضول: إلى أي حد هي مهمة، فقلت: إنها أهم رحلة" ويخيل إلي أنها أدركت قصدي.

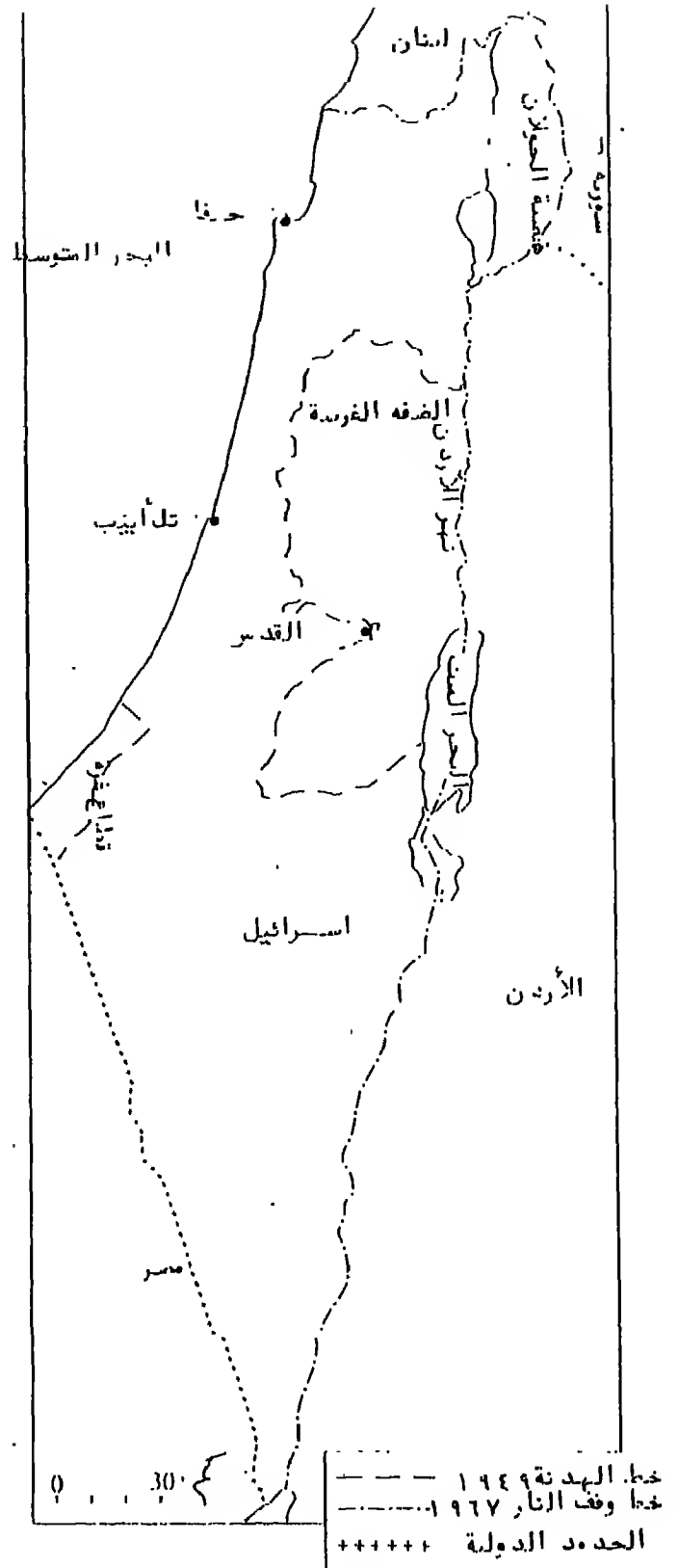
وقبل سفري، زرت بيلين في بيته، لقد انتظرنا طويلا هذه اللحظة، منذ منتصف الثمانينات، عندما شغل بيرس منصب رئيس الحكومة لأول مرة، واشتهرنا نحن باسم "شبيبة بيرس"، وكنا خمسة مساعدين شبان معبئين بالحوافز". كان يوسي بيلين -الذي عمل مع بيرس، منذ الانقلاب الذي حدث عام ١٩٧٧ وأوصل الليكود إلى السلطة- آنذاك سكرتيراً للحكومة. وتم استدعائي من

نيويورك، حيث كنت أعمل ناطقاً باسم القنصلية الإسرائيلية هناك، كي أعمل كناطق رسمي لبيرس.

شعرت، وأنا بصحبة بيلين، بعدم الارتياح، جراء توجيهي إلى أوسلو، وبقائه هو في إسرائيل، فهو صاحب الفضل في خلق مسار أوسلو، رغم المخاطرة التي جازف بها، والتي كان بالإمكان أن تكلفه مكانته السياسية بيد أن بيلين أكد لي أنه شديد الارتياح لما يحدث. لقد كان كبيرس قد تتبأ بالمستقبل.

أقلمت طائرتي في العشرين من أيار، في طريقها إلى باريس. وإثر إقلاع الطائرة، سجلت لنفسي عدة أسطر لتكون نبراساً لي حول بدء الحوار. ثم تناولت تقرير وزارة الخارجية، والذي كان يتضمن معلومات حول الشخص الذي سأقابله بعد عدة ساعات (أبو علاء)، وقد عرفت من التقرير، أنه يناهز الخمسين، وقد بدأ حياته كموظف بنك، وترأس مؤسسة (صامد) والتي تعتبر بمثابة الشبكة الاقتصادية لمنظمة التحرير. كما ترأس العديد من الهيئات الأخرى التي كانت تقوم بأعمال تمويل نشاطات اقتصادية واجتماعية في الضفة الغربية.

ولد أحمد قريع في أبو ديس المتاخمة للقدس، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية عمل في الأردن والسعودية، وانضم إلى مؤسسي حركة فتح، وفي عام ١٩٦٧ في أعقاب انتهاء الحرب- تفرغ للعمل في منظمة التحرير بوظيفة كاملة، وكرس عمله في المجال الاقتصادي ومنذ ذلك الحين، نقل مكان سكنه من دولة إلى أخرى، فعمل في الخليج، وبيروت، وقبرص وتونس ومع مرور الزمن أصبح أحد المقربين للرئيس الفلسطيني عرفات، وأكثر من العمل مع محمود عباس -أبو مازن-، وهو الرجل الذي كان مسئولاً، في غضون السنوات الخمس الماضية، عن العلاقات غير الرسمية بين إسرائيل ومنظمة التحرير.



الخارطة الأولى : اسرائيل والضفة الغربية - وقطاع غزة

وصفت أجهزتنا أبو علاء كشخص برغماتي، وذكي وماكر، وقد كان موجها للمحادثات متعددة الأطراف، التي جرت إثر مؤتمر مدريد، من وراء الكواليس، نظرا لعدم مشاركة منظمة التحرير في المفاوضات آنذاك. وكان يوجه، من غرفته في الفندق، الوفد الفلسطيني- الذي لا ينتمي إلى منظمة التحرير- لما يجب أن يقوله.

وتساءلت بيني وبين نفسي، فيما إذا كان قد تورط خلال سني عمله في أعمال"الإرهاب" التي مارستها منظمة التحرير؟؟ ورغم أن ملفه الذي كان بين يدي لم يتطرق إلى هذا الجانب أبدا، إلا أنني لم استطع منع نفسي من التساؤل فيما إذا كان على معرفة مسبقة بعمليات قتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونيخ، أو عملية (معالوت) و"كريات شمونة" الدمويتين؟ وراودتني الكثير من الأفكار حول العمليات الإرهابية، وسفك الدماء، والاحتلال، والتوق إلى السلام، واللقاء القريب مع هذا الرجل.

كانت أمامي مهمة صعبة للغاية، ولم أبدأ بعد الخطوة الأولى.

استقبلني في مطار، شارل ديغول، في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحا، اسحق ألون الملحق في السفارة الإسرائيلية بباريس، وفي طريقنا إلى فندق(بولتيمور) أخبرته أنني سأوجه إلى مدينة(كان) للقاء زوجتي، واقترحنا عليه أن نلتقي في ساعات المساء من يوم السبت في الفندق. وحال وصولي إلى الفندق وضعت على باب الغرفة المخصصة لي يافطة" أرجو عدم الإزعاج"، وسارعت مجددا إلى الشارع وتوجهت إلى المطار من جديد، وهناك وجدت رون فوندك بانتظاري.

وفي طريقنا إلى كوبنهاجن، وصف فوندك لي الشخصيات الفلسطينية الذين سنجتمع بهم والجرأة التي يتحلون بها، وأدبهم الجسم، واعتدالهم. واعتقدت أنه يتوقع مني أن أقابلهم بالمثل.

وما كدنا نصل باب الطائرة في كوبنهاجن، حتى وجدنا مجموعة من الإيرانيين تهم بصعود الطائرة، فرشقت فوندك بنظره تحذير، رد إلى مثلها، ثم

انفجرنا، نحن الاثنين، بالضحك من الشكوكية التي نحملها، نحن الإسرائيليين، لكل مكان نذهب إليه. ولا شك أن شكوكيتنا كانت في محلها، فتهديدات "الإرهاب" التي تواجهنا تحت رعاية الإيرانيين، كانت تسكن عقولنا وقلوبنا، وقد اتضح، فيما بعد، أن هذا الإرهاب سيظهر كتقل مواز أساسي للمسيرة السلمية كلها.

وحيثما هبطت الطائرة وجدنا هيرشفيلد بانتظارنا، وبصحبة تاري لارسون، والذي شعرنا بمرور الأيام، بالارتياح الشديد لكفاءاته النفسية الفذة، والتي استخدمها بأناة ترويجية لا تعرف الحدود، بل أن أصعب العوائق والمشاكل التي واجهتنا، لم تجعله يفقد صبره وأناته.

أخذنا لارسون إلى غرفة الشخصيات المهمة في المطار، واهتم بأن تمر الإجراءات بسرعة وأن يعفينا من الكثير من المراسيم التي كان علينا اجتيازها.

قال لارسون: "سنغادر المطار من الباب الخلفي وسنتوجه إلى شقة آمنة تبعد حوالي نصف ساعة سفر هذا في الوقت الذي قامت زوجته مونه يول- وهي أيضا دبلوماسية ناجحة- بمرافقة الفلسطينيين إلى هناك. وقد جلست إلى مقود السيارة التي أفلتت، أحد أعضاء معهد (أف آيه أف أو) وحارسان من الشرطة السرية النرويجية. لقد تم التخطيط لجميع التفاصيل بدقة بالغة للغاية.

استهل لاريسون الحديث حول (روحية أوسلو) مثلما اسمها- وبدأ لي بوضوح أنه يعتبرني تكنوقراطيا شابا رابط الجأش، وربما صلبا أكثر مما تتطلبه المهمة التي نحن بصددتها- قال لاريسون: يجب أن تكون الحوارات غير رسمية، تماما مثلما كان الأمر مع الأكاديميين السابقين. إن النتائج التي خلصنا إليها، في مسار أوسلو، هي نتائج للحلول الخلاقة والمبدعة لمسار التفكير الحر، وليست نتاجا للجدل التقليدي بين طرفين متصلبين، وبدأ واثقا، من أن الأجواء النرويجية المريحة، ستلقي بظلالها علينا، وامل في أن ننجح في خلق مزيج من أوسلو وإسرائيل. وقال: "الفلسطينيون متأثرون بالأطفال".

أدركت ما الذي يسعى إليه، بيد أنني كنت متوترا، إلى الدرجة التي لم أرغب فيها القيام بمحاولة لاقتناعه.

وصلنا إلى (الهفتي لودج) أحد منازل الضيافة النرويجية، وجلسنا بصمت دون أن ينبس أي منا ببنت شفة، وبعد لحظات، سمعنا طرقات خفيفة على الباب، ودخلت (مونه) بشخصيتها الساحرة، وتبعها الفلسطينيون الثلاثة. واحدا اثر الآخر، وسارعت أنا وفوندك وهيرشفيلد للوقوف على أقدامنا، وكأننا في حفل استقبال رسمي، وفجأة وجدت أبو علاء يقف في مواجهتي، وبادرني لاريسون بالقول: أرجو أن تتعرف على عدوكم الأول، أحمد قريع، المعروف باسم أبو علاء.

فاجاني منظر الرجل، بنظاراته السمكية، والتي لم تتمكن من إخفاء نظراته النفاذة، وحلته الرسمية، والتي أبدته في صورة رجل أعمال أوروبي، أكثر منه زعيما لعمل سري.

تمتم أبو علاء وهو يضافحني: "لطيف أن أتعرف عليك"، وحدث كل منا في الآخر بعصبية مع إدراكنا التام لمغزى هذا اللقاء الذي لم يسبق له مثيل. ثم ساد صمت تام في الغرفة، قطعة تاري بالقول: "أرجو أن تتعرف على عدوكم الثاني حسن عصفور."

بدا الرجل وكأنه يناهزني في العمر، ورأيت في عينيه بريقا غاضبا إلى حد ما، وكنت أعرف أنه شيوعي سابق، وأحد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي يترأسها جورج حبش، وقد سبق له أن سجن في سورية قبل أن يصبح مستشارا سياسيا لأبو مازن.

وعندما ازدادت معرفتي بهذا الرجل، فيما بعد، خيل إلي أنه ممزق بين فكرين. اتممنا زاه من الغطرسه التي يعزوها إلى إسرائيل من جانب، وإيمانه بإمكانية صنع السلام معها من جانب آخر.

أما العدو الثالث الذي قدم إلي، فهو ماهر الكرد-٦٠ سنة- وهو شخص في غاية الأدب، وقد أثار لدي انطباعا فوريا، بأنه يصلح لأن يكون مديرا لمدرسة ألمانية. واتضح لي فيما بعد، أنه درس في إحدى جامعات ألمانيا الشرقية، قبل أن يصبح مستشارا اقتصاديا لعرفات.

وشعرت أن البرود الذي ساد لقائي الأول بهم قد ذاب، إلى حد ما، عندما قام فوندك وهيرشفيلد بمعانقة الثلاثة، الذين التقوا بهم المرة تلو الأخرى، في غضون الأشهر الخمسة السابقة.

قام لاريسون فجأة، وخلع معطفه، وعرض علينا أن نفعل مثله، وأدركنا أنه يحاول تخفيف حدة التوتر القائم، بيد أن هذه المحاولة باءت بالفشل. فقال وهو يتجه إلى الباب، أنا موجود في الطابق الأسفل، سأترككم وحدكم، وإذا لم تستطيعوا التفاهم. أرجو أن تدعوني للعودة.

وهكذا، جلسنا نحن الستة على جانبي طاولة العمل، وقمت أنا بإخراج المذكرة التي كتبتها في الطائرة، وبدأت أقرأ الملاحظات على الفلسطينيين، كي لا يسيء أي شخص في تونس فهم نوايانا، وقام الفلسطينيون بتسجيلها واحدة تلو الأخرى.

وقد بدأت كلامي بالإعراب عن الارتياح نظرا لقدرتنا على التحاور وجها لوجه، وشكرت الحاضرين على الجهد الذي بذلوه خلال اللقاءات السابقة، وقلت: "إن هدف الحكومة المنتخبة في إسرائيل، يتمثل في إحراز مصالحه تاريخية مع الشعب الفلسطيني، ولنا معنيين إطلاقا بإحداث تغيير جمالي فقط في الوضع الراهن، ولا نرغب في التحكم والسيطرة على حياتكم، ومصالحتنا تكمن في السلام والأمن والانفراج، سوية معكم، وإحلال السلام في المنطقة كلها".

وأضفت ٠٠٠ "لقد فرض الاحتلال على إسرائيل عام ١٩٦٧، وهدفنا الأخلاقي والسياسي يتمثل في التحرر والانعقاد من هذا الوضع، بصورة تضمن الحرية للفلسطينيين، وتوفير الأمن لإسرائيل".

وفي أعقاب هذه المقدمة، طرحت الشرطين اللذين أصر عليهما بيرس ورايين، فأكدت، بادئ ذي بدء، أن القدس ستكون خارج الحكم الذاتي الفلسطيني، وقلت: "القدس هي بؤرة أخلاقياتها الوطنية، وإذا كانت هذه القضية مفتوحة للمفاوضات، فلن نتمكن من إحراز أي تقدم.

"أما فيما يتعلق بالتحكيم الدولي، فيجب عليكم أن تقررُوا، فيما إذا كنا سنعمل كشركاء ونسوي خلافاتنا في الرأي، فيما بيننا، غير الحوار أم أنه يجب علينا أن نطلب وسطاء في صورة مجلس الأمن الدولي، ونصل، في نهاية المطاف، إلى كومة كبيرة من القرارات، التي لن تعدو كونها أكثر من أرقام متسلسلة دون جدوى.

"وإذا كنتم توافقون على هذين الشرطين، فسوف أوصي أمام رئيس الحكومة اسحق رابين، ووزير الخارجية شمعون بيرس، بالشروع في مفاوضات توطئة لبلورة إعلان مبادئ مقبول لدى الطرفين".

وفي ختام كلمتي أوضحت أن الخط الذي يوجهنا في تعاملنا مع المفاوضات، يتمثل في التقدم على مراحل، وأنها نرغب في أن نطبق أول النتائج في قطاع غزة، وامتدت عن الإشارة إلى أريحا.

وأضفت ٠٠٠ من وجهة نظرنا، يجب أن يتم التركيز على الجانب الأمني، ويجب أن يكون واضحا تماما، أن على منظمة التحرير أن تكف تماما عن ممارسة أي أعمال إرهابية، كما أن هناك زخما كبيرا جدا، على صعيد التعاون الاقتصادي ويجب أن نعمل على ترجمته إلى لغة العمل لقد لاحظت لنا جميعا فرصة تاريخية، لا يجب أن نضيعها، بأي حال من الأحوال".

نهض أبو علاء من مقعده، واستهل الحديث بالقول: "زميلاي وأنا، والزعامة الفلسطينية في تونس، نشعر بالسرور جراء وصول الاتصالات بيننا في نهاية المطاف إلى المرحلة الرسمية، لقد أنجزنا عملا مهما مع صديقينا فوندك وهيرشفيلد. وسأشعر بالسرور البالغ، إذا ما أعلمت مسئوليك أن نوايانا ونوايا الرئيس عرفات، جديدة".

حال سماعي اسم عرفات شعرت بإحساس غريب ينتابني، فقد كان من الصعب علي، بداية، أن أفكر فيه كشخص سيصبح جزءا من روتينية مفاوضات. ويبدو أن أبو علاء قرأ أفكاري لذا واصل الحديث قائلا: "لا توجد أي فرصة

للتقدم نحو السلام دون منظمة التحرير وزعامتها، حيث لا تملك أي جهة أخرى الصلاحية والشرعية المطلوبة للتحدث باسم الشعب الفلسطيني".

وأضاف بجدية ظاهرة للعيان: "نحن نرغب في التعايش معكم، ونرغب في التعاون معكم، من أجل تطوير المنطقة وإحياء خطة (مارشال) شرق أوسطية وبذلك، نستطيع أن نفتح الطريق أمامكم إلى العالم العربي، وتفتح الطريق أمامنا نحو الحرية. إن الوضع القائم في المناطق المحتلة، هو وضع يائس على الصعيدين السياسي والاقتصادي، في آن واحد، والزمن يمضي بسرعة دون عودة".

واعترف أبو علاء، بأن مفاوضات واشنطن آلت إلى طريق مسدود، بيد أنه وعد باستمرارها. وفي معرض تطرقه للبندين (الشرطين) اللذين طرحتهما، قال: إن عليه التشاور مع الزعامة في تونس.

وأضاف: "في كل ما يتعلق بالأمن، لدي أوامر صريحة من الرئيس عرفات في التوصل معكم إلى اتفاق حول جميع مناحيه".

توقف أبو علاء للحظة، ثم توجه إلى بصورة مباشرة، وقال: قل لي سيد سبير لقد سمعت تصريحات إسرائيلية تقول أنكم تعتبرون منظمة التحرير بمثابة خطر على وجودكم، وأنا أريد أن أفهم هذه النقطة. فإسرائيل هي دولة عظمى في المنطقة، ووفقا لما تنشره وسائل الإعلام الدولية، فإن إسرائيل هي أيضا دولة عظمى نووية، ولديكم أفضل سلاح جو في العالم، وعدد هائل من الدبابات، وأفضل جهاز استخبارات في العالم، وأحد الجيوش البرية الكبيرة وذات القدرة الهائلة. وأنتم تطلقون علينا لقب مخربين، في حين نسمى أنفسنا مقاتلي حرية، ولا نملك سوى حفنة من بنادق الكلاشينكوف والقنابل اليدوية، وسيارات الجيب والحجارة. فهل يمكنك أن تقول لي كيف يمكننا أن نشكل خطرا على وجود إسرائيل؟؟ ولماذا لا نرى نحن الأمور على العكس تماما مما نقولون؟

بدا أبو علاء راضيا عن نفسه، فقد طرح الرأي الفلسطيني بوضوح، حيث أبدى فيه الفلسطينيون في صورة داود، والإسرائيليين في صورة جليات.

لقد أدركت، فيما بعد، أن الفلسطينيين يفهمون التوازن بيننا وبينهم حقاً،
مثلما طرحه أبو علاء: "قزم يقف في مواجهة عملاق". ومثلما يحدث في العديد
من النزاعات كل طرف يعتبر نفسه الضحية.
وبعد لحظة تفكير خاطفة، قلت له: "أنتم تشكلون خطراً لأنكم تريدون أن
تسكنوا في بيتي".

-أبو علاء: من أين أنت؟؟

-أنا: من القدس.

-أبو علاء: أنا أيضاً من القدس. ومن أين والدك؟

-أنا: لقد ولد في ألمانيا.

-أبو علاء: لقد ولد أبي في القدس، ولا زال يعيش هناك.

-أنا: "ولماذا لا تسأل عن أجدادي، أنا أستطيع أن أقول لك أن سلالتنا تعود إلى
الملك داود". ولم أخف غضبي: "أنا واثق أننا قادرون على التجادل حول الماضي
سنتين طويلة، ثم لا نصل إلى أي اتفاق. لذا قد يكون من الأجدي أن نتفق حول
المستقبل".

-أبو علاء: موافق.

وهكذا توصلنا إلى أول تفاهم بيننا، ينص على أن لا تجري أي جدال
حول الماضي. لقد كان هذا الاتفاق بمثابة خطوة مهمة نظراً لأنه وضعنا خلف أي
محاولة للشجار حول العدل والظلم. إن السعي لمناقشة ما سيؤول إليه المستقبل
يعني البحث عن الحلول في خضم المصالح والحقوق للطرفين، وليس الدوران
والمراوحة المكانية في دوامة الحديث عن الظلم القديم،
قلت لأبو علاء: أريد أن أرجع إلى ما قلته أنت حول أمننا، مثلما يبدو الآن.

أبو علاء: رفض الاعتراف بإسرائيل لن يمنحنا الحرية

وسيطرتكم علينا لن توفر لكم الأمن

رايين عكف على اختبار نوايا الفلسطينيين

وبيرس عمد إلى إثارة خيالهم

وضعت ورقة على الطاولة، وشرعت في رسم خارطة لإسرائيل والمناطق المحتلة، ثم رسمت خارطة للعالم العربي المحيط بنا. وقلت: "لقد كفرتكم، أنتم الفلسطينيون، بوجودنا كدولة، ومنذ ولادة إسرائيل، كان رفض وجودنا هو الذريعة التي طرحها العالم العربي لمحاربتنا". وأشارت إلى الخارطة الموضوعة أمامي، وقلت: هذه هي معادلة الأمن الحقيقية: "عدت إلى مقعدي، وجلست بارتياح بعد أن أوضحت لأبو علاء، من هي الجهة التي كانت (داود) على أرض الواقع.

بيد أن أبو علاء رد علي بصورة موضوعية قائلا: "أعتقد أننا وصلنا إلى لب المشكلة لقد تعلمنا بأن رفض الاعتراف بوجودكم لن يمنحنا الحرية، وأنتم ترون أن سيطرتكم علينا لن توفر لكم الأمن، لذا يجب علينا أن نتعاش، أحدنا إلى جانب الآخر بسلام ومساواة وتعاون وهذا هو أيضا رأي زعامتنا في تونس.

قلت في محاولة لخلق قاعدة مشتركة لمواصلة الحوار: "أوافقك بصورة مبدئية على ما قلته. ونحن بحاجة إلى تقدم على مراحل، ولبلورة الصلة الجديدة من العلاقات، والتي يمكن، من خلالها، تطوير سلام وأمن وازدهار اقتصادي. إننا بحاجة إلى خريطة طرق جديدة، قادرة على قيادتنا إلى الثقة المتبادلة".

ذكرت أبو علاء بأن عددا لا بأس به من الإسرائيليين، يحتقر منظمة التحرير، ويشك في مصداقية زعامتها، بيد أننا، نعتزم وبجدية، فتح صفحة جديدة وبناء الثقة بيننا بصورة تدريجية. وبمقدورنا أن نبدأ الحوار حول الوثيقة التي توصلتم إلى إعدادها مع فونديك وهيرشفيلد، بيد أنني أريد أن أعرف أولا ردك على قضية القدس والتحكيم الدولي. أضف إلى ذلك، أن من الأهمية بمكان أن

تظل حواراتنا سرية أيضاً، في المراحل القادمة. أي تسريب سيجعل هذه القناة مستحيلة، على الصعيد السياسي".

انفجر أبو علاء بالضحك، وقال: "لا يجب أن تخشوا منا على هذا الصعيد، وقلنا ينصب على صحافتكم، فهي تعرف أشياء، حتى قبل أن تحدث". واقتراح أبو علاء إرجاء الحوار حتى يتمكن من الاتصال بقيادته في تونس، ويعلمها بفحوى الحوار الذي دار بيننا.

كانت الساعة قد شارفت على الرابعة تقريباً عندما نهضنا جميعاً، وتصافحنا، ونزلنا إلى الطابق الأرضي، وهناك وجدنا لاريسون وزوجته بانتظارنا فتساعل بقلق:

ما الذي حدث؟ فقال أبو علاء: "لم يعد هناك ما يمكن الحديث عنه وسنعود إلى تونس". وقلت أنا: "لقد انتهى كل شيء".

بدا لاريسون شديد القلق ولم يعرف فيما إذا كنا نمزح أم نحن جادون، لكننا جميعاً انفجرنا بالضحك، وهدأنا روعه. لقد كان ما حدث أمام لاريسون، نموذجاً لما سيحدث مرات عديدة بعد ذلك، كلما آلت الأمور إلى عائق يصعب تجاوزه، وتوقفت المفاوضات توقفاً حرجاً.

أخذني لاريسون وزوجته إلى منزلهما لأحل ضيفاً عليهما. وكنت أراغب في إعلام بيرس بفحوى ما دار، فهو الرجل الذي أتاح فرصة الانتقال إلى هذه المرحلة الرسمية من الحوار مع منظمة التحرير، كجزء من خطة فضفاضة وواسعة للسلام والازدهار الاقتصادي في الشرق الأوسط والتي كانت تستحوذ على كل تفكيره. بيد أن ضرورة السرية حالت دون اتصالي بإسرائيل. وخرجت إلى شرفة غرفتي، ووجدت أفكارني تنتقل إلى أبي. (ليثو سبير) وهو صهيوني متحمس، ومتقف فطن وكان دبلوماسياً منذ الولادة، وأحد مؤسسي الخدمة الإسرائيلية في الخارج. وقد اعتبر الاحتلال الإسرائيلي، منذ اللحظات الأولى، في الضفة الغربية وقطاع غزة، كارثة ستؤدي إلى تدمير الجانِب الأخلاقي والإنساني في دولة إسرائيل، وهو الجانِب الذي اعتبره شديد الحيوية لبقاء اليهودية.

وفي نهاية السبعينات، دعي والذي لإجراء حوار بين إسرائيل ومنظمة التحرير، ولم يكن متروهما أبداً في تحديد ماهية المنظمة، بيد أنه اعتبرها الممثل الحقيقي لأكبر وأخطر أعداء إسرائيل واعتبر التحاور مع "العدو" عندما يصبح هذا العدو على استعداد لذلك - بمثابة اختبار لنضج إسرائيل وأن عدم التفكير في التحاور مع المنظمة، يرجع إلى المخاوف الكامنة في صدورنا، وأن هذه المخاوف، هي التي قادت مناخم ببيغنا لتشيبه عرفات بهتلر.

وكان أبي يعتقد أن إسرائيل قوية بما فيه الكفاية كي يجعلها قادرة على التحاور مع أعدائها. وكان يقول: إذا كنا نخشى عمل ذلك، فسوف نكون قد أخطأنا في حق الصهيونية، بوصفها "جهداً تاريخياً للترفع" فوق عقدة الغيتو. لقد اعتبر أبي النزوع اليهودي لاكتشاف اللامائية، في كل مكان وبقعة، بمثابة مرض واعتقد أيضاً، أن اليهود في أمس الحاجة إلى دولة قوية، ليس فقط لضمان البقاء، بل أيضاً كي تسهم في تغيير التوجهات الشائعة تجاه اليهود، ومن ضمنها شعور الشعب اليهودي تجاه نفسه. وكان يؤمن إيماناً قاطعاً بضرورة تطبيع علاقاتنا مع العالم. وكان يجد من الصعب عليه، أن يستوعب أن أمة صغيرة كأمتنا، تحظى بتأييد دولي لم تحظ به سوى قلة قليلة من الأمم الأخرى، وفي نفس الوقت، هناك عدد كبير جداً من الإسرائيليين لا زالوا يعتبرون أنفسهم ضحايا أبديين. وكان أبي يقول: إن الحوار مع العدو، والتأثير على توجهاته، لن يسهما فقط في إزالة الكراهية تجاهنا، بل سيسهما أيضاً، في أن نداوي نحن، جراح أنفسنا.

وفي عام ١٩٨٥ - أي قبل وفاته بعام واحد كتب مقالة في جريدة "جيروزواليم بوست"، ضمنها هذه الأفكار، ولا زلت أحمل هذه المقالة معي دائماً، لقد كان أبي أقرب الأشخاص إليّ.

وشعرت بحزن عميق، وأنا أقف على الشرفة في أوصلو، لأنني لم استطع أن أقول له أنني فعلت لتوي الأمر الذي حلم به زمناً طويلاً وأنتي تحدثت

مع العدو-بوصفي ممثلاً عن دولة إسرائيل- بغية العثور على أساس مشترك للتعاون. ولا شك أنه كان سيُشعر بالفخر لو أنه علم بذلك.

لقد شعرت فيما يتعلق باللقاء مع أبو علاء وزميليه، أنني قمت بزيارة للمجهول، فخلال اللقاء- الذي بدا وكأنه لا يختلف عن أي لقاءات دبلوماسية أولية- تجسدت اعق مخاوفنا وكذلك أكبر آمالنا. لقد وقفنا في نهاية المطاف على عتبة الخروج من نزاع دام مائة سنة، حول نفس البقعة من الأرض. رفض خلاله كل طرف، حق الطرف الآخر في الوجود كاملة، وتحمل كل منهما وزر وععبء المذابات الإنسانية والقتل. وأبرز لقائنا أيضاً حقيقة أن النزاع الإسرائيلي الفلسطيني يحتل مركز الخلافات القائمة بين إسرائيل والعالم العربي بأسره فالعربي لم يكن يجد أمامه حائزاً أقوى من مشكلة الفلسطينيين لمقاومتها، لذا، فإن المصالحة الفلسطينية الإسرائيلية ستكون بمثابة المفتاح الذي سيتيح الفرصة للمنطقة كلها كي تلج إلى عهد السلام وستقوم هذه المصالحة، مع مضي الوقت، بردع القوميين، والأصوليين، والمتطرفين مهما كان نوعهم، وتثنيهم عن ممارسة أي دور تخريبي. وسيمنح كل واحد منا للأخر الشرعية، مقابل حرية تحقيق الذات الوطنية، والتخلص من الحروب والعنف.

أثارت الفرصة الكبيرة السانحة تأثيراً كبيراً في نفسي، ورغم ذلك، أخافتنا العوائق والعقبات الجمة القائمة على الطريق، والحقيقة، هي أنني لم أكن أتخيل حجم تلك الصعوبات، ولم أتخيل المأساة التي قد تقع.

وفجأة، شعرت بيد لاريسون على كتفي تنتشلي من أفكاري، وقال: "أقترح أن تذهب إلى سريرك، ولا تنس أن لديك غداً لقاء مع أصدقائك الجدد". فقلت: "حسناً، على الأقل هم جيرانني في المستقبل".

جلست وحدي، صبيحة اليوم التالي، بعد أن تناولت طعام الإفطار مع لاريسون وزوجته، كي أدون لنفسي العناوين اللازمة والتي سأطرحها خلال لقائي مع أبو علاء. وقلت لنفسي، أن مفتاح النجاح يتمثل في التغيير السريع على أرض الواقع، استناداً إلى نظرية "غزة أولاً"، التي طرحتها بيرس.

ولا شك أن مثل هذا التغيير سيضمن، على الأقل، عدم ضياع الفرصة السانحة لنا، بالجدل القضائي العقيم. وحددت عشر خطوات على طريق الهدف آنف الذكر، والتي يجب تنفيذها خلال المفاوضات، وضمنتها تصريحات حول الاعتراف المتبادل، ووضع حد للإرهاب الذي تمارسه منظمة التحرير، وتفعيل الحكم الذاتي في غزة، خلال ثلاثة أشهر. وقد تفتت إلى طرح هذه الأفكار، للحوار مع بيرس، حال عودتي إلى إسرائيل، ولم أفكر أبدا في أنها ستثير مشكلة.

توجهت أنا (ومونه) لإحضار فوندك وهيرشفيلد في طريقنا إلى بيت الضيافة الرسمي. وفي الطريق، تحدثنا عن الانسجام الذي حدث أمس بيننا وبين الفلسطينيين. وقد أشار لاريسون إلى هذه القضية أيضا، عندما جاء مصطحبا أعضاء الوفد الفلسطيني، بل واقترح أن أخرج أنا وأبو علاء للتنزه قليلا في الغابة المجاورة.

وعندما بدأنا أنا وأبو علاء التنزه قال لي: أنه خصص باقي الليلة الماضية للاتصال بتونس، وأعرب للقيادة عن ارتياحه من اللقاء معنا، وأشار إلى أنه يعتقد أن نوايانا جدية. وعلى أرضية ذلك، وافق عرفات وأبو مازن على إخراج القدس من إطار حوارات الحكم الذاتي رغم تأكيده على أن هذه القضية ستطرح مجددا، إبان مفاوضات التسوية الدائمة.

وشعرت بالدهشة من الرد السريع والواضح الذي نقله إلي أبو علاء، ووجدتني أميل للاقتناع بأن الزعامة الفلسطينية، تسعى للسير قدما.

أما فيما يتعلق بالتحكيم الدولي، فقد اقترح أبو علاء أن نلجأ إلى التحكيم الدولي في حالة موافقة الطرفين على ذلك. وقال: أن هناك ما يمكن الحديث حوله بشأن إقامة الحكم الذاتي في غزة أولا، وأشار إلى أن عرفات لا زال يواصل الضغط من أجل إضافة أريحا كصورة رمزية. وقال: هناك أهمية كبيرة لأن تحظى القيادة الفلسطينية بموطئ قدم في الضفة الغربية، وذلك خشية أن تتحول غزة أولا، إلى غزة أولا وأخيرا.

ثم بدأنا نتحدث عن أنفسنا، فرويت لأبو علاء الكثير عن نفسي وعن عائلتي، وسنوات عملي مع بيرس، في حين روى لي هو عن ترحاله المتواصل بدءاً من القدس وانتهاءً بتونس. ثم تحدث عن زوجته وعن أبنائه الخمسة -اثنان في تونس، واثنان في أوروبا، والخامس في الولايات المتحدة- تحدث عن السنين التي قضاها بمعمية عرفات، وبدأ شديد التقدير لزعيمه وأساليب عمله "الملتوية".

وعندما عدنا إلى غرفة الاجتماعات، أعلن أبو علاء الردود انفة الذكر، التي أعلمني بها، أمام جميع الموجودين، ثم اقترح أن ننقل لمناقشة مسودة إعلان المبادئ التي تمكن هو وزملاؤه من إعدادها بالتعاون مع فونداك وهيرشفيلد.

ألقينا معا نظرة خاطفة على المسودة، ثم أشرت إلى أنها لم تتطرق بإسهاب وجدية، إلى قضايا مهمة، مثل الأمن، ومكانة الاستيطان الذي لن نوافق على حله. واعربت عن تأييدي لتطلعات التعاون الاقتصادي. والحقيقة، هي أنني فرجنت بالاهتمام الكبير الذي أولاه الفلسطينيون للعلاقات الاقتصادية مع إسرائيل. فهم لم يتطلعوا إلى هذه العلاقة على أنها مستفضي إلى تحسين وضعهم الاقتصادي فقط، بل تطلعوا إليها كجسر لتطوير المنطقة.

أصغى الفلسطينيون الثلاثة إلى الملاحظات التي أدليت بها، واقترحوا أن نعكف على إعداد ملحق أمني. فقد أدركوا أن هذا اللقاء هو بمثابة اختبار بالنسبة للإسرائيليين وتاقوا إلى اجتياز هذا الاختبار. وقد أكد أبو علاء ذلك قائلاً: "نحن معنيون بالتعاون معكم في جميع مناحي الحياة ومن البديهي القول: أننا نسعى للحصول على جميع حقوقنا الوطنية وجميع أشكال الحرية التي نستحقها، ونحن ندرك أن أفضل الطرق لنيلها هي طريق التعاون معكم، ربما أكثر من التعاون مع أي جار آخر من جيراننا".

لقد كنا، نحن أيضاً، نسعى إلى هذا التعاون، وعندما أشرت بمصطلحات عامة إلى ضرورة انعكاس كل ذلك على أرض الواقع، جاء رد أبو علاء مؤكداً جداً لما أقول، وأضاف: "الوضع في المناطق المحتلة خطير للغاية، ومن الجائز أن يفضي في كل لحظة إلى حدوث الانفجار.

لذا، فإننا ملزمون بمنح الأمل لشعبنا".

-أنا: بالتأكيد، بيد أن هذا الأمل يجب أن يكون بعيدا عن ممارسة أي أعمال عنف ضدنا".

-أبو علاء: هناك علاقة جدلية بين هاتين المسألتين، ونحن قادرون على وضع حد للعنف، شريطة أن نتمكن من ضمان مستقبل مختلف عما هو عليه الآن. ومن الجدير بالذكر، أن العلاقة بين الأمل والعنف، تبدأ فيما بعد كمحاولة أساسية للمسيرة السلمية برمتها.

واستطرد أبو علاء قائلا: يجب أن تسفر الانتفاضة عن ثمار سياسية، لأنكم لن تستطيعوا إخضاعنا بالقوة، أضف إلى ذلك أنه لا حاجة لذلك أبدا. -أنا: قلت ساخرا: أنا متأثر لأنك توقفت عن قراءة الصحف، هناك في إسرائيل اليوم حكومة، لا ترغب في مواصلة السيطرة على شعبك. فحقوق الإنسان والاحتلال لا يسيران جنبا إلى جنب، ونحن ندرك ذلك جيدا، لكن إذا لم يطرأ تغييرا على توجهاتكم السياسية، بشكل خاص، بشأن الوضعين السياسي والأمني، فإننا لن نستطيع إحراز تغيير عميق على أرض الواقع.

واعتقد أن أبو علاء أدرك، في هذه اللحظة، أنه يقف على اعتاب مفاوضات صلبة ومرهقة، لذا، أطاح بجسده إلى الأمام، ورشقني بنظرة ثاقبة، وقال: يجب أن تعرف سيد سبير، وأن تعلم المسؤولين الإسرائيليين، أننا قدمنا خلال المحادثات مع فوندك وهيرشفيلد تنازلات كبيرة، تنازلات تاريخية من وجهة نظرنا. نظرا لأننا نسعى، حقا، إلى بداية جديدة، بيد أن عرفات سيجد صعوبة بالغة في تقديم تنازلات أكثر من ذلك".

-أنا: اعتقد أننا اتفقنا على ألا تبدأ المساومات.

ضحك أبو علاء لרدي، وبدأ أنه يشعر بالمتعة لخوض المفاوضات التي تنتظرنا. وهنا تدخل هيرشفيلد، وأشار إلى قضية تم التطرق إليها خلال المحادثات التي أجراها مع الفلسطينيين، وهي: ضرورة السير قدما وبصورة عملية على صعيد المصالحة بين الشعبين، في صورة بناء "خطة دعاية سلمية".

حذرت أبو علاء قائلا: "أنت تعرف أن الكثير من الإسرائيليين يعتبرونكم، مجرد عصابة من الإرهابيين".

-أبو علاء: "وغالبية الفلسطينيين تعتقد أنكم أمة تمارس الاضطهاد ومتوحشة، تسعى لسلبنا أراضيها".

اتفقنا على إشراك شعبنا في مسيرة المصالحة، بيد أننا لم نلتزم، فيما بعد، بفحوى هذا الاتفاق.

وعندما توقفنا عن المحادثات وتوجهنا إلى قاعة الطعام، انضم إلينا (يان اجلند) نائب وزير الخارجية النرويجي، ووجدنا بأن يحرص على توفير جميع سبل الراحة والسرية للمحادثات ثم اتفقنا على تصيب لاريسون في منصب ضابط الاتصال بين إسرائيل وتونس، واتفقنا على كلمة سرية للاتصالات فيما بيننا، فسمينا عرفات "بالجد"، واسمينا أبو مازن "روح القدس"، وأبو علاء "رقم واحد"، وهكذا دواليك. أما على الصعيد الإسرائيلي فاطلقنا على اسحق رابين لقب "الجد"، وعلى بيرس لقب "الأب"، وبيلين لقب "الابن"، وأنا "رقم واحد".

وفي ساعة متأخرة أخذتني (مونه) لمقابلة وزير الخارجية النرويجي (بوهان يورجان هولست)، الذي استقبلني استقبالا حاراً، وكاد يخرج عن طوره، وهو يحاول إقناعي بأن منظمة التحرير تتعامل مع الامر بمنتهى الجدية. وأنه اقتنع بذلك تماماً، في أعقاب لقاءه بعرفات.

ثم أعلمني بالاتصالات التي أجراها مع الأميركيين بشأن المسار السري في أوسلو، وقال لي: أن رجاله اعلّموا دان كرتسر -نائب وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط- بالامر، وأن كرتسر اعلّم وزير الخارجية كريستوفر. ووجد هولست بأن يزود الأميركيين بتقارير وافية عن سير الحوار، كلما رغبت في ذلك. وطلب أن تجري اتصالاتاً مع الأميركيين، بهذا الصدد، بالتنسيق معه، كي لا تتضرر المصالح النرويجية مع الأميركيين، ووعده أنا بدوري، بذلك وقال محذراً: "الأميركيون لا يعرفون بزيارتك هنا". فقلت: "أنا اعرف ذلك" ووعدت بإعلام بيرس بذلك.

وحسب معلوماتي، فإن الأميركيين لم يطلبوا من هولست أي تقارير حول مسار أوصلو، كما أن رابين قدم إليهم تقريراً متحفظاً جداً حول احتمالات نجاحه. فقد كانوا عاكفين، آنذاك، على معالجة المسار السوري، وتركوا لنا حرية التصرف على المسار الفلسطيني.

وفي ساعات ما بعد الظهر عدت إلى باريس لتناول طعام العشاء مع الملحق الإسرائيلي ألدن، ثم طرأت صبيحة اليوم التالي إلى روما، حيث التقيت زوجتي، في طريق عودتها إلى إسرائيل، ورويت لها كل ما حدث. بيد أنه كان يتوجب عليّ الانتظار، حينما وصلنا إلى إسرائيل، ثلاثة أيام، حتى يعود بيرس من الجولة التي كان يقوم بها في الشرق الأقصى، ولأروني له ما حدث.

حاولت خلال فترة انتظار عودة بيرس أن أتخيل ردود فعل الإسرائيليين على إعلان المفاوضات مع منظمة التحرير، وتخيلت أن غالبية الإسرائيليين سترحب بذلك، وتعرب عن اعتقادها بضرورة التفاوض مع منظمة التحرير، لأننا سنحقق ربها من ذلك، حيث لن يضطر أبناؤنا الذين يؤدون الخدمة في الجيش، للعمل كرجال شرطة ضد الأولاد الذين يرشقونهم بالحجارة في غزة لقد دفعت الانتفاضة بالكثير من الإسرائيليين للاستيقاظ، ولم يعد الاحتلال مسألة روتينية يمكننا التغاضي عنها، وتجاهلها، وأخذ الكثير من الإسرائيليين يبدون مظاهر الضجر والإرهاق من هذا النزاع المتواصل، ويتطلعون إلى السلام والراحة.

وعندما تلفت حولي على الخارطة السياسية في إسرائيل، وتساعلت من هي الجهات التي ستعارض هذا الحوار؟ بدا واضحاً لي، أن أول المعارضين هم المتدينون ذوو الصلة الأيديولوجية باليمين الإسرائيلي وبالمستوطنات، والذين سيعتبرون أي صفقة نعقدتها مع عرفات، بمثابة مأساة وطنية، وتهديد لوجودنا.

وفجأة، شعرت بالرعب من أن تبدو المسيرة السلمية التي أؤمن بها إيماناً عميقاً - للأخريين - وعلى وجه الخصوص أولئك الداعين لضم الضفة الغربية إلى إسرائيل لأسباب تاريخية، ورغم كونها مأهولة بأكثر من مليون فلسطيني - بمثابة خنوع، بل وربما انتحار.

وإذا كنت أنا، قد اعتبرت أن المصالحة مع "الأعداء" ستحقق فكرة دولة اليهود، وأهدافها، فإن الكثيرين، سيثعرون، بأن سقوط الأسوار ستجعلنا أكثر تعرضا للإصابة بالأضرار من قبل أعدائنا في الداخل والخارج، نظرا لأن وحدة المجتمع الإسرائيلي، رهن بالمقاومة لعدو مشترك. ترى هل بالإمكان تجسير الهوة بين هذين العالمين الموجودين في إسرائيل؟؟ اعتقد أن الرد سلبي.

لقد اكتشفنا، فيما بعد، أن السلام مع منظمة التحرير، أسهم في تعميق شقة الخلاف بين أولئك الذين آمنوا بإمكانية وأهمية قيام علاقات جديدة بين إسرائيل القوية والقادرة على مواجهة المستقبل والجيران، وأولئك الذين يعتقدون أن العداء الخارجي حقيقة، ستبقى قائمة، وأن مصلحة إسرائيل، تكمن ليس في الوقوف موقف الحذر فقط، بل أيضا في الشكوكية الدائمة والمتطرفة تجاه جيراننا. لكنني قدرت أن غالبية الإسرائيليين، يرغبون في السلام وسوف يؤيدوننا. أما السؤال الذي كان يقلقني فهو إلى أي حد ستصل ردود فعل المعارضين؟.

ووجدتـ» لدي انطبعا من معالم السلام التي بدا أنها أخذت تبرز في أوصلو، يشير إلى أن نزاعا داخليا إسرائيليا سيقوم لا محالة، وذلك على أرضية السؤال الذي كان دائما وأبدا بمثابة الحد الفاصل بين اليمين واليسار، والقاتل: هل يجب على إسرائيل الحديثة أن تتعاون مع جاراتها من خلال إمكانية المصالحة والتسوية-مثلا أمل ديفيد بن غوريون ؟؟ أم أنه يجب عليها مواصلة العيش خلف" الجدار الفولاذي" الذي دعا إليه زئيف جابوتنسكي؟؟

وأدركت أن نجاح محادثات أوصلو سيؤدي إلى انهيار: الجدار الفولاذي"، وبالتالي فإن المسيرة السلمية، لن تكون فقط، نضالا حاسما تجاه الفلسطينيين، بل أيضا تجاه أنفسنا.

وعلى أية حال، فإن الفلسطينيين سيجتازون وصفا مماثلا، ففي الوقت الذي سيبدو فيه السلام بالنسبة للبعض كخشبة النجار، فإنه سيبدو في أعين البعض الآخر كخنوع. ومن المنطقي، أن يحاول الرافضون ممارسة الإرهاب ضدنا في

محاولة لتحدي عرفات ووضع حد لاستسلامه لإسرائيل. أي أن السلام سيثير في أوساط الفلسطينيين صراعا حول الهوية، تماما مثلما سيفعل بالإسرائيليين وسيضطر الطرفان للشروع بشن حرب داخلية شديدة من أجل إنجاح السلام. ورغم كل ذلك آمنت إيماننا مطلقا، بأنه أن الأوان كي نبدأ المسيرة.

عدت إلى مكنتي لإعداد وثيقتين، الأولى تحت عنوان "اتجاهات عمل مقترحة لمواصلة المفاوضات"، والأخرى تحت عنوان "إجمال شخصي" يقوم على أساس العناوين التي سجلتها لنفسى بينما كنت في ضيافة لاريسون.

وسجلت في هذه الأوراق، انطباعاتي حول قدرة منظمة التحرير في اتخاذ القرارات، وحول استعداد زعامتها للمصالحة. وقلت: "لقد أتاحت لنا فرصة كي نسير خارج أطر كامب ديفيد ومؤتمر مدريد، وأن نصل إلى اتفاق تدريجي، يبدأ بغزة، مع وقف الأعمال العدائية والإرهابية التي تشنها منظمة التحرير، وخلق تعاون اقتصادي، حتى قبل التوقيع على اتفاقية حكم ذاتي كاملة.

وتأسيسا على ذلك، اقترحت التحرك على مسارين متوازيين: "المسار الأول في واشنطن، من أجل الحفاظ على الصورة الخارجية، والمسار الثاني: في أوسلو، على أن نحرص، نحن والنرويجيين، بإطلاع الولايات المتحدة على مجريات الأمور، والتطورات، واقترحت أيضا، أن يتم إدراج التسويات الأمنية في وثيقة إعلان المبادئ وأن تتم الإشارة صراحة، إلى أن المستوطنات ستبقى في مكانها. بيد أنه يجب علينا أيضا أن نتخذ قرارا، حول ما سنعرضه على الفلسطينيين، بشأن التغيير الفوري على أرض الواقع، وما الذي يتوجب علينا أن نطالب به مقابل ذلك. واقترحت أيضا، إشراك مستشار قضائي في المفاوضات.

تفحص بيرس الوثيقتين، ووافق على إشراك مستشار قضائي - يوآل زينجر - الذي أوصى به شلومو جور مدير مكتب بيلين. والذي كان آنذاك، يعمل في واشنطن، في الشركة القضائية ذائعة الصيت "سيدلي أند اوستين"، والذي شارك في جميع المفاوضات الإسرائيلية المهمة التي جرت منذ كامب ديفيد.

اقترح بيرس تطبيق الحكم الذاتي أولا على غزة، في نفس الوقت الذي يتم فيه نقل قيادة منظمة التحرير إلى هناك. في حين أعربت أنا وبيلين وآفي عن شكنا فيما إذا كان عرفات سيجد أن من الصواب تحمل مسؤولية غزة على كثرة مشاكلها. وتساعلنا عن كيفية استيعاب الجماهير الإسرائيلية للجار الجديد؟؟ بيد أن بيرس كان مصرا على رأيه.

لقد أمل بيرس، سنوات طويلة، في أن يكون الملك الحسين شريكا لإسرائيل، في حل المشكلة الفلسطينية، بل وتوصل عام ١٩٨٧-إبان شغله لمنصب وزير الخارجية في حكومة الوحدة الوطنية- إلى تفاهم مع الحسين في لندن، ذلك التفاهم الذي عرفته العامة باسم (اتفاقية لندن)، على عقد مؤتمر دولي- على غرار المؤتمر الذي تم عقده فيما بعد في مدريد- وعلى أن يلعب الأردن فيه دورا رائدا في حل المشكلة الفلسطينية، بيد أن رئيس الحكومة، آنذاك، اسحق شامير، تمكن من إحباط هذا الاتفاق، وقام الحسين فيما بعد، وفي ذروة اندلاع الانتفاضة، بفك الارتباط مع الفلسطينيين.

لقد رأى بيرس، في محادثات أوسلو، نقطة تحول تاريخية. لقد رغب في إحداث تغيير في الوضع الراهن، ليس كصورة تكتيكية سياسية، بل كخطوة استراتيجية، لخلق مصالح مشتركة مع شريك جديد.

كان بيرس قادرا على رسم مستقبل أفضل بمصطلحات حاسمة جدا، مبديا بذلك كفاءة وقدرة نادرتين، وسط أمة تعيش أسيرة رؤية قاتلة من العداة الأبدية.

كانت منظمة التحرير، بوضعها الضعيف آنذاك، قابلة لإحداث عملية التغيير الجذرية، وبدا الزمن ناضجا تماما، لتقبل الحسم التاريخي، ولم يبق سوى شيء واحد، وهو إقناع شخص واحد ووحيد، وهو رئيس حكومة إسرائيل.

قطع اسحق رابين وشمعون بيرس زمنا طويلا من العمل، في ظل مناسلة شديدة جدا ومتواصلة وفقدان ثقة أحدهما بالآخر، لقد كانا نقيضين كاملين. فقد كان رابين محلا حذرا للواقع، وشديد التعلق بالتفاصيل ويحرص عليها

حرصاً بالغاً، في حين كان بيرس صاحب ذهنية موسوعية عالمية. يرى عبرها التاريخ بمصطلحات في صورة مسيرات، وينجذب انجذاباً شديداً جداً، باتجاه المستقبل. وقد غدت هذه التناقضات في شخصيتهما من العداء والخصومة بينهما. وفجأة برزت أوصلو، التي تعتبر بمثابة الفصل النهائي في علاقتهما.

تم الاتفاق بين بيرس ورايين، عندما شكل رايين الحكومة، صيف ١٩٩٢، على أن يهتم بيرس بالمفاوضات متعددة الأطراف، في حين اختار رايين أن يدير بنفسه، المفاوضات الثنائية، التي تعتبر أكثر أهمية. وقد توصل الاثنان، حتى ذلك الحين، إلى تفاهم أساسي آخر.

ولا زلت أتذكر ما قاله بيرس إثر الزيارة التي قام بها لرايين في منزله، بعد انتهاء الانتخابات في محاولة لوضع علاقتهما على مسار عمل جديد، حيث قال: "قلت لرايين، لقد أصبحنا، نحن الاثنان، في السبعين ونيف، وطيلة حياتنا كنا مختلفين في وجهات نظرنا، دعنا نضع خلافاتنا جانباً، ونعمل معاً بالأسلوب الوحيد الذي يمكنه أن يجلب السلام إلى هذه البلاد، إننا قادران على اتخاذ القرارات المطلوبة لصنع السلام. إننا قادران على تجنب أولادنا العبء الذي نرزع تحته، ونمنحهم فرصة محورة جهودهم، حول الأوضاع الاقتصادية. والثقافة، والقضايا الاجتماعية".

وافق رايين على الطرح الذي وضعه بيرس، واتفق الاثنان على إبرام نوع من الاتفاق السري. وأنا اعتقد أنه لولا إقدام بيرس على هذه الخطوة، لحيل دون خوض دولة إسرائيل معركة من هذا القبيل، والتي تتسم بشروخ وانقسامات عميقة في أوساط الجماهير الإسرائيلية حولها، مثل معركة الاعتراف بمنظمة التحرير والتصالح معها.

أصبح رايين في صورة ما يحدث في أوصلو منذ اللقاء الأول هناك. ففي التاسع من شباط، أعلمني بيرس أنه عقد اجتماعاً مهماً مع رايين، أطلعته خلاله على فحوى ما دار في أوصلو، وشجعه على خوض المفاوضات مع منظمة التحرير. وقد بدا رايين، في البداية، متشككاً، لكن حينما لاحظ التأثيرات التي

طرات على منظمة التحرير، بدأ يقتنع، بصورة تدريجية. ورغم ذلك، كان رابين يجد سحرا أكثر جاذبية في المسار السوري بالتنسيق مع الولايات المتحدة، فقد ألهم خياله الطابع الاستراتيجي الكامن في هذا المسار، في حين بدأ بيرس يؤمن بضرورة التمسك بالمسار الفلسطيني بغية التوصل إلى تسوية تاريخية مع منظمة التحرير، واعتبر هذا الطريق بمثابة الطريق الوحيد لدفع المسيرة السياسية إلى الأمام.

ومنذ اللحظة التي اقترح فيها انتقال ياسر عرفات من تونس إلى غزة، أصبح الاعتراف المتبادل بين الجارين، مسألة مطلوبة، باعتبار أن هذا الاعتراف، هو الجسر الذي سيعبر عليه السلام الشامل في المنطقة. وفي الوقت الذي عكف فيه رابين على اختبار مدى جدية نوايا الفلسطينيين، عمد بيرس إلى إثارة خيالهم، والإيحاء لهم عبر تحديد المصالح المتبادلة الأوسع.

كان رابين مصرا على إحراز تقدم، بيد أنه كان لا يزال أسيرا لوضع العداء القائم مع الفلسطينيين، هذا في حين كان بيرس يعيش وضع ما بعد العداء. كانت الشراكة بين بيرس ورايين، شراكة إرغام، بيد أن الاثنين كانا يشكلان معا قوة هائلة.

وإثر اتخاذهما قرار الشروع بالمفاوضات السرية الرسمية مع منظمة التحرير، اشترك الاثنان في اتخاذ جميع القرارات ذات العلاقة بالمفاوضات، وجميع التساؤلات التي طرحت أثناءها.

ورغم ذلك، كادت قاطرة المفاوضات في أوسلو تتحرف عن قضبانها، قبل انطلاقها.

ففي أعقاب عودتي من أوسلو، سلم بيرس إلى رابين الوثائق التي أعدتها، وقد وافق رابين فوراً على استدعاء يوال زينجر-الذي كان يكن له تقديراً كبيراً جداً- من واشنطن إلى إسرائيل للتشاور. بيد أن رابين عاد وتفحص الوثائق، وبعث رسالة غاضبة إلى بيرس، بشأن مقابلاتي في أوسلو، وبشأن النقاط

العشر التي أعدتها. فقد شك في أن أكون قد طرحت النقاط المذكورة أمام منظمة التحرير.

بدا بيرس مذهولا من التحفظ الذي أبداه رابين، وأكد في رسالة خطية: "أنني لم أناقش النقاط المذكورة مع ممثلي المنظمة في أوسلو". بيد أن بيرس شعر، بعد ذلك، بالارتياح، نظرا لأن رابين احتج على عملي دون ايلاني الصلاحيات اللازمة، وليس على طبيعة النقاط. وهكذا، ورغم أن محادثات أوسلو، ظلت حتى ذلك الحين سرا من الأسرار، إلا أنها أصبحت جزءا من السياسة الرسمية.

وصل يوآل زينجر من واشنطن وتوجه للعمل فوراً، وخلال اجتماعنا المشترك في مكتب بيلين، وجه عدة أسئلة حول الصيغة المقترحة لإعلان المبادئ. وبدا زينجر حاداً جداً، وتناول إحدى الوثائق الموضوعية على الطاولة، ولوح بها بغضب، وقال: ما هذه؟؟ هذه ليست مسودة اتفاق، أنها لا تعدو كونها كومة من اللغو.

ذهلت من عدوانيته، واقترحت عليه أن يعد هو بنفسه مسودة إعلان المبادئ، بيد أنه رفض ذلك رفضاً مطلقاً، وطلب أن تعرض على الفلسطينيين أولاً سلسلة من الأسئلة بغية استيضاح مواقفهم. وهكذا تم إعداد قائمة تضم حوالي مائة سؤال. وقد احتلت هذه الأسئلة جل الوقت، خلال اللقاء التالي الذي أجريناه مع ممثلي المنظمة.

وافق رابين وبيرس على عودتي إلى أوسلو ومعني زينجر، بيد أنهما طلبا منا الانتظار حتى الإعلان عن استئناف المفاوضات في واشنطن.

وقد استؤنفت المفاوضات في السادس عشر من حزيران، حيث أظهر الوفد الفلسطيني خلالها أسلوباً أفضل من الأسلوب الذي انتهجه سابقاً.

ورغم ذلك، تشدد الوفد بالمطالبة بإدراج القدس في اتفاقيات الحكم الذاتي. وهكذا كان عرفات يلوح لنا، بأن التقدم إلى الأمام لن يكون إلا من خلال التفاوض مع منظمة التحرير ومع أبو علاء في أوسلو.

وقبل عودتي إلى أوصلو، تذكرت ما قاله لي أبو علاء، عندما تنزهنا معا في الغابة وحدنا: "لقد سمعنا عنك الكثير سبير، ونحن نعرف أنك وصديقك يوسي بيلين وحاييم رمون يتحدثون باسم جيل جديد، ونحن نعلق عليكم آمالا كبيرة. لقد خيب أخوتنا العرب آمالنا، ونحن -أبو مازن وأنا- توصلنا إلى استنتاج مفاده، أن من الجائز أن يكون (أبناء عمومتنا) الإسرائيليين هم أفضل الشركاء للتقدم إلى الأمم. وأريدك أن تعرف بأننا منخرطون فيما سيصبح -حسب إحساسي- شراكة حقيقية".

لقد تمنيت هذه اللحظة، منذ زمن طويل، ووجدتني أرغب في أن أقول له ذلك: "أصدقائي وأبناء عائلتي يعتقدون منذ زمن طويل، أنه يجب علينا التحاور معكم. وقد أقمعت الانتفاضة، العديد من الإسرائيليين، بأن من المستحيل أن نتمكن من السيطرة عليكم إلى الأبد. إسرائيل هي رواية نجاح كبيرة، بيد أن الاحتلال يسهم في تدمير نفوس أبنائنا، ونحن نرغب في التخلص منه بصورة لا تترك لدينا أي شكوك بشأن أمننا، وأنا آمل أن نتمكن من زيارة إسرائيل بسرعة، لرؤية أصدقائي والتأكد مما أقوله لك".

وبعد لحظة قصيرة قال أبو علاء: "بيتي في أبو ديس، وأمي توفيت، وأبي مريض، وأراضينا صودرت لاقامة مستوطنة عليها".

قلت له: هل تريد أن تزور والدك؟؟ هل تريد أن أنقل له رسالة منك؟؟ فقال لي بلهجة فخورة: "لا، سأزوره حينما أتمكن من العودة إلى بيتي" بيد أن أبو علاء لم يحظ بروية والده، الذي توفي بعد ذلك بسنة، بسكتة قلبية، بعد أن رفع دعوى إلى المحكمة كي تعيد له أرضه.

قلت له: أنا أستطيع أن أفهمك، فقد توفي أبي أيضا، ولا شك أنه كان سيسعد بلقائك وأنا أرغب في أن أقدم لك نسخة من مقالة كتبها عام ١٩٨٥ حول ضرورة إجراء حوار من النوع الذي تجريه الآن.

وحينها، ولأول مرة ناداني أبو علاء باسمي الشخصي، وقال لي: "أنتري أوري، لدي إحساس بأننا سننجح". فقلت له: "وهذا أيضا إحساسي".

الفصل الثاني

خارطة طرق أوصلو

السرية رافقت المفاوضات حتى التوقيع

زينجر: إذا لم نتوصل إلى إتفاق مع هؤلاء سنكون حميراً

لم تسر الأمور في أوصلو بعد ذلك بسهولة، فقد اتسمت في غضون الأشهر الثلاثة التالية بالشدة والإرهاق، وعندما كانت المفاوضات تصل إلى طريق مسدود، كان هذا الطرف أو ذاك، يوقف المفاوضات نهائياً، وكانت تراودنا منذ البداية، مخاوف بأن يتم اكتشافنا. وفي الثاني عشر من حزيران، وعندما سافرت، أنا ويوآل زينجر لأول مرة معاً، وقع لنا حادث مخرج في مطار كوبنهاجن، فقد وجدت أمامي فجأة الضابط الإداري في السفارة الإسرائيلية، في الدنمارك (يوسي الفسي) والذي أتى لاستقبال فريق كرة القدم الإسرائيلي، وقد سر باللقاء والحديث معي. وقد بادرني بالسؤال "إلى أين تسافر؟" فقلت بهدوء "إلى أوصلو"، قال "لماذا؟" فأجبت: "أريد أن أزور شقيقتي هناك". والحقيقة هي أن شقيقتي تسكن في فيلادلفيا.

كان الوضع شديد الحساسية، وكل تسريب لوسائل الإعلام، يمكن أن يخرب المحادثات والتي جرت دون معرفة حكومة إسرائيل، باستثناء رئيس الحكومة رابين، وزير الخارجية بيرس، ونائبه يوسي بيلين.

وفي نفس الليلة، كانت بانتظارنا مفاجأة أخرى، فحال وصولنا إلى أوصلو قدم لنا (يان أجلند) نائب وزير الخارجية النرويجي، تقريراً لوكالة الأنباء الفرنسية، حول محادثات سرية تجري بين ممثلين إسرائيليين وفلسطينيين من منظمة التحرير في النرويج، وبدا النرويجيون شديدي التأثير. وشاء حسن طالعتنا، أن يعقد اجتماعاً مغلقاً في أوصلو، فقام النرويجيون بتحويل أنظار وسائل الإعلام

إلى هذا الاجتماع. الذي خصص لإجراء أبحاث، حول جذور النزاع الإسرائيلي العربي، وليس لحلها.

جعلتنا هذه الحادثة، نبذل جهداً أكبر، على صعيد بناء (روايات تغطية) لسفرائنا السبع إلى أوسلو، وقد أثارت سفرائتي المتكررة الشكوك لدى موظفي وزارة الخارجية، ولم تعد رواية الاتفاقيات الاقتصادية شيئاً، لذا، روجنا شائعة تفيد بأنني أجري اتصالات مع مبادرين من الخليج، وهذا الأمر يتطلب الحفاظ على أقصى درجات السرية.

وخلال سفرائتنا المتواصلة والطويلة، تمكنت أنا وزينجر من رسم استراتيجية المفاوضات التي سننتهجها. وعندما كنا نصل إلى أوسلو، كنا نحن والفلسطينيين، نتمازح حول الأساليب التي اتخذها كل منا لتضليل من قد يحاول اقتفاء أثره. وكنا خارج غرفة المفاوضات، خلال تناول وجبات الطعام، وأثناء الجولات التي نقوم بها، وساعات الاستراحة، نثرثر بصورة جعلت لاريسون يطلق علينا اسم 'منندى أوسلو'.

كانت لقاءاتنا تجري بصورة عامة على بعد عدة ساعات سفر من أوسلو، في أماكن مريحة، وفي ظل أجواء ريفية رائعة. وكانت وجبات الطعام تغص بكل ما لذ وطاب، والغابات الجميلة كانت تغويننا للقيام بنزهات ثنائية وإجراء محادثات غير رسمية. وقد خصص النرويجيون مبلغ خمسة ملايين دولار لتغطية نفقاتنا. ومثلما هو الأمر في مثل هذه اللقاءات السرية، فقد طورنا فيما بيننا قاموساً خاصاً على أساس الطرف التي كنا نتبادلها والتي انخرطت في ذاكرتنا

وذات مرة روى لنا أبو علاء رواية مضحكة، فقال: توفت زوجة رجل كبير في السن، بعد زواج دام خمسين عاماً، وقد امتلأ المنزل بالمعزين، الذين أخذوا يؤمون البيت في الأيام الأولى، ويتناقصون تدريجياً، حتى وجد نفسه ذات يوم وحيداً، فأخذ يتجول في أنحاء البيت ويقول: أنا وحدي، أنا وحدي، ورويداً رويداً أخذ يغني الكلمتين حتى أصبحت شبه أغنية.

ولا زلت أتذكر منظر أبو علاء وهو يدور حول نفسه ممثلاً ذاك الرجل، ويرقص، مما أثار في أوساطنا عاصفة من الضحك. ومنذ ذلك الحين اعتدنا استهلال اتصالاتنا الهاتفية بالقول: "أنت وحدك"؟ وعندما رويت لبيرس القصة، قال لي: "كتب شاعر هندي ذات مرة بيتاً من الشعر يقول: "أنت وحدك وأنا وحدي، دعنا نكون وحدنا معاً".

بيد أن الخصوصيات التي كنا نتبادلها، والمزاح لم تتسرب إلى مفاوضاتنا.

لقد بدت محادثاتنا المكثفة، والتي كانت تصل إلى حوالي خمسين ساعة فأكثر كل جولة، لا يقطعها سوى ساعتين أو ثلاث للنوم، أو لتناول وجبة نرويجية غنية - كلعبة شطرنج مارثونية، مليئة بالمكائد، والخدع، ومناورات لفت الأنظار، بعيداً عن المقاصد.

وكانت المواجهات أحياناً، وحشية، والأزمات التي كانت تنشب، تكاد أن تدمر كل شيء. وكثيراً ما كان الثور يعبر عن نفسه في ضحكة رنانة مدوية، وأحياناً كان أحدنا يضغط الآخر، حتى يصل إلى مرحلة الغليان.

كانت مشاعر العداء الماضية، والمشاعر التي نتمنى أن تسود بيتنا في المستقبل تختلط اختلاط الحابل بالنابل في نفوسنا. وكان الطرفان يتحليان ويتسمان بنفس عوامل الدفاع: الشكوكية، السخرية، وحب النكتة، والشعور العميق بالاضطهاد التاريخي.

قلت ذات مرة لأبو علاء: "هل تعرف لماذا لا نحكم؟؟ لأنكم تذكرونا بأنفسنا".

-أبو علاء: بالضبط هذه هي المشكلة أيضاً بالنسبة لي.

-أنا: ربما كان ذلك يرجع لأننا ننتمي إلى شعبين عايناً الكثير.

-أبو علاء: وربما لأنكم ونحن، قد جئنا من نفس المكان. لم يكن أبو علاء لينسى اللحظة، أو يسمح لي أن أنسى أننا - نحن الاثنين - من القدس.

لقد كانت طبيعة المفاوضات بيننا-نحن الطرفين- متشابهة إلى حد بعيد،
ففي جولتي المحادثات اللتين أجريتا خلال الفترة الواقعة بين ١٤-١٥ من
حزيران، و٤-٦ من تموز، وجه كل طرف للطرف الآخر مجموعة من
التساؤلات لاستيضاح موقفه.

وفي اليوم الذي وجه فيه، يوال زينجر قائمة المائة سؤال لأبو علاء،
أدرك أبو علاء أنه يقف أمام اختبار اسحق رابين، لأنه كان يعلم أن رابين
يصغي لأقوال زينجر، وأنه طلب منه أن يقدر فرص وإمكانية التوصل إلى اتفاق
مع منظمة التحرير. وقد جعل هذا الوضع أبو علاء يجيب عن الأسئلة بأناة
وصبر ويضبط نفسه إلى أقصى حد، رغم الغضب الذي كان يجيش في صدره-
كما خيل إلي- من أسلوب ولهجة زينجر، التي تميل إلى التحقيق. وقد جاءت
الأسئلة والأجوبة على النحو التالي:

-زينجر: بأيدي من سيكون مصدر الصلاحيات في الضفة الغربية وغزة؟

-أبو علاء: ستنقل بصورة تدريجية إلى أيدينا.

-زينجر: هل فكرتم في جهاز سلطة؟ جهاز، أو جهازين؟؟

-أبو علاء: نحن نطالب بصلاحيات تنفيذية وتشريعية.

-زينجر: وماذا بشأن إعادة الانتشار؟؟

-أبو علاء: يجب أن يطبق على جميع المناطق المأهولة بالفلسطينيين في البداية،
ويجب عليكم أن تخلوها قبل أن تجري انتخاباتنا.

-زينجر: وماذا بشأن مسائل الانسحاب الأخرى؟؟

-أبو علاء: يجب أن تتسحبوا إلى مناطق أمنية محددة.

س: وما الوصف الذي سيمنح لهذه المناطق؟؟ أنا أفترض أنك تدرك أن الجيش

الإسرائيلي هو الذي سيحدد أماكن إعادة انتشاره في الضفة الغربية؟؟

-أبو علاء: وأنا أفترض أنكم لن تتخذوا قراراً ينص على أن الضفة الغربية هي
منطقة أمنية.

وهكذا، تواصلت الأسئلة طيلة اليومين الأولين للقاء، وطيلة ثلاثين ساعة تقريباً، مما ساعد زينجر في بناء فكرة تحدد اتجاه منظمة التحرير.

شعرت بالخشية من الانطباع الذي أثاره زينجر في أوساط الفلسطينيين. فقد كنت أفضل دائماً أسلوب الإقناع كوسيلة مجدية لإنجاز الأهداف. بيد أنني سرعان ما أدركت أن لدى زينجر أسلوبه الخاص، وأنه يجيد عملية خلق الثقة. وعلى أية حال فقد تأثر زينجر خلال هذا اللقاء من عمق وجدية محادثته.

وفي أعقاب اللقاء طرنا إلى (فيينا) لتقديم تقرير إلى بيرس، الذي قدم إلى المدينة للمشاركة في مؤتمر الأمم المتحدة لحقوق الإنسان. وفي الطريق قال لي زينجر أنه مقتنع بأن هناك فرصة للتوصل إلى اتفاق مع منظمة التحرير، بيد أنه أهاب بي كيلا نبدي حماساً خلال تقديم التقرير لبيرس.

كان زينجر، مثله مثل الكثيرين، يعتقد أن "شبيبة بيرس" متلهفون أكثر مما ينبغي لمعانقة العدو - هذا رغم أنه غير رأيه فيما بعد، واعتبرنا من أشد المفاوضين الإسرائيليين.

عندما عاد بيرس إلى غرفته، وجدنا بانتظاره، فقال بصوت مرتفع:

كيف سارت الأمور يا زينجر؟

- زينجر: إذا لم نتوصل إلى اتفاق مع هؤلاء الأشخاص سنكون حميراً.

- أنا: يا إلهي كيف تبدو عندما تكون متحمساً.

*** **

مكنت الإجابات التي قدمها أبو علاء على الأسئلة التي وجهت إليه، والمسودة التي أعدها الفلسطينيون بالتعاون مع هيرشفيلد وفوندك، مكنيت زينجر من إعداد الصيغة القضائية لإعلان المبادئ. وفي الوقت الذي انشغل فيه بإعداد الإعلان، قمت أنا بإعداد تقديراتي للوضع، كي أقدمها لبيرس وبيلين. وقد قمت بإعداد هذه الوثيقة في مقصف الفندق الذي ينزل فيه بيرس، وعلى بعد طاولاة واحدة من فاروق الشرع وزير الخارجية السوري، وقد تقابلت نظرانتنا، فحيا كل

منا الآخر بهزة رأس دون أن تكون لديه فكرة عمن أكون، ولم يكن يعلم أنني أكتب مليلي:

" لا شك لدي في أن الفلسطينيين يسعون لإقامة دولة مستقلة، ويخيل إلي أنهم يفضلون إقامة إتحاد كونفدرالي مع الأردن، مع تطوير مصالح مشتركة مع إسرائيل. وهم معنيون بتوجه عرفات إلى المناطق، وهدف عرفات يتمثل في نزع سلاح حماس. وفي نفس الوقت، بأنهم يخشون من إدارة الحكم الذاتي، ويدركون أنهم سيكونون مرتبطين بالتعاون مع إسرائيل. وهم شديدو الحساسية تجاه الرأي العام الفلسطيني، بيد أنهم لا يكونون الكثير من التقدير للزعامة المحلية التي تدبر المفاوضات في واشنطن". اعتدت خلال زمن المفاوضات أن أنقاس مع بيرس مشاعري وأحاسيسي تجاه الفلسطينيين. وقد قلت له ذات مرة: لقد أخطأنا جميعا بالإدعاء أننا خبراء في الشؤون العربية بشكل عام، والشئون الفلسطينية بصورة خاصة. فكلما أكثرنا من الالتقاء بشركائنا الفلسطينيين، كلما اكتشفت أننا ربما نعرف الكثير جدا عنهم، بيد أننا نفهمهم قليلا.

لقد أخطأت إسرائيل بتجاهلها للشعب الفلسطيني. فعندما بدأنا المفاوضات مع عرفات كنا نعتقد اعتقادا جازما بأن الفلسطينيين سيقبلون كل ما نمليه عليهم دون أي اعتراض، وهو الأمر الذي حال دون رؤيتنا لضرورة العمل من أجل إحلال السلام بين الشعبين. فعرفات هو حقا زعيم ورمز، بيد أن السلام معه ليس بالضرورة سلاما مع الفلسطينيين. وقد عبر أبو علاء عن هذه الحقيقة بالقول مرات عديدة: "إذا أنجزتم سلاما مع عرفات أو معي، واعتبرت الجماهير الفلسطينية هذا السلام غير منطقي، فإن هذا السلام لن يصمد أبدا، يجب عليكم أن تتذكروا أن الفلسطينيين كلهم جيرانكم". بيد أنني لم أعرف انذاك، فيما إذا كان أبو علاء يقول ذلك من أجل إحراز مكسب تكتيكي أم أنه كان يقصد حقا ما يقول. ولربما أن أبو علاء قال ما قال، كمحاولة لتقليدنا، ومن الجدير بالذكر، أن الفلسطينيين تعاملوا دائما مع طرحنا لمسألة الخلافات العميقة المستشرية في أوساط المجتمع الإسرائيلي، حول السلام، وكأنها طرح تكتيكي يقصد به إحراز

مكاسب سياسية، بيد أنهم اضطروا لتغيير تفكيرهم في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥، في أعقاب اغتيال رئيس الحكومة اسحق رابين.

تضمنت مسودة يوال زينجر - الخاصة بإعلان المبادئ - قسمين: الاتفاقية نفسها، ومذكرة حول قضايا متفق عليها، والتي كانت بمثابة تفسير مشترك وملزم لبعض البنود الأكثر تعقيداً.

وقد أضاف زينجر إلى ذلك توصيات شخصية تتعلق بإبرام اتفاق مفصل حول الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير. فقد كان مثلي تماماً قلقاً من حقيقة أننا نمنح منظمة التحرير شرعية حين نتفاوض معها، دون أن نطالبها بتغيير النظرية التي قامت عليها، والتي تنص على نفي حق إسرائيل في الوجود، والذي اعتبرناه بمثابة لب النزاع الإسرائيلي-العربي. وبناءً على ذلك قدم يوال زينجر إلى رابين مسودة إعلان المبادئ مصحوبة بتوصيات شخصية بضرورة التوصل إلى اتفاق حول الاعتراف المتبادل بين الطرفين. وقد رد رابين على ذلك بحذر بالغ، حيث صادق على مسودة إعلان المبادئ، بيد أنه ترك لنا حرية جس النبض و التحري بشأن اتفاقية الاعتراف المتبادل.

وفي حواراتنا معه، أصر رابين على مسألة واحدة وأكد على ضرورة توضيحها للفلسطينيين بصورة لا تقبل الجدل، وهي: التأكيد على أن إسرائيل ستكون صاحبة الحق الوحيدة في ضمان أمن مواطنيها والدفاع عنهم، ضد أي تهديد خارجي. وقال: إذا رفض الفلسطينيون هذا المطلب، يمكنهم أن ينسوا الاتفاق برمته.

سافر زينجر إلى أوسلو في السابع والعشرين من حزيران وحده - من أجل عرض مسودة اقتراح إعلان المبادئ - على الفلسطينيين، وكنا ندرك أن الفلسطينيين سيجدون من الصعب هضم هذه المسودة. ولهذا السبب، حرص زينجر على إيضاح وجهة نظرنا بأناة وصبر. وكما حرص زينجر، على إفهام الفلسطينيين، بأن اسحق رابين كان مسروراً من تقريره، وأنه بدأ ينخرط في

المفاوضات. وألح إليهم بشأن الاعتراف المتبادل، بيد أنهم فضلوا عدم التطرق إليه.

وفي رحلتنا اللاحقة إلى النرويج، في الرابع من تموز، عرضنا على الفلسطينيين المسودة الرسمية المكتوبة لإعلان المبادئ، والتي تطرقت إلى مسار تدريجي، ينص على إقامة حكم ذاتي في غزة وأريحا، ثم إبرام اتفاقية تسوية مرحلية تنتهي بتطبيق الحكم الذاتي في الضفة الغربية وفي الختام إجراء مفاوضات حول التسوية الدائمة للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

وقد تم تسليم الفلسطينيين الوثيقة والتي تم إعدادها على ورق عادي، لا يحمل أي إشارة رسمية لإسرائيل-كي يدرسوها. وحال عودة الفلسطينيين إلى طاولة المفاوضات بدا ردهم متشددًا جدًا. وانفجر حسن عصفور قائلاً: لقد ألقينا أشهر العمل الطويلة السابقة في صندوق القمامة، وهنا نحن نبدأ كل شيء من الصفر.

خشى الفلسطينيون من أن الحكم الذاتي الذي عرضناه عليهم، ليس سوى عرض صوري. لا يمنحهم أي صلاحيات حقيقية، وذلك على عكس الوثيقة التي تم التوصل إليها، مع فوندك وهيرشفيلد.

والحقيقة هي أن الأمر كان أقل من ذلك بكثير، فقد قبل الفلسطينيون خلال محادثتنا التفصيلية مبدأ (التدريج) والذي يبدأ من الحكم الذاتي في غزة وأريحا، وقد وافقنا على إدراج أريحا في المرحلة الأولى من الحكم الذاتي. وأوضحنا للفلسطينيين، ما كانوا يعرفونه أصلاً، بأن المفاوضات الحقيقية الملزمة، ستبدأ الآن، بيد أن الاحتجاجات تواصلت، حتى قرر أبو علاء وقف الجدل، غير المجدي، والتعقيب على النص نفسه.

1993

Draft of July 3,

DECLARATION OF PRINCIPLES ON
INTERIM SELF-GOVERNMENT ARRANGEMENTS

The Government of the State of Israel and the Palestinians,
represented by the Palestinian team in the Jordanian-
Palestinian *representation of Palestinian people*
delegation to the Middle East Peace Conference (the "Palestinian
delegation"), agree to the following principles:

Article I

PREAMBLE

1. Israel and the Palestinians agree that it is time to put an end to decades of confrontation and conflict and achieve historic reconciliation and peaceful coexistence.
2. In order to accomplish these objectives, *in line with the invitation to the Madrid Peace Conference* the aim of the Israeli-Palestinian negotiations within the current Middle East peace process is to establish interim self-government *authority* arrangements for the Palestinians in the West Bank and the Gaza Strip for a transitional period of five years, leading to a permanent settlement based on Security Council Resolutions 242 and 338.
3. The agreed framework for the interim self-government arrangements is set forth in this Declaration of Principles *text*.

הטיוטה המשפטית הראשונה שהוגשה לנציגי א"י באפריל 1993
(הכוללת הערות שנבט בהכשר א"י).

المسودة القانونية الاولى التي قدمت لممثلي المنظمة بتاريخ

١٩٩٣-٧-٤

قال أبو علاء: "أرى أنكم تتشددون بشكل خاص في مجال الأمن، وهذا مقبول لدى الرئيس عرفات".

ولا شك أن التطرق إلى الصلاحيات في المسودة، كان بمثابة إلماحة إلى الاستعداد للعمل معاً. وقد بدا في الأيام الثلاثة التالية، وحتى السادس من تموز، أننا فعلاً بدأنا نتقدم إلى الأمام. وقد وافقنا على تضمين المسودة تحفظات الفلسطينيين بين قوسين، ثم كان علينا أن نرد على تساؤلات عرفات وإشباع فضوله. وقد أطلعنا أبو علاء على عدة أوراق مغطاة بملاحظات وتساؤلات عرفات بخط يده بالقلم الأحمر. استهل أبو علاء تساؤلاته قائلاً: "من الذي سيسيطر على المعابر الحدودية؟"

-يؤال زينجر: نحن.

-أبو علاء: كم ستكون مساحة منطقة أريحا؟

-زينجر: نحن نعتبر هذه المنطقة رمزية فقط.

-أبو علاء: هل ستوافق إسرائيل على إجراء دوريات مشتركة على طول الحدود بين قطاع غزة ومصر؟

-زينجر: لا، كل ما يرتبط بأمن إسرائيل الخارجي سيبقى بين أيدي إسرائيل.

س: كم عدد رجال الشرطة الذين سيكون بمقدورنا إحضارهم من الخارج؟

-زينجر: يجب أن نتوصل إلى اتفاق حول ذلك، وفقاً للتقديرات الأمنية.

-أبو علاء: أنا أتفهم ذلك، لكن يجب أن نتذكر أن هدفنا هو التعاون وليس الفصل، كما أننا ملزمون بالدفاع عن اقتصادنا.

-أنا: دون أمن لن يكون هناك أي تطوير اقتصادي.

-أبو علاء: ودون تطوير اقتصادي لن يكون هناك أي صورة من صور الأمن.

كان من الواضح أننا لا زلنا في البداية، وفي مرحلة الاستيضاحات،

رغم أننا تميزنا بكون الوثيقة الموضوعية على طاولة المفاوضات هي وثيقة إسرائيلية، مع اعتراضات فلسطينية.

وخلال الجولة التالية، وخلال يومي ١١-١٢ من تموز، جاء دور الفلسطينيين المجتمعين معنا في فندق (هالفربول) القريب من أوسلو، كي يقدموا موقفهم الأولي للانطلاق. وقد استهل أبو علاء هذا الموقف بقراءة رسالة من عرفات، كان يوجهها إلى القيادة الإسرائيلية عبرنا، وقد جاء فيها: "لقد بلغت هذه المحادثات المتفردة الجارية بيننا، مرحلة جديدة الآن، لقد لاحت لنا فرصة تاريخية في تاريخ النزاع العربي الإسرائيلي، وعلى أكتافنا، يلقي عبء العمل من أجل عدم إضاعتها هباء".

هذا، وقد كرس عرفات جل الرسالة لطرح المطالب الفلسطينية الجديدة، حيث طالب بالانسحاب الفوري والكبير من غزة وأريحا. وقال: "يجب أن تأخذوا بعين الاعتبار الرأي العام الفلسطيني، لذا، هناك أهمية كبيرة جدا لتواجد الزعامة الفلسطينية في تونس- أي عرفات نفسه- في المنطقة التي ستسحبون منها بهدف مواجهة احتمالات قيام المجموعات المتطرفة المهمة بتخريب اتفاقية السلام الجديدة، من خلال نشاطات بهذا الصدد.

ويجب إجراء انتخابات في القدس، وإيجاد السبل الكفيلة بمنح "تعبير" للمؤسسات الفلسطينية في القدس".

وأكد عرفات في رسالته أيضا، أهمية الضمانات الدولية، والوساطة الخارجية، وبذلك يكون عرفات قد تنكر للوعود، التي حصلنا عليها منه، في أيار بهذا الصدد. مما جعلني أعبر عن احتجاجي الشديد.

وفي أعقاب توقف أبو علاء عن القراءة، قلت: "نحن نقدر رسالة الرئيس الفلسطيني، بيد أنكم تتراجعون عن المواقف الأساسية التي طرحتموها. ونحن لن نقبل التفاوض بهذا الأسلوب. وبمقدوركم إعلام الرئيس عرفات بذلك فوراً".

وسرعان ما بدا لي "أن الاحتجاج الشديد الذي طرحته كان مجدياً، ففي نفس الليلة، بعث عرفات رسالة جديدة بالهاتف عبر أبو علاء، أكد فيها نيته التوصل إلى اتفاق، وقال: أن الرسالة السابقة التي بعث بها كتابة، عبر أبو

علاء، ترمي فقط، للإعراب عن نواياه الحسنة وطرح عدد من القضايا التي تثير قلقه.

وهكذا، ففي الثاني عشر من تموز أصبح لدى كل طرف صورة عامة عن مطالب الطرف الآخر، كما تم توضيح المعايير الأساسية للمفاوضات. وقامت إسرائيل ومنظمة التحرير، بمناقشة خارطة طرق مستقبلية للضفة الغربية وقطاع غزة، واللذين تتراوح مساحتهما حول ٦٢٠٠ كيلو متر مربع - (الضفة ٥٦٠٠) وغزة (٣٦٠) كيلو مترا مربعا.

واتفق الطرفان على أن افضل الصيغ لاعادة بلورة العلاقات فيما بينهما، تتمثل في التقدم على مراحل-بيد أن كل طرف رغب في ضمان مزايا لنفسه، من خلال التفكير في التسوية الدائمة. ووفقا لذلك كان الإصرار الإسرائيلي على الاحتفاظ بصلاحيات معينة، نظراً لإدراكنا أنها ستؤثر على مصالحنا على المدى البعيد- مثل السيطرة على الموارد المائية-.

كان هنا الوحيد، وأكثر الأمور الحيوية بالنسبة لنا، هو الأمن. وتمثلت مشكلتنا في رغبتنا في التخلص من عبء الاحتلال، وفي نفس الوقت القدرة على مواصلة الدفاع عن المواطنين الإسرائيليين، وتوفير الأمن لهم، بمن فيهم عشرات آلاف المستوطنين في الضفة والقطاع.

ولهذا السبب، أصر اسحق رابين على أن تكون إسرائيل مسئولة بالكامل عن أمن الإسرائيليين، وعن الأمن الخارجي لمناطق الحكم الذاتي المستقبلية.

طالبت منظمة التحرير أن نعترف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، ونتمهد بتطبيق القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن الدولي في أعقاب حرب ١٩٦٧، والذي يدعو إسرائيل إلى الخروج من (مناطق احتلت) خلال تلك الحرب، مقابل إحلال سلام دائم. كما طالبت منظمة التحرير بأن يكون للحكم الذاتي ذراعان: تنفيذي وتشريعي، وأن تتحكم سلطة الحكم الذاتي بمعظم السيطرة داخل مناطقها، وناضل المفاوضون نضالاً عنيفاً، من أجل إحراز مكانة للسلطة الفلسطينية في القدس- مثل منح مواطني القدس الشرقية حق الترشيح لمجلس

الحكم الذاتي" ورغبوا في خلق مسار لاعادة نازحي عام ١٩٦٧ خلال التسوية المرحلية. وتطلعوا للحصول على نصيب في السيطرة على جسر الملك حسين الواقع على نهر الأردن. وذلك على افتراض أن يصبح نهر الأردن الحدود الشرقية لدولة فلسطينية مستقبلية.

وأرادت منظمة التحرير أيضا، أن تحتفظ ببقاء خيار التحكيم الدولي كضمانة لتطبيق الاتفاقية.

كانت غالبية هذه النقاط غير مقبولة لدى إسرائيل. وكانت هناك ضرورة لتطوير استراتيجية مشتركة تقوم على رغبة الطرفين في الاعتراف المتبادل بالأمن والازدهار الاقتصادي وتسوية القضايا محل الخلاف بما يتلاءم مع المصلحة الأساسية للتعاون بينهما. كان هذا التفكير هو الاختبار الحقيقي للمفاوضات بيننا، فلو أن الاستراتيجية المشتركة والمأمولة، تمكنت من السيطرة على الطرفين، فلا شك أن المفاوضات ستتدفق قدما بسرعة فائقة، أما إذا لم يحدث ذلك، فسوف ندور مطولا حول أنفسنا في حلقة مفرغة.

حددت محادثات أوسلو أيضا، التوجه التكتيكي الأساسي من الطرفين للمفاوضات، بدءا من مرحلة جس النبض التي أردنا من خلالها استيضاح ماهية المصالح المشتركة للطرفين.

ورغم أن هذه المرحلة من المحادثات، لم تكن مرحلة مفاوضات كلاسيكية، إلا أنها كانت مرحلة حرجة للغاية، نظرا لأننا حددنا خلالها الأهداف الأساسية التي تطلعنا إلى إنجازها. فالاتفاق هو بمثابة (بوصلة) تشير إلى اتجاه محدد وواقع جديد، فإذا كان الاتجاه الذي يشير إليه الاتفاق، غير قابل للتطبيق، من وجهة نظر أحد الطرفين، فإن ذلك يعني، أن هذا الاتفاق لا قيمة تذكر له.

لقد كان بيرس هو صاحب فكرة انتقال عرفات إلى غزة، وقد ناقش ذلك خلال محادثاته مع الرئيس المصري حسني مبارك، في تشرين الثاني ١٩٩٢، وكذلك ناقشها فوندك وهيرشفيلد مع أبو علاء إبان مناقشة قضية التعاون بين الطرفين ومغزى ذلك.

لقد قامت المباحثات الخاصة بإعلان المبادئ على عدة افتراضات رئيسية تتمثل فيمايلي:

إن إسرائيل ومنظمة التحرير تدخلان عهداً جديداً من تعاون المصالح، وأن التعبير عن هذا التعاون سيتمثل في قيام حكم فلسطيني ذاتي في غزة وأريحا، مع مسئولية إسرائيل عن أمنها، والذي سيجد تعبيره في عملية سلام إقليمية. وإن تقدم المسيرة سيأتي تدريجياً حتى تصل إلى التسوية الدائمة، التي ستقوم على مصالح تاريخية.

وفي المرحلة الثانية، يختار كل طرف- بصورة عامة- أن يبدي مرونة كدلالة على حسن النوايا، ولدفع الطرف الآخر للكشف عن بعض مواقفه الحقيقية. وهذا ما حدث في الجولتين الأوليين في أعقاب انضمام زنجبر إلى المحادثات.

أما في المرحلة الثالثة، فتبدأ الصداقة والعلاقة الودود في الاهتزاز، عندما يقوم أحد الأطراف- إسرائيل في أوصلو- بطرح موقف البدء، الذي يعترف الانطلاق منه صراحة، ويحاول إقناع الطرف الآخر، بأن هذا الطرح هو أفضل ما يمكن أن يقدمه، بل وأنه الطرح الوحيد الذي لا يوجد غيره، وفي هذه الحالة، يكشف الطرف الآخر عن مواقفه، وتبدأ عملية المساومة الحقيقية.

وتميل المساومة في البداية إلى أن تكون مضنية وبطيئة وذلك نظراً لعدم استعداد الطرفين للكشف عن خطوط المرونة المستعدين للتنازل إليها، أو حتى الاعتراف بوجود مثل هذه الخطوط. ويسفر هذا الوضع عن ولادة أزمات، يقوم كل طرف بتوجيه إصبع الاتهام خلالها، إلى الطرف الآخر، ويتهمة باللامنطقية ويؤكد أن آخر الاقتراحات التي قدمها، هو آخر الحلول، وأن البديل ليس سوى انهيار الحوار. وفي غالبية الأحيان، ما تنتهي الأزمات بالاعتماد على الثقة التي تم تطويرها بين الطرفين، والتي تتيح لهما إمكانية الكشف عن (الخطوط الحمراء) الحقيقية التي يضعانها لأنفسهما. وحينها فقط، تبدأ عملية المساومة،

ويعود الطرفان لتبني مصلحتهما المشتركة، واللجوء إلى طرح أفكار خلاقة ومبدعة، بغية التوصل إلى اتفاق لم يتوقعه أي منهما منذ البداية.



١- أوري سبير وأبو علام خلال المحادثات في ايلات حول التسوية المرحلية - آب

١٩٩٥.

(حالات المد والجزر في المفاوضات)

عرفات حرص على العودة إلى الذاتي لمعالجة المعارضة

عملية يوم الحساب لم تؤثر على مسار المفاوضات

يبدو تقدم المفاوضات في ظل الواقع، ليس مخططاً، نظراً لأن القائمين عليه يصطدمون بالعديد من المشاكل، إضافة إلى التغيرات في الواقع، والتي تؤثر على سير المفاوضات.

وديناميكية المفاوضات تتأثر أيضاً بوسائل الإعلام والنشاطات التي تبديها، وباستخدام الأطراف الثلاثة، ومن التنازلات الوهمية والحلول الكاذبة، ومن مختلف المناورات والألاعيب الأخرى، لذا، فإن المفاوضات المعقدة تتطلب من كل طرف، التحديد الواضح والدقيق للأهداف والمصالح بعيدة المدى. وإدراك واضح لما هو حيوي، وما هو غير مجد، وقدرة على التفريق بين الغث والسمين.

ومثل هذه المفاوضات، تحتاج أيضاً إلى قدرة وأناة للتفكير في المشاكل على صورة: "كتلة"، وإجراء أعمال جذرية بصورة منهجية.

وخلال محادثات أوسلو، قام المتفاوضون أنفسهم بإدارة الأعمال الجذرية بالتعاون مع يوسي بيلين. وأفي جيل وشلومو جور، ويتوجيهات من بيرس ورايين. ومن الجدير بالذكر، أنه عندما كان رايين وبيرس يلتقيان كنا نقول: لقد التقى رئيس الحكومة بوزراء الدفاع والخارجية والمالية ورئيس الأركان والسفير في واشنطن ونائب وزير الدفاع، وجميع المناصب الأخرى التي شغلها الاثنان طيلة حياتهما السياسية.

واتضح لنا أيضاً أن السرية هي شرط ضروري لنجاح المعركة السياسية، وطيلة السنوات الثلاث من المفاوضات، والتي تمخضت عن ثلاث اتفاقيات، لم يتسرب أي شيء جوهري. أضف إلى ذلك، أن السرية هي مفتاح

العمل المشترك بين الأطراف، إضافة إلى جدواها الكبيرة، في بناء الثقة بين المفاوضين.

لقد بقيت القاعدة السرية، التي تم العمل بها في أوسلو، على ما هي عليه، منذ ربيع عام ١٩٩٣، وحتى التوقيع على اتفاقية التسوية المرحلية في أيلول ١٩٩٥. وعملنا بها أيضا تجاه الأميركيين وتجاه المصريين. وكان ذلك نتاجا للإيمان، بأن على أولئك الذين حكم عليهم بالتعايش المشترك سوية، أن يقرروا بأنفسهم، كيفية عمل ذلك، وتحمل مسئولية قرارهم.

وفي غضون الفترة اللاحقة، لعبت الإدارة المركزية دورا رئيسا في المسيرة. بما يتلاءم مع العلاقة الجديدة التي أنشأناها مع منظمة التحرير، كما سارعت إلى تقديم شبكات الحماية، كلما برزت مشكلة عويصة في حاجة إلى حل، وبتقديم المساعدات الاقتصادية للفلسطينيين. هذا في الوقت الذي لم تول الولايات المتحدة مفاوضات أوسلو، طيلة الأشهر السبعة الأولى من بدئها أي اهتمام.

ويرجع السبب في ذلك، إلى أن الفطنة والحنكة الأميركية كانتا تشيران إلى أن فرص التوصل إلى سلام مع سورية أكبر، وأكثر أهمية.

ورغم ذلك، بذل طاقم السلام الأميركي بقيادة روس، جهودا كبيرة لدفع المفاوضات في واشنطن مع الفلسطينيين إلى الأمام. وفي الثامن والعشرين من الشهر نشر هذا الطاقم صيغته لإعلان مبادئ مقلص، بيد أن الاقتراح الذي عرضه كان أقل مما اعتقدنا أن بمقدورنا إنجازه في أوسلو، أضف إلى ذلك أن قسما لا يستهان به من بنود الاقتراح - وعلى وجه الخصوص تلك البنود التي تطرقت إلى العلاقة بين التسوية المرحلية والدائمة - متعبة ومثيرة للمشاكل، من وجهة نظرنا.

وحرصنا على إطلاع المصريين أيضا، بين الفينة والأخرى، على مجريات الأحداث، وعلى رأسهم الرئيس المصري ومساعدوه وقد عقد أسامة الباز، مساعد الرئيس مبارك اجتماعه مع رئيس الحكومة رابين، في حزيران

إضافة إلى أن عرفات، كان يستعين بخبرة المصريين، بصورة دائمة ويتشاور معهم. والحقيقة هي أن المصريين كانوا للفلسطينيين بمثابة الأخ الأكبر. وفي أعقاب لقاء الباز برايين، سارع إلى إعلام الفلسطينيين، بأن رايبين ملتزم بمسار أوسلو.

ولم يكتف النرويجيون بمكانة الرعاية بل عملوا على دفع المسيرة نفسها إلى الأمام. ففي الثاني عشر من تموز، توجه وزير الخارجية هولست وزوجته مريانة، وتاري لاريسون وزوجته مونه إلى تونس، فيما أسموه بالدمج بين زيارة عمل واجازة خاصة. وكان هدفهم الرئيسي يتمثل في الاجتماع بعرفات. وفي أعقاب المحادثة المطولة التي أجروها معه، توجه لاريسون وزوجته للقاء شمعون بيرس، حاملين معها رسالة من هولست حول ما أسفرت عنه محادثاته مع عرفات.

وفي البداية، عمد عرفات إلى إخراج مسرحية كبيرة بحضور مساعديه، فوجه شجباً إلى الولايات المتحدة، على محاباتها لإسرائيل. بيد أن النرويجيين وجدوا في عرفات، في اللقاء الثاني الذي أجراه معهم، بحضور -أبو علاء فقط- شخصاً مختلفاً، وواقعياً، وقد تحدث بارتياح عن التقدم الذي تم إحرازه في أوسلو، وأثنى على ضيوفه، والجهود التي بذلوها من أجل ذلك.

وأطلعهم على خارطة تفصيلية لمنطقة الحكم الذاتي في غزة، والمنطقة الواسعة التي حصل عليها في أريحا، والطريق الواصل بين المنطقتين. وسجل على خريطة- تم نقلها إلينا فيما بعد- نظريته حول أريحا. وفي محاولة لتبرير مطلبه الخاص بمنحه منطقة واسعة في أريحا، أكد عرفات على عدم وجود مستوطنات، حول أريحا، أو أي أماكن مقدسة لليهود. وأكد أيضاً، أنه كلما كانت المناطق الخاضعة له أوسع، كلما تمكن من كبح جماح أولئك الذين سيسعون لإثارة الشغب.

وعزا عرفات أهمية كبيرة لحقيقة أن عليه، هو بالذات، أن يتوجه إلى مناطق الحكم الذاتي، كي يتمكن- مثلاً قال- لمعالجة حركة حماس.

وقال: أنه إبان تواجده في بيروت كان قادرا على إحداث شروخ في أوساط المعارضة التي قامت ضده، وأنه سيعود إلى ذلك مجدداً، في الضفة الغربية. إن فكرة فرق تسد هي إحدى طباع عرفات.

أعرب لاريسون وزوجته مونه، عن اعتقادهما بأن عرفات يرغب حقاً في إنجاز السلام. وقد تحدثا عنه بمزيج من الاحترام والسخرية، الأمر الذي ساعدنا في فهم هذا الرجل، زعيم منظمة التحرير الذي اتخذ جميع القرارات الصعبة وحده.

وخلال مأدبة العشاء التي أقامها بيرس، على شرف لاريسون وزوجته في فندق (لاروم) في القدس، أعرب عن ثقته بأن إحراز السلام مع الفلسطينيين، سيبشر بولادة عهد جديد للشرق الأوسط كله. وطلب من الضيفين أن يوضحا لعرفات بصورة لا تقبل الجدل، أن هناك ثلاث قضايا ليست واردة بالحسبان، إطلاقاً.

- توسيع مناطق الحكم الذاتي بأي صورة من الصور باتجاه القدس.
 - توسيع مساحة المنطقة الممنوحة له في أريحا.
 - منح معبر مستقل-خارج السيطرة الإسرائيلية للفلسطينيين بين غزة والضفة الغربية، وقال: "إذا أصبر عرفات على معارضة أي نقطة من هذه النقاط، فلن يتم إبرام أي اتفاقيات".
- لقد اتضح لنا بصورة فجائية أن بيرس يتحدث بصراحة تامة رغم حقيقة أن النادل الذي قدم لنا الوجبة، هو فلسطيني الجنسية- وقد لاحظ يوسي بيلين نظراتي، وهي تتحرك باتجاه النادل، بيد أن بيرس تجاهل ذلك. ولحسن الحظ، فإن النادل لم ينتبه لما نقول.

ومع عودة لاريسون، حمله بيرس رسالة إلى هولست، ضمنها الخطوط الحمراء آنفة الذكر وفي العشرين من تموز أطلع هولست عرفات على محتوى الرسالة. فعاد عرفات، ليؤكد على المسائل المهمة بالنسبة له، والمتمثلة في الأهمية التي يدليها للمعبر بين غزة وأريحا، وبين أريحا والأردن، وأبدى حماساً

بالغا، وهو يتحدث عن ضرورة عودته إلى غزة، وحاول أن يبدو وكأنه شديد الإخلاص، في تجسيد المصالح المشتركة، ووافق على ضرورة تسريع المسيرة السلمية، واغتنام الفرصة السانحة.

وفي الرسالة التي بعث بها هولست فيما بعد إلى بيرس، قال: أن عرفات أكد له، أن منظمة التحرير جاهزة لإجمال المفاوضات والتوقيع على الاتفاقية، وأن الإرجاء، أكثر من ذلك سيفضي إلى فقدان السيطرة من أيدينا جميعا. الطرفان بحاجة إلى السلام، ويجب علينا أن نتوصل إلى حلول، يجب على الفلسطينيين والإسرائيليين أن يتعلموا كيفية التعايش معا.

*** **

أدت مساهمة هولست في توضيح المواقف للطرفين، والحوارات الجماعية التي أجراها مع بيرس، فيما بعد، إلى وضع الأسس لجولة المحادثات التالية بين الرابع والعشرين والسادس والعشرين من تموز.

كانت مسيرة أوسلو قد وصلت إلى لحظة الحقيقة، وجئنا إلى المفاوضات ونحن نتوقع حدوث تقدم سريع، وفي نفوسنا استعداد كبير للتسوية، وسرعان ما اتضح لنا أن علينا أن نستيقظ من هذا الحلم، فقد عاد الفلسطينيون ليؤكدوا على مواقفهم من خلال وثيقة كاملة وجديدة تماما. ورغم وعودهم بالتقدم إلى الأمام، فقد بدا لنا أنهم تراجعوا عن المواقف التي سبق لنا أن جذرناها معهم. فقد تجاهلت وثيقتهم الوثيقة التي قدمناها إليهم في الرابع من تموز. وطالبوا بتواجد عشرة آلاف شرطي فلسطيني في غزة وأريحا، وسيطرة فلسطينية على المعابر الحدودية، وانسحاب إسرائيلي من غزة في غضون ثلاثة أشهر، وإجراء مفاوضات لتحديد حجم كل انسحاب إسرائيلي جديد. وقد تحدث الفلسطينيون في هذه الوثيقة، لأول مرة، عن منظمة التحرير كشريك لنا في المفاوضات.

ورغم أن مثل هذا الأسلوب في المفاوضات، لم يكن غريبا بالنسبة لي، إلا أنني رددت عليه بالقول: "أبو علاء... أنك تتكرر للتفاهم الذي سبق أن أحرزناه، وإذا ما اطلعنا رابين وبيرس على هذه الوثيقة، فإن ذلك سيعني نهاية

هذه المباحثات، فإما أن نعود لمناقشة وثيقة السادس من تموز - والتي أضفنا إليها معارضة الفلسطينيين في السادس من تموز، وإما أن تنتهي المباحثات.

ثم خرجت من الغرفة، وسرعان ما لحق بي أبو علاء، وطلب أن نتحدث أنا وهو على انفراد - مثلما اعتدنا أن نفعل مرات عديدة يوميا. وقال: "لا نتجاهل وثيقة السادس من تموز، والمواقف التي نطرحها مفتوحة للنقاش، أما إذا ما تجاهلتم الوثيقة التي نقدمها إليكم، فلن نستطيع العودة إلى تونس".

اقترحت أن نعود إلى وثيقة السادس من حزيران، وأن ندرج في إطارها مطالبهم الجديدة. وهكذا كررنا في هذه المباحثات التي جرت، نهاية شهر تموز، أكثر من يومين في محاولة للعثور على حل وسط بين تفاهم السادس من تموز وبنود الوثيقة الفلسطينية الجديدة.

كانت حواراتنا مكثفة جدا، ناقشنا خلالها الحلول المطروحة طيلة خمس وخمسين ساعة دون توقف، بل إن الأنباء التي وصلتنا من إسرائيل حول شن إسرائيل حرب "يوم الحساب" على لبنان، لم تؤد إلى وقف المباحثات. ولم يبد الفلسطينيون اهتماما لما يجري في لبنان، وركزوا جل اهتمامهم على الوثيقة الماثلة أمامهم.

انضم إلى المفاوضات محمد أبو كرش، والذي حل محل ماهر الكرد. وقد قدمه أبو علاء بأسلوبه الفكاهي خلال جولة المباحثات السابقة عندما وقف في باب غرفة الاجتماعات، وقال: "الإرهابي القاتل ذو السمعة السيئة محمد أبو كرش" وأذاك دخل إلى الغرفة شخص قصير القامة خجول، قدم نفسه على أنه أحد ممثلي منظمة التحرير في الأمم المتحدة في جنيف. وعندما حاولت معرفة ما حدث للكرد، رد علي أبو علاء باختصار وإيجاز: "لا تسأل كثيرا". وقد علمنا، فيما بعد، أن الكرد، لم يتوخ السرية التامة، وباح بقليل مما يعرف، لذا تم إرساله إلى كندا، بيد أنه عاد إلى تونس فيما بعد، وأصبح مستشارا اقتصاديا للرئيس الفلسطيني.

أبدت اهتماما خلال الأيام الثلاثة اللاحقة بأحد المفاوضين القدامى - حسن عصفور، فقد شعرت بالدهشة، من شبكة العلاقات التي طورها مع زينجر، والتي تختلف بمفهوم معين - عن العلاقة القائمة بيني وبين أبو علاء. لقد كان زينجر وعصفور ذوا جذور عميقة كل في مجتمعه، مما أحدث بينهما في البداية الكثير من الصدمات، بيد أنهما اعتادا، فيما بعد، تطوير لغة مشتركة وقد بدأ زينجر يقدر عصفور، كإنسان مستقيم وذكي، والذي طرأ لديه تغيير عميق في طبيعة تعامله مع إسرائيل. ولم يكن يجيد التعبير عن نفسه بالانجليزية، بيد أن عينيه أشارتا إلى التغيير الذي طرأ عليه، من الاحتقار الذي كان يكنه للمفاوضين الإسرائيليين الجالسين أمامه، إلى فضول متزايد، بل وإلى قدر مفاجئ من المشاركة الوجدانية.

وبينما نحن نثرثر ذات يوم، بالقرب من الفندق، قال لي: بوصفه شيوعيا عسكريا وتلميذا لجورج حبش، فإنه اصطدم مرات عديدة مع عرفات، بيد أن وجوده في تونس، ودخوله في دائرة تأثير أبو مازن، جعله يتبنى مواقف أكثر اعتدالا تجاه إسرائيل.

وعندما جلسنا، وحاولنا تخيل قيام علاقات جديدة بين إسرائيل والفلسطينيين، قال لي: "هل تعرف... لديكم أناس يفكرون بالأساليب القديمة، ولديكم أناس يفكرون بأسلوب العصر، إن جميع الإسرائيليين الذين قابلتهم هنا، يتطلعون نحو المستقبل، وهذا يشجني على الإيمان بالسلام القائم على المساواة بيننا".

لقد قال لي ذلك، في الوقت الذي كانت فيه المفاوضات والتي تعتبر بمثابة الخيط الواهي الذي يربط بين الماضي والحاضر - تواجه فيه اختبارا صعبا

كان الفلسطينيون، آنذاك، قد أسقطوا من حسابهم، سلسلة من المطالب، بما فيها مطالبتنا بإجراء حوار حول كل انسحاب جديد إضافي، هذا إضافة إلى

وجود خلاقات عميقة بيننا في البنود الستة عشر الأخرى، إلى الدرجة التي يصعب تجسيرها.

وفي ساعات ما بعد ظهر السادس والعشرين من تموز، قررنا إجراء محاولة لإنقاذ المحادثات وقد رفض الفلسطينيون مسألة مسئوليتنا الكاملة عن الأمن الإسرائيلي، في مناطق الحكم الذاتي. مما جعلنا ننتقل إلى مرحلة الصراخ وتبادل الاتهامات، بلهجة صارمة وحادة.

وقد صرخ أبو علاء قائلا: "أنتم تريدون أن تحتفظوا بالسيطرة الأمنية الكاملة، بيد أنكم لن تمنحونا كامل الصلاحيات المدنية ولن تعترفوا بحقوقنا الوطنية، وستبقون جميع المستوطنات في مكانها. وأنتم تلقبون ذلك بالحكم الذاتي؟؟ إن ما تصفونه بالحكم الذاتي هو في الحقيقة "لا شيء"، سوى الاحتلال بوسائل أخرى. إننا نفضل الانتظار عشر سنوات أخرى لإنجاز اتفاق منطقي".

وقد رددت عليه بالقول: أن كل ما تفعلونه هو أن ترفضوا، وترجئوا، إن التطرف لن يقودكم إلى أي مكان، ولن يحقق لكم أي إنجاز كان، لماذا لا تعترفون بالمسارات والقضايا التي نقدر على إدخالها إلى حركة الرمن؟؟ لماذا لا تدركون أنه، ومنذ اللحظة التي ستوقع فيها على الاتفاقيات، ونبدأ بنقل الصلاحيات، فإن العد التنازلي لبدء التسوية الدائمة سيبدأ؟؟ وحتى نبدأ هذا العد، فلن يكون بمقدوركم عمل شيء سوى الانتظار، بل كلنا سننتظر قدوم المسيح، وستواصل آلام الشعبين". بيد أن الفلسطينيين واصلوا الإصرار على آرائهم.

توقفت عن الصراخ، وشرعت في توضيح الصورة ببطء، قائلا: "لن نتخلي عن أمن الإسرائيليين، ولن ننسبكم مسئولين عن هذا الأمن، ما الذي جعلنا نفعل ذلك؟ لقد حارب أحدنا الآخر مائة سنة، والآن فقط، شرعنا في بناء الثقة فيما بيننا. لن نعترف بحقوقكم الوطنية، لأن ذلك يعني قيام دولة فلسطينية، في حين، يجب علينا، أن نميز بين المحادثات التي نجريها حاليا، حول الحكم الذاتي، ومحادثات التسوية الدائمة في المستقبل".

تواصل الجدل والنزاعات، واتهما أبو علاء بأننا نسعى إلى إبقاء الاحتلال على ما هو عليه إلى الأبد.

وبدا فوندك، يعرب عن اسفه البالغ لإضاعة الفرصة الكبيرة السانحة. أما زينجر، الذي كان يعزف عن الخوض في أي جدل، لا علاقة له بالمباحثات فقد جلس غارقا في مقعده مغمض العينين، متظاهرا بأنه لا يسمع شيئا مما ينور.

قررت إنهاء هذا الوضع، فقلت لأبو علاء بصوت رسمي: "أبو علاء، يخيل الي أننا لم نعد نتقدم إلى الأمام، وأنا أقترح أن يقوم كل وفد بإعلام المسؤولين عنه بنشوب أزمة".

حملق أبو علاء في كومة الأوراق المطروحة أمامه. ثم بدأ يجمعها، بصورة منظمة، وكأنه يعتزم مغادرة القاعة، وبدأت، أنا أيضا، جمع حاجياتي لأغادر القاعة، وحينها استدار بصورة فجائية نحوي، وقال: "لحظة فقط، أود أن أدلي بتصريح شخصي"، وجلس في مقعده، وقال بصوت خافت: "أنا وزملائي نبذل جهودا مضنية من أجل التوصل إلى سلام معكم. ونحن على استعداد لتقديم تنازلات كبيرة، بيد أنني لم أعد أجد معنى لمواصلة هذه القضية برمتها، لقد وصلنا إلى طريق مسدود وأنا لا أتهم أي إنسان، بيد أنني لا أستطيع تقديم أي مساهمة بعد ذلك. ورغم أن هذه لحظة صعبة بالنسبة لي، إلا أنني أعلمكم بأنني ساستقبل من المفاوضات. وأبو عمار سيقدر، من هو الشخص الذي سيحل محلي. وأنا أمل أن ينجح البديل في إحراز ما لم أتمكن من إحرازه لأنني أؤمن بالاتفاق، وسأكون على استعداد تام، لتقديم أي استشارة أو معونة له، إذا رغب في ذلك أشكركم على التعاون، لقد كان التعرف عليكم شيئا ممتعا بالنسبة لي، أمل لكم النجاح، وأن نلتقي في المستقبل".

ساد الغرفة صمت شديد، وشاهدت دموعا في عيني أبو علاء وأدركت أن علي أن أرد بشيء ما. بيد أنني لم أكن أعرف بالضبط، ما إذا كان يقصد حقا ما يقول، أم أنه يقوم بعرض مسرحية؟؟ ولربما أنه هو نفسه لم يكن يعلم الحقيقة.

وعلى أية حال، فقد قال لي إحساسي الداخلي، أنه لا يجب علي بأي حال، أن أليّن:

استهللت كلامي بالقول: "لقد جئنا إلى هنا لإجراء حوار، توطئة للتوصل إلى مصالحة، وكندا نعتقد أن منظمة التحرير هي شريكنا في هذه المبادرة، لكن عندما نكشف عن الأوراق، سنجد أن منظمة التحرير تتهرب من اتخاذ قرارات واضحة. وأنا أحترم الجميع هنا، بيد أنني لا أفهمكم. هل تعتقدون أن أي مواطن فلسطيني في المخيمات سيغفر لكم رفضكم لتسليم المسؤولية عن قسم من أبناء شعبكم، فقط بسبب خلافات على بعض الكلمات؟؟ لربما كانت منظمة التحرير أهم لديكم من الشعب الفلسطيني. ولربما أن أولئك الذين يقولون أنكم لا تقوتون فرصة لإضاعة الفرص السانحة، محقون في قولهم.

"أيضا نحن ارتكبنا أخطاء، ففي عام ١٩٧١ اقترح علينا الرئيس المصري أنور السادات تسوية مؤقتة في قناة السويس، بيد أننا رفضنا المبادرة، وفي عام ١٩٧٣ اندلعت الحرب، وعام ١٩٩٣، هو عام ١٩٧١ بالنسبة لكم. فبدلاً من أن نتوصل إلى سلام في أوسلو، قد نجد أنفسنا بعد سنتين في خضم نزاع عنيف. "لقد شعرت في أعقاب مئات الساعات التي قضيناها في التفاوض معاً، أنني أقدركم واحترمكم. وأنا أشعر بالأسف للقرار الذي اتخذته يا أبو علاء، وهو قرار خاطئ، بيد أنني سأحترمه، وباسمي وباسم زملائي أتمنى لك النجاح، ولا شك أننا سنواصل العمل مع البديل، الذي سيحل محلك".

بقي وجه أبو علاء مقطباً وجامداً كما هو، وحينها طلب هيرشفيلد أن يقول شيئاً ما، واستهل كلامه بالقول: أنا وفونديك نعرفك منذ أشهر طويلة، وكنا نعتقد أننا سنتمكن من التوصل إلى اتفاق إلى حد كبير بفضلك. هذا يوم أسود، والتاريخ لن يغفر لنا، لقد ناضلت طيلة حياتي من أجل هذا السلام وها أنا أراه يفر من بين أصابعي، ولا يوجد هناك من يدري ما إذا كنا سنواصل السير على هذا الطريق أم لا، وربما ينجح غيرنا، وربما كتب علينا أن ننتظر زمناً طويلاً آخر. ونحن لم نتواجد هنا، من أجل أنفسنا، بل من أجل شعبنا اللذين يستحقان

السلام والحياة الأفضل، بيد أننا نحبطهما، إن هذا اليوم هو أسوأ يوم شهدته في حياتي".

أثرت كلمات هيرشفيلد فينا أبعد تأثير، لقد قال لنا ما الذي ينتظرنا، وكان هو الوحيد القادر على فعل ذلك، وتوجهت جميع الأنظار إلى أبو علاء، الذي بدا وجهه شديد التكدر والعبوس، ونهض على قدميه، وطلب من زملائه أن يحزموا أمتعتهم، واتجه نحو باب الغرفة دون أن ينبس ببنت شفه، ويتبعه المفاوضون الآخرون، دون أن يلقوا نظرة واحدة باتجاهنا، وسرنا. نحن في أثرهم .

وعلى مداخل المنزل، وجدنا لاريسون وزوجته مونه، ومعهما الحراس جالسون. كانت وجوهنا تعكس كل شيء وعندما اقتربت من لاريسون تمتعت بهدوء: هذه المرة كل شيء قد انتهى.

*** *** ***

لم أكن واثقا حقاً من أن الأمور آلت إلى الطريق المسدود واتجهت إلى غرفة حاسوب (أف.آيه.أف.أو)، حيث كان فونديك يعمل على إعداد مسودات الاتفاقيات واحدة إثر الأخرى.

بدا زينجر - وهو الرجل الذي شهد أزمات لا حصر لها - هادئاً للغاية. لقد ساد بيني وبينه، تفاهم تام، حول التكتيك المتبع، فقد كنا نحن الاثنين، مقتنعين تماماً بأن هناك شيئاً أهم من إنجاز الاتفاق، ألا وهو إحداث تغيير في نظرية منظمة التحرير.

شعرت، وأنا في طريقي إلى غرفة الحاسوب بأنني بحاجة لإلقاء نظرة على مصدر المشكلة، على المسودة التي أعدها زينجر بشأن الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير ونسخنا منها البنود السبعة المهمة بصورة مختصرة، ثم عمدنا إلى إجراء مقارنة بين البنود الستة عشر، موضع الخلاف في إعلان المبادئ مع التنازلات التي احتفظنا بها للمرحلة النهائية. ووضعت علامات على ثمانية بنود لا نستطيع تقديم أي تنازلات بشأنها، وما كدت أنتهي

من ذلك، حتى دخل لاريسون إلى الغرفة وتوسل الي قائلاً: " اذهب وتحدث مع أبو علاء إنه يجلس وحده في المكتبة.

-أنا: هل طلب أو وافق على التحدث معي؟؟

-لاريسون: الحقيقة، هي أنني عرضت عليه أن أرتب لقاء بينكما، فكاد أن يلقي بي خارج الغرفة؟

ذهبت إلى المكتبة، فوجدت أبو علاء جالساً إلى جوار النافذة مقطب الجبين، وشديد العبوس. فبادرته بالقول: كيف حالك".

-أبو علاء: الوضع سيء للغاية. الطرفان متصلبان في رأيهما، ولا يدركان مدى أهمية هذه اللحظة، وأنا لا أستطيع مواصلة الحوار على هذا النحو".

-أنا: "إذا كنت غير قادر على معالجة أعراض المرض، ربما يجب عليك أن تلجأ لمعالجة جذوره، ما رأيك في أن تجري حواراً حول الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير وإسرائيل؟؟

-أبو علاء: "ما الذي تقصده".

-أنا: "اطلب منك أن تسجل البنود السبعة التالية"، ثم أخذت أقرأ البنود من الورقة التي معي:

أولاً: حق إسرائيل في الوجود بأمن وسلام.

ثانياً: قبول قرار مجلس الأمن الدولي ٢٤٢، ٣٣٨.

ثالثاً: حل النزاع بالطرق السلمية.

رابعاً: حل الخلافات في وجهات النظر عبر المفاوضات.

خامساً: التخلي عن الإرهاب.

سادساً: وقف الانتفاضة.

سابعاً: إلغاء بنود الميثاق الوطني الداعية لتصفية إسرائيل، أو التي تتناقض مع المسيرة السلمية.

١ إذا ما نجحت في إقناع الرئيس الفلسطيني بقبول هذه البنود، فسأحاول إقناع رابين وبيرس بالاعتراف بمنظمة التحرير، والشروع بحوار علني معها ومع عرفات كرئيس للمنظمة، وليس كرئيس فلسطيني".

-أبو علاء: "سأنتقل ذلك إلى عرفات".

-أنا: "أرجو أن توضح له أنني أفعل ذلك على مسئوليتي، وأنتي بحاجة إلى مصادقة رابين وبيرس. واقترح عليك أيضا- وهذا أيضا بمبادرة مني- أن تقنع عرفات بالرد على البنود الثمانية التالية في إعلان المبادئ، وإذا ما وافق عليها، فسأحاول إقناع زعمائنا بإبداء مرونة بشأن البنود الثمانية الباقية". ثم عمدت إلى توضيح البنود الثمانية المهمة بالنسبة لإسرائيل، والتي تتضمن المسؤولية الإسرائيلية الكاملة، على أمن الإسرائيليين، والاحتفاظ بصلاحيات مدنية معينة والميطرة على المعابر الحدودية.

-أبو علاء: "أنا على استعداد للمحاولة، رغم أن ذلك سيكون صعبا".

-أنا: سيكون ذلك أيضا صعبا بالنسبة لنا، بيد أنها ستكون ربما- الفرصة الأخيرة للتوصل إلى اتفاق. وأرجو أن تبعث لي رداً بواسطة لاريسون، سواء أكان الرد إيجابياً أم سلبياً. ولا اعتقد أن هناك هامشاً زمنياً قد تبقى لدينا للمساومة.

فوارن كريستوفر وزير الخارجية الأميركي سيقوم في غضون الأيام القليلة القادمة بزيارة للمنطقة، ومن الجائز أن يتم تحريك المسار السوري، مثلما يفضل الأميركيون".

فهم أبو علاء إلماحتي، وأدرك أنني أمارس عليه ضغطاً، بيد أنني أيضاً، أخاطر بالإعراب عن الاستعداد لإبداء مرونة فيما يتعلق بالبنود الثمانية الباقية، التي لم أشير إليها-مثل الاعتراف بالحقوق السياسية للفلسطينيين، وانتقال الزعامة الفلسطينية إلى المناطق المحتلة-.

(التوقيع بالأحرف الأولى)

بيرس احتفل بميلاده السبعين مع بشائر التنازلات الفلسطينية
واشنطن أهملت أوسلو ووجدت في المسار السوري قبلة السلام

لقد أدرك، أن مثل هذا الحديث لا يمكن أن يدور فيما بيننا، إلا بفضل الثقة التي بدأ كل منا يوليها للآخر، تلك الثقة الناجمة عن اعتقادنا، بأنه رغم جميع الحيل والألاعيب التي تمارسها، فإن هناك في نفسنا توقاً شديداً، لإحراز السلام. وكنا ندرك أيضاً أننا سنكون بحاجة في المستقبل لهذه الثقة، كي تخدمنا، لذا لم يكن هناك أي سبب يجعلنا لا نضعها على المحك العملي.

طلبت من زينجر الانضمام إلينا، كي نستعرض معاً البنود الستة عشر موضع الخلاف. وقد سلط زينجر الضوء على البنود التي تحتاج من الفلسطينيين إلى تقديم تنازلات، وقد بدا أنه يتحلى بقدرة فائقة على طرح ذلك بصورة مباشرة ومزخرفة، تلك القدرة التي ساعدته في العديد من المرات، على إقناع محادثيه، بأن التنازلات تتساق مع مصالحهم. أضف إلى ذلك أن الفلسطينيين كانوا يتقنون به، فقد رأوا فيه مفاوضاً شديداً، وفي نفس الوقت منطقياً للغاية.

وفي نهاية النقاش، نهض أبو علاء من مقعده، وحذرنا بلهجة جديدة للغاية، قائلاً: "أوضحوا لزعمائكم، انهم إذا لم يتقدموا إلى الأمام، فلن تكون هناك إمكانية لإحراز الاتفاق". وبدأ لي، أنه عاد لممارسة اللعب من جديد.

بقي أبو علاء في أوسلو بعد خروجنا منها عاتدين إلى إسرائيل، وبعث عصفور إلى تونس للالتقاء بعرفات، وإعلامه بفحوى ما حدث، وتحمل صليّة غضبه الأولى. في حين توجه هو للتأاور مع النزويجين.

وفي أعقاب اللقاءات والحوارات التي أجراها أبو علاء مع النزويجين، كتب هولست رسالة إلى بيرس، قال فيها: أنه وجد في أبو علاء شخصاً متفائلاً للغاية. لكن عندما قدمنا إلى بيرس تقريراً، بدا قلقاً إلى حد ما، وقال: "أعتقد

أنكم بالغتم، إلى حد ما، عندما اقترحتم على أبو علاء الاعتراف المتبادل، فما فعلتموه أكثر من مجرد جس نبض. أما فيما يتعلق بالبند الثمانية، فأرى أن من الأفضل أن ننتظر ردهم عليها. ويجب عليّ أن أتحدث، على وجه السرعة، مع رابين".

طلب بيرس من زينجر وبيلين مصاحبته في لقائه مع رابين، بيد أن الاثنين بدأ متخوفين في أعقاب رد بيرس، من أن يصطدما بمعارضة رابين. بيد أن رابين فاجأهم بالقول: "إذا ما قبلوا البنود السبعة آنفة الذكر، فسوف نعترف بمنظمة التحرير".

لقد عمل رابين بصورة منطقية وعملية، فإذا ما قبلت منظمة التحرير الشروط التي قدمناها إليها، فسوف يكون هذا القبول بمثابة بادئة الاعتراف المتبادل. أما فيما يتعلق بإعلان المبادئ، فقد أعرب عن شكه في قبول الفلسطينيين للشروط التي عرضناها عليهم، وعلى وجه الخصوص المتعلقة منها بالأمن والصلاحيات الإسرائيلية، واقترح هو الآخر، أن ننتظر ردهم.

وسرعان ما جاء الرد أسرع مما توقعنا، فقد وصل في نفس الليلة، في الساعة الثالثة صباحاً، حيث اتصل لاريسون بي هاتفياً وقال: "هاي، هذا هو لاريسون الإرهابي، أرجو ألا أكون قد أزعجتك".

كنا في تلك الآونة قد اعتدنا مثل هذه الاتصالات الهاتفية الليلية، فقد ألفنا ساعات العمل التي ينشط فيها عرفات، وتعودنا العمل في الأوقات الغريبة.

واصل لاريسون الحديث، قائلاً: "اتصل بي رقم واحد، وقال أن الأب وروح القدس يقبلان البنود السبعة، وهما على استعداد لمناقشة البنود الثمانية الأخرى".

رأينا في هذا مجرد رد جزئي، وقررنا الرد عليه أيضاً جزئياً. وأرجأنا سفرنا إلى أوسلو، إلى ما بعد الثالث عشر من آب - أي إلى ما بعد زيارة كريستوفر للمنطقة.

اتصلت بلاريسون، وطلبت إليه أن يحصل من تونس، على رد أكثر تحديداً. وقد رد أبو علاء بالقول: أنه يعتقد أن بالإمكان التوصل إلى تفاهم خلال اللقاء القادم، وأكد ذلك أيضاً لهيرشفيلد، إبان اللقاء الذي جرى بينهما في باريس، في السادس من آب.

في تلك الآونة قام دنيس روس وكريستوفر بجولات بين دمشق وإسرائيل، وتم إحراز تقدم معين على المسار السوري. وقد بلغت الأمور حد تبادل الرسائل بين الرئيس السوري حافظ الأسد ورايين بوساطة الأميركيين بين الثالث والرابع من آب. وقد طرح خلال هذه الرسائل، المعايير الخاصة بعقد صفقة سلام محتملة بين الدولتين، استناداً إلى انسحاب إسرائيلي كامل من هضبة الجولان، وذلك مقابل التطبيع الكامل في العلاقات، وترتيبات أمنية مرضية لإسرائيل، وجدول زمني موسع لتنفيذ العملية. بيد أياً منا لم يكن يعلم شيئاً أبداً، عندما عدنا للاجتماع بممثلي منظمة التحرير في النرويج في الثالث عشر من آب في إحدى الفيلات في (بورجرد).

كانت الفيلة فخمة للغاية، وقد حدث لدينا انطباع، بأن أصحابها من الطبقة النرويجية الأرستقراطية وحينما وصلنا إلى الفيلة، قدموا إلينا شمباتيا، بيد أن الفلسطينيين لم يتناولوها. وقد تم إعلامهم بأننا رجال أعمال من الشرق الأوسط. واعتقد أن العصبية التي أبديناها خلال الحوارات أكدت لهم ذلك. جلسنا في غرفة فارغة، وبدأنا الحوار بصورة أكثر نعومة من السابق، وكما يبدو فإن طعم الفشل، يمكن أن يهز ثقة أفضل المفاوضين وأكثرهم حنكة، بأنفسهم.

وبدأت العوائق تتساقط، وقد اتضح لنا، أن الفلسطينيين لم يغيروا رأيهم بشأن البنود الثمانية في إعلان المبادئ، بيد أنهم أبدوا لنا، بعض الشيء، في بعض البنود الحرجة. فهم مثلاً لم يعودوا يطالبون بالإشارة إلى حقوق الفلسطينيين سكان القدس الشرقية في ترشيح أنفسهم لمجلس الحكم الذاتي. وقد رددنا لهم هذه المبادرة بتسريع الانسحاب من غزة وأريحا، والاعتراف بحقوقهم

السياسية- وليس بحقوقهم الوطنية، وقد تم إيقاء منطقة أريحا مفتوحة للتفاوض فيما بعد.

في الرابع عشر من آب، اجتمعنا سووية في إحدى الفيلل، وجلسنا معا حول الموقد، للتخطيط لاستمرارية عملنا في أعقاب التوقيع على الاتفاقية: نقل الصلاحيات، والتعاون في المجال الأمني، وتجنيد المساعدات الاقتصادية.

وفجأة، ارتسم المستقبل أمامنا، في ضوء واقعي وحقيقي، لقد انطلق النور من هذه الفيلا القابعة في أقصى أطراف أوروبا، ووصل إلى الشرق الأوسط، كي يحدث تغييرا عميقا في حياة سكان المنطقة بأسرها.

لقد وافق الفلسطينيون، على بنودنا السبعة الخاصة بالاعتراف المتبادل، بيد أنهم طرحوها بأسلوبهم، كما أنهم عملوا على خلق تساقق بين هذه المطالب، ومطالب مقابلة قدموها من طرفهم، مثل قيامهم بكبح جماح الإرهاب مقابل قيامنا نحن بوقف أعمال العنف ضدهم.

شعرنا، رغم ذلك، أن الطرفين لن يتوصلا إلى اتفاق سريع، وقررنا إرجاء قضية الاعتراف المتبادل، إلى ما بعد استكمال إعلان المبادئ. لكننا أكدنا، أن هذه القضية، يجب أن تجري قبل التوقيع على بيان إعلان المبادئ. وهكذا، تحولت قضية استكمال بيان إعلان المبادئ إلى المهمة التي تحتل رأس جدول الأعمال.

إن بناء اتفاقية سلام، يعني أن يتم خلق توازن يمكن كل طرف من الحفاظ على مصالحه الحيوية. ولم نعتقد أن هناك ما هو أهم من خلق مستقبل دائم. ولربما كان عملنا في أوصلو، تحت وطأة ضغط شديد من المصالح الأساسية المشتركة والمتعارضة، هو الذي مكّننا من بناء توازن كهذا الآن، بل إن الشراكة التي تمكنا من خلقها، كانت قادرة على الصمود أمام اختبارات تبدو مستحيلة.

ولم يبق عشية الرابع عشر من آب على جداول الأعمال، سوى خمسة بنود. وبدا أبو علاء في وضع نفسي جيد، بصورة خاصة، وقال: "سأتصل بأبو مازن، وأطرح بعض صيغ الحل، وآمل أن تتمكن غدا من إجمال المفاوضات". عدنا إلى الفيلا ونحن لا نحمل شعوراً بالارتياح وتوجه أبو علاء إلى الهاتف، بينما جلست أنا وزينجر لنتحدث مع مونه. وبينما نحن نستمتع بحديث مونه، وبشعورنا بأننا أنجزنا المهمة، قدم أبو علاء من الطابق الأعلى وهو يهز رأسه دلالة الإحباط، وقال: "لقد رفض أبو عمار وأبو مازن اقتراحاته بشأن البنود الباقية".

عدنا إلى غرفة المباحثات، وأخذ الفلسطينيون يوضحون لنا الصعوبات القائمة على صعيد قضايا مثل السيطرة على المعابر الحدودية على نهر الأردن، وحرية حركة الجيش الإسرائيلي في غزة. بيد أنني أمرت جميع أعضاء وفدنا بعدم التعقيب، وانسحبنا إلى غرف النوم.

في صبيحة اليوم التالي، طلب أبو علاء أن نمدد فترة إقامتنا ليوم آخر، كي نتمكن من حل المشاكل العالقة بيد أنني رفضت ذلك، فقد شعرت أنه إذا ما ضعفت وطأة الضغط سوف تتواصل المفاوضات إلى ما لانهاية. وقد أثمر رفضي، ففي نفس الليلة، وحتى قبل أن أتمكن من تقديم تقريري إلى بيرس، اتصل لاريسون بتل أبيب، لنقل رسالة من أبو علاء قال فيها، أنه تم العثور على طريقه لتجسير الخلاف خلال مباحثاته مع عرفات.

احتفل بيرس في السادس عشر من آب بعيد ميلاده السبعين، وقد حضرت الاحتفال أنا والأديب عاموس عوز -الذي كان شريكا في السر، والحنان شاي- كأقدم أصدقاء بيرس. وبيرس نفسه الذي كان يدرك أنه يحتفل بعيد ميلاده في يوم تاريخي بالنسبة لإسرائيل. وقد ألقى كلمة قصيرة، قال فيها: "سريعا ولربما في غضون فترة قصيرة جداً، سنشهد انفراجاً تاريخياً في علاقاتنا مع الفلسطينيين، وقد عزا غالبية الحاضرين الذين لم يكونوا على علم بما يدور وراء الكواليس، في أوصلو، أقواله إلى التفاوض الدائم الذي يتحلى به. لقد أدرك

بيرس، أن على إسرائيل أن تبني قوتها بصورة تمكنها من بلورة مستقبل مختلف عما عاشته في الماضي. لذا، أنهى كلمته قائلاً: "لقد كرست حياتي كلها للأمن، والآن بعد أن أصبحت إسرائيل قوية، لم يبق أمامي سوى أن أ جلب السلام لأجيالنا الشابة".

توجه بيرس من الاحتفال للاجتماع برايين وقد قرر الاثنان خلال هذا الاجتماع، أن يعمل بيرس خلال الزيارة الرسمية التي سيقوم بها إلى الدول الاسكندنافية على حل القضايا العالقة بشأن إعلان المبادئ، وتوقيع الاتفاقية في التاسع عشر من آب في أوسلو.

وفي صبيحة اليوم التالي توجه بصحبته (آفي جيل) إلى ستكهولم، على أن يلحق بهما زينجر هناك، ودعي هولست إلى الانضمام لهم بصحبة لاريسون ومونه، في حين بقيت أنا في إسرائيل، على أهبة الاستعداد، وللانضمام إليهم إذا ما طلب مني ذلك. وفي صبيحة الثامن عشر من آب، اتصل بي آفي جيل وقال لي: "أنصت إليّ، لقد أنهينا لقونا سبع ساعات من الاتصالات الهاتفية مع تونس، وقد تحدث هولست من هنا، في حين وقفنا أنا وبيرس وزينجر إلى جانبه. وقد كان أبو علاء في الناحية الأخرى من الخط وأبو عمار على جانبه. لقد تم تجسير جميع المشاكل باستثناء مشكلة واحدة، والتي ستكون مساهمتك أنت". وذكر (آفي) المشاكل التي تم حلها بالتفصيل مثل: التنسيق على المعابر الحدودية الدولية، ومسئوليتنا الكاملة عن الأمن الخارجي، وحاولت بدوري أن أنقشها في ذاكرتي. ثم قال جيل: "أنا ذاهب الآن إلى النوم، لقد ارتحت أنت بما فيه الكفاية لذا امتط أول طائرة واذهب إلى أوسلو وأتمنى لك النجاح".

ولم تمض عدة ساعات، حتى كنت أنا وفوندك وهيرشفيلد في طريقنا إلى أوسلو في الوقت الذي وصل بيرس إلى هناك في زيارة علنية ورسمية. وقد تم نقلنا من المطار مباشرة إلى فندق (أوسلو بلازا)، وكان الفلسطينيون، بانتظارنا في إحدى الفيلل الفاخرة وفي أحد المقاعد شاهدت بصحبة الفلسطينيين وجهها جديداً، هو (طاهر الشاش)، وهو مستشار قضائي مصري، أحضره الفلسطينيون معهم

لدراسة إعلان المبادئ. وبينما جلس هو وزينجر-الذي كان يعرفه، منذ الثمانينات لدراسة الإعلان، تمكنت أنا وأبو علاء من حل المشكلة التي لا زالت عالقة. وقد اتفقنا على إنهاء مفاوضات التسوية الدائمة في موعد لا يزيد عن خمس سنوات من موعد الانسحاب الإسرائيلي، من غزة وأريحا. وهكذا بدأت عقارب الساعة تدق باتجاه موعد المفاوضات الدائمة والمصالحة الصعبة.

وحال الانتهاء من ذلك، قرأ الوفدان البروتوكول الاقتصادي، والذي قام الدكتور عمانوئيل شارون- رئيس مجلس إدارة بنك العمال الإسرائيلي بفحصه تلبية لطلبي دون أن أعلمه من أين أو كيف ولدت هذه الوثيقة؟.

وقد شاء سوء الطالع أن يقع التعاون الاقتصادي -والذي احتل مكانة بارزة جداً في تفكيرنا حينما بدأنا المباحثات- ضحية للصعوبات الأمنية والتحديات السياسية الفلسطينية والإسرائيلية. وهي الرواية التي عادت لتكرر نفسها في الاتفاقيات اللاحقة.

في الوقت الذي جلسنا فيه، أنا وأبو علاء، في فندق أوسلو بلازا، لإعداد الكلمات التي سنلقيها خلال المراسيم السرية للاتفاق والتي كان يفترض أن تجري في نفس الليلة، كان بيرس يتحدث مع مضيفيه النرويجيين ويحظى بضيافتهم.

وفي حوالي منتصف الليل، قدم لاريسون إلى الفيلا بلباسه الرسمي، وبدأ عصبياً بصورة واضحة، وقام بتوجيهنا خلال مراسيم التوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاق.

وحال انتهائه من كلمته، قام فوندك بالتقاط صورة جماعية (المتدّى أوسلو) السري، لأول مرة في تاريخه، ونحن نقف على استعداد للعب دورنا التاريخي دون جماهير النظارة.

وما كاد فوندك يلتقط الصورة حتى اتصل أفي جيل، وسأل فيما إذا كان عليه أن يخبر حراس بيرس الإسرائيليين- والذين تم إعلامهم بأن حدثاً ما سيجري خلال الليل، دون أن يتم شرح ذلك- بما هيّة ما يحدث-؟؟

وقد قلت له: أن عليه أن يخبرهم، وقلت له: "تخيل ما الذي سيحدث إذا ما اكتشفوا وجود شخص ما مسجل لديهم كمخرب، من منظمة التحرير وهو يتجول في شقة بيرس، في ساعات الفجر".

ثم نقلنا، في أعقاب ذلك، إلى بيت الضيافة الحكومي، وإلى غرفة كبيرة، شاهدنا طاولة ضخمة قيل لنا أنه تم التوقيع عليها عام ١٩٠٥ على اتفاقية الفصل بين النرويج والسويد. وقام جيبير فدرسون- أحد كبار رجال وزارة الخارجية النرويجية- والمسئول عن الجانب الإداري للمحادثات، بإعداد الأوراق اللازمة للتوقيع عليها في ملفات من الجلد الأحمر، وتم إرسال كل وفد إلى غرفة، وقد وجدنا في غرفتنا شمعون بيرس وآفي جيل. وبدا بيرس متوتراً، ففي نفس اليوم، سقط سبعة من جنودنا في لبنان وقد أعلمه رابين بذلك لتوّه. لقد بدا لنا أن كل خطوة من خطوات التقدم إلى الأمام في هذه المسيرة، ملطخة بالدم، وأن الأكم يمتزج بكل انتصار نحزره.

أوضح لنا بيرس، أن رؤساء الوفود سيوقعون بالأحرف الأولى على الاتفاقية وتم الاتفاق على أن ينضم إلينا يوآل زينجر، وحسن عصفور. وقد حيل دون إلقاء بيرس كلمة، خلال المراسيم أو التوقيع على الاتفاق نظراً لأن الحكومة لم توافق على إعلان المبادئ، والحقيقة هي أن جميع الوزراء باستثناء رابين وبيرس- لم يكونوا يعلمون بوجود الإعلان. وقد قام النرويجيون بتصوير جميع الأحداث، على شريط فيديو، ثم نهض أعضاء الوفد لمصافحة المستقبلين والمتمثلين في بيرس ويوهان هولست، ومريانة هيجر، ولاريسون ومونه، وقدرسن، ثم جلست أنا وأبو علاء على جانبي الطاولة، وجلس هولست بيننا، وجلس الجميع وراعنا باستثناء بيرس وهيجر وقد وقف بيرس جانباً، وكأنه مجرد شاهد فقط. وبعد أن وقعت أنا وأبو علاء على كل صفحة من صفحات الاتفاقية، نهضنا وتصافحنا وتعانقنا. ثم جاء حسن عصفور وزينجر وجلسا في مقعدينا، ووقعا على الاتفاقية بدورهما.

كنا مجموعة صغيرة، ورغم ذلك، تم إلقاء أربعة خطابات بهذه المناسبة، وكنا جميعاً ندرك حجم المفارقة في هذا الاتفاق لشعبينا، وللشرق الأوسط، وربما للعالم بأسره من جانب، ومدى خصوصية هذه المراسيم من الجانب الآخر.

وقد أثنى هولست- أول المتحدثين- على الزعماء وممثليهم في المفاوضات، ووعد بمواصلة مد يد المساعدة النرويجية، وقال: "نحن هنا على أهبة الاستعداد دائماً لتقديم يد المساعدة لكم وخدمتكم إذا ما احتجتم لنا. بيد أن المهمة هي مهمتكم، ويجب عليكم أنتم، إنجاز العمل".

كان أبو علاء المتحدث الثاني، وقد لاحت الدموع في عينيه وهو يتحدث عن التأثير الذي أخذ بزعماء منظمة التحرير، في أعقاب المحادثة التي أجروها مع هولست وبيرس قبل ليلتين، وتوجه إلى بيرس، الذي كان يناضل من أجل إخفاء تأثيره قائلاً: "أهلاً وسهلاً، لقد تابعت بانتباه شديد تصريحاتك، وأقوالك ومقالاتك، والتي أكدت لنا رغبتك في إحراز السلام العادل والدائم والشامل وباسم الوفد الفلسطيني وزعيمه ياسر عرفات، أحبيك، وأتمنى لك السعادة في عيد ميلادك السبعين، آملاً أن تتمكن من إحراز الانتصار في معركة السلام الكبيرة".

وأضاف: "إننا نخوض اليوم حملة جديدة باتجاه مستقبل جديد. في عالم لم يتم بعد بلورة صورته النهائية، والذي لا زال مفتوحاً أمام التغييرات من جميع الأنواع. إن المستقبل الذي نسعى إليه لن يتجسد إلا إذا تغلبنا جميعاً على مخاوف الماضي، واستقينا العبر من أجل المستقبل".

وعندما جاء دوري، كان علي أن اضبط مشاعري الجياشة، وقد تحدثت أنا أيضاً عن المستقبل، فقلت: "حقاً أن ما بدأناه اليوم هو بداية المستقبل، المستقبل الذي سترتفع فيه التطلعات الشرعية الفلسطينية للسيطرة على حياتهم في حكم ذاتي بصورة تتساوق مع رغبة إسرائيل للسيطرة على مصيرها بوساطة الأمن. إنها بداية مرحلة انتقالية. تجسر بين فوضى النزاع في الماضي، وتنسوية التعايش الدائر في المستقبل".

وعندما جاء دور لاريسون، تحدث إلى المتحاورين وعددهم واحداً واحداً بالأسماء، وقال: "شيء واحد هو الذي جمعكم ووحّدكم هنا، وهو مصطلح الصداقة. وهو المصطلح الذي ستركز إليه علاقتكم في المستقبل". كان لاريسون على ثقة من أن هناك مغزى تاريخياً عالمياً للمسيرة السلمية التي خضناها.

وفي أعقاب انتهاء المراسيم، اجتمع بيرس وأبو علاء لمدة نصف ساعة، على حدة، لأول مرة. وقد أعربا عن التزامهما بالاتفاقية التي تم التوقيع عليها، بالأحرف الأولى، وقد أثار بيرس إعجاب أبو علاء بحماسه لتشجيع المساعدات الاقتصادية الدولية للإطار الفلسطيني الجديد. وناقش بيرس أيضاً وزير الخارجية النرويجي، هولست، بشأن المساعدات الاقتصادية واقترح العمل على تشكيل جهاز دولي لهذا الغرض.

ثم عاد كل منا إلى الفندق -للإخلاء إلى الراحة في أعقاب هذا الجهد الخارق الذي بذلناه- حاملاً معه نسخة من الاتفاقية، موقعة من قبل الجميع كذكرى. وأخذت أتصفح الأوراق والتي جاء فيها: "إعلان المبادئ بشأن التسوية المرحلية لحكم ذاتي".

لقد عكس هذا الإعلان صورة الخطوة، خطوة توطئة لإبرام تسوية تقوم على مبادئ واضحة. لقد كانت كلمة "بالتدريج" هي المفتاح لوصف الانتقال من مرحلة الاحتلال إلى الحكم الذاتي، ومن العنف إلى التعايش بسلام، من خارطة طرق سياسية إلى المصالحة الحقيقية.

وبضيف إعلان المبادئ:-

"لقد أخذت إسرائيل على عاتقها سحب جنودها من قطاع غزة وأريحا في غضون ستة أشهر منذ بدء نفاذ مفعول إعلان المبادئ-الثالث عشر من اب ١٩٩٣.

إعادة الانتشار الجديد للجيش الإسرائيلي في المناطق الأخرى من الضفة الغربية، والانتخابات لمجلس السلطة الفلسطينية، يجب أن تنفذ في غضون تسعة أشهر، من تاريخ نفاذ مفعول إعلان المبادئ.

يجب أن تبدأ المفاوضات حول المكانة الدائمة للضفة الغربية وقطاع غزة في غضون زمن لا يتجاوز العام الثالث للانسحاب الإسرائيلي من غزة وأريحا، وعلى أن تنتهي قبل نهاية خمس سنوات على هذا الانسحاب- بدأ الانسحاب في الرابع من أيار ١٩٩٤، وبدأت المحادثات حول التسوية الدائمة بعد سنتين، في الخامس من أيار ١٩٩٦، أي أن الاتفاقية الدائمة يجب أن توقع حتى الخامس من أيار ١٩٩٩.

يجب نقل الصلاحيات المدنية- ليس جميع الصلاحيات التي كانت بأيدي الحكم العسكري الإسرائيلي- إلى أيدي الفلسطينيين، بادئ ذي بدء، في غزة وأريحا، ثم وبصورة تدريجية في الضفة الغربية. ويشمل المجال القضائي للمجلس الفلسطيني "مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة باستثناء المناطق التي سيتم تحديد مكانتها خلال المفاوضات حول التسوية الدائمة- القدس، المستوطنات، والمناطق الأمنية.

سيتم نقل قسم من الصلاحيات الأمنية بصورة تدريجية إلى أيدي قوة شرطة فلسطينية قوية" في حين تواصل إسرائيل تحمل المسؤولية الشاملة لأمن الإسرائيليين والمستوطنات والدفاع ضد التهديدات الخارجية". اتفق الطرفان على التنسيق في المعابر الحدودية بين غزة ومصر، وبين أريحا والأردن- مع السيطرة الإسرائيلية الوحيدة على المناحي الأمنية، كجزء من صلاحياتها للأمن الخارجي.

سيتم توسيع صلاحيات المجلس الفلسطيني على مراحل، ومن المفروض أن تتسحب إسرائيل أولاً من أجزاء من قطاع غزة ومنطقة أريحا، ثم تنفيذ إعادة انتشار جديد تدريجياً من قبل القوات الإسرائيلية، في باقي مناطق الضفة الغربية على أن يتم ذلك في البداية من المناطق المأهولة- قبل إجراء الانتخابات للمجلس الفلسطيني، -وفيما بعد- وعلى مراحل- من مناطق غير مأهولة، باستثناء المستوطنات الإسرائيلية" ومناطق محددة أخرى وفقاً لتحديد إسرائيل لها".

الانتخابات للمجلس الفلسطيني ستجري تحت إشراف دولي متفق عليه، وسيتم تحديد صلاحيات المجلس الفلسطيني، وأسلوب انتخابه، والشروط الدقيقة للانتخاب بما فيها القدس في اتفاقية التسوية المرحلية".

لقد تطرق بيان إعلان المبادئ أيضاً، بصورة عامة، إلى هدف التسوية الدائمة بالتاكيد، على أن هدف المفاوضات هو "التعايش بسلام واحترام وأمن متبادل" وللتوصل إلى "مصالحة تاريخية" بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني. وجاء في إعلان المبادئ، أن المفاوضات حول التسوية الدائمة، ستقود إلى "تجسيد قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٣٣٨، ٢٤٢" وسيشمل قضايا تم إبقاؤها: بما فيها القدس، واللجوءون. المستوطنات، والترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين، إضافة إلى قضايا ذات اهتمام مشترك". ونظراً لأن التعاون كان شرطاً ضرورياً في كل مرحلة، فقد تم التأكيد، في الإعلان، على إقامة لجان مشتركة للشئون الأمنية، والاقتصادية، ونازحي عام ١٩٦٧، وتنفيذ الاتفاقية.

لقد تم إعداد الخرائط التي يفترض أن تتقل الشعبين من المواجهة إلى المصالحة، في ظل الأجواء الرائعة في (بيوزديم) القريبة من أوسلو، كي تتمكن من منافسة العوائق والتغلب عليها، ومواجهة، الغضب والكراهية والعنف وعدم الثقة.

لقد أثمرت الجهود الأولية التي بذلناها، وأدت إلى التوصل إلى مصالحة معقولة بين حالتين من حالات التوق إلى الحرية: "التحرر من السيطرة، والتحرر من العداوة. لقد كان طرفا الاتفاق حركتي تحرر وطني، ثقلاً طيلة مائة عام دفاعاً عن وجودهما، وبدت الآن، على استعداد للتعايش السلمي، وهو الأمر الذي لم يسبق له مثيل على صعيد حدة تحولاته.

بيد أن كل هذه التمهيدات والأمور، كانت في تلك الأونة- بين التاسع عشر والعشرين من آب- لا تزال سراً من الأسرار الدفينة. وعندما عدنا إلى فندق أوسلو بلازا كنا شديدي التأثير من الحدث التاريخي، ومحررين من

الضغوط الشديدة التي عشناها طيلة الوقت الماضي، لذا أخذنا في قتل الوقت، بتقليد بعضنا البعض، كي يبرهن كل منا للآخر، أنه كان يدرك كل ما كان يخفيه في داخله، ويمارسه من حيل ومناورات.

وعندما هممنا بمغادرة المكان، أشار إلي أبو علاء بأن ألحق به إلى غرفته وهناك أخرج وثيقة من حقيبتة، وقال: أشرت في كلمتك، أننا كنا دائماً متفقين حول مسألة واحدة، هي ضمان مستقبل أفضل لأولادنا- ولهذا السبب، اقترحت إهداء هذه الاتفاقية لهم ولأبناء جيلهم في الشرق الأوسط. دعنا نخرج ما قلته إلى حيز التنفيذ الفعلي، فأهدي أنا الكلمة التي ألقيتها لابنتك، وتهدي أنت الكلمة التي ألقيتها لابنتي، فالاثنتان تهازان العشرين وبمقدورهما فتح أجنة الأمل للمستقبل".

جلسنا، نحن الإثنان، وكتبنا على أوراق الخطابين عدة كلمات. وعندما قارنا ما كتب كل منا، اتضح انهما متماثلان.

فقد كتب أبو علاء:

مايه الغالية:

أود أن أهنئك لسببين:-

أولاً: اهنؤك على والدك.

وثانياً: بسبب إنجازه الكبير من أجلك ومن أجل ابنتي منى ومنال. وإنني أمل أن تصبحن صديقات في المستقبل القريب جداً حظ سعيد، لقد انطلق التاريخ الجديد في طريقه.

أبو علاء، ١٩ آب ١٩٩٣

وفي صبيحة اليوم التالي، وحال هبوطي في مطار بن جوريون، توجهت إلى المطعم الذي تعمل فيه ابنتي مايه، كنادلة، في إجازة الجامعة الصيفية. كنت قبل سفري إلى أوسلو قد قلت لزوجتي عزيزة ولميه أن من الجائز أن أعود هذه المرة ومعى وثيقة الإتفاق. وحينما شاهدتني ميه من النافذة سارعت للخروج إلى

وعانقتني، ثم ابتعدت عني قليلا وتساملت وجهي باهتمام كي ترى ما تعكسه ملامحي، فقدمت إليها صيغة خطاب أبو علاء، فتصفحته، ثم تصفحت الإهداء، وتوجهت نحو سيارتي، وجلست فيها، وانفجرت بالبكاء.



٢- من اليسار إلى اليمين : أبو علاء ووزير الخارجية النرويجي هولست، أوي سبير جلوسا، وخلفهم من اليسار إلى اليمين : حسن عصفور، يان اجلند، مونة يول، تاريه لارسون، يوليل زينجر، يانير هيرشفيلد.

Exc. Mr Holst

Exc. Mr Perez

Mr Uri

Ladies and Gentlemen

Mr Holst.

I would like to confirm that we are indebted to Norway, to you personally and to all the women and men who contributed to this great historical breakthrough. Indeed it is our obligation towards your friendly country and towards you personally to recognize here your courage, wisdom and persistence and outstanding role in this back channel.

Mr Perez.

Welcome,
I have keenly followed up your declarations, statements and writings which confirmed to us your care to achieve a just, permanent and comprehensive peace. In the name of the Palestinian delegation and its leader Yassir Arafat I would like to welcome you and to congratulate you on your 70th birthday, *hoping you all success for the great battle of Peace*

We start today a new journey towards a new future, in a world whose final form has not yet been shaped and which is open to all sorts of change. The future which we look for will not materialize unless we both together overcome the fears of the past and learn from the past lessons for our future.

נאום אבו עלא בטקס החתימה והחשאי באוסלו בליל ה-19 באוגוסט 1993.

עם ההקדשה למיה סביר.

الخطاب الذي ألقاه أبو علاء خلال مراسم التوقيع السرية في أوسلو ليلة التاسع عشر من آب ١٩٩٣ مع الإهداء لسهة سبیر

الفصل الثالث

الاعتراف المتبادل

مرحلة جديدة من العلاقات تستبعد فكرة "كل شيء أولاً شيء"
الميثاق ١٠٠ الانتفاضة ومحاربة الإرهاب كانت أصعب القضايا

كان الاحتفاظ بسرية المحادثات بمثابة معجزة من المعجزات، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن هناك حوالي مائة شخص كانوا مطلعين على خفايا هذا السر، منهم خمسة وسبعون إسرائيلياً وفلسطينياً ونرويجياً، وحوالي خمسة وعشرين أميركياً ومصرياً ومغربياً وتونسياً وروسياً.

لقد تم الحفاظ على السر بفضل الشعور العميق بالمسؤولية لدى جميع الجهات ذات العلاقة بالأمر من جهة، وللشكوك العميقة التي كانت تراود الكثير من الجهات في إمكانية نجاح مساعينا، وأيضاً للحظ الذي حالفنا. إضافة إلى أننا أدركنا حياتنا طيلة فترة المفاوضات بصورة طبيعية للغاية ظاهرياً.

في أعقاب تعييني مديراً عاماً لوزارة الخارجية، في الأول من أيار ١٩٩٣، أعلنت عن اعتزامي إجراء عملية إصلاح واسعة النطاق في خدمة وزارة الخارجية، والتي أخذت من وقتي واهتمامي جانباً كبيراً جداً. كان علينا أن نبني وزارة خارجية جديدة، متحررة من حالة الدفاع التقليدية التي انتهجناها تجاه ما اعتقدنا أنه عداء دولي تجاهنا، وأن نعمل على الانفتاح تجاه العالم، وكل ذلك بغية خلق شبكة علاقات دولية عملية على الصعيد الاقتصادي والعلمي والحضاري.

كان العالم أخذاً، في التغيير تحت أسماعنا وأبصارنا، وبدأ أن مهمة الدبلوماسية الإسرائيلية المساعدة في ربط إسرائيل بالبور والمصادر الجديدة للقوة العالمية، والاعتراف منها، وتقديم المساعدة لها في كل موقع محتمل.

وقد تم بناء خط واضح بين أوصلو والإصلاحات التي اعتزمت إجراؤها في الوزارة، ويتمثل في بناء جسر بين إسرائيل ودول العالم. واجه يوال زينجر تحدياً صعباً للغاية ولا شك أنه كان لديه بديل يحل محله، لأنني لا أدري إذا لم يكن لديه بديل، كيف تمكن من الصمود إزاء السفريات والجولات التي كان يقوم بها، كل أسبوعين، بين ثلاث قارات، دون أن يثير الشبهات، هذا، في الوقت الذي كان علينا جميعاً أن نعيش تحت وطأة الصمت والكتمان.

لم يبد في أي من التصريحات والكلمات والمقابلات التي كنا نجريها هنا وهناك، ولو إلحاحاً واحدة إلى ما يحدث على الرغم، أن التفاؤل في نفوسنا كان يبدو واضحاً للعيان. وقد عزت الكثير من الأوساط تفاؤلنا إلى الآمال المفرطة التي نحملها، والتي تمكنت من تشويش تفكيرنا الواقعي.

وفي الثاني من آب، كدت أسقط في زلة فظيعة خلال اللقاء المتلفز بيني وبين الناطقة باسم الوفد الفلسطيني حنان عسراوي، عندما قلت: "لننتظر للغد والأيام القادمة، لنرى ما الذي سنقترحه كي نتحرك باتجاه الانتخابات الفلسطينية الديمقراطية الحرة، مع الاهتمام الكامل بأمننا. وأنا أعتقد أن المفاجأة لن تهل علينا عبر وثيقة إسرائيلية بل عبر العمل المشترك، على أرض الواقع. وعندما غادرنا الاستوديوهات في القدس، سالتنا حنان عسراوي: ما مصدر تفاؤلي الكبير؟"

فقلت لها: سترين أنني كنت محقاً فيما قلته.

مضى أسبوع، منذ توقيعنا على الاتفاقية بالأحرف الأولى، قبل أن تظهر الدلائل الأولية في وسائل الإعلام، حول ما حدث، ورغم ذلك، كانت المعطيات خاطئة، ففي الرابع والعشرين من آب، أي في نفس اليوم الذي عاد فيه بيرس من جولته في الدول الاسكندنافية، همس الصحفي شمعون شيفر في أذني قائلاً: "أنا أعرف من مصدر رفيع، أن بيرس اجتمع في ستكهولم مع شخصية

رفيعة من منظمة التحرير، ولا جدوى من إنكار ذلك، لقد أردت أن أوفر عليك المفاجأة، عندما نقرأ صحيفة يديعوت احرونوت صباح الغد.

كنا في هذه المرحلة، قد قررنا، عدم الكذب على وسائل الإعلام، وفي نفس الوقت عدم مساعدتها في معرفة الحقيقة. أو على الأقل حتى إطلاع الحكومة الأميركية على التطورات، وقبل أن تصادق الحكومة الإسرائيلية على إعلان المبادئ.

وبناءً على ذلك، قلت لشيفر: "أنت مخطئ، ورغم ذلك، خرجت جريدة يديعوت في صبيحة اليوم التالي، وهي تحمل عنواناً يقول: "شمعون بيرس يجري لقاءً سرياً في ستكهولم مع شخصية رفيعة من منظمة التحرير".

وفي اليوم التالي، كتب زئيف شيف في جريدة هآرتس، أن شمعون بيرس اجتمع بممثل منظمة التحرير في النرويج، بحضور أوري سبير، بيد أنه لم يتم التوقيع على أي اتفاقيات".

حال عودة بيرس إلى إسرائيل، تم اتخاذ قرار بأن يقوم هو بنفسه بإعلام وزير الخارجية الأمريكي، وارن كريستوفر، وجهاً لوجه، بالانفراج الذي تم التوصل إليه في أوسلو.

كان كريستوفر آنذاك موجوداً في كاليفورنيا وقد طلبنا من سفيرنا هناك ترتيب اللقاء.

وفي الثامن والعشرين من آب انطلقت طائرة بيرس إلى هناك، ومعه زينجر، وأفي جيل. وقد هبطت الطائرة في جنيف، حيث التحق بها هولست ولاريسون ومونه. أما أنا وبيلين، فقد بقينا في إسرائيل من أجل معالجة النتائج التي ستجمل عن إعلان النبأ والتي باتت الآن شبه محتومة.

وفي التاسع والعشرين من آب (يوم جمعة) وبعد سبعة أشهر تقريباً، من بدء مسيرة أوسلو وبعد عشرة أيام، من التوقيع على الاتفاقية بالأحرف الأولى، كشفت إذاعة الجيش، النقاب عن أن بيرس في طريقه للالتقاء بكريستوفر، كي

يعرض عليه مسودة اتفاق تم التوصل إليه مع منظمة التحرير خلال مفاوضات سرية أجريت في أوصلو.

اجتمع الإسرائيليون ونظراؤهم النرويجيون مع كريستوفر ونديس روس، في القاعة الجوية التابعة للأسطول الأميركي (بوينت موجو). وكان هذا اللقاء بمثابة اختبار حقيقي لمعايير الثقة الأساسية القائمة بين إسرائيل والولايات المتحدة، وأيضاً لسياسة الخارجية الأميركية.

كانت الإدارة الأميركية على علم بوجود المسار السري في أوصلو، بيد أنها كانت تشك في إمكانية أن يسفر عن أي شيء كان.

ولم تبد وزارة الخارجية الأميركية أي اهتمام. بتفاصيل المحادثات في أوصلو، فقد كان الأميركيون يسعون إلى بناء استراتيجية مفاوضات مع سورية أولاً. وفجأة يأتي شمعون بيرس إلى كاليفورنيا، وبيده، ليس فقط، إعلان مبادئ، موقع، بل أيضاً وثيقة اعتراف متبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير.

خشي بيرس من أن يشعر الأميركيون بالإهانة، جراء تركهم خارج الصورة كل هذا الوقت، وبالتالي، يردون ببرود على الفرصة السانحة. أما النرويجيون فخشوا الا يقبل الأميركيون الاتفاقية، مثلما هي عليه.

وحيثما عرض بيرس الوثيقتين على كريستوفر، تحدث عن الانفراج التاريخي الذي يجب انتهازه بكل قوة. وألمح إلى أنه، ومنذ الآن، فصاعداً، سيصبح الأميركيون رعاة مسيرة أوصلو.

طلب كريستوفر وروس الاطلاع على الوثائق، وبعد أن قرأها، سأل كريستوفر روس: "ما رأيك؟". فقال روس: "هذا إنجاز تاريخي كبير". فعمد كريستوفر بحماس بالغ: "بالتأكيد".

لقد بدا أصداؤنا الأميركيون دعاة سلام حقيقيين، وارتفعوا في اللحظة المناسبة فوق الصفائر. لقد كانت اللحظة، بمثابة لحظة مهمة بالنسبة لدولة عظمى وذكية وكريمة.

لقد أعلنت جميع الحكومات الأميركية المتعاقبة منذ عهد الرئيس لندين جونسون، أنه يتوجب على الأطراف أن تتوصل بنفسها إلى حل، وأنه ليس من مهمة الولايات المتحدة، أن تفرض عليهما الحلول التي تراها، وكان هذا أيضاً، هو رأي الحكومة الأميركية.

وافق الأميركيون على استضافة مراسيم التوقيع على الاتفاق في البيت الأبيض، وهو الأمر الذي يعني أنه إذا وافقت منظمة التحرير على النقاط السبع، فإن الولايات المتحدة أيضاً ستعترف بهم، وهو الأمر الذي يجتاح إلى موافقة الكونغرس. وتم اتخاذ قرار بالتأكيد، بالموافقة على البند الذي فصل فيه عرفات حركته عن منظمات الإرهاب العاملة خارج منظمة التحرير.

حال عودته إلى إسرائيل، وجد بيرس بانتظاره دولة مذهولة، فقد تناولت العناوين الرئيسية للصحف نبأ الاتفاق، تحت عنوان "انفراج تاريخي بين إسرائيل ومنظمة التحرير". وشرعت وسائل الإعلام في التطرق إلى رواية بصورة غير دقيقة.

وفي الثلاثين من آب، صادقت الحكومة الإسرائيلية على بيان إعلان المبادئ، بعد أن عرض يوال زينجر، على الوزراء، مسألة الانسحاب التدريجي من الضفة الغربية، والتي لم تتطرق إليها اتفاقيات كامب ديفيد.

تقابلنا أنا وأبو علاء في أوسلو، لمناقشة شروط الاعتراف المتبادل، وقد قبل الفلسطينيون غالبية مطالبنا والتي كانت شبيهة بالنقاط السبع التي سبق أن طرحتها في الخامس والعشرين من تموز، بعد أن صاغها زينجر بعناية بالغة. ورغم ذلك كانت الخلافات القائمة رغم قلتها ذات أهمية كبيرة.

وصلت المحادثات إلى اللحظة الحاسمة، خلال المحادثات التي تم إجراؤها في باريس، في التاسع والعاشر من أيلول. وفي الثالث من أيلول، حاول بيرس وهولست، التفاوض مع تونس عبر الهاتف. كان بيرس آنذاك في باريس، من أجل اطلاع صديقه الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران على التطورات. وجرى محادثات

مماثلة في السادس من أيلول بين إسرائيل والقاهرة حينما قام هولست وعرفات بزيارة الرئيس مبارك.

وفي صبيحة اليوم التالي، اتصل بي هولست وقال أنه والرئيس المصري مبارك مقتنعان بضرورة إجراء لقاء آخر بين طاقمي أوسلو. وإذا لم يحدث ذلك، فإن الاعتراف المتبادل سيجب أن أحسن الأحوال. وطلب أن أتوجه أنا وزينجر إلى باريس، لإجراء جولة مباحثات أخرى، من أجل ترتيب الاتفاق قبل التوقيع على إعلان المبادئ، في واشنطن، في الثالث عشر من أيلول.

طلب مني أن أوصي بمعد اللقاء في فندق (ديسكرني) كي لا نكتشفنا وسائل الإعلام، وإزاء اعتقادي بأن الصحفيين يتغلغلون في كل زاوية مظلمة من باريس، فقد اقترحت إجراء اللقاء في الفندق المعروف بريستول. وقد اتضح فيما بعد، أنني كنت محقا، فقد أفادت الصحفية أورلي ازولاي كيتس -يديعوت احرونوت- في التاسع من أيلول، عن إجراء حوارات ومباحثات في فندق غامض خارج باريس، وضعته الحكومة الفرنسية في خدمة المفاوضين، في الوقت الذي سجلنا فيه جميعا أسماءنا العائلية، تحت اسم عائلة لاريسون، وأعطى لكل واحد منا اسم نرويجي خاص، يبدأ بنفس الحرف الذي يبدأ به اسمه، فاسموني أولف لاريسون، وأبو علاء ألف لاريسون، وهكذا دواليك. وحول طاولة في صالون الطابق الثاني من الفندق جلسنا أنا وأبو علاء وهولست ومحمد أبو كرش، ومريانة وهيبرج ومونه ويوأل زينجر. وتم تخصيص هاتف لكل وفد في غرفة ملاصقة للصالون، كي يتمكن من الاتصال بصانعي القرارات في إسرائيل وتونس. وفي اللحظات الحرجة، كان بيرس ورابين يتواجدان سويا، في حين كان ياسر عرفات يتواجد بصحبة أبو مازن وحسن عصفور.

بدأنا المفاوضات في الساعة الرابعة من بعد ظهر الثامن من أيلول، وواصلنا النقاش حتى الساعة الثانية من ظهر اليوم التالي. وقامت مريانة، بطباعة مسودات الاتفاق الواحدة تلو الأخرى.

لقد كانت الساعات الاثنتان والعشرون، أهم الساعات التي قضيناها في التفاوض، نظراً لأننا حاولنا خلالها إبطال النظريات التي غزت النزاع المستمر الذي دار بين حركتيّنا الوطنيتين. ولم يكن التحدي مسألة شعارات أو كلمات، بل كان مسألة اتخاذ قرارات تتحول إلى التزام دولي جديد، قادر على توجيه العلاقات بيننا، نحو آفاق جديدة.

لقد رسمنا في أوصلو افتراضات براغماتية لإنهاء السيطرة الإسرائيلية على الفلسطينيين، بصورة تدريجية، دون أن يمس ذلك بأمن إسرائيل. وها نحن الآن، نعكف على معالجة الجذور الأيديولوجية للنزاع. لقد كان واضحاً تماماً أن بنسود إعلان المبادئ، لن تخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي أبداً، دون أن يطرأ تغيير حقيقي متبادل على وجهات النظر والتفكير، المعمول بهما لدى ممثلي منظمة التحرير وإسرائيل.

وهكذا، وجدنا أنفسنا نقف على أبواب الإعلان عن وضع حد للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني، والانتقال إلى مرحلة العلاقات السياسية الدائمة. ومنذ هذه اللحظة، قد تتعرض هذه العلاقات للمد والجزر، وتصبح سيئة أو جيدة، بيد أنها لن تقوم أبداً تحت شعار "إما كل شيء أو لا شيء".

ولهذا السبب، طلبنا أن تعترف منظمة التحرير بإسرائيل وتقبل قرار مجلس الأمن الدولي ٣٣٨،٢٤٢ وأن تشجب الإرهاب، وتحاربه، وأن تضع حداً للانتفاضة، وتلغي بنود الميثاق الوطني التي تنكر وجود إسرائيل. وقلنا أنه إذا قبلت منظمة التحرير كل ذلك، فسوف تعترف إسرائيل بها كممثل للشعب الفلسطيني.

وظهرت خلال النقاشات خلافات واسعة فيما يتعلق بمدى المسؤولية التي ستحملها منظمة التحرير بشأن محاربة الإرهاب، ودعوة الفلسطينيين لنبذ العنف. وقد تساءل أبو علاء: "كيف تريدون منا أن نتعهد بمحاربة ومنع الإرهاب في المناطق التي لا تقع في إطار صلاحياتنا؟ وإذا ما دعونا شعبنا للتحلي عن الإرهاب، فإن ذلك سيعني أن شعبنا يمارس الإرهاب، والأمر ليس كذلك".

وقد رد عليه زينجر بالقول: لقد كان الإرهاب بمثابة الوسيلة الأساسية التي استخدمتموها في حركم ضدنا، والآن عليكم محاربته بجميع الوسائل الممكنة، والتأكيد لأبناء شعبكم أن الإرهاب، ليس وسيلة مشروعة للنضال. ودون أن تلتزموا بذلك، لن نستطيع التوصل إلى اتفاق".

لقد دار معظم الجدل، حول قضية أوسع من ذلك، وهي هل يجب أن يكون الاعتراف المتبادل مطلقاً؟ أم يجب ربطه واشترطه بشروط التسوية الدائمة للنزاع؟؟ وقد طالبنا بأن يعترف الفلسطينيون بحق إسرائيل في الوجود بسلام وأمن. وفي أعقاب المشاورات التي أجراها أبو علاء مع تونس، عاد وقال: "طلبكم مقبول مع تغيير طفيف:" منظمة التحرير تعترف بحق إسرائيل في الوجود داخل حدود آمنة ومعروفة".

رد زينجر على هذا التعديل بغضب قائلاً: "هذه العبارة مأخوذة من قرار ٢٤٢، وهي تعني أن الاعتراف سيدخل حيز التنفيذ الفعلي، عندما يتم تنفيذ القرار، أضف إلى ذلك، من هي الجهة التي سترسم حدود إسرائيل، بصورة تسمح لمنظمة التحرير بالاعتراف بها؟؟

تساءل أبو علاء عابساً: "هل تريدون أن نعترف بإسرائيل في ظل حدودها الحالية؟؟ إن هذا يعني أننا سنعترف بالاحتلال، وهذا ما لن يكون إلى الأبد". تدخلت في الحديث قائلاً: "يجب عليكم الاعتراف بإسرائيل دون أي شروط، وهذه القضية غير قابلة للتفاوض، بمقدورنا مناقشة نقاط الخلاف في المستقبل، أما الاعتراف فيجب أن يكون مسألة مبدئية".

نشب خلاف مماثل بيننا، عندما وصلنا إلى مناقشة بنود الميثاق الوطني الفلسطيني التي يجب إلغاؤها فقد طالبت إسرائيل بأن تتخلى منظمة التحرير عن البنود التي تنكر حق إسرائيل في الوجود، بأن تعلن أن هذه البنود، لم تعد سارية المفعول أو عملية. هذا في حين أرادت المنظمة الاكتفاء بالإعلان عن أن البنود لم تعد سارية المفعول.

قال أبو علاء: الأمران هما نفس الشيء، فالميثاق الوطني الفلسطيني غير عملي منذ سنوات، ومن الواضح أنه ليس ساري المفعول، فقد قررنا عام ١٩٨٨ الاعتراف بوجود إسرائيل.

بيد أن هذا التكرار السلبي، لم يكن جيداً بما فيه الكفاية. لقد طالبنا بأن يقبل الفلسطينيون إسرائيل ليس كحقيقة واقعة، بل كجوهر سياسي مشروع. وقد قلت لهم: "يجب أن نتأكد، ليس فقط من أن أيديولوجيتكم فقط، قد تغيرت بل أن نقتنع أيضاً بأن سياستكم العملية قد تغيرت، لذا يجب أن تعلنوا صراحة بأن البنود التي تتكرر حق إسرائيل في الوجود لم تعد نافذة المفعول أو عملية؟ فقال، أبو علاء: "يجب أن اتصل بعرفات وأسأله رأيه".

كنا ندرك أن الفلسطينيين يعانون ألماً نفسية جسيمة، من كل كلمة واردة في النص. فقد كان مغزى الاعتراف واضحاً لهم، تمام الوضوح، بيد أن التطرق بإسهاب إلى التغييرات وكتابياً بدا لهم أصعب بكثير من التسليم بالسياسة الجديدة. وفي مرحلة معينة، قال الفلسطينيون أنهم لا يستطيعون العثور على صيغة باللغة الإنجليزية، فأطلعتهم على البنود الجادة الواردة في الصيغ التي أوردناها معنا من إسرائيل، والتي تحدثت عن "تحرير فلسطين" كهدف مقدس، وواجب وطني. من أجل طرد الاجتياح الصهيوني الكبير من الوطن العربي. لقد كان يجب محو مثل هذه العبارات من الواقع الجديد. لقد سبق لجولدا مائير، أن قالت في حينه: لا يوجد شعب فلسطيني، وهذا يحتاج إلى تعديل. إن المغزى الحقيقي للاعتراف المتبادل، كان يتمثل، بادئ ذي بدء، في الاعتراف بالواقع.

ساد توتر في غرفة الاجتماعات عندما عاد أبو علاء، وقال: أن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير عاكفة على دراسة بيان المبادئ لذا لم يستطع الاتصال بعرفات بشأن بنود الميثاق. لذا قررنا الإعلان عن مرحلة استراحة.

عندما عدنا إلى غرفة الاجتماع، حاول أبو علاء الاتصال بعرفات مرة أخرى دون جدوى، وفجأة قدم أربعة ضيوف غير مرغوب فيهم، في البداية (مايه)، والتي كانت في زيارة لباريس، وقدمت مع صديقة لها، ثم زوجة أبو

علاء وابنه عصام، اللذان كانا ينزلان في فندق آخر، وشعرا بالقلق جراء عدم اتصاله بهما. وقد قدم أبو علاء زوجته وابنه لنا، وعندما قدمت إليه مايه عانقها. ووقفنا حائرين في هذا الوضع الجديد، بيد أن لاريسون خلصنا من المأزق، حينما اقترح أن يتحاور عصام ومايه باسم الطرفين، فضحك عصام، وقال: لا توجد أي مشكلة في ذلك، سنذهب إلى مرقص، ونحل كل المشكلة هناك، في لحظة".

وعندما ذهب الضيوف، عدنا إلى المفاوضات الصعبة التي كنا غارقين فيها، بينما بقيت (مايه) للعمل كعامله هاتف بالنسبة لنا.

وفي حوالي الساعة الثانية ليلا، تمكن أبو علاء من الاتصال بأبو عمار، وقال: لقد تحدثت معه مطولا، فقال لي: لا أستطيع اتخاذ قرار مهم من هذا القبيل بنفسي، لذا، سوف يعقد اجتماعاً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، ثم يتصل بنا". اتصلت ببيرس في حوالي الساعة الثالثة صباحاً، وأوضحت له الصعوبات القائمة، فطلب مني أن أطلع على التطورات في الساعة السابعة صباحاً، قبل اجتماعه مع رابين.

واصلنا النقاش، ونحن بانتظار اتصال أبو عمار، وخلال النقاش طرحنا ثلاث قضايا أخرى: "القدس والانتفاضة، والاستيطان. وقد رغبت منظمة التحرير في أن تلتزم إسرائيل بعدم إغلاق مؤسسات فلسطينية في القدس الشرقية. وقد وافقنا على ذلك، شريطة أن ينطبق ذلك، فقط، على المؤسسات التي لا تعتبر ممثلة لمنظمة التحرير أو بالحكم الذاتي الفلسطيني المستقبلي، أي أننا لن نغلق المؤسسات الاجتماعية والثقافية والدينية، لأن مصلحتنا تقضي بتطويرها. وقد طلب بيرس أن لا يتم الإعلان عن التزامنا بهذا الصدد. ورغم أن الموافقة الإسرائيلية، لم تكن تحمل أي تنازلات إلا أن كل ما يتعلق بالقدس، كان يثير الرأي العام الإسرائيلي، ويجعل من الصعب أخذ مصادقة الكنيست على الاتفاقية. وقد أصر أبو علاء على أن يقوم بيرس، بإرسال رسالة بهذا الشأن لهولست، بيد أنه وافق على الاحتفاظ بالأمر طي الكتمان.

ثم طالب أبو علاء بتجميد جميع عمليات التوسع الاستيطاني في الضفة والقطاع، وهو الأمر الذي أثار ثائرة بيرس، والذي صرخ في الهاتف قائلاً: "ما الذي يطلبه في هذه اللحظات الأخيرة؟؟ قل له أننا لن نوافق على وقف البناء تحت وطأة الضغط الفلسطيني. وقل له أن الحكومة قررت منذ عام ١٩٩٢ وقف عمليات البناء".

وعندما نقلت رد بيرس إلى أبو علاء، قال لي: "لا تهتما الصورة التي ستوقفون بها البناء في الضفة والقطاع، بيد أن ما يجب أن تتركوه جيداً، هو أن استئناف البناء في المستوطنات، سيؤدي إلى انهيار المسيرة السلمية". وعندما طرحنا قضية الانتفاضة التي ضعفت جداً، ثارت ثائرة أبو علاء من جديد. وقال: "أنتم لم تصفوا الاحتلال وهو باعث الانتفاضة. وإذا كان الأمر على هذا النحو، فكيف يمكننا أن نوقف الانتفاضة؟؟ إن هذه القضية خارج سيطرتنا".

فقال زينجر: "عليكم أن تختاروا بين العنف، وبين المسيرة السلمية، التي ستمكنكم من بناء مجتمعكم واقتصادكم. ويجب أن تقولوا لنا الآن ما هو خياركم، لأن هذا الخيار سيؤثر إلى حد كبير على طبيعة توجهنا بشأن الاتفاق". قال أبو علاء: "أنه سيوصي عرفات بدعوة الفلسطينيين للعودة لممارسة حياتهم العادية، والاهتمام بالتطوير الاقتصادي، أو بمعنى آخر أن يوقفوا العنف. وقد اقترح هولست، أن يتم الإعراب عن هذا الالتزام في رسالة ترسل إليه. وفي حوالي الساعة الخامسة صباحاً وافقنا على ذلك.

لم تتمكن وسائل الإعلام من العثور على مكاننا، باستثناء جين كوربين من شبكة (بي بي سي)، وقد بعثت رسالة إلى غرفتي قالت فيها: إذا أجريت معها مقابلة، فإنها لن تكشف مكان وجودنا، وستحرص على بث المقابلة يوم التوقيع على الاتفاقية في واشنطن. ولم يكن بوسعي سوى الموافقة.

وفي غرفة رقم ٥٣٥ في الفندق، وجدتها هي وطاقمها بانتظاري:

س: ماذا تفعلون في الطابق الثاني؟

-أنا: نعمل على تشييع جنازة النزاع.

س: هل أبو علاء صديقك؟

-إلى الدرجة التي لن أجيب فيها عن سؤالك.

وفي تمام الساعة السابعة، اتصلت ببيرس لأطلعته على المستجدات مثلما اتفقنا، بيد أنه كان نافذ الصبر، وقال لي: "إذا أصبح عرفات عالقاً ويراوح مكانه في هذه القضايا الأساسية، فلا شك أن بمقدورنا أن نعيش دون الاعتراف المتبادل. دعنا نترك هذه القضية إلى مرحلة لاحقة، ونوقع على إعلان المبادئ".

حتى الساعة التاسعة، لم يتصل عرفات بأبو علاء، وعرفت منه، أن اللجنة التنفيذية لا زالت منعقدة، فقلت له: "يبدو لي أننا لن نتوصل إلى اتفاق" فقال: "ليكن، أدار لي ظهره وذهب".

لحق به لاريسون، واقترح أن يتصل هولست بعرفات. وقد اتصل هولست بعرفات وقال له بأدب حاد: "أبو عمار، يجب عليك أن تتخذ قراراً فوعد عرفات، بمناقشة القضية مع مساعديه والاتصال به بسرعة".

واصل بيرس ممارسة الضغوط، وقال لنا: "إن الحكومة ستجتمع في الساعة الخامسة للمصادقة على الاتفاقية، إذا كانت هناك اتفاقية".

لقد استغرقت جلسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ثلاثة أيام متوالية لمناقشة بيان إعلان المبادئ، والآن لم يبق أمامهم سوى ثلاث ساعات فقط، للتوصل إلى قرار حول الاعتراف المتبادل.

لم يكن الفلسطينيون يواجهون أية مشكلة في الاعتراف بإسرائيل في إطار المسيرة السلمية بيد أننا كنا نتحدث عن اعتراف دون أي شروط، أو التطرق إلى حدود إسرائيل، أو لجوهر الحل بيننا. أما نحن فكانا على استعداد للاعتراف بمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطيني لكن ليس كزعامة لدولة فلسطينية. لذا كنا مصرين ووفقاً لأوامر من إسرائيل، أن يوقع عرفات على رسالته إلى رابين باسم رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وليس رئيس فلسطين مثلما اعتاد التوقيع على رسائله منذ عام ١٩٨٨.

وفي ساعات الظهر من يوم التاسع من أيلول، تحدث أبو علاء مع أبو مازن والذي أعلمه بموافقة منظمة التحرير بعد نقاش عاصف، على صورة الاعتراف التي طلبناها. ووافق زعماء المنظمة أيضا على تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني، وعلى شجب الإرهاب، والدعوة إلى إنهاء الانتفاضة.

وقد ردنا لهم ذلك بإبداء الاستعداد للاعتراف بمنظمة التحرير، وبالتعهد بأن يعلن بيرس في رسالة يبعث بها إلى هولست، عن التزامه بعدم إغلاق المؤسسات الفلسطينية غير التابعة لمنظمة التحرير في القدس الشرقية. وأن تزود الفلسطينيين بقرار الحكومة عام ١٩٩٢ الذي ينص على تجميد الاستيطان. ولا شك أنه لولا هذه السياسة، لما تمكنا من التوصل إلى اتفاق.

وبعد برهة وجيزة أصبحت رسالة الاعتراف جاهزة للطباعة النهائية وللتنقل عبر النرويجيين إلى تونس وإسرائيل. ومن الجدير بالذكر، أن رابين أكد بالآلة نستهل رسالته إلى الرئيس الفلسطيني بالكلمات المألوفة في رسالته: سيدي الرئيس العزيز، بل فقط الكلمات السيد الرئيس. وقد انطبقت هذه القاعدة على رسالة عرفات إلى رابين أيضا.

كانت مريانة على وشك الانتهاء من طباعة الرسالة، عندما دخلت فيه إلى الغرفة وقالت لي: رئيس الحكومة يرغب في التحديث إليك وإلى زينجر. وقد قال لي رابين أريد أن تبذل كلمة واحدة في الرسالة. التي يجب أن يرسلها عرفات إلي. وكان قد جاء في الصيغة الرئيسية "وفقا لذلك" فإن منظمة التحرير تلتزم بمطالبة المجلس الوطني الفلسطيني مصادقة رسمية للتغييرات الضرورية في الميثاق الفلسطيني". وقد طالب رابين باستبدال كلمة "وفقا" بكلمة "بناءً على ذلك".

وقد قال لي يوال: لا أجد أي فارق في المعنيين، بيد أنني أدركت أن أبو علاء سيشارك في أن لهذا التغيير معنى سياسياً عميقاً.

عدت إلى الصالون- ووجدت النرويجيين في حالة رعب، حتى قبل أن أنفوه بأي كلمة وأطلب من أبو علاء الانضمام إلي في الغرفة المجاورة. وهناك أعلمته بمطلب رابين، وقلت له: ثق أنني لا أفهم معنى هذا التغيير. فابتسم، وقال:

أنا أدرك الأمر جيداً، لديكم هواجس من الكلمات، حسناً دعنا نخرج إلى الذين ينتظروننا في الخارج، لقد بات لدينا اتفاق".

وجدنا النرويجيين في الصالون شديدي الإحراج رسم أبو علاء على وجهه أكبر تقطيه مكنة، وقال للنرويجيين قلت لسبير، أن بالإمكان التوقيع على الاتفاقية، شريطة تغيير كلمة واحدة، بيد أنه رفض الاستجابة لي".
"أية كلمة" صرخ هولست قائلاً، لقد باتت الرسائل مطبوعة وأنا مضطر للسفر بعد نصف ساعة لا يمكنكم أن تضيفوا كل نصف ساعة شيئاً جديداً".



٣- المصافحة التاريخية في واشنطن، من اليسار الى اليمين اسحق رابين، بيل كلينتون،
وياسر عرفات ١٣/٩/١٩٩٣.

أوسلو أغضبت دولاً عربية كانت آخر من يعلم الأردن كان محطتنا الثانية وطريقنا إلى القمة الاقتصادية

طلب أبو علاء نسخة رسالة عرفات وأشار إلى الكلمة، وقال: أنا أطالب بتغييرهـ.

بدأ النرويجيون يتوصلون إلينا أن نتنازل، وبعد عدة مشاورات بيننا في غرف جانبية قلنا أننا توصلنا إلى اتفاق لتغيير الكلمة، وتم طباعة الرسالة من جديد.

وهكذا، أصبح بين أيدينا أربع رسائل: رسالة عرفات لرابين باعتراف منظمة التحرير بإسرائيل، ورسالة عرفات لهولست والتي يوجه فيها نداءً للشعب الفلسطيني لشجب العنف ورسالة رابين لعرفات يعترف فيها بمنظمة التحرير، ورسالة سرية من بيرس لهولست يتعهد فيها بعدم إغلاق المؤسسات الفلسطينية غير التابعة لمنظمة التحرير في القدس. وقد قمنا بإرسال صور عن النسخ الأربع بالفاكس، لإسرائيل، واحتفظنا بالنسخ الأصلية.

وفي الساعة الثانية ظهراً، وبينما صوت إسرائيل يعلن أنه لا زالت هناك صعوبات جمة في المفاوضات، تناول هولست زجاجة شمبانيا من الثلاثية، ودعوت "مايه" للانضمام إلينا، وبدأنا الاحتفال بالعهد الجديد في العلاقات، بين منظمة التحرير وإسرائيل.

*** *** ***

في نفس الليلة صادقت منظمة التحرير على تبادل الرسائل، وبذلك، أصبح الميثاق الوطني الفلسطيني لاغياً وملغياً على الصعيد العملي، ولا شك أن هذه كانت خطوة كبيرة جداً، على صعيد منظمة التحرير. وبعد سنتين ونصف السنة، وفي نيسان ١٩٩٦، صادق المجلس الوطني الفلسطيني، على تعديل الميثاق، في الجلسة الخاصة التي عقدها في غزة، في الوقت الذي واصلت فيه جهات إسرائيلية يمينية الادعاء-استناداً إلى تفسيرات كلامية لا أساس لها من الصحة-

بأن الميثاق الأصل لا زال ساري المفعول. وتساءلت بيني وبين نفسي، ما الذي بقي على الفلسطينيين عمله بدون الجدار الاستنادي العدائي المعروف والمريح؟ لقد سقط هذا الجدار في العاشر من أيلول عندما وقع عرفات على الرسائل المتعلقة بذلك في تونس، وقام هولست بعرضها على وسائل الإعلام الإسرائيلية والدولية في مراسيم بسيطة، في مكتب رئيس الحكومة في القدس، وقد قام رابين وإلى جانبه بيرس وهولست بالتوقيع باسم حكومة إسرائيل على رسالة الاعتراف بمنظمة التحرير، وهكذا كان التحدي التاريخي كله في جملة واحدة جاء فيها: سيدي الرئيس:

رداً على رسالتك في التاسع من أيلول ١٩٩٣، أود أن أؤكد أمامك، أنه وفي ضوء التزام منظمة التحرير المدرجة في رسالتك، فقد قررت حكومة إسرائيل الاعتراف بمنظمة التحرير، كممثل الشعب الفلسطيني، والشروع بمفاوضات مع منظمة التحرير في إطار مسيرة السلام في الشرق الأوسط. وبعد ثلاثة أيام- في الثالث عشر من أيلول ١٩٩٣- تم التعبير عن هذا الاعتراف، بأكثر الصور علنية في حدائق البيت الأبيض في تمام الساعة العاشرة صباحاً، عندما وقع شمعون بيرس باسم إسرائيل، وأبو مازن باسم منظمة التحرير على إعلان المبادئ. وفي أعقاب التوقيع، طلب الرئيس الأميركي من اسحق رابين وإسحاق عرفات -الذين لم يتخيل أي إنسان أن بالإمكان رؤيتهما معاً في أي مكان- كي يصافح أحدهما الآخر.

وكما يبدو، فإن هذه المصافحة كانت أكثر مصافحة التقطت لها صور في العالم. لقد عزا العالم بأسره، إلى هذه المصافحة، السحر الذي أدى إلى تسوية أحد أكثر النزاعات تعقيداً في العالم، وأشدّها حساسية في التاريخ الحديث، والآمال التي ولدت في قلوب الكثيرين على أرضية هذه المصافحة.

جلست إلى جوار يوسي بيلين- وهو الرجل الذي حرك هذه المسيرة- في الصف الأول، وهمست له: "هل تصدق ما ترى عيناك؟ فقال" إذا كان ما نراه حقيقياً، فلا شك أنه هائل".

لقد قدم بيرس إلى واشنطن على أهبة الاستعداد، بل ومسرورا لمقابلة أبو مازن، وجها لوجه، باسم إسرائيل، ولم يكن متحمساً لوجود رابين وعرفات وقال أن وجودهما سابق لأوانه جداً.

أما رابين البراغماتي، فقد اعتبر الاتفاقية بمثابة أمر وطني، وتعامل مع الفلسطينيين كشركاء في السلام، رغم أنه لا زال يراوده شعور بالإحجام عنهم، وخصوصاً من رئيسهم ياسر عرفات، وقد وجد صعوبة بالغة في إخفاء ذلك. بل وشعر بالاشمزاز عندما صافح الرئيس الفلسطيني، وربما أنه يكون بذلك قد عكس مشاعر الكثير من الإسرائيليين. ثم جاء دور بيرس لمصافحة عرفات الذي بدا وكأنه هبط من كوكب آخر، رغم مظهره الخارجي الذي بقي على حاله، وقد حظي بتصفيق حاد كالذي يحظى به المبشرون بالسلام. لقد كان بمقدوره أن يترفع ويرتفع إلى مستوى الحدث، بيد أنه، كما يبدو، كان يرى الحدث برمته دليلاً على عدالة النضال الذي خاضه حتى الآن، وليس كتحية للتحول الكبير الذي طرأ على القيم.

كانت هناك قواسم مشتركة تربط بين الشخصيات الثلاثة الماثلة على "خشبة المسرح"، عرفات ورايين وبيرس: فقد كانوا زعماء أقوياء ومحكيين، لا يمكن لتشويهات كلامية أن تهزمهم، والثلاثة كانوا وحيدين، ومقتنعين بعدالة طريقهم، ويحملون في أعماقهم حوافز هائلة بغية إنجاز أهدافهم، والثلاثة كانوا يتمتعون بالقدرة على التحمل، وقد ترايد تأثير المسيرة عليهم تدريجياً كلما تقدمت إلى الأمام. وهامم الثلاثة يقفون على (خشبة المسرح) المتحركة باتجاه مستقبل لا زال في المجهول.

شاهدت أبو علاء في أعقاب انتهاء مراسيم التوقيع واقفاً وسط مجموعة من كبار شخصيات منظمة التحرير، فالتجته نحوه، لكنه رمقني بنظرة محرجة. لقد شعرنا الآن، ونحن في خضم الواقع، أننا بعيدون عن خصوصية أو سولو وعزلتها، إننا غرباء. وبدا أننا تحولنا من شركاء سربيين إلى أعضاء في معسكرين مختلفين وعلى وشك الانطلاق في مسيرة مشتركة.

وقفت إسرائيل ومنظمة التحرير الآن على خط الانطلاق، وكان عليهما أن يترجما إعلان المبادئ إلى واقع عملي. ترى هل سيتمكنان من العمل معاً؟ هل سيستطيعان اتخاذ الاستعدادات اللازمة لبدء الجدل حول إقامة الحكم الذاتي في غزة وإريحا؟؟ وكيف سيعالجان ردود الفعل الداخلية لديهما؟؟ ولا شك أن الرد على هذه التساؤلات كان يحتاج إلى جدول أعمال كامل وجديد.

عقدت أول جلسة عمل بين إسرائيل ومنظمة التحرير في ساعات ما بعد ظهر الثالث عشر من أيلول في أحد أجنحة الطابق الخامس من فندق (ماي فلوا) والذي كان بيرس يحل فيه مع عائلته. وقد شارك في الجلسة أبو مازن وبيرس ويوسي بيلين وأبو علاء وحسن عصفور ويوأل زينجر وأنا- قرر رابين وبيرس عدم ضم هيرشفيلد وفوندك إلى الوفد الرسمي للمراسيم- حيث اعتقدا أن هيرشفيلد وفوندك بالغاء في الإدلاء بتصريحات حول الدور الذي قاما به في المسيرة وكان ذلك خطأ.

استهل بيرس حديثه بتحديد المقدمات الثلاث التالية

"أولاً: من المهم تشكيل طاقم المفاوضات لتجسيد الاتفاقية.

ثانياً: علينا أن نسلط الضوء في النقاش على القضية المركزية الخاصة بالتطوير الاقتصادي في الضفة والقطاع، وقد تحدثت مع النرويجيين وقالوا لي: أنهم أعدوا قاعدة اسكندنافية لتقديم المساعدات الدولية، والأميركيون سيؤيدون هذه الخطوة، وقد ضمننت خلال زيارتي لبروكسل، تعاون الاتحاد الأوروبي بهذا الصدد، سوف يتم تشكيل تنظيم دولي من أجل دعمكم ونحن نتوق لرؤية نجاحكم، لأننا مهتمون بالعيش إلى جانب جيران، يتمتعون بالازدهار الاقتصادي. ولا يوجد لدينا أي اهتمام في إدارة حياتكم بيد أننا نرغب في تقديم المساعدة لكم.

ثالثاً: أنا واثق أن علينا أن نجري اتصالات يومياً فيما بيننا، واقترح أن يصبح أبو علاء وسببر ضابطين هذا الاتصال".

وفي مستهل كلامه، قال أبو مازن: أنه كان دائماً يقدر الجهود التي يبذلها من أجل السلام. ورغم أنه انتهج أسلوباً أقل عملية من بيرس إلا أنه وافق على

أهمية التعاون بين الطرفين. وأضاف: "يجب علينا أن نعمل معا على معالجة الوضع الاقتصادي الحالي، لأن شعبنا بحاجة لأن يشعر بالفروق".

كان هذا اللقاء، هو الأول مع الرجل الذي يوازي يوسي بيلين لدينا، على صعيد مبادرة حوار أوسلو في الجانب الفلسطيني. ولم يكن هذا الرجل قد مني، ولو بقدر صغير من العصبية التي مني بها نظراؤه.

ولم ندرك في تلك المرحلة، أن ضبط النفس السوداني الذي يتحلى به، وعدم وضوح ردوده كانا يعكسان عدم استعداد الفلسطينيين للشروع بسرعة في تطبيق الاتفاقية. كانت المشكلة بالنسبة لهم تتجلى في عدم توفر مصطلحات ومعدات جاهزة للحكم، إضافة إلى تركيز غالبية الصلاحيات بين أيدي عرفات.

وخلال الاحتكاكات التي جرت مع مستشاريه وفي معرض التطرق إلى عامل الزمن، اتضح لنا لدهشتنا أن الفلسطينيين يعتقدون أن الزمن يعمل لمصلحتهم، في الوقت الذي كنا نحن نشعر بالضيق الشديد جراء مرور الزمن دون أن نستغله.

وكان من الصعب علينا، أيضا، في تلك الآونة، أن نحدد ما الذي يتوجب على كل طرف عمله وحده، وما الذي يجب أن نفعله بالتعاون معاً؟ وهكذا، وجدنا أنفسنا نراوح بين بقايا النزاع من ناحية والتعاون فيما بيننا من الناحية الأخرى.

رافقت أعضاء الوفد الفلسطيني حتى باب الفندق، وهناك أخذت أرقام هواتفهم، وأخذوا رقم هاتفي، وقال أبو علاء: يمكنكم أن تتصلوا بنا مباشرة في تونس، أما نحن فلا نستطيع بعد الاتصال مباشرة بالصفة الغربية أو غزة. لقد آن الأوان للعودة إلى البيت" فقلت له: "أهلا وسهلا" فرد قائلا: أهلا وسهلا، ولربما أنه أراد أن يقول لي بذلك: لستم أنتم الذين تستضيفوننا.

غادرنا واشنطن، ونحن لا ندري أن هذا اللقاء سيكون آخر لقاء لفترة طويلة. فقد قطع عرفات العلاقة معنا لعدة أسابيع، دون أن نتلقى أي مكالمات من أبو علاء. وفجأة وصلتنا مكالمات من أبو كرش- الرجل الثالث لمنظمة التحرير

في أوصلو، وطلب أن يجتمع بي في فرانكفورت وحال وصولي، أعلمني رسمياً، أنه تم تعيينه ضابطاً للاتصال للمنظمة مع إسرائيل.

أدهشني ذلك، بيد أن هذا التعيين كان بالنسبة لنا، أحد أساليب عرفات، في الإخلال بتوازن مقربيه لقد قدم عرفات الدعم لأبو علاء إبان اتفاقيات أوصلو، والان نحاه جانباً بيد أن هذه المرة، كانت آخر مرة أشاهد فيها أبو كرش. كانت الاتصالات تجري معي من قبل شخصيات فلسطينية مختلفة، بيد أن أبو علاء كان يعود للظهور، كلما أصبحت المحادثات جدية.

والى جانب الطرفين، كان هناك مجتمع دولي مذهبول من رؤية المصافحة، ويتوق إلى رؤية الازدهار الناجم عن التعاون الجديد.

اجتمع في الأول من تشرين الأول وزراء الخارجية والمالية من جميع أنحاء العالم في واشنطن، بمبادرة من شمعون بيرس، بغية الاتفاق على صفقة مساعدات للفلسطينيين، ووافقت الجهات المشاركة، على تضمين هذه الصفقة هبات وقروضا بقيمة ٢،٥ مليار دولار، والتي ازدادت، فيما بعد، حتى بلغت ثلاثة مليارات دولار، من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان- أما دول الخليج فعادت لتخيب آمال الاخوة الفلسطينيين من جديد.

وتم اختيار النرويج- بطلّة المفاوضات- لتروّس مبادرة المساعدات تحت إشراف هولست ولاريسون. وقد سألني لاريسون: هل فكرت، في يوم من الأيام، أن وزراء إسرائيليين يقومون بجمع الأموال لمنظمة التحرير؟؟ وقد التزمت إسرائيل نفسها بتقديم مساعدات للحكم الذاتي الفلسطيني بقيمة خمسة وعشرين مليون دولار على مدى خمس سنوات.

أذهل الاتفاق العالم العربي، وكان من البديهي أن تصب دول الرفض العربية عليه جام غضبها، أما الدول المؤيدة فكانت تلك الدول التي تم إشراكها في سر أوصلو: مصر، والمغرب وتونس. وبين هذين النوعين، كانت هناك بعض الدول العربية التي فاجأها اتفاق أوصلو أيضاً. وكانت هذه الدول تؤيد الفلسطينيين أخلاقياً، بيد أنها تتحفظ على تطلعاتهم السياسية.

كان الأردنيون يخشون على مصالح مملكتهم، أما دول الخليج، فكانت لا تزال تكن الحقد على عرفات، جراء تأييده لمصدام حسين إبان حرب الخليج. ورغم ذلك، فقد شعر العديد من هذه الدول أن الاتفاق أزاح عن ظهرها عبئا ثقيلا.

ولا زلت أذكر، أن أبو علاء قال لي إبان المفاوضات في أوسلو: "أنتم ستمنحوننا المفاتيح إلى الولايات المتحدة ونحن سنفتح الباب لكم إلى العالم العربي" وهذا ما حدث بالفعل، فقد بدأ الباب نحو العالم العربي في الانفتاح. فبعد يوم واحد من إجراء مراسيم التوقيع على الاتفاقية في واشنطن، تم تحديد جدول أعمال للتفاوض بين ممثلي الأردن وإسرائيل، ذلك الجدول الذي أسفر في نهاية المطاف عن إبرام اتفاقية السلام المستقبلية بين الدولتين.

وفي طريق العودة من واشنطن، هبطت طائرتنا في الرباط، وقام الملك الحسن الذي يعتبر أحد رواد السلام العربي-الإسرائيلي بإعداد استقبال ملكي لرابين وبيرس.

إن التوق الإسرائيلي لوضع حد للاحتلال واعترائنا بمنظمة التحرير، أحلت العديد من الدول العربية من تحفظاتها من إسرائيل تلك التحفظات التي كانت ناجمة عن تأييدها للقضية الفلسطينية.

ونظرا لأن نزاعنا نحو التأثير بالعرب الذين يوجهون الانتقادات إلى الفلسطينيين، فقد استحال علينا أن ندرك أنه طالما بقي اليهود يسيطرون على العرب فإن السلام لن يسود أبدا في الشرق الأوسط.

وخلال مراسيم التوقيع على الاتفاقيات في واشنطن اتضح لي، وليوسي بيلين أننا كنا نجلس إلى جوار الأمير بندر-سفير السعودية في واشنطن- والذي يعتبر شخصية بارزة جدا في الولايات المتحدة منذ الثمانينات.

وفي نهاية المراسيم، توجه إلينا قائلا: لقد سمعت عنكم الكثير، وأنا أحبيكم" وفي أعقاب وجبة العشاء التي أقامها وزير الخارجية كريستوفر، تحدث الأمير بندر مع بيرس.

وقد أخبرني مسئول أميركي، فيما بعد، أن السعوديين سمحوا لبندر بالمشاركة في المراسيم، بيد أنهم اشترطوا عليه أن لا يعرب عن تقديره لعرفات. هذا رغم أنه لولا عرفات، لما كان لقائنا مع بندر أو مع أية شخصية عربية أخرى لتحدث.

حطت طائرتنا في إسرائيل، في الساعة الرابعة فجر عيد رأس السنة العبرية، لقد استغرقتنا مهمتنا منذ بدايتها وحتى نهايتها اثنتي وسبعين ساعة. كنا شديدي التعب والإرهاق، ورغم ذلك، طلب منا بيرس أن نمثل في مكتبه الساعة السابعة من صبيحة الغد. وعندما وصلنا أنا وبيلين وجيل، كنا مرهقين تماما، بيد أن بيرس بدا في قمة حيويته ونشاطه. وقد جلس أمامنا، وقال بجدية تامة: "هذه هي الساعة المناسبة للهجوم على الأردن . فانفجرنا نحن الثلاثة بالضحك، وأخذنا نشرح شكوكنا حول ذلك، بيد أن مبرراتنا لم تغير رأيه، وقال: "الملك لن يبقى في الخلف" وطلب من بيلين أن يمهد الأرضية للقاء.

في الأول من تشرين الأول اجتمع بيرس علنا ولأول مرة، مع ولي العهد الأردني الأمير الحسن تحت رعاية الرئيس الأميركي في واشنطن.

وبعد أربعة أسابيع اجتاز ثلاثة إسرائيليين هم: بيرس الذي حاول إخفاء شخصيته باعتماد قبعة وشارب، وأفي جيل، وإفرايم هيلفي-رئيس الموساد حاليا-جسر الملك الحسين على نهر الأردن، في طريقهم إلى القصر الملكي في عمان. لقد هاجم بيرس حقا الملك الحسين بتنبؤاته حول السلام والازدهار في المنطقة كلها، وأسهب في القول حول دور المملكة الهاشمية في تجسيد هذه النبوءة.

وفي نهاية الحوار، توصل الملك وبيرس إلى تفاهم حول معايير اتفاقية السلام المستقبلية، ووقعا بالأحرف الأولى على وثيقة مؤلفة من أربع صفحات. ونظرا لأن التطوير الاقتصادي، احتل رأس جدول اهتمامات بيرس، فقد سارع لتقديم اقتراح للملك، قائلا: ما رأي جلالتك، في دعوة أربعة آلاف رجل أعمال إلى عمان لمناقشة الاستثمار في الشرق الأوسط الجديد؟

وأسهب بيرس في شرح خطته، بما فيها عمليات نقل الضيوف من إسرائيل واليها بطائرات الهليكوبتر. وقد أعرب الملك عن موافقته على الفكرة، والتي تم ضمها إلى وثيقة التفاهم التي تم إنجازها بين الصديقين الحميمين. كان ذلك في الثاني من تشرين الثاني ١٩٩٣.

عاد بيرس إلى إسرائيل وهو يشعر بالإعجاب الشديد بنفسه. ومن البديهي القول: أن اللقاء جرى بمباركة رابين، رغم أنه أعرب عن شكه في أن يسارع الملك الحسين، إلى دفع الحوار بين الأردن وإسرائيل إلى الأمام في أعقاب (الصفقة) التي تم تنفيذها مع الفلسطينيين من وراء ظهره.

والأميركيون أيضاً، لم يكونوا يتوقعون إحراز أي تقدم، خصوصاً على أرضية معارضة السوريين للصفقات المنفردة، ومواقفها التهديدية تجاه الأردن. كنت في تلك الأونة في باريس، وخلال تناولتي طعام العشاء مع مارتن ايندك ودينيس روس، قرأت تفاصيل الوثيقة التي تم إنجازها في عمان. وبدا روس مندهشاً، وقال: "لقد توقفت عن الشك في قدرة بيرس على عمل المعجزات أرجو أن تنقل له تهنئتي: لقد لمست في هذه الأقوال تغييراً في لهجة الأميركيين وتعاملهم تجاه بيرس، الذي كان من وجهة نظرهم، يشع بالأكفار الخلاقية، بيد أنه ليس (ارثوذكسياً جداً) ومنذ تلك اللحظة، أصبحت اتصالاته مع طاقم السلام الأميركي شبه يومية.

في الرابع من تشرين الثاني اجتمع بيرس في القدس مع كلاوس شفاف، وجريجوري بلات رئيس الهيئة الاقتصادية العالمية في "دافوس" وأطلعهما على المبادرة التي ناقشها مع الملك الحسين، وأعلمهما بموافقة الملك، وطلب منهما العمل على تنظيم عقد مؤتمر قمة اقتصادي وقد وافق شفاف على تحمل مسؤولية تنظيم هذا المؤتمر.

وقد افترض عليه أن يعمل بالتعاون مع (السلي جليب) رئيس مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك، ففي الوقت الذي لم يؤمن أي من المقربين لبيرس، بإمكانية عقد مؤتمر بالحجم الذي يتحدث عنه بيرس في الزمن المنظور.

لذا، كنا نتحدث من خلف ظهر بيرس، عن مؤتمر الأربعين والذين يعني أن عدد المشاركين فيه لن يتجاوز أربعين شخصاً.

بيد أنه لم يمض سوى عام حتى عقد في كازابلانكا المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بمشاركة أربعة آلاف ممثل عن عالم رجال الأعمال والماليين، لقد قرر الأردنيون عدم استضافة المؤتمر الأول، بيد أنهم دعوا المؤتمر الثاني للانعقاد على أراضيهم.

ولا شك أن كل هذه الأحداث وقعت بفضل التوقيع على اتفاقية إعلان المبادئ مع منظمة التحرير.

*** *** ***

بدأت المسيرة وهي تتطرق بعد ذلك مختلفة تماماً عما تم التخطيط له سابقاً. فالعمل الذي بدأ لمنظمة التحرير ومؤيدي السلام كنقطة انطلاق جديدة، أثار معارضة شديدة ومتطرفة ومهددة من قبل ائتلاف هش مؤلف من القوى المعنوية بتنمير المسيرة السلمية.

لقد اعتبر الأصوليون المسلمون المسيرة بمثابة كارثة، نظراً لأن حركاتهم كانت تنمو، فقط، وسط اللااستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

وعارضها كذلك حاملو لواء القومية العربية من خلال رؤيتهم الضيقة لمصالحهم، ومن خلال عدم الثقة المتجذرة في أعماقهم تجاه إسرائيل.

وقد سارع هؤلاء وأولئك إلى نفخ غبار الصدمة الأولى عن أنفسهم، وبدأوا يعدون العدة للعمل العنيف ضد "خطر السلام".

كان هناك، في الجانب الفلسطيني، معارضون يحظون بتأييد سوريا، مثل جورج حبش، الذي قال: يجب الإلقاء بعرفات إلى حاوية القمامة" أما أحمد جبريل، فقد تنبأ لعرفات بمصير مماثل لمصير السادات. وأقسم نايف حواتمة بأن يدمر اتفاقية السلام بالوسائل العنيفة والوحشية.

وكان هناك أيضاً في داخل منظمة التحرير من اعتبر الاتفاقية بمثابة خنوع ياسر عرفات، للإملاءات الإسرائيلية، وقد ترأس هذا الجناح رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير فاروق القدومي.

لم تشعر الحكومة السورية بالارتياح من الاتفاقية التي ولدت بعد أيام معدودة من التطورات الحقيقية (والسرية) التي طرأت على المفاوضات بينها وبين إسرائيل وشك الرئيس الأسد، بوجود مؤامرة لمنعه من معارضته إعلان المبادئ. بيد أنه وبتشجيع من الإدارة الأميركية، التي وعدت بمواصلة جهودها الرامية إلى عقد اتفاقية إسرائيلية سورية سمح للناطقين السوريين بتقديم التهانئ الفاترة على الاتفاق.

أما الدول المتشددة في العالم العربي: العراق، وليبيا، والسودان-نصيرة وحامية الإرهاب، إيران- فقد شرعت في كيل السباب والشتم لعرفات على خنوعه المخزي لإسرائيل، وتعهدوا بمواصلة النضال.

وبدأت حركة حماس، حليفة إيران باتخاذ الاستعدادات اللازمة توطئة للقيام بعمليات إرهابية تشد الرأي العام العالمي، وتشير ثائرة الرأي العام الإسرائيلي، ضد الاتفاقية ولهدم أي أمل بالمصالحة ولم تكف هذه القوى بالصرخ فقط، فقد أعطت لتهديداتها طابعا عمليا.

وعلى طول الهامش الزمني للسنوات الثلاث التالية، قامت كتائب الموت ببناء قنابلها، في الوقت الذي كان فيه الزعماء القوميون يتخذون قرارات صعبة، ويفاوضون، ويواصلون حواراتهم ويوقعون الاتفاقيات.

لقد بدأت ساعتان زمنيّتان تدقان على مسرب الصدام: الأولى هي تلك الساعة التي تعمل على تحريك المسيرة السلمية باتجاه التسوية الدائمة، والثانية هي التي تدق للاقتراب من ساعة الصفر لانفجار القنبلة الموقوتة الرامية لإشاعة الخراب والياس والخوف، وفي الوقت الذي خرج فيه الدبلوماسيون وهم يحملون حقائبهم التي تغص بالمواد الناسفة.

ولم يقتصر هذا الوضع على الفلسطينيين والعرب فقط، بل كانت هناك في إسرائيل أيضاً أوساط تعمل على إحباط المسيرة السلمية قولاً وعملاً. فقد بلغ الغضب ذروته في نفوس المعارضة اليمينية المتطرفة، وزعامة المستوطنين، الذين اعتبروا اتفاقيات أوسلو بمثابة خطر على أيديولوجيتهم أكثر مما هي خطر على أمنهم الشخصي. وقد وصف حنان بورات -عضو الكنيست عن حزب المفدال- التنازل عن غزة وأريحا كخيانة للوطن. وقد أسهمت مثل هذه التصريحات الهوجاء في زرع بذور الشيطان والشغب. وقد انضم إلى المستوطنين، نصف أعضاء الكنيست تقريباً برئاسة رئيس الليكود، عضو الكنيست بنيامين نتنياهو.

وفي اليوم الذي وقف فيه رابين على حشائش البيت الأبيض وقال: يكفيننا دماء ودموعاً. أخذ نتنياهو يتحدث عن الخطر الذي لم يسبق له مثيل، والمحقق بإسرائيل، وأن الحكومة تسمح لمنظمة التحرير بتنفيذ خططها الرامية إلى تخريب إسرائيل. وهكذا، فإن نفس القضية التي اعتبرها بعض الإسرائيليين أملاً للسلام، اعتبرها إسرائيليون آخرون خطراً على وجود إسرائيل.

لقد أرغمت عملية التوقيع على إعلان المبادئ معارضي ومؤيدي أوسلو، على اتخاذ موقف عملي، وذلك نظراً للتحركات التي بدأت في أعقاب التوقيع على الاتفاقية، باتجاه إحداث تغييرات على أرض الواقع. لقد وقفت المنطقة كلها، أمام تغييرات جذرية، مما حدا بكل جهة لتحديد مصالحها الحيوية، وتحديد كيفية الدفاع عنها.

لقد بدأت دوامة المصالح المتعارضة والمتضاربة تعصف بالمكان في الثالث عشر من أيلول ١٩٩٣. فاتفاقيات أوسلو مكنت من دق إسفين بين الإيمان بالواقع الجديد، الأخذ في التطور، وبين الشبهات والشكوك القديمة ذات الجذور الضاربة طويلاً وعرضاً، دقت إسفيناً بين المصالح الاقتصادية البراغماتية المشتركة، وبين النظريات التقليدية والدينية والتربوية. بيد أن أصعب الخصومات نشبت بين مؤيدي مسيرة السلام المعقولة، والمبالورة، وبين المعارضين الأيديولوجيين، بين

الشريكين اللذين قررا تقسيم الشراكة كهدف استراتيجي، وبين القوى التي قالت "كلها لي"، بين أولئك الذين ناقوا لرؤية أسوار الكراهية والحقد وهي تنهار، وبين أولئك الذين اعتبروها بمثابة دفاع عن القيم التقليدية.

ومن الجدير بالذكر، أنه ومنذ المصافحة التي جرت في واشنطن بين عرفات ورايين، ومصر والشرق الأوسط، لم يعد رهنا باتفاقيات أو سلو فقط، بل بالنزاع الذي أخذت بواذره تبدو في الأفق بين مؤيديها ومعارضيه.

بعد ثلاثة أشهر من مراسيم التوقيع، دعيت أنا وأبو علاء إلى أو سلو لتلقي شهادة تقدير من هيرالد ملك النرويج. وفي ظل هذا الوضع اجتمعت عائلتنا. فقد جاء أبو علاء وبصحبه زوجته، وابنته منى، وابنه علاء، وعروسة ابنهم دليلة، وحفيدتهم زينة. أما أنا فقد قدمت مع زوجتي عزيزة، وابنتي مايه، وصديقتها (أبيطلى).

وسرعان ما عثر الجيل الشاب على قواسم مشتركة، وعلى وجه الخصوص مايه ومنى، وقمنا بجولات في الثلج النرويجي، واستمعنا إلى الموسيقى الشرقية، وعندما قمنا بزيارة مكان لقائنا الأول، أدركت أن العدو رقم واحد، أصبح صديقا.

وعندما استقبلنا الملك وحدنا، قال له أبو علاء: "يا صاحب الجلالة، لقد جئنا هنا كوفد واحد، كي نشكركم على الدور الذي قامت به النرويج في محادثات السلام وعلى العمل الرائع الذي قام به لاريسون ومونه، وبصورة خاصة على الدور الذي قام به وزير الخارجية هولست".

الباب الثاني

تعارضات وتناقضات

الفصل الرابع

الفلسطينيون استقبلوا الاتفاقية بمزيج من الارتياح والشكوك القادمون من تونس شكلوا مصدر قلق لزعامة الداخل

بعد مائة سنة من الاقتتال الدموي الشرس وجد الفلسطينيون والإسرائيليون أنفسهم يسировون معا في مسيرة مصالحة طويلة، لقد تمسك ياسر عرفات طيلة ثلاثين عاما، بسياسة الإرهاب، ولا شرعية، وجود إسرائيل.

واتخذ إسحاق رابين وشمعون بيرس، اللذان شغلا منصب رئيس الحكومة ووزير الدفاع، إبان العمليات، التي نفذها الفلسطينيون، ردود فعل شديدة جدا، وحاربا الإنتفاضة بمنتهى الشدة والعنف.

وقد اعتاد كل من الطرفين على وصف الطرف الآخر بالبربرية، والتصقت هذه الأوصاف في ذهن الطرفين، ويصعب القول أن هناك عائلة فلسطينية أو يهودية، لم تصب بجرح من جروح الإقتتال الذي بدا أنه بلا نهاية، مما جعل الشعبين يحملان بصمات دامية على الصعيدين المادي والنفسي، والتي بقيت نازفة دائما.

وبصورة فجائية، طلع زعماء الشعبين على أبناء شعبيهما باتفاق يحول الشعبين المحاربين الى حليفين، يملؤهما الأمل بصورة لم تتح لأي منهما بالشعور أنه مهزوم، وهكذا، إمتزج الماضي والحاضر والمستقبل في خضم نظرية جديدة وأحاسيس جديدة.

لقد صفق الطرفان للاتفاق التاريخي، وكل طرف بدأ يتحدث عن الآمال التي انبعثت في قلوب أبناء شعبه على أرضية الاتفاق بيد أن أيا من الطرفين لم يبد تغييرا في أحاسيسه تجاه عدو الأمس، لقد أدت عملية المراوحة بين العادة المألوفة، منذ زمن طويل، وترقب حدوث التغير، خلق نوعا من أنواع الحركة

الذاتية، ذات الذبذبات العالية، والمراوحة بين العودة إلى ما هو معروف ومنتهج تارة، وتفجر المشاعر البناءة، تارة أخرى.

وفي أعقاب التوقيع على إعلان المبادئ، كان على الطرفين مواجهة جهات داخلية لم يتم إشراكها في المسيرة، والتي وجهت انتقادات شديدة إلى الاتفاقية، ووجد عرفات نفسه يواجه صعوبات لم يسبق له أن عرفها، في محاولته للحصول على موافقة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير على الاتفاقية، فقد عمد ستة أعضاء من بين أعضاء اللجنة الثمانية عشر، إلى الاستقالة، احتجاجاً على ما أسموه بالخنوع بيد أنه تمكن من تحييد المعارضة والتغلب عليها بالمناورات السياسية الذكية، التي انتهجها وعندما لم تكف هذه المناورة لتحقيق المطلوب، لم يتخرج عرفات في اللجوء إلى الضغوط التحذيرية والإشارة بحدة، إلى عدم وجود أي بديل آخر لزعامتة.

قام عرفات بعرض الاتفاق على زملائه، واصفاً إياها بصورة غير صحيحة- بأنها ضمانة لإقامة الدولة الفلسطينية، وفقاً لجدول زمني ثابت، وتجاهل عرفات التفاصيل طالما كان ذلك ممكناً، ولم يكن في عجلة من أمره بالشرع بمفاوضات حول تطبيق الاتفاقية.

عندما سمع بيرس كيف وصف عرفات اتفاقية إعلان المبادئ أمام وسائل الإعلام، عقب قائلاً: إن عرفات يتعامل مع الإعلان مثلما يتعامل غالبية المسافرين للاتفاقية المعقودة بينهم وبين شركة الطيران، والتي يتم صياغتها خلف تذكرة السفر، فقد قال عرفات: "الهدف المهم بالنسبة لي، وليس الأحرف الصغيرة".

في أعقاب التوقيع على الاتفاقية في واشنطن عمد عرفات إلى إبعاد كل من أبو مازن وأبو علاء عن مراكز اتخاذ القرار، حيث اعتقد أن الاثنين حظيا باهتمام دولي كبير جداً، وقد رد أبو مازن على ذلك، بالاعتكاف في بيته لأكثر من سنة، أما أبو علاء الذي كان مهتماً بتعزيز العلاقات بين منظمة التحرير والدول العربية المجاورة، فقد كرس جهده في مجال التوصل إلى اتفاق اقتصادي

مع الأردن ونجح في التوصل إلى وثيقة متفق عليها تضمن للأردن مكانة مفضلة في الاقتصاد الفلسطيني الآخذ في التطور، بما فيها اعتبار الدينار عملة قانونية إلى جانب الشيكال الإسرائيلي، بيد أن عرفات منعه من التوقيع على الاتفاقية رغم أنه طلب من فاروق القدومي - أحد معارضي اتفاقيات السلام، التوصل إلى اتفاق مماثل مع الأردن، فيما بعد.

استقبل الفلسطينيون الاتفاقية المبرمة مع إسرائيل، بمزيج من الارتياح والشكوك، فرغم أن الوثيقة تجعلهم يحظون، في نهاية المطاف، بحكم ذاتي، فقد كانوا يشكون في حدوث تغيير حقيقي لدى إسرائيل في أعقاب سنوات الاحتلال الست والعشرين. وقد قال معظم الفلسطينيين الذين أجريت معهم مقابلات بهذا الصدد: "أنهم يأملون بأن يطرأ تحسن على حياتهم". أي نفس الجملة الإسرائيلية المستخدمة، والتي تقول "إن شاء الله سيكون كل شيء على ما يرام".

ورغم ذلك تغيرت ألوان الشوارع الفلسطينية بصورة مفاجئة، وأخذت الأعلام الفلسطينية تبرز وتترفرف في كل مكان وشرفة وسطح. ولم تعد إسرائيل تتخذ سياسة غبية، وتأمّر جنودها بإزالة الأعلام، لقد تعلمنا بأسلوب صعب للغاية، استحالة هزيمة علم، وبدأت صورة عرفات تظهر في كل مكان، في المقاهي، وواجهات المحلات والشوارع.

وعندما بات من المتوقع أن يتحول الرمز الوطني إلى قائد على أرض الواقع، أصيبت عدة جهات فلسطينية بحالة فزع، خشية أن تقوم الزعامة القادمة من تونس، بإقصاء الزعامة المحلية، عن مراكز السلطة، ولا نفرد لها زاوية معقولة في قاعة الحكم.

أضف إلى ذلك، أن الطبقات المثقفة بدأت تلمح إلى ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لبناء (مجتمع مدني) في الضفة والقطاع لمواجهة متطلبات الحكم الذاتي.

وتوجه الدكتور حيدر عبد الشافي رئيس وفد المفاوضات في مدريد - إلى تونس في محاولة لأخذ تعهد من الزعامة الفلسطينية لانتهاج نظام التعدد

الحزبي، بيد أنه عاد من هناك خاوي الوفاض، فعرفات لم يكن يعترزم السماح بتشكيل قاعدة لقوة معارضة.

لقد بذل عرفات جهداً كبيراً لتحسين الاتفاق في أعين الجماهير الفلسطينية، أخذاً بعين الاعتبار، مزاج هذه الجماهير، وتحدث عن إعلان المبادئ بفخر، لوصفها الخطوة الأولى على صعيد الانتصار، وأكد أهميتها بالنسبة للفلسطينيين، فقال : "لقد وضعنا هذا الإعلان، على الخارطة السياسية والجغرافية. أدى التناقض القائم بين العداء العميق الذي يكنه الفلسطينيون لإسرائيل، والتوقيع على إتفاقية المبادئ إلى إحراج الفلسطينيين، وإبطاء استعداداتهم بشأن تنفيذ الإتفاقية.

تمكن الطاقم الإسرائيلي المشكل لخوض المفاوضات على الإعداد له، وقد عين رئيس الأركان أمنون شاحك رئيساً للطاقم، واللواء عوزي ديان رئيس شعبة التخطيط في هيئة الأركان، رئيساً للجنة القضايا الأمنية، وعين اللواء داني روتشيلد منسق الأعمال في المناطق، رئيساً للجان الشؤون المدنية، وعين يوآل زينجر، مشرفاً على الجانب القضائي في المباحثات.

وعلى عكس عرفات تماماً، لم يجد إسحق رابين أي صعوبة في الحصول على موافقة زملائه على إعلان المبادئ، وكانت الحكومة آنذاك مركبة من ممثلي العمل وميرتس فقط، مما جعلها أكثر حكومة تناسقاً في تاريخ إسرائيل، وقد استقبل أعضاء الائتلاف الحكومي إعلان المبادئ بحماس بالغ، واعتبروه بمثابة إنجاز تاريخي، وعليه فقد اتخذت، جميع القرارات في الفترة التي تلت اتفاقيات أوسلو، وفقاً لرأي شخصين فقط، هما رابين وبيرس، بل وقد ثم استبعاد يوسي بيلين من هذا الإطار، خصوصاً جراء مواصلة اعتبار نفسه، هو وهيرشفيلد وفوندك العراب الوحيد للمسيرة السلمية، وبالتالي لم يتم ضمه إلى الجهاز السياسي والأمني الذي بناه رابين وبيرس.

استقبلت الجماهير الإسرائيلية الإتفاقية، وفقاً لتقسيماتها السياسية والحزبية، وقد تحدث رابين عن الإتفاقية كتطور إيجابي، إجباري، سيؤدي إلى

تقريب إسرائيل من هدفها المبدئي، وهو الأمن بيد أنه تجاهل ضرورة المصالحة، وتحدث عن الاتفاق علناً، كوسيلة جديدة لإحراز أهداف أخلاقية، بينما لازالت بأيدينا وسائل أخرى لتحقيق هذه الأهداف.

وأضاف.. "إذا لم ينجح الفلسطينيون في اختبار تنفيذ ما يتوقع منهم، فإننا قادرون، وفي غضون برهة زمنية قصيرة جداً، في السيطرة على كل ما ينحرف عن الطريق المرسوم.. وإزاء عدو مر، فإن أفضل الطرق تتمثل في العثور على أسلوب للتفاهم".

في الوقت الذي كان فيه كل طرف، يناضل من أجل بلورة نقطة انطلاقه في المفاوضات بدت هناك ضرورة للعمل على بلورة إطار لتنفيذ المبادرة المشتركة. وفي السادس من تشرين الأول - أي بعد ثلاثة أسابيع من التوقيع على إتفاقية إعلان المبادئ في واشنطن، اجتمع رايبين وعرفات، في أول لقاء عمل بينهما في القاهرة.

كان اللقاء موضوعياً، وفي إطار موسع، من تلك الأطر الذي لا يسمح بأكثر من تبادل وجهات النظر العامة، وليس إجراء حوار منطقي. وقد برز في الوفد الفلسطيني ثلاث شخصيات محلية هم : فيصل الحسيني، وحنان عشراوي، وزيد أبو زيد، وهو من القدس، ومعروف بعلاقاته مع اليسار الإسرائيلي. أما الوفد الإسرائيلي فقد شمل مساعدي رايبين الثلاثة المقربين : رئيس مكتبة ايتان هابر، ومدير مكتب رئيس الحكومة شمعون شيبس، والمستشار السياسي جاك نيريا.

وتمثل الإنجاز الرئيسي لهذا اللقاء في خلق إطار لإجراء المفاوضات حول الماهية الدقيقة للحكم الذاتي في غزة وأريحا، وهو الإجراء الذي كان يجب أن يخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي في طابا.

رغب الفلسطينيون في أن تستضيف مصر هذه المحادثات، نظراً لأن الرئيس المصري، حسني مبارك كان بين المؤيدين المتحمسين لقضيتهم أضف إلى ذلك، أن إجراء المحادثات في طابا، كان ذا مغزى رمزي بالنسبة لهم، حيث

أنها قطعة من شبه جزيرة سيناء، التي عادت إلى المصريين إثر التحكيم الدولي بينها وبين إسرائيل عام ١٩٨٦، هذا في حين اختارت إسرائيل طابا لقربها المكاني المريح ، ونظرا لإمكانية عودة المفاوضين الإسرائيليين يوميا إلى إسرائيل وإجراء النقاشات اللازمة دون خشية التتصت عليهم، أما المفاوضات حول الوضع الاقتصادي، فقد تم الاتفاق على عقدها في أوروبا (باريس) بإشراف وزير المالية أبراهام شوحط وأبو علاء.

وفي أعقاب الاتفاق على هذه الأمور، ألقى رابين محاضرة على عرفات، حول الأمن الذي تتطلع إليه إسرائيل كاختبار حقيقي يجب على الفلسطينيين أن ينجحوا في اجتيازه، في حين طرح عرفات أمام رابين عدة قضايا، مثل إطلاق سراح المعتقلين الأمنيين، بيد أن رابين، رفض هذا المطلب، وقال : 'يجب مناقشة جميع الأمور في الأطر المخصصة لها'. بيد أنه استجاب لمطلب رمزي لعرفات ينص على عدم نقل الفلسطينيين في غزة، بعد ذلك، إلى إسرائيل.

وفي الثالث عشر من تشرين الأول عقدت في القاهرة أول جلسة مراسيم خاصة للجنة الارتباط المشتركة العليا بحضور أبو مازن وبيرس وفي نفس الوقت، بدأت الحوارات في طابا حول غزة وأريحا، وقد ترأس الوفدين الفلسطيني والإسرائيلي، المفاوضات نبيل شعث وأمنون شاحك، ورغم أن شاحك كان شديد الحرص جدا على مصالح إسرائيل، إلا أنه سرعان ما اكتسب ثقة وتقدير الفلسطينيين، ربما أكثر من أي ممثل إسرائيلي آخر، جراء إنسانيته وقدرته على التعامل مع مطالبهم وأحاسيسهم دون تكوين رأي مسبق أو عجرفة.

أما شعث الذي أسر وسائل الإعلام بالإنجليزية القوية، فقد اتضح أنه نوع من أنواع (أبا اييان) فلسطيني، وسرعان ما تمكن من كسب تقدير محاوريه، بسبب مبرراته القوية وتفهمه الدقيق للمجتمع الإسرائيلي، أكثر بسبب قدرته وحنكته في المفاوضات.

وفي أعقاب الخطابات الافتتاحية، توجه رئيس الوفدين في جولة على طول ساحل البحر الأحمر.

بيد أن شهر العسل في طابا، كان قصيراً جداً، فقد أدى طرح المواقف الافتتاحية للوفدين، إلى إدراكهما البون الشاسع القائم بين وجهتي نظرهما حول إعلان المبادئ.

فقد أكدت القراءة الإسرائيلية لإعلان المبادئ على الصلاحيات العسكرية والمدنية التي ستبقيها إسرائيل في قبضتها في أعقاب انسحاب الجيش الإسرائيلي من غزة وأريحا، وقد فهم من ذلك أن إسرائيل "مصدر الصلاحيات الرسمي"، ستمنح للفلسطينيين صلاحيات محدودة، والأهم من ذلك أنها ستسيطر بصورة مباشرة، على معابر الحدود بين غزة وإسرائيل ومصر، بما فيها حقها في اتخاذ قرار حول من الذي تسمح له بدخول غزة أو الخروج منها.

واعتزمت إسرائيل، أيضاً، مواصلة السيطرة المباشرة على ثلاث قطاعات من قطاع غزة والتي تتضمن المستوطنات وأراضيها الزراعية، والطرق المؤدية إليها، والمسارات الأساسية المؤثرة على أمنها.

أما الفلسطينيون، فقد طالبوا بالعكس تماماً، حيث طالبوا بالانسحاب التام من غزة وأريحا، وتسليم السيطرة على المعابر الحدودية إليهم، وترتيب دوريات مشتركة بينهم وبين الجيش الإسرائيلي على طول الخطوط الحدودية الدولية ذات الصلة بهم. وتلبية مطالب الفلسطينيين، كانت المستوطنات ستحظى بالحماية، فقط من داخلها، وطالبوه بعدم الانتقاص من الحقوق الفلسطينية بدعوى أمن المستوطنات.

وطالب الفلسطينيون أن يتم تسليمهم الصلاحيات المدنية بالجملة وليس بالقطاعي، ونظرا لأن مطالبهم كانت انعكاساً إستراتيجياً لهدفهم الأساسي، من المسيرة السلمية، فقد جاء في إحدى الوثائق التي قدموها في طابا : "هدفنا يتمثل في إقامة دولة فلسطينية داخل حدود ١٩٦٧".

كانت تلك المواقف الافتتاحية، والتي أعيد طرحها في المحادثات التي جرت بعد ذلك، ولم يجد زينجر صعوبة في تقديم أساس قضائي للموقف الإسرائيلي، بيد أنه قال في التقرير الذي قدمه لي ولبيرس فيما بعد : أنه يعتقد أن فرص التقدم في طابا ضئيلة، وقال : إن ما جرى هناك لم يكن مفاوضات، بل استعراضات كلامية لا نهاية لها، ونشتمل على منح تصريحات لوسائل الإعلام الإسرائيلية، وفي عقد المؤتمرات الصحفية.

بقيت المواقف التي يتخذها، الطرفان كما هي عليه، بيد أن الفوارق بينها أخذت تنقلص رويداً رويداً، لصالح الجانب الأقوى، وقد تمكن الجيش الإسرائيلي عبر الحرص على أولوية الوضع الأمني، من إملاء الموقف الإسرائيلي، وهكذا حدث أن المسيرة السلمية ومن أساسها فرضت لسد احتياجات أمنية قصيرة المدى، وليس أدل على ذلك من النقاش الإسرائيلي الداخلي الذي عقد في تل أبيب في تلك الآونة حول مطلب الفلسطينيين الخاص بإقامة محطة تلفزيون وراديو رسمية، وقد كان ثمانية من العشرة الذين شاركوا في النقاش من كبار الشخصيات في الجيش وجهاز الأمن العام، وقد تمحور النقاش، بغالبية العظمى، حول الجانب الأمني وإمكانية استخدام الشبكتين للتحريض ضد إسرائيل - وليس بالجدوى السياسية التي سيجنيها الحكم الذاتي الفلسطيني الجديد، واحتمال التعاون مع إسرائيل.

شعر مسئولو وزارة الخارجية، الذين أصبحوا لأول مرة، خارج التأثير السياسي بصورة مؤقتة - بالقلق الشديد جراء تصعيد الدور العسكري، بيد أنهم امتنعوا عن الإعراب عن هذه المخاوف علناً وقد بعث بيرس إلى رابين تقريراً وضعته شعبة التخطيط السياسي في الوزارة وأشار فيه إلى نقاط الضعف في التوجه نحو المفاوضات، وقد كتب (هاري مارني طل) رئيس الشعبة يقول : إن الفلسطينيين يتمتعون بالمسيرة التي يمنحها لهم هدف إستراتيجي واضح، أضف إلى ذلك، أن الإتمام الإسرائيلي في المفاوضات ينصب على معالجة قضايا يومية.

وأضاف .. إن النهج الإسرائيلي يعمل حقا على الحد من الحركة الفلسطينية بيد أنه يسهم أيضا في إلحاق الأضرار بالمصالح الإسرائيلية التي تقضي بتطوير علاقات مع الفلسطينيين ولا شك أن هذا النموذج من التعامل هو دلالة على العداء ولا شك أنه كان محققا في ذلك.

لقد أسفرت محادثات طابا عن مفارقة تفاقمت بمرور الزمن، حتى أصبحت مثيرة للقلق.

ومن الجدير بالذكر، أن إسرائيل، وفي إطار محاولاتها لتقاسم الصلاحيات مع الفلسطينيين، حاولت أن تفرض عليهم نظرية أمنية تنص على أن تبقى إسرائيل بيدها وتحت سيطرتها كل شيء كانت إسرائيل تعزوه له أهمية، في الوقت الذي رغب الفلسطينيون فيه بتحقيق المستحيل، والمتمثل في الانفصال الكامل عن إسرائيل ودون أن يأخذوا بعين الاعتبار المصالح الإسرائيلية الحيوية جداً، مثل النضال ضد معارضي المسيرة السلمية والذين يلجأون إلى العنف، كي يصبح هذا النضال صورة من صور الإستراتيجية المشتركة.

وهكذا وعلى عكس الأسس الموجهة التي تم انتهاجها في أوصلو، فقد حاول كل طرف من الطرفين استخلاص أقصى ما يستطيع استخلاصه من الطرف الآخر بدلا من استغلال المزايا الناجمة عن الشراكة.

وبرزت خلافات عميقة أيضا في الحوار والمفاوضات الاقتصادية الجارية في باريس، فقد وضع وزير المالية أبراهام شوحط نصب عينيه، حقا، العمل من أجل الشراكة الاقتصادية التي ينص عليها إعلان المبادئ، بيد أنه حرص على أن يستفيد الاقتصاد الإسرائيلي أكثر.

وهكذا اقترح شوحط أن تبقى مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني كوحدة جمركية واحدة وحيدة مع إسرائيل، وأن يتم تحديد التجارة التي يقوم بها هذا الحكم مع الدول العربية بقائمة منتجات محددة سابقة، وأن تصبح المعايير والنوعية للمنتجات الزراعية والبيئية في الحكم الذاتي، متناغمة مع ما هو مقبول لدى إسرائيل.

بيد أن شوحط كان يريد أن يوضح للفلسطينيين أن تحركات المواطنين الفلسطينيين، وبضائعهم ستكون خاضعة للتقديرات الأمنية الإسرائيلية. أي أن الفلسطينيين وتحركاتهم وتحركات بضائعهم، ستكون متعلقة تماما بالاقتصاد وبالأمن الإسرائيلي، أو أكثر دقة للإحساس الإسرائيلي بالأمن.

بيد أن الفلسطينيين كانوا يتطلعون إلى حرية تجارة أوسع مع الأردن ومصر، وإلى شروط جمركية وضريبة قيمة مضافة، أقل من جارتها ذات القوة الاقتصادية الكبيرة، وكانوا يولون أهمية أكبر لحرية حركة عمالهم وبضائعهم من الحكم الذاتي إلى إسرائيل والعكس.

إن الشخصية الوحيدة الذي حذر من مغبة التأثير السلبي للسياسات الإسرائيلية، كان ممثل وزارة الخارجية في المحادثات الاقتصادية عوديد عيران (سفير إسرائيل في الأردن حاليا) وعيران صاحب التفكير والشخصية المستقلة والذي كان على صلة بالمفاوضات، أكثر من أي شخصية إسرائيلية باستثنائي أنا وزينجر - طالب وبحق وإن لم يحرز نجاحا على هذا الصعيد - منح الفلسطينيين قدرا كبيرا من الحرية والاستقلال الاقتصادي.

وعندما قابلت أبو علاء في باريس، خلال فترة المحادثات السياسية، قال لي : أن شوحط ترك لديه انطبعا، بأنه رجل يقف على أرض الواقع بثبات، وأن بالإمكان بناء علاقات ثقة معه، وتحدث عن الجهود التي بذلها بغية لتحسين شروط الإتفاقية الاقتصادية بصورة تتيح للاقتصاد الفلسطيني الفرصة لتبيل فرصة حقيقية لرفع رأسه، بيد أنه كان واقعا جدا، فيما يتعلق بفرص تعزيز قوة هذا الاقتصاد دون أن تكون إسرائيل - كشريك قوي - كريمة وذكية، بما يكفل لها تقدير المزايا الكامنة في منح الاقتصاد الفلسطيني إمكانية النمو.

وأضاف أبو علاء قائلا تذكر أن الأمن لن يتحقق دون تطور ونمو إقتصادي، يجب علينا أن نسير قدما بوتيرة أسرع. ولاشك أن شاحك هو شخصية ممتازة، وسيتوصل إلى إتفاق مع شعث، بيد أنه يتوجب علينا أن نفكر، بما بعد إتفاقية غزة وأريحا.

قلت له متذمرا : 'جماعتكم لا يسارعون في ترتيب أمورهم'. فقال :
"زعامتنا موجودة الآن في الخارج، فأبو مازن في دول الخليج وعرفات في
أوروبا، وهم يستقبلون هناك بصورة جيدة، ويحاولون الحصول على أكبر دعم
ومساعدات للسلطة الفلسطينية، بيد أن المسألة المهمة، هي السير قدما"، لذا، فإنني
أقترح أن نشرع إلى جانب كل هذا بمحادثات سرية، لوضع أسس التسوية
المرحلية، التي تعتبر، في حقيقة الأمر، المسألة المهمة. إن الآخرين يرون
الأشجار، بيد أنهم لا يرون الغابة : الشراكة التي اتفقنا حولها في أوسلو، وإنني
أعتقد أن حسن عصفور وزينجر، هما الوحيدان اللذان يدركان الوضع".

وعدت أبو علاء بمناقشة بيرس حول إمكانية إجراء محادثات سرية
موازية للمحادثات الجارية، بيد أنني ذكرت أبو علاء، بأن القضية المهمة تتمثل
في التوصل إلى إتفاق حول غزة وأريحا، وإحداث تغيير حاسم على أرض الواقع،
فوافق على ما قلته، وقال لي : لقد وافق الطرفان على التوصل إلى إتفاق حتى
الثالث عشر من كانون الأول.

وقلت له : إنكم تضيعون الوقت سدى، على التفاصيل، فما الذي فعلتموه
حتى الآن، على صعيد إعداد المجتمع الفلسطيني لاستقبال الحكم الذاتي، عبر بناء
مؤسسات هذا الحكم، إن هذه الخطوة هي أهم من إثارة الجدل معنا.

فقال أبو علاء : "أنا أوافقك الرأي، لكنني وحدي".

ضحكنا، نحن الاثنين، واتفقنا على الحفاظ على اتصال هاتفي أفضل،
ولم يكن أي منا يعتقد أن الظروف ستجعلنا نتقابل أكثر.

إضافة إلى العلاقة الخاصة التي تطورت بيني وبين أبو علاء في
أوسلو، فقد تطور تفاهم مفاجئ بين شخصيات أمنية إسرائيلية رفيعة والشخصيات
الفلسطينية، التي كانت تجري معها لقاءات سرية في جنيف، وقد كشف أمنون
شاحك لي هذه الحقيقة عندما توجهت أنا وهو إلى القاهرة منتصف كانون الأول.

ففي غضون الأسابيع التي سبقت هذه المرحلة إلى القاهرة، اجتمع هو ويعقوب بيرري رئيس جهاز الأمن العام، مع محمد دحلان وجبريل الرجوب والذين تم اختيارهما لترؤس جهاز الأمن الوقائي في غزة والضفة الغربية. كان الإسرائيليان ضابطين رفيعين، بتجربة واسعة، في حين كان الفلسطينيان مقاتلي شوارع سبق لهما أن حاربا، حسب وسائلهما الخاصة، ضد "جيش الاحتلال" الإسرائيلي، مما جعلهما يقضيان فترة طويلة جدا من حياتهما في المعتقلات الإسرائيلية.

وقد حكم على دحلان بالسجن لمدة خمس سنوات، وفي أعقاب خروجه من السجن، توجه إلى تونس، وعمل رئيساً لإحدى وحدات الحماية للرئيس الفلسطيني وتأسيسا على هذا الوضع، أصبح مقربا لعرفات، وتمكن من بناء قوة مركبة، بصورة رئيسية من الأشخاص المبعدين عن المناطق.

ويقول شاحك : إن الشيء المميز في جبريل الرجوب، هو صوته العميق والغامض الذي يشبه مارلين براندو، في فيلم "العراق".

كان الرجوب ودحلان يتحدثان اللغة العبرية بطلاقة ولكنة إسرائيلية، ويعرفان جميع مناحي المجتمع الإسرائيلي، بدءا من السياسة وحتى كرة القدم. فقد عمل الإثنان - الرجوب كان محكوما لمدة خمس عشرة سنة - تعلم ودرس كل شيء حول العدو الصهيوني. وقد أعجب الرجوب بشكل خاص بكتاب مناحيم بيغن "التمرد"، وأكثر من القول أن بيغن جعل من هذا الكتاب، نموذجا لنضاله الصلب، والذي لا يعرف الكل ضد الاحتلال.

كان هؤلاء الأربعة يناقشون كيفية عمل قوات الأمن الفلسطينية في الضفة وغزة، وكيفية تنسيق الجهود المشتركة لكسر حدة الإرهاب ومقاومته. وربما أفضل النتائج التي أسفرت عنها هذه المحادثات هو تطوير لغة مشتركة بينهم، لقد كانوا أعداء الأمت من نوع غريب. كانوا مضطهدين (بكسر الدال) ومضطهدين (بفتح الدال) في عين أحد الأطراف، فيما كانوا إرهابيين وجنودا في عين الطرف الآخر، بيد أن الفلسطينيين كانوا قادرين على كبح جماح غضبهم،

في حين لم يبد الإسرائيليون أي دلالة من دلالات التعاضد، وشاعت المفارقات العجيبة أن يشعر الفلسطينيون بالثقة في إمكانية التأثير على أبناء شعبهم، تأثيراً واسعاً، في حين قصر الإسرائيليون أمورهم على القضايا الأمنية. وعلى أية حال، فإن سيطرتهم المشتركة على لغة القوة الممزوجة بالأحاسيس الإنسانية، هي التي أكسبت العلاقات بينهم تلك الصفات المميزة، ومنحتهم القدرة والكفاءة اللزمتين في اللحظات الحرجة من المسيرة. كانت العلاقات بينهم حقاً مميزة، بيد أن الصورة الأوسع لمفاوضات غزة أريحا كانت تغص بالتناقضات بين الالتزام بالشراكة الجديدة وبين الذهنية التي كانت قائمة لمعادلة نتيجتها صفر.

مثلما هي العادة، في المواقف الافتتاحية، فقد آلت محادثات طابا بسرعة إلى طريق مسدود، وقد بذل زينجر قصارى جهده، من أجل إقناع الطرفين وحثهما على التوقف عن توجيه الاتهامات، والاتهامات المضادة، والانتقال إلى مرحلة إعداد الوثائق كأساس لإعداد المسودات المشتركة، بيد أن الخلافات، كانت واسعة جداً، وبلغت درجة احتاجت فيها إلى تدخل الزعامة العليا لتحريك المسيرة. اجتمع بيرس وعرفات في الحادي عشر من كانون الأول على هامش، اجتماعات لجنة اليونسكو للعلاقات الثقافية، والتي عقدت في إسبانيا.

وبعد يومين - أي في الثالث عشر من كانون الأول، وهو التاريخ الذي تم تجديده في إعلان المبادئ لاستكمال اتفاقية غزة - أريحا عقد اجتماع رسمي في القاهرة، بمشاركة رابين وعرفات لم تكن هذه اللقاءات لطيفة، بيد أنها كانت ضرورية.

حاول بيرس في إسبانيا، أن يوضح لعرفات إصرار إسرائيل على القضايا الأمنية، وبشكل خاص في كل ما يتعلق بالأمن الخارجي، والمعايير الحدودية، وقال : "سيدي الرئيس، سأطرح أمامك الحقيقة بصورة مباشرة ودون أي زخارف، أنا ورايين ندرك الصعوبات التي تواجهها، ونحن معنيان بنجاحك، بيد أنه يتوجب عليك أن تدرك أي محاولة عنف تقوم بها حماس، ستواجهه برد

فعل شديد من جانبنا ولن نتهاون في المفاوضات حول المعابر الحدودية على نهر الأردن والحدود المصرية، ونحن نخشى من عمليات تهريب السلاح، فعشرة مسدسات قادرة على إسقاط العديد من الضحايا، وهذه المسألة من وجهة نظرنا، هي مسألة حيوية لأمننا".

وقد فسر عرفات هذه اللهجة على أنها تعني حصار الفلسطينيين من جميع الجهات ووضعهم في قفص، قال : لست على استعداد للنضال من أجل بننتستان - وهي دولة تابعة وكانت محاطة بجنوب أفريقيا في عهد حكومة التمييز العنصري- من فضلكم، فتشوا عن صيغة أخرى، ألا تعتمدون على؟؟ وبيرس : "لا نعتمد على حماس".

عرفات : "وأنا أخذ بعين الاعتبار المعارضة تقف أمامي، والانتقادات التي يوجهها زملائي فأنا لا أستطيع الموافقة على ما تقول- هذه مسألة كرامة- ونحن لن نسمح بوقوع عمليات أمنية ونستخدم القبضة الحديدية بهذا الصدد، أكثر مما كنتم تفعلون، وبمقدورنا تنسيق نشاطاتنا مع نشاطاتكم".

بيد أن بيرس، قال بلهجة أكثر حدة : "لا نستطيع أن نتهاون أو نتوصل إلى تسوية بهذا الصدد".

عرفات : "أنتم حقا الأقوى، لكن لا تدفعوني إلى الزاوية، إنني أقف وظهري إلى الحائط ولا أستطيع أن أقول للفلسطينيين أنكم ستسيطرون على جميع نقاط الدخول الحدودية بالاتجاهين".

بيرس : "اتفاقية التسوية المرحلية تبقي الأمن الخارجي في قبضة إسرائيل".

عرفات : "لكنني لا أحكم اليوم بناءً على حصولي على أغلبية الأصوات في الانتخابات، بل بناءً على تخويلي الشخصي".

بيرس : "ولدينا مصلحة واضحة في الحفاظ على هذا التحويل، وسنعمل الكثير من أجله".

عرفات : "لكنكم تعرضون علي وضعاً مماثلاً لبننتستان فكيف يمكنني العمل في ظل وضع كهذا".

بيرس : نحن نتحدث عن بداية مسيرة، وعن التسوية المرحلية، وبمقدورك أن توضح ذلك للفلسطينيين".

إن النقاط آنفة الذكر، والتي أكدها بيرس خلال لقائه، والتي أصبحت عليها إسرائيل : الإصرار على السيطرة على حدود الحكم الذاتي، والتأكيد على أن إسرائيل ستدعم عرفات، والإشارة إلى أن هذه هي شروط التسوية المرحلية، طرحت، المرة تلو الأخرى، خلال المفاوضات وفي نهاية المطاف، انتصرت نظرية الأمن التي طرحناها.

إن السؤال الذي طرح نفسه هو : ترى هل كانت الاستجابة لمطالب عرفات القائلة بتعزيز صلاحياته ومسئوليته ستؤدي إلى تحسين أمن إسرائيل؟ اعتقد أننا لن نتمكن من الرد على هذا السؤال أبداً. لقد تم التأكيد على نفس هذه القضايا خلال الاجتماع الذي عقده رابين وعرفات في القاهرة بعد يومين، ففي أعقاب المحادثات التي أجريها مع الرئيس المصري حسني مبارك، بقي الاثنان وحدهما لأول مرة وقد استغرق حوارهما ثلاث ساعات، فيما كان الرئيس مبارك ينتظر خارج الغرفة.

وفي الوقت الذي قال فيه الرئيس مبارك لأبو علاء "الآن سنرى من منهما الأقوى"، بدا رابين في الناحية الأخرى من الباب مذهولاً لتفسير عرفات لإعلان المبادئ، وخصوصاً للمبادئ المتعلقة بالأمن الخارجي.

وكما يبدو، فإن عرفات شعر إثر لقائه مع بيرس، والجلسة التحضيرية التي أجراها مع المستشار السياسي لرئيس الحكومة جاك نيريا، أن هناك ضرورة لاتخاذ موقف متشدد تجاه رابين نفسه ولهذا السبب قال لرابين : إن العلاقات بين الفلسطينيين ومصر والأردن بما فيها الوضع الحدودي مع الدولتين ليست من شئون إسرائيل.

وأضاف .. من حقكم الدفاع عن أنفسكم ضد الأخطار الإستراتيجية، بيد أن السيطرة على الحدود، ونقاط الدخول والخروج هي قضية فلسطينية بحتة، وكما يبدو فإن هذا كان فهمه لإعلان المبادئ.

وقد عمد رابين- الذي أدرك بأنه لا توجد لدى عرفات أي مفاهيم حول معنى الأمن الخارجي بالنسبة لإسرائيل، إلى توضيح معنى هذا المصطلح، بالنسبة لإسرائيل، والذي تضمن ضرورة وضع المعابر الحدودية في قبضة إسرائيل. ومن الجدير بالذكر، إن وضع المعابر الحدودية تحت سيطرة إسرائيل

كانت له أهمية بالغة جدا على الصعيد الإسرائيلي من ناحيتين :

* إن كل من يدخل إلى الضفة الغربية أو غزة من الأردن أو مصر، يدخل أيضا إلى الأراضي الإسرائيلية، نظرا لعدم وجود حدود بين إسرائيل والضفة وغزة، أو بمعنى آخر، فإن تسليم المعابر الحدودية إلى ياسر عرفات سيحرم إسرائيل من حقها في اتخاذ قرار حول من الذي يدخل أو لا يدخل إلى أراضيها.

* ثانيا : إن الحكم الذاتي كان سيحظى بشرطة قوية "من أجل" ضمان النظام العام والأمن الداخلي، أي أن هذه القوة هي أقل كثيرا من جيش قادر على الدفاع عن الحدود، وبالتالي فإن المنطق ينص على أن تتولى إسرائيل مهمة الدفاع عن الحدود والمعابر الحدودية ضد أي تهديد مسلح.

ولا شك أنه لو أصبر عرفات على موقفه لكانت المسيرة قد آلت إلى الموت المحتوم، بيد أن رابين كان مصرا على ألا يسمح للأمور للوصول إلى هذا الحد، ولهذا السبب، تم إعلام وسائل الإعلام أن الزعيمين لم يتوصلا إلى إتفاق لكسر الجمود، لكنهما سيواصلان الحوار بعد عشرة أيام.

عاد رابين إلى إسرائيل ونفسه تمتلئ بالشكوك، جراء تفسير عرفات لإعلان المبادئ، ولم يكن يرغب في العودة للجدال مع عرفات حول هذه النقطة، لذا فضل عقد جلسة للجنة الارتباط العليا برئاسة بيرس من الجانب الإسرائيلي، من أجل توضيح الخلاف، وهكذا، فإن إعادة بيرس إلى الصورة كان يعني أن مسار أوصلو على وشك العودة إلى الحياة مجددا.

اجتمع بعض "منتدى أوصلو"، في تلك الأونة في فندق انتركونتيننتال في باريس، وقد استهللنا الاجتماع بتناول طعام العشاء في منزل لاريسون، وقد قدم أبو علاء وبصحبته ابنه عامر وجئت أنا وبصحبتي زينجر من إسرائيل مباشرة،

وتم توجية دعوة إلى الصحفية البريطانية جين كوربين التي استكملت لتوها كتابا حول مفاوضات أوسلو للانضمام إلينا.

وتطرقنا خلال الاجتماع، إلى ذكريات من أيام مفاوضات أوسلو، وأعربنا عن تدمرنا من المفاوضات الحالية، لقد انقلبت الأمور رأسا على عقب منذ ذلك الحين، وبقينا نحن خارج الصورة مع قدر ليس قليلا من الإحساس بالإحباط.

كان أبو علاء مشاركا في المفاوضات الاقتصادية، وأبو عامر متذكرا من عدم رؤيته لأبيه فقال : "أنا أفنقر إلى الأب، وأفنقر إلى المال وأفنقر إلى الوطن".

وفجأة، دق جرس الهاتف، وكانت تلك (مونه) زوجة لاريسون- والتي قالت : إن الجهود التي بذلها النرويجيون أسفرت عن اتخاذ قرار بعقد جلسة للجنة الارتباط العليا المشتركة برئاسة بيرس وأبو مازن، وأن اللقاء سيعقد في غضون ثمان وأربعين ساعة في أوسلو، لذا علينا أن نفتش عن أبو مازن.

نهض أبو علاء، وحاول الاتصال بأبو مازن في تونس، كنت قد عرفت مصادفة أن أبو مازن في المغرب ويحل ضيفا على صديقي، رجل البنوك اليهودي المغربي المعروف أندريه أزولاي، وأحد أخلص مستشاري الملك المغربي الحسن، والذي كان من أصدقاء أبو مازن وبعد عدة محاولات ينس أبو علاء في العثور على أبو مازن في تونس فنهضت أنا وقلت له : دعني أعثر عليه أنا، وبعد عدة دقائق كان أبو مازن على الناحية الأخرى من الخط في فندق "هيات" في الرباط. وبدا من التعابير التي إنعكست على وجه أبو علاء أن تقديره للمخابرات الإسرائيلية، قد ازداد إلى حد كبير جداً ولم أوضح له أن عامل الصدفة الذي جعلني أعرف مكان أبو مازن.

تناول لاريسون السماعه مني وطلب من أبو مازن أن يطير إلى أوسلو حالا، بيد أن أبو مازن رد عليه بالرفض التام، تناول أبو علاء السماعه وتحديث

مع أبو مازن بصوت غاضب، بيد أن جميع الجهود التي بذلها ذهبت أدراج
الريلج.



٤- عيد ميلاد أمنون شاحك، مع أوري سبير، ويوثيل زينجر، وجاك نيرييه
١٩٩٤/٣/١٨.

بيرس يقترح على الفلسطينيين صفقة "الأمن مقابل التاريخ" عرفات كاد ينسف اتفاق القاهرة. ومبارك انقذ الموقف

لقد كان أبو مازن مصراً، في تلك الآونة، على عدم تقديم أي مساعدة أو أي خطوة على صعيد المسيرة السلمية، والذي لم يعد اتجاهه يروق له. عدا عن أن علاقاته مع عرفات، لم تكن، آنذاك، على ما يرام.

عدنا إلى مائدة الطعام لمناقشة الطرق التي تسهل العودة إلى المفاوضات، بانتظار أن تتصل بنا (مونه) لإعلامنا بالتطورات. ولم نكن نعلم أن هولست، في تلك الساعات بالضبط، أصيب بسكتة دماغية في مدريد، ونقل بالطائرة إلى أوسلو.

استهل أبو علاء الحديث بالقول: "يجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نفصل القضايا الأساسية: المعابر، وحجم مساحة أريحا، ونقل الصلاحيات". وعقبت أنا قائلاً: "أقترح أن يتم ترجمة وثيقة إعلان المبادئ إلى اللغة العربية، لأنني أعتقد أن قسماً من رجالكم لم يقرأها.

فرد علي قائلاً: ومن الجائز أن يكون رجالكم أيضاً قد ترجموه إلى اللغة العبرية بتصرف إلى حد ما". هبط وفدنا في الليلة التالية، في مطار عسكري بالقرب من أوسلو، ونقل إلى بيت الضيافة (ساريسبيرج) والذي أجرينا فيه بعض المفاوضات السرية في صيف ١٩٩٣. وقد توارد عشرات الصحفيين إلى المكان على أمل أن يتم تسريب شيء ما، بيد أن مجيئهم كان عبثاً، فقد عدنا إلى المفاوضات السرية.

شارك في هذه المحادثات بيرس، ووزير البيئة يوسي سريد وأمنون شاحك ويوآل زينجر وأنا. أما الوفد الفلسطيني، فقد ترأسه ياسر عبد ربه، وشمل نبيل شعث وأبو علاء وحسن عصفور.

أما القضايا التي تم تناولها، خلال الاجتماع، فتمثلت في الأمن الإسرائيلي الخارجي، بما فيه المعابر الحدودية. ومساحة منطقة أريحا،

والترتيبات الأمنية للمستوطنات، وعملنا بصورة رئيسية على ترجمة الخلافات في وجهات النظر بيننا حول البدائل، بغية العثور على أسس للتسوية. بدا بيرس، غاضبا جدا، جراء مطالبته بالمشاركة في هذا اللقاء الخاص، وقد عكس غضبه برفض التحفظات الفلسطينية ووصفها بالصغائر، والتأكيد على أن النظرية الإسرائيلية الأمنية، لا تشوبها شائبة. لقد جاء إلى أوسلو لسبب بسيط للغاية، فقد أراد أن يقترح على الفلسطينيين صفقة تنص على: "الامن مقابل التاريخ".

وعندما أصبحنا في النزويج، أملت أن نعود إلى المسار الصحيح. كانت الجلسة مصبوغة بروحية أوسلو. بيد أن الخلافات العميقة بقيت على ما هي عليه، فالفلسطينيون لم يكونوا على استعداد لإحداث تغيير، ولو قيد أنملة، في مواقفهم بشأن المعابر الحدودية رغم أنهم كانوا على استعداد لمناقشة احتمال السيطرة المشتركة عليها. أما بالنسبة لمساحة أريحا، فقد واصلوا المطالبة بمساحة من الأرض تعادل عشرة أضعاف ما تبدي إسرائيل استعدادا لمنحه. أما إسرائيل، وفي إطار الإصرار على نظرية الدفاع الإقليمية، فقد طالبت بالسيطرة على ما نسبته ١٥% من مساحة قطاع غزة بغية التمكن من الدفاع عن المستوطنين الباقين في منطقة يقطنها مليون فلسطيني.

حاول بيرس إقناع الفلسطينيين بأنه لن يكون هناك أي طعم أو جدوى لمعارضتهم الدائمة لكل حاجة من احتياجات إسرائيل الأمنية.

وقد حاول رجل اليسار-سريد تأييد وجهة نظر بيرس، بكل قوته. أما شاحك، فقد حافظ على أعصابه ورباطة جأشه طيلة النقاش، تاركاً حسم الأمر للسياسيين، خصوصا وأنه كان يدرك أن بيرس لم يوافق على جميع مطالب الجيش، فيما يتعلق بالتسوية مع الفلسطينيين، واعتبر أنها مبالغ فيها، رغم أنه لم يستخف بها أبدا.

ورغم أن لجنة الارتباط لم تتمكن من تسوية الخلافات في أوسلو، إلا أنها عادت والتقت أربع مرات في باريس والقاهرة، ودافوس، ومرة أخرى في القاهرة.

وقد جاء لقائنا التالي، في السادس عشر من كانون الأول، في فندق في (فرساي). وقد قبل الفلسطينيون، خلال هذه اللقاءات، اقتراح بيرس القائل بتقسيم المعابر الدولية إلى جناحين الأول: يخصص لجميع القادمين إلى إسرائيل والضفة الغربية باستثناء أريحا- ويجب أن يوضع هذا الجناح تحت المسؤولية الإسرائيلية الكاملة، والثاني مخصص للقادمين إلى السلطة الفلسطينية-غزة وأريحا- والذي سيوضع تحت إشراف مشترك من رجال الجيش الإسرائيلي والمدنيين الفلسطينيين.

وفي اجتماعات باريس، بدأت العلاقات بين الطرفين تصبح أقل رسمية مما كانت عليه. وفي إحدى الجلسات سأل بيرس أعضاء الوفدين: فيما إذا كان الرئيس السوري حافظ الأسد، سيصنع السلام حقاً أم لا؟ وقد أعرب غالبية الفلسطينيين عن شكهم في ذلك ولربما جاء ذلك تعبيراً عن مصلحتهم أو نجم عن الشعور بالعداء تجاه الرئيس السوري- وأكدوا أن الرئيس الأسد، سيحاول كسب الوقت بعدم إبداء المرونة اللازمة. أما عبد ربه، الذي كان يعرف النظام السوري، أكثر من أي جهة أخرى، فقد أعرب عن اعتقاده بأن الأسد سيلجأ إلى مناورات الإرجاء والتعليق حرصاً على ثبات نظامه واستقراره.

إن الإصغاء إلى العرب، وهم يتحدثون عن عرب آخرين أعطانا شعوراً قريباً من الجار الذي يشعر بإمكانية التجسس على جاره وأثار لدينا مشاعر مثيرة للاهتمام.

لم تخط المفاوضات ولو خطوة واحدة إلى الأمام، وبقيت تراوح في مكانها، وعندما عدنا واجتمعنا في القاهرة، شعر بيرس بالضجر الشديد، وبأن السيل بلغ الزبي، لذا قرر العمل على تسريع هذه المحادثات عبر شن هجوم على الوفد الفلسطيني، فاستهل الحديث قائلاً: "إنني أعترز منح هذه القضية

فرصة واحدة أخرى، أنا لم أت إلى هنا كي أتسلى". بدا صوت بيرس مرتفعاً وشديداً، وهو الأمر الذي أذهل الفلسطينيين وكذلك الإسرائيليين. وأضاف بيرس: "أنتم تضيعون وقتاً ثميناً وبمقدوركم عمل ذلك بدوني. ومن ناحيتي بمقدوركم البقاء هنا شهراً، فأنتم تتشاجرون على التفاصيل ولا ترون المهم".

كان صراخ بيرس مسألة تكتيكية، بيد أنه كان أيضاً تعبيراً عن الغضب الحقيقي. فرغم أن بيرس معروف بالصبر والأناة، إلا أنه كان نافذ الصبر جداً، عندما يتعلق الأمر بما يعتبره صغائر لقد كان يرى في موقف الفلسطينيين مجرد تصلب من أجل التصلب، أضف إلى ذلك، أنهم كانوا بمثابة المتنفس الوحيد لغضبه وشعوره بالإحباط.

لقد تعذر عليه إرسال الفلسطينيين للتفاوض مع طاقم المفاوضات الإسرائيلي دون أن يحدث مشكلة داخلية.

وعندما بدأنا النقاش حول أريحا، اقترح شاحك بتوسيع رقعتها إلى ٥٥ كم مربعاً. فقد كانت مسألة المعابر الحدودية، القضية الرئيسية التي تحتاج إلى حل، نظراً لأنها كانت تشكل صورة مصغرة لمصطلح الحكم الذاتي كله.

كان جسر (النبي) الملك حسين مفتوحاً في وجه الحركة السكانية والبضائع منذ الأشهر الأولى التي تلت حرب عام ١٩٦٧، على الرغم من أن الأردن وإسرائيل كانتا، على الصعيد الرسمي، في حالة حرب. وقد اجتاز الجسر عشرات الآلاف الفلسطينيين، بيد أن عمليات التفتيش الشخصية وتفتيش الأمتعة كانت مذلة للغابة من قبل إسرائيل. وكان على المسافرين الفلسطينيين أن ينتظروا ساعات. وأحياناً يوماً كاملاً، قبل أن تتم عمليات التفتيش الدقيقة لهم شخصياً ولأمتعتهم. وقد أصبحت ساعات الانتظار تلك، إحدى أكثر مظاهر الاحتلال كراهية لدى الفلسطينيين. لذا، كان مسألة إزالة هذه المظاهر وامتلاك موطن قدم على الجسر، أهم للفلسطينيين من أي شيء آخر. وقد أكد شركاؤنا

في المحادثات ضرورة وضع حد لعمليات الإذلال، وبدت أصواتهم شديدة التأثير ومليئة بالغضب الحقيقي.

وأضافوا: هناك ضرورة لأن تشعر الجماهير الفلسطينية بأن هناك تغييراً راديكالياً على عملية الدخول إلى وطنهم. ولهذا السبب، طالبوا (بفلسطينة) الجسور عبر وضع رموز فلسطينية، كوجود موظف فلسطيني، وإعادة النظر في عمليات التفتيش والإجراءات الإدارية.

واصلنا الإصرار على موقفنا القائل: أن أي فلسطيني يرغب في دخول مناطق الحكم الذاتي، وبالتالي يجب أن يدخل إسرائيل، يجب أن يخضع لتفتيش إسرائيلي. وقد قال بيرس لهم: "نحن سنضمن أمننا، وسنحافظ على احترامكم".

بيد أن المشكلة أن هذين العاملين "الأمن والاحترام" كانا يصطدمان أحدهما بالآخر بصورة محتومة في جميع المعابر-مثملاً يحدث في أي مكان آخر. لذا لم نجد مناصاً، سوى البحث عن حل خلاق، بيد أن هامش المناورة لدينا كان ضيقاً.

لم يقتنع الضباط الإسرائيليون بمزاعم الفلسطينيين بشأن عمليات الإذلال على الجسور، وقالوا: أن المنطقة لا زالت تعج (بالمخربين). لذا، لم يكن من المستهجن أن يتحول لقاءنا الأول في القاهرة إلى جدل عقيم يطرح فيه الطرفان مواقف متشددة وغير قابلة للحل.

قال شعث لأمون شاحك: "أنت ترى الأشياء فقط، في صورة احتياجات فورية، ولا تولي اهتماماً أبداً بمغزاها على المدى البعيد". فرد عليه شاحك قائلاً: "طالما بقي الإرهاب قائماً لن يكون هناك مدى بعيد".

طلب بيرس ورقه وقلم، ووضعهما على الأرض، وشرح فكرته والحل الذي يراه بشأن المعابر، ثم طلب من شعث وشاحك ترجمتها على أرض الواقع العملي. وفجأة، فتح الباب ودخل أبو مازن، الذي استجاب مؤخراً، وعاد إلى المفاوضات.

كان من المفروض-مثلما أردنا- أن يكون هناك مدخلان لكل معبر، لقد فهم الفلسطينيون أن بمقدور إسرائيل أن تفعل كل ما يحلو لها في النصف الخاص بها من المعبر، وبالتالي بدأ الجدل حول الإجراءات التي يجب أن تنتهج في النصف الفلسطيني.

نشب نزاع حاد في البداية، حول السؤال عما إذا كان سيسمح للفلسطينيين برفع علمهم ووضع شرطي على مدخلهم. والحقيقة هي أن الفلسطينيين أرادوا أن يتم عرض هذين الرمزتين على جسر (الذي) كدلالة من دلالات السيادة، بيد أننا رفضنا ذلك. ورغم ذلك، نجحنا في بعض القضايا، في خلق نموذج مقبول لدى الطرفين. واتفقنا على وضع شرطين على جانبي باب التفتيش الإلكتروني، والذي يتوجب على جميع المسافرين اجتيازه، أحدهما إسرائيلي والآخر فلسطيني. فإذا ما أطلق الجهاز صفارة إنذار حال عبور أي مسافر فلسطيني، يتم تفتيشه في غرفة خاصة من قبل شرطي -أو شرطي- فلسطيني، وبحضور نظير إسرائيلي. أما الحقائق، فيتم نقلها إلى مكان مغلق، حيث تقوم إسرائيل بتفتيشها إلكترونياً. أما الحقائق المشبوهة، فيقوم شرطي إسرائيلي بفتحها بحضور صاحبها وحضور شرطي فلسطيني.

في أعقاب التفتيش الأمني، ينتقل المسافرون الفلسطينيون إلى مرحلة فحص الجوازات، ويقدمونها إلى شرطي فلسطيني. بيد أن الآراء اختلفت حول هذه النقطة. فقد طالبنا نحن بأن يقوم المسافر أيضاً، بتقديم جواز سفره إلى شرطي إسرائيلي، وإذا كان هناك سبب للاشتباه به، يحق لشرطتنا التحقيق معه دون تواجد شرطي فلسطيني، بيد أن الفلسطينيين احتجوا بشدة على فكرة فحص الجوازات المنفردة، وأكدوا على أن كل فلسطيني يرغب في العودة إلى مناطق الحكم الذاتي، يجب أن يشعر بارتياح إبان هذه العودة. وعارضوا بشدة فكرة التحقيق مع أي فلسطيني دون وجود شرطي فلسطيني، وقالوا: من المفزع حقاً أن يتم التحقيق مع فلسطيني عائد إلى وطنه من قبل الغرباء. بيد أننا

أصرينا على موقفنا، وقلنا أن أي فلسطيني يرغب في دخول مناطق الحكم الذاتي يستطيع بعد ذلك الذهاب إلى إسرائيل.

نفذ صبر بيرس، في هذه المرحلة، خصوصا وأنه حضر أيضا جلسة المفاوضات السابقة والتي استغرقت ثماني ساعات متواصلة، لذا قرر العمل على فرض تسوية، فاستدعى يوني بيلد، وهو موظف صغير في وزارة الخارجية، وبدأ يملئ عليه الحل الذي يعتقد أننا توصلنا إليه خلال الجلسة بسرعة هائلة. وكى يحول دون تمكين الفلسطينيين من مناقشة ما يقول بصوت مرتفع، بينهم وبين أنفسهم، كان يصرخ فيه قائلا: "اكتب-أسرع وعندما حاول شعث التدخل لتصحيح صيغة في قضية معينة، قال له بيرس بصورة حادة "لا تتدخل". لقد قبل مطالب الفلسطينيين بشأن العلم والشرطي في مجمع المسافرين والبضائع، وليس على الجسر، وأكد على المطالب الإسرائيلية بشأن الرقابة على الجوازات والتفتيش الأمني. وهكذا ولدت وثيقة (يوني) وقد حصل الفلسطينيون على نسخة مصورة من الوثيقة مكتوبة بخط (يوني بيلد) غير الواضح، وساروا إلى مطار القاهرة، لاستقبال عرفات الذي عرج على المطار، لإعلامه بالتطورات.

ومرة أخرى، أثبت عرفات لمفاوضيه وأيضا للمفاوضين الإسرائيليين، أنه هو فقط، صاحب القرار، ورفض الوثيقة رفضا تاما. وعندما عاد الفلسطينيون من المطار، وأعلنوا رفض عرفات للوثيقة، هب بيرس من مقعده وقال: إن الوفد الإسرائيلي سيفادر القاهرة، وليبعث الفلسطينيون. احتجاجاتهم إليه هناك.

وفي الثلاثين من كانون الأول، تلقى بيرس وشاحك رسالة بالفاكس من نبيل شعث تحمل إجمالا-حسب فهم الفلسطينيين- لما تم إنجازه وتسويته في أوسلو وباريس والقاهرة- وثيقة يوني- وفي أعقاب هذا الإجمال، تم إرفاق مجموعة من المطالب التي يريدها عرفات، ومن ضمنها: وضع شرطي

فلسطيني على جسر الفلسطينيين، وتوسيع مساحة أريحا بصورة كبيرة شرقاً حتى نهر الأردن، وجنوباً باتجاه البحر الميت.

ومن الجدير بالذكر، أن الفلسطينيين لم يكفوا- منذ أيام مفاوضات أوسلو- عن النضال بغية الحصول على موطنٍ قدم على حدود المملكة الأردنية.

وفي رده الشديد، قال بيرس: أن إسرائيل لن توافق على إجراء أي تغييرات، باستثناء تغييرات الصياغة في التفاهم الذي تم إحراره في القاهرة. اقترح شعث استئناف المفاوضات في طابا. وكنت آنذاك أنا وأبو علاء وعائلتنا في أوسلو، وقد حاولنا العثور على تفاهم أقوى وكان أبو علاء مقتنعاً بأن الإحراج الذي ساد أوساط الوفد الفلسطيني، بسبب الاحتكاكات بين عبد ربه وشعث وأبو مازن، يتطلب إدخال عرفات في الصورة بشكل مباشر، وهذا ما حدث فعلاً، بعد ثلاثة أسابيع.

في العشرين من كانون الثاني تواجد عرفات وبيرس في أوسلو لتشجيع جثمان هولست ولربما كان تواجدنا هناك، حيث بدأت المسيرة هو الذي أعادنا أكثر إلى المفاوضات المثمرة. وقد اجتمع بيرس وعرفات مرتين في أوسلو، واتفقا على السماح لزينجر وأبو علاء بالعمل على وضع مسودة قضائية للاتفاقية، وترك القضايا التي لا زالت محل خلاف، دون حسم. والتزم الاثنان بالاجتماع بعد ذلك حتى حل جميع المشاكل، وعملًا على تشكيل طواقم جديدة خاضعة لهما.

عقدت الجلسات الحاسمة بشأن المعابر الحدودية يومي ٢٨-٢٩ كانون الثاني في دافوس- على هامش اجتماعات مؤتمر الهيئة الاقتصادية العالمية، الذي عقد هناك- وخلال يومي ٧-٩ شباط في القاهرة. وقد شمل الوفد الذي ترأسه أبو علاء، أكرم هنية والجنرال عبد الرزاق اليحيى. أما بيرس فشكل طاقماً بموافقة رابين وشاحك، مؤلف من عوزي ديان، ويوآل زينجر وأنا-

كرئيس للمجموعة- ومن الجدير بالذكر أن هذا الطاقم أصبح، فيما بعد، نواة الوفد الإسرائيلي لمحادثات التسوية المرحلية.

لقد ورث عوزي ديان الكثير من الجرأة والذكاء والسحر عن عمه موشيه ديان. وقد اتضح كمحك في الحوار مع مفاوضيه الفلسطينيين. وقد وجد الفلسطينيون فيه، بداية، إنسانا متعجرفا ومتشددًا، بيد أنهم تأقلموا مع مزايه كإنسان متشدد وذكي وحساس.

ومن الجدير بالذكر، أنني اختلفت اختلافاً بينا عن عوزي في نمط أفكاري، بيد أننا سرعان ما أصبحنا صديقين. وقد أدت قدرتنا على أن يكمل أحدهنا الآخر، إلى ولادة نظرية أمنية سياسية قوية. وقد شجع رابين ويسيرس هذا التعاون فيما بيننا.

لقد تفاوضنا أياما وليالي في دافوس ثم في القاهرة، وناقشنا جوهر الحكم الذاتي، وهو المعابر الحدودية مع الأردن ومصر، وفي أعقاب كل هذه الجهود التي بذلناها، بقيت هناك أربع قضايا عويصة فقد أصر الفلسطينيون على رفع علمهم ووضع شرطي على الجسور الحدودية، وأن يديروا الأجحة الفلسطينية في المجمعات الحدودية، وعارضوا بمنتهى الشدة، التحقيق بصورة منفردة، ودون وجود شرطي فلسطيني مع أي مواطن فلسطيني، وطالبوا بأن يسمح لهم بإصدار تصاريح دخول إلى مناطق الحكم الذاتي، حتى تسعة أشهر دون الحاجة إلى موافقة إسرائيل. بيد أننا عارضنا مطالبهم، تقريبا، في جميع القضايا فرفضنا رفضا باتا قضية الشرطي الفلسطيني على المعابر أو العلم الفلسطيني على الجسر، لأننا كنا نصر إصرارا قاطعا، على الحيلولة دون وجود أي تواجد فلسطيني على الحدود مع الأردن، وشددنا على التحقيق مع المشبوهين الفلسطينيين دون تواجد شرطي فلسطيني ووافقنا على تمديد مدة نفاذ مفعول التصاريح الفلسطينية، حتى ستة أشهر.

كانت الحوارات وحشية للغاية، واصطدمنا مرة أخرى بالهوة الواسعة القائمة بين المصالحة، وترتيب الأولويات لدى الطرفين.

كان الأمن بالنسبة لإسرائيل مسألة حاسمة جداً. في حين كان الفلسطينيون يضعون نصب أعينهم الكرامة الشخصية والوطنية والسياسية. ورغم ذلك تمكنا من إحراز تقدم معين خلال ليالي الحوار الطويلة في دافوس، خصوصاً فيما يتعلق بصياغة التفاصيل.

بلغ الجدل حول (الألغام الرئيسية) في المفاوضات، ذروته في القاهرة، في السابع من شباط. ففي حوالي الواحدة فجراً، جلس عرفات وبيرس للتفاوض في وزارة الخارجية المصرية، في حين انتظر الوفدان في الخارج تساورهما الشكوك في أن يخلد الاثنان في نهاية الحوار إلى النوم، ويأمراننا بمواصلة العمل.

وفي حوالي الساعة الثانية، قدم عرفات وبيرس النبا وابتسامة على وجهيهما، وأعلن بيرس: اتفقتا الرئيس عرفات وأنا، على أن يعمل الوفدان طيلة الأربع وعشرين ساعة بغية التوصل إلى اتفاق بسرعة. وإذا ما اصطدمتم بمشكلة لا تستطيعون حلها، يسمح لكم بإيقاظنا في كل وقت تشاءون".

تبادلنا نظرات حذرة، فقد كنا قد أقسمنا بيننا، أنه إذا قالنا واصلوا العمل، ونحن ذاهبان إلى النوم، أن نرفض ذلك. وقد تجرأ شخص ما، وقال: حسناً سنبدأ العمل غداً بعد أن نكون قد ارتحنا. فنظر إليه بيرس مبتسماً، وقال: "يا صديقي العزيز ستهون العمل، حتى صباح الغد".

خضعنا لأوامره، وتوجهنا إلى الجناح الفلسطيني في فندق الأندلس، وجلسنا حول الطاولة. وقد استهل أبو علاء الحوار قائلاً: "إذا وافقنا على عمل عدد من الأشياء بصورة مشتركة، فسوف نتوصل إلى اتفاق. لقد قال لي الرئيس اليوم: علينا أن نتقدم، على صعيد جميع القضايا الأمنية، وأن نصر على مسألة واحدة. وهي أن نعطي لشعبنا شعوراً بأن الاتفاق غير أشياء. ويجب أن يشعروا بالفخر حينما يصلون إلى الوطن دون إذلال إسرائيلي على طول الطريق، فإذا كنتم تشاطروننا هذه الرغبة، فسوف يكون بمقدورنا أن نخلد نحن أيضاً إلى النوم، قبل بزوغ الفجر".

عقبت على أقوال أبو علاء قائلا: "أبو علاء أنت تعرف أننا بذلنا قصارى جهودنا من أجل تغيير الوضع، وكرامة المواطن الفلسطيني مهمة بالنسبة لنا أيضا، وإحساسه بأن الاتفاق غير الأشياء، هو مسألة مهمة له، بيد أنني أؤكد لك، أننا لن نتهاون في كل ما يتعلق بالأمن. أنتم تفتكرون حتى الآن إلى التجربة. إن المعابر الحدودية تقود إلى الأراضي الإسرائيلية أيضا وليس إلى الحكم الذاتي فقط. وإذا ما تم تهريب قنبلة عن طريق هذه المعابر، فلن تفيد الكرامة الشخصية والوطنية شيئا في إنفاذ الاتفاقية". ثم اقترحت أن يعرض عوزي ديان مطالبنا، فنفخه صوته كانت ناعمة أكثر مما هو مألوف.

وقد استهل ديان حديثه قائلا: "ليس لنا مصلحة يا أبا علاء في جعل حياة ٩٩،٩% من أبناء شعبك مرة، والذين هم دعاة سلام- وفقا لجميع الآراء- ومن أجلهم وأجلنا، علينا أن نحول دون دخول أسلحة وإرهابيين يرغبون في تدمير اتفاقية السلام التي توصلنا إليها. لدينا نحن تجربة واسعة على صعيد منع مثل هذه الحالات، لذا، نحن نرغب في فحص الحقائق بأنفسنا، ونحن نصر على تحديد المشبوهين والتحقيق معهم وحدنا، إذا كانت هناك ضرورة لذلك".

ضحك أكرم هنية، وقال بمرارة: "وتجندونه كعميل لجهاز الأمن العام؟". -عوزي: "أكرم، بمقدورك أن تخرج كما تشاء". بيد أنه لن يكون هناك أي تهاون بهذا الشأن.

-أبو علاء: "أوري، أنت تعرف أننا طلبنا منذ أوصلو، شراكه في المسؤولية على المعابر الحدودية، ونحن على استعداد للاقتراب من موافقكم، وأن نترك لكم السيطرة على الجانب الأمني. بيد أنني لن أوافق على إذلال أبناء شعبي. أنت هنا، وأنا أثق بكم، لكن قد يأتي غدا، أو في المستقبل ضابط أو أحد مسؤولي حرس الحدود التواقين لإذلال وإهانة الفلسطينيين. ولا شك أن بمقدورك عمل ذلك دون موافقتنا، بل أنتم تمارسون ذلك الآن، دون موافقتنا، فإذا كان هذا هو ما ترغبون فيه، حسنا، واصلوا عمله.

اقترح زينجر، في محاولة لتخفيف التوتر أن نستعرض جميع مراحل العبور على الجسور التي لم يتم حتى الان التوصل إلى حلول بالنسبة لها، وأن نحاول العثور على حل" وإذا لم ننجح، سنوقف الزعيمين، هما يستحقان ذلك".
ضحك الجميع من أقواله الأخيرة، ويبدو أن الضحك نقى الأجواء إلى حد ما، وانتهز أبو علاء هذا النقاء، وقال: أنا أوافق على أن تقوموا بفحص الحقائق في جانبكم من المجمع الحدودي، بيد أن فتح الحقائق يجب أن يتم بصورة مشتركة".
-عوزي:موافق.

-أبو علاء: " لكن إن أسمح بفحص أي فلسطيني تشتهبون فيه وحده".
-عوزي: "المتهم هو المتهم، ويجب عليكم أن تثبتوا أنكم تدركون مستوى الخطر".

-أبو علاء: نحن ندرك ماهية شعور الفلسطينيين، وإذا كنتم لا تدركون ذلك، لن يكون هناك سلام.

-عوزي: أنا على علم بمشاعركم، وأيضا بالتزاماتكم لذا بمقدوركم استجواب سكان غزة وأريحا في جناح فحص الجوازات الخاص بكم، بيد أنه على إسرائيل، بعد ذلك، أن نفحص الجوازات وتطرح الأسئلة المناسبة.
-أبو علاء: " إذا لم يكن الإسرائيلي باديا للعيان، بمقدورنا الموافقة".

-أوري سبير: بمقدور الإسرائيلي أن يقف خلف مرآة ذات وجه واحد، لكن بعد أن يفحص الجوازات التي سيسلمها له الشرطي الفلسطيني، يجب أن يكون بمقدوره تقديم الاستجابات.

انفجر أبو علاء بالضحك، وقال: " هل تعرف ما الذي يمكن أن يحدث لامرأة عجوز إذا ما بدأت مرآة بالتحدث معها؟ لا شك أنها ستصاب بسكتة قلبية فورا. وسوف يكون ذلك ذنبكم". ضحكنا جميعا.

-عوزي: قد نتمكن من التوصل إلى حل يجعل الإسرائيلي لا يرى ولا يسمع، على أن لا يحرمه من حقه في فحص الوثائق، واستجواب المشبوهين في مكان مغلق".

-أبو علاء: سمعنا أنكم تسمون هذا المكان المغلق "منطقة التطهير"، إنكم تتعاملون مع الفلسطينيين كما تتعاملون مع الحيوانات.

-أنا: "رفعت صوتي عالياً، وقلت: إذا كنتم ترغبون في الجدل لمجرد الجدل، فإن بمقدورنا الانضمام إليكم. أرجو أن تتذكر أننا نتحدث عن إحباط الإرهاب، ولا ننوي إهانة أبناء شعبك، إننا نعمل من أجل الحيلولة دون تدمير المسيرة. والآن لنعد إلى القضية، ما رأيكم في الموضوع؟؟

-أبو علاء: يجب أن أتشاور مع الرئيس، لقد بزغ الفجر، فلنأخذ فترة استراحة، وأتحدث خلالها مع عرفات، ثم نعود إلى الحوار.

بعد عدة ساعات، وفي قاعة الطعام أصبح بمقدورنا التحدث عن قدر من التقدم، وأجمل زينجر الوضع في مسودة جديدة، فامرنا بيرس بأن نواصل الحوار. على أساس حديث الليلة الماضية.

واتضح بيرس، من خلال الحديث مع عوزي، أن فحوى ما يدور ينقل إلى هيئة الأركان العامة عبر أحد الضباط الذين يساعدون عوزي، وهناك يقوم طاقم من شعبة التخطيط تم تعيينه من قبل رابين وأهود براك بدراسة كل ما يقال.

وقد شعر بيرس، أن رابين لا يمنحه الدعم الكافي، رغم أنه استجاب لجميع توجيهاته، ودافع بكل قوته، على الخط الذي حددته الجهاز الأمني.

تمتم بيرس بغضب، ١٠٠: "المفاوضات لا تدار على هذا النحو"، وغادر الطاولة بغضب، وتوجه نحو غرفته مصحوباً بأخي جيل. وبعد قليل سمعناه يصرخ في الهاتف قائلاً: "اسحق، إذا كان هناك في تل أبيب من يرغب في وضع رقابة علي، فإنني على استعداد للعودة فوراً، الأمر الوحيد الملزم، هو ما تم الاتفاق عليه بيننا، إننا ندير هنا معركة صعبة، ولن أعمل بهذه الصورة هل

الطاقم الموجود في إسرائيل، يدير مفاوضات مع نفسه؟؟ لماذا لا ترسلونه إلى هنا؟؟ وسنرى كيف يقنعون الفلسطينيين؟؟.

وكما يبدو حاول رابين تهدئته، وهكذا توقف الطاقم الموجود في تل أبيب عن إرسال ملاحظاته الصغيرة إلى القاهرة. كانت تلك الأقوال، بالنسبة لبيرس، تعني أن ما تم الاتفاق عليه مع رابين هو الأمر الوحيد الملزم للجميع، وقد بقي الغليان في نفسه طيلة صبيحة ذلك اليوم. فقد كان يرغب في التقدم، وشعر أن هناك زخماً، لذا دعا وزير الخارجية عمرو موسى، واشركه في بعض أفكاره. بيرس: الفلسطينيون يضجروننا بالكلمات، أرجو أن تقول لهم: أن وقتي ضيق، قل لهم أنه يتوجب عليهم السير قدماً، وعدم التمسك بمواقف غير ذات بال أو قيمة، والا فلا معنى لوجودي هنا.

حاول عمرو موسى تهدئة غضبه، ووعد بالتحدث مع عرفات بهذا الصدد. وقد اجتمعت أنا بأبو علاء، وقلت له: أن صبر بيرس أوشك أن ينفذ، فقال أبو علاء: "أنا أفهمه جيد أن المطالب التي يقدمها غير معقولة، أنتم ترغبون في مواصلة توجيه الإهانات لنا، مع تغيير اسم هذه الإهانة إلى "الأمن" إننا على استعداد لتسريع المفاوضات، بيد أننا لا نستطيع القفز عن المشاكل".

عادت الوفود إلى الاجتماع في ساعات الظهر، وعمد ديان إلى جعل التسوية الأساسية أكثر وضوحاً. وجاء في افتراض: أن فلسطيني الحكم الذاتي سيصطدمون، بداية، بالرقابة على الجوازات، ويقوم موظف فلسطيني بتوجيه الأسئلة اللازمة لهم. ومن خلف مرآة ذات وجه واحد يجلس شرطي إسرائيلي لا يرى ولا يسمع، ويتم نقل الجوازات إليه في صندوق، وإذا ما ثارت شبهات، يتم إرسال الفلسطيني المشبوه إلى غرفة لا يوجد فيها سوى إسرائيلي، ويحق لإسرائيل اعتقال أي مشبوه بعد إعلام الشرطة الفلسطينية.

بدأ أن أبو علاء ليس راضياً، وقال: "أنا أطلب بالتحديد المسبق لمعايير اختيار المشبوهين، وتضمنها في الاتفاق، مثل أي إنسان يحاول تهريب أسلحة،

أو يخطط لاعتداء، أو يحمل أوراقا مشبوهة، وبذلك نضمن الا يتمكنوا من اعتقال كل من ترغبون في اعتقاله".

اقترح زينجر أن تتم صياغة هذا البند بصورة مقبولة لدى الطرفين: ثم ذهب أبو علاء للتشاور مع عرفات، وحال عودته، قال: الحل مؤلم جدا للفلسطينيين، بيد أنهم يقبلونه. ورغم ذلك واصل الفلسطينيون المطالبة بإيصال إدارة الجناح الفلسطيني من المجمع الحدودي إلى الفلسطينيين، على أن يتواجد ضابط أمن إسرائيلي هناك.

عارض عوزي ديان هذا المطلب بشدة، وقال: المكان منطقة أمنية، ويجب على إسرائيل إدارته".

وهكذا، غرقنا في مشكلة جديدة، وغادرنا المكان، للتشاور، وقد اقترح بيرس أن نحاول، أنا وأبو علاء، حل هذه المشكلة على انفراد وهذا ما فعلناه فعلا. واتفقنا على أن يكون مديرو المجمع- في رفح وجسر اللبني- إسرائيليون وأن يتحملا مسؤولية الجناحين، على أن يكون لكل مدير إسرائيلي نائب فلسطيني يحمل لقب مدير، ويكون مسئولاً عن الجناح الفلسطيني.

قال أبو علاء، المدير الفلسطيني سيستعين بمساعدين في الشؤون الإدارية والأمنية وهكذا، توصلنا في نهاية المطاف إلى حل مرض للطرفين.

أصبحت اتفاقية المعابر الحدودية جاهزة، وقد استخدمت كنموذج- في جانبه المثير للمشاكل، وفي أسلوب حل المشكلة- لشبكة العلاقات الأخذة في التبلور بشأن الحكم الذاتي الفلسطيني بأكمله. وتمت صياغة الاتفاقية حول المعابر الحدودية في (١٨٠) صفحة. وقد مكنا إسرائيل من مواصلة الإشراف على كل ما يتعلق بأمنها، ومكنا الفلسطينيين من إبراز رموزهم الوطنية ونيل أكبر قدر من الحفاظ على كرامتهم.

لقد وضع هذا الاتفاق قواعد العمل العملية، والتي تتطلب التعاون الوطيد على أرض الواقع.

حال تغلبنا على هذه الصعوبة، انتقلنا للعمل على حل مجموعة من المشاكل الأمنية الأخرى وأهمها السيطرة على محاور الطرق العرضية الثلاثة المؤدية من إسرائيل إلى الكتل الاستيطانية في قطاع غزة. وكان حل هذه المشكلة يتوجب التفاوض مع عرفات بصورة مباشرة.

وفي ساعات ما بعد الظهر جرى وضع خارطة أمام مجموعة كبيرة من الفلسطينيين والمصريين، والإسرائيليين، والذين تجمعوا في غرفة الطعام. وكشفنا النقاب، خلال هذا الاجتماع، عن الخطة الإسرائيلية الكاملة لمعالجة الأمن الإسرائيلي في قطاع غزة.

بيرس: دون سيطرة إسرائيل على المحاور العرضية، لا نستطيع التوصل إلى أي اتفاق فهي شديدة الأهمية لحماية الاستيطان، ولن نترك لكم هذه المهمة. بل لماذا أصلا تريدون تولي مثل هذه المهمة؟؟

وافق عرفات مبدئيا، بيد أنه تحفظ من وضع علامات على المحاور على أنها أراض إسرائيلية لأن ذلك، سيعني كسر سيطرته على غزة. وطرح بديلا لذلك، ينص على أن يبنى الفلسطينيون مواقع للدفاع عن وسائل المواصلات الإسرائيلية من وإلى المستوطنات. وقد همس أحد الحاضرين: "هل ما أسمعته صحيح؟؟".

وفي نهاية الجدال، اقترح زينجر الصيغة التي تم قبولها والتي تنص على: "توكل إلى إسرائيل جميع الصلاحيات والمسؤوليات المطلوبة للقيام بنشاطات أمنية مستقلة في محاور الطرق العرضية الثلاثة وعلى الأرصفة المحاذية لها".

طلب بيرس التوقيع بالأحرف الأولى على هذه الاتفاقيات، للتأكيد على حدوث الانفراج وإتاحة الفرصة للانتقال إلى التفاوض في قضايا أخرى.

أعرب أبو علاء عن تدمره، نظرا لأننا أطلعنا الوفد الفلسطيني على الخرائط في اللحظات الأخيرة، وبالتالي وضعنا أمامهم حقائق جاهزة. وقد جلس إلى جوارى في المراسيم التي تم إجراؤها في المساء بينما وقف خلفنا عرفات وبيرس والرئيس المصري حسني مبارك، وحاول الامتناع عن التوقيع بالأحرف الأولى على الخارطة الملحقة بالتفاهم. ولم يصدر عرفات الأمر بالتوقيع إلا بعد أن تدخل

الرئيس المصري حسني مبارك في القضية. لقد كانت هذه الحادثة، توطئة لحادثة أكبر ستحدث فيما بعد.

بدا الرئيس مبارك متفائلا خلال مراسيم التوقيع، وقال: أن المفاوضات حول باقي القضايا الخاصة باتفاقية غزة -أريحا، ستستكمل في غضون أسابيع معدودة. وحينما سمع زينجر ذلك، جذب بيرس جانبا، وقال له: لقد توصلنا حقا إلى انفراج، بيد أن غالبية العمل لا زالت أمامنا. بيرس: "هل تستطيعون إكمال العمل في غضون أسبوعين؟". زينجر: "سنحتاج إلى شهرين على الأقل.

بيد أنه ومنذ اللحظة التي عاينها شاحك لإدارة مجموعة العمل في طابا، أخذت المفاوضات تتقدم بسرعة. وقد نجح زينجر وشعث في كتابة كم هائل من الأوراق، وفي غضون أسبوعين، بدا أن الاتفاقية تلوح في الأفق. وبدأ الجيش الإسرائيلي في وضع مخططات للانسحاب من غزة. وفجأة! وقعت الهزة الأرضية.



٥- خلال مراسيم المصادقة على اتفاقية السلام مع الأردن في بيت جبرائيل على ضفاف بحيرة طبريا، من اليسار الى اليمين : الملك الحسين، اسحق رابين، أوري سبير

١٩٩٤/١١/٢٦

الفصل الخامس

من تونس إلى غزة

سفاح الخليل أوقف المفاوضات وأخرج الزعامة الإسرائيلية

ذهول فلسطيني لقرار عرفات باستئناف مفاوضات غزة_أريحا

ارتدى الدكتور باروخ جولد شتاين - وهو مستوطن متدين من كريات أربع كان قد ولد وتربى في حي بروكلين الأميريكي - في تمام الساعة الخامسة، من يوم الجمعة الموافق الخامس والعشرين من شباط - زيه العسكري- فهو ضابط في الاحتياط - وتسليح ببندقيته من طراز عوزي، وتوجه إلى الحرم الإبراهيمي في الخليل، وعندما وصل إلى قاعة صلاة المسلمين، فتح النار على جماهير المصلين، مما أسفر عن مقتل واحد وثلاثين مصليا في هذه المذبحة التي لم تتوقف، إلا عندما قتل جولدشتاين نفسه.

انتشرت أنباء المذبحة انتشار النار في الهشيم في قطاع غزة والضفة الغربية، والعالمين العربي والإسلامي والعالم بأسره. وجاءت ردود الفعل فزعة، غاضبة، وفي أوساط الفلسطينيين، كان هناك شعور رهيب بالرعب.

كان جولدشتاين - الذي وصفه جيرانه بأنه طبيب هادئ وطيب القلب - ناطقا سابقا لحركة (كاخ) التي ترأسها الحاخام مائير كهانا في الولايات المتحدة، ولازال منتميا إلى ممثلي هذه الجماعة في كريات أربع.

ورغم أن الشخصيات السياسية والدينية في إسرائيل شجبت هذه الحادثة المرعبة، إلا أن جولدشتاين سرعان ما وجد معجبين في أوساط المستوطنين، فقد شارك المئات في جنازته، ومدحه الكثيرون منهم، واصفينه (بالبطل، والشهيد)، بل لقد شبهه الحاخام ارئيل -حاخام مستوطنة ياميت السابق- بشمشون البطل، ويهودا المكابي.

وقالت وسائل الإعلام أن جميع سكان كريات أربع الذين شجبوا المذبحة، تلقوا تهديدات، والأقطع من كل ذلك، أن قبر جولدشتاين في كريات أربع، أصبح محجا ومكانا مقدسا.

ولا شك أن الأشخاص الذين تحدثوا عن المذبحة بمصطلحات مزدوجة، كانوا إخطر- في الحقيقة- من المتطرفين. وفي تعقيبها على المذبحة قالت يهوديت كتسوفر زوجة رئيس مستوطنة كريات أربع: "أن جولدشتاين قام بعمل ذي مغزى مهم، رغم أنها لا تعتزم تعليم أولادها تفكيره وتتبع خطاه.

أسهمت هذه الأقوال المرائية، في تعزيز الموقف الأخلاقي الذي انبثق جولدشتاين منه، والذي يقول: أن القتل يصبح بناء إذا ما قام الفرد بتنفيذه لصالح الجماعة. ومن الجدير بالذكر، أنه لا توجد معطيات إحصائية حول مدى الدعم في أوساط الإسرائيليين بوجهة النظر أنفة الذكر. وحتى لو كان المؤيدون للمذبحة هم قلة قليلة، فإن الأيديولوجية التي خلقت الوحي لها استشرت بشكل واسع في قطاعات كبيرة من اليمين المتطرف، والمتدين، بصورة أساسية، في إسرائيل.

لقد تركت الأحداث التي تلت المذبحة انطباعا يفيد بأن إسرائيل ستضطر، منذ الآن، لمكافحة الإرهاب على جبهتين، وبدأت المسيرة السلمية تواجه خطر الأصوليين المسلمين والإسرائيليين.

أصبحت الجماهير اليهودية بالذبول، وهي تسمع عن قيام أحد الإسرائيليين بتنفيذ مذبحة من هذا القبيل. وقد سارعت إلى عقد اجتماع لرؤساء الشعب في وزارة الخارجية. وقد أوضح ديفيد افك، مدير مركز الأبحاث والتخطيط السياسي في الوزارة، مدى الخطورة الكامنة في المذبحة، وقال أن من المتوقع أن تفهم العملية على أنها اعتداء على الإسلام، وتسجل في التاريخ الإسلامي. وقال إن عرفات يعيش حاليا أزمة خطيرة، إزاء وقوع المذبحة، في أوج المفاوضات التي تعتبر بعيدة كل البعد، عن إرضاء التطلعات الوطنية الفلسطينية.

أجرى رابين وبيرس مشاورات فيما بينهما، وبعثا بأحر التعازي إلى عرفات. وعندما اندلعت أعمال العنف في الخليل، وقتل الجيش الإسرائيلي خمسة مواطنين فلسطينيين آخرين، قررت القيادة العسكرية إسكات الضجة عبر فرض نظام حظر التجول على المدينة. وقد نظر العالم بخطورة بالغه إلى هذه الخطوة، وفقا لأقوال الفلسطينيين أن إسرائيل تعتمد إلى معاقبة الضحايا مرة أخرى.

اعتقلت الحكومة الإسرائيلية متطرفين من اليمين الإسرائيلي، وعملت على اعتبار حركتي كاخ وكهاناخي خارجتين عن القانون.

رد عرفات على هذه المذبحة، بإعلان وقف المفاوضات مع إسرائيل، وقد سارع رابين إلى إرسال مستشاره السياسي، جاك نيريا لمقابلة عرفات في القاهرة، وعندما عاد قال: إن مزاج عرفات متكرر للغاية، ونقل شروطه لاستئناف المفاوضات: إبعاد المستوطنين من الخليل إلى كريات أربع، تشكيل قوة شرطة فلسطينية في المدينة، وإدخال قوة طوارئ دولية إلى المدينة، كي تساهم في تهدئة مخاوف سكانها.

وفي نفس الوقت، طالب عرفات بعقد اجتماع فوري لمجلس الأمن الدولي، كي يشجب إسرائيل، ويتبنى مطالبه لاستئناف المفاوضات مما حدا بجبهات إسرائيلية للاعتقاد، بأن عرفات يستغل الأزمة، لتعزيز مصالحه السياسية بيد أن بيرس ورايين شعرا أن أزمته حقيقية، ورغبا في مد يد المساعدة له، في محنته، أمام أبناء شعبه.

أدت الأزمة التي ولدتها المذبحة إلى إدخال دنييس روس، في الصورة، حيث اتصل بعرفات، ولاريسون، وبي، مرات عديدة للتشاور، حول كيفية الخروج من الأزمة.

لم أستطع، في تلك الأيام العصيبة الاتصال بأبو علاء، وتخللت مدى الإحباط الذي يشعر به، وقد أخبرني لاريسون أن أبو علاء، اعتكف في بيته، فهو يشعر انه مسؤول عن اتفاقيات أوسلو، وإن جميع الانتقادات الموجهة

لأوسلو، موجهة له شخصيا، ونصحتني بأن لا أتصل به، وقد أدركت انه قال لي ذلك، تلبية لطلب صريح من أبو علاء.

في الرابع عشر من آذار، قرر بيرس ورايين إرسال عوزي ديان وجاك نيريا وأنا إلى تونس في نفس الوقت الذي كان دنيس روس يتجه إلى هناك أيضا، بعد أن سبقه لاريسون. وقبل خروجنا، قال لي رايين: أن علي أن أوضح لعرفات، مدى صعوبة قبول شروطه، وطلب منا أن ندرس بدائل أخرى لإمكانية استئناف مفاوضات غزة - أريحا. كما طلب من بيرس، أن نمهد الطريق لإجراء لقاء بينه وبين عرفات.

أقلعنا عند منتصف الليل، وكرسنا ساعات الرحلة لإعداد العدة لمواجهة عرفات. وعندما أصبحت الطائرة في سماء مالطا، تلقى الطيار أمرا بالهبوط في روما. وفي المطار، وجدنا من ينتظرنا، وتم نقلنا إلى قاعة الاستقبال في المطار، ومن هناك إلى ليل روما البارد.

اتصلت بمكتبي في القدس، فوجدت مديره رافي براك مستيقظا، بانتظار مكالمتي، رغم أن الساعة كانت قد تجاوزت الثانية ليلا.

براك : ماذا تفعلون في روما؟ يجب أن تكونوا الآن في سيسيليا. التونسيون يرفضون هبوط الطائرة في مطاراتهم نظرا لأنها تحمل علامات إسرائيلية. لذا وافق روس على إرسال طائرة وزارة الخارجية الأميركية إلى إحدى قواعد سلاح الجو الأميركي في سيسيليا لنقلكم".

-أنا: وكيف نصل إلى هناك؟

- براك: هل تعتقد أنني أعرف كيف يجب أن تصل إلى هناك؟؟ سأصاك مع روس في تونس عبر مركزية وزارة الخارجية الأميركية.

بدا روس مرهقا ونافذ الصبر، على عكس عادته، وقال باختصار حاد: " توجهوا إلى سيسيليا، لقد أرسلت لكم الطائرة، ونصف الطاقم المساعد لي، ستجدون بانتظاركم اهارون ميلر، ودان كرتسر، بانتظارنا هنا عمل كبير".

ثم قام روس بإيصال طيارنا بضابط أمنه الذي أوضح له كيفية الوصول إلى مطار سيسيليا وفي حوالي الساعة الرابعة فجرا، أقلعت طائرتنا، وبحضرت عن المطار حتى عثرت عليه. وعندما هبطنا، وجدنا كرتسر وميلر غاضبين، فهما لم يناما منذ يومين.

أملنا أن نتمكن من الاستراحة في تونس خصوصا وأننا كنا ندرك، أن يوم عرفات يبدأ في ساعة متأخرة من الليل. وفي تونس، قامت سيارة تابعة للسفارة الأميركية بنقلنا إلى فندق هلتون وما كدت اصل حتى توجه إلى شاب ملتج، وقال لي: "انتم من تل أبيب؟"، قلت : "نعم". قال: "أهلا وسهلا، الرئيس عرفات بانتظاركما سجلا نفسيكما في الفندق، وانتظرا في الغرفة، حتى اتصل بكما.

وما كدت اصل إلى غرفتي، والقي بنفسي على السرير معتقدا انه سيكون بمقدوري أن اخذ للراحة بعض الوقت، حتى دق جرس الهاتف وعندما رفعت السماعة، جاعني من الطرف الآخر صوت يقول: سيد سبير، سيارة الرئيس عرفات بانتظارك خارج الفندق.

نقلتنا سيارة عرفات إلى بيت الضيافة، وجلسنا بالانتظار، ونحن في غاية التوتر. وفجأة سمعنا صوتا عاليا لشخص ما - كما يبدو انه كان يقول "انتباه"، ودخل عرفات إلى الغرفة، وعانق جاك نيريا وصافحني أنا وعوزي ودعا إلى الجلوس، ثم بدأت تتوافد إلى الغرفة حاشيته: ياسر عبد ربه، ونبيل شعث، اكرم هنية، وأبو علاء. وقد صافحونا ببرود، في حين امتنع أبو علاء عن التحديق نحونا وجعل أعيننا تلتقي.

ضغط عرفات على زر خاص، فجاء حارس وحيا عرفات، الذي طلب منه أن يقدم واجب الاحترام للضيوف، فخرج وعاد محملا بالبقلاوة والفواكه والكعك والشاي والقهوة، وقد أهاب بنا عرفات، كي نأكل ونشرب. بل وقدم قطعة بقلوة مغرقة بالعسل إلى ديان الذي رفضها، بيد انه سرعان ما لاحظ الأزمة الدبلوماسية التي قد يحدثها، فقال: 'سيدي الرئيس أنا أحترمك جدا، بيد أن خوفي

من زوجتي اكبر". وقد ابتسمنا جميعا، لأول مرة، خلال هذه الزيارة، بيد أنها كانت آخر ابتسامة أيضا.

أعربنا عن تعازينا في مذبحة الخليل، ثم أضفت قائلا: "الوضع كدر للغاية، وإسرائيل أيضا غارقة في صدمة عنيفة، والطرفان يفقدان إيمانهما بالمسيرة السلمية. ومهمتنا سيدي الرئيس تتمثل في العثور على طريقة لإعادة هذا الإيمان، لان المسيرة السلمية هي الطريق الوحيد الممكن. ورئيس الحكومة ووزير الخارجية، يريدان منك أن تقول لنا كيف ترى الأسابيع القادمة".

وأضفت: "أمس، ولأول مرة في تاريخ إسرائيل، أخرجت الحكومة عن القانون مجموعات متطرفة يهودية تسعى إلى إحباط المسيرة السلمية، بأساليب العنف، وقد طلب مني رابين أن أؤكد لك، أننا سنحارب المتطرفين بلا هوادة. وبيرس ورايين، يرغبان أن تسرع المفاوضات - بعيدا عن أعين وسائل الإعلام، من أجل إحلال تغيير حاسم على ارض الواقع".

استهل عرفات كلمته بالقول: اسمحوا لسي بادئ ذي بدء أن ارحب بكم، لقد اهتممت بكم طيلة الليلة بينما ذهب زملائي للاستراحة، والشخص الوحيد الذي بقي ساهرا طيلة الليل، هو رئيس منظمة التحرير، وعلي أن أشير هنا، إلى أن لدينا هрма مقلوبا، أنا اعمل وهم يخلدون إلى النوم".

توقف عرفات هنيهة، ثم عاد إلى صلب الموضوع فقال: "حقا الوضع خطير للغاية. وعندما اتصل بي رابين كي يعلمني بقومكم كنت أتحدث مع زملائي على الخط الآخر في الخليل، وقد قالوا لي: أن الجيش الإسرائيلي أطلق النار هناك على الجماهير التي ثارت ثورة مبررة ومفهومة، على أرضية المذبحة وقتل عددا من الناس. أنا لا أستطيع أن افهم منطقكم، لقد قتلتكم تسعة وثلاثين فلسطينيا، منذ الخامس والعشرين من شباط، وأصبتم أربعمائة شخص آخر بجراح، وفي نفس الوقت، تعمدون إلى فرض نظام حظر التجول على الضفة الغربية؟؟؟ إنكم تعاقبون الضحايا، هل شاهدتم المظاهرات في الرباط، في عمان، القاهرة، إندونيسيا، إيران، طشقند، تونس، وفي كل مكان؟؟".

أصبح صوت عرفات حزينا وهو يضيف: " في الأردن ولبنان وسورية يتهمونني بالخيانة، أنا خائن سادتي. أبناء شعبي غارقون في الخوف خشية وقوع مذبحة أخرى. ويجب عليكم أن تتخذوا خطوات لكسب نفقتنا وإلا فإن مسيرة السلام ستموت، بدلا من أن تفعلوا ذلك، يقوم جيشكم بإطلاق النار على شعبي".

قلت بصوت ناعم: "سيدي الرئيس، عامل الزمن يعمل ضدنا جميعا، والوضع لم يتحسن طيلة السبعة عشر يوما الماضية، وقد جئنا نفتش عن أسلوب للخروج من هذا الوضع وليس كي نفتتح حلولا جمالية".

وقال ديان: "أنا أسمع نغمة الحزن في صوتك سيدي الرئيس، هذا لقاء حزين، ولديك من الأسباب ما يجعلك تحزن، وأنا نفسي حزين وخجل جراء ارتداء القاتل الملابس العسكرية، وقد تم تشكيل لجنة لفحص الخطوات التي قام بها الجيش، ونحن نتحمل مسؤولية ما حدث، فنحن لم نحل دون وقوع المذبحة. وسنبذل قصارى جهدنا، كي لا يتكرر مثل هذا الحادث. بيد أننا سمعنا أن هناك مخططات فلسطينية للانتقام، الفلسطينيون غاضبون وجنودنا شديدا التوتر، ولهذا السبب، قررنا فرض حظر التجول، وسوف نلغيه بصورة تدريجية، ورجائنا على اتصال دائم بالزعماء في الخليل".

سأل عرفات (وهنية) عن أوساط اليمين المتطرف في إسرائيل، وعن المستوطنين العاملين في الاحتياط في الضفة الغربية. وعاد عرفات لتكرار نظريته القائلة بقيام ضباط إسرائيليين بالتآمر ضد قادة الجيش، والتعاون مع متطرفين فلسطينيين.

ولست أدري، فيما إذا كان عرفات قد قال ما قال وهو يؤمن به حقا، نظرا لعيشه في أجواء تأمرية أم أنه قاله لأسباب تكتيكية، بيد أن (عوزي) رد على هذه الأقوال بشدة، فقال: "الجيش الإسرائيلي يعمل وفقا لأوامر الحكومة فقط، والجيش يتحمل مسؤولية فرض الأمن، بيد أن القرارات نفسها بأيدي الحكومة. إننا نتحمل مسؤولية الفلسطينيين والإسرائيليين، ويجب علينا أن نعمل على إعادة الأمل إلى السكان في المناطق، فهم في أمس الحاجة له الآن". قال عرفات: أنا لا زلت

متمسكا بإعلان المبادئ، والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكننا أن نعيد الثقة المتبادلة؟؟ وكيف تعود للإحساس بالمشاعر التي كنا نشعر بها معا في واشنطن، في الثالث عشر من أيلول؟ تخيلوا ما الذي كان سيحدث، لو أنني كنت وقت المذبحة في أريحا؟؟ يجب علينا أن نضمن الأمن الفلسطيني".

كان عرفات يبدو مرهقا، أكثر من أي وقت مضى ومتوترا، وقد واصل طيلة الوقت قرع قدمه بالأرض، ولاحظت أن يديه ترتعدان. وتسأل قائلا: "من الذي يستطيع الآن ضمان أمن المواطنين الفلسطينيين في الخليل؟؟ ربما ستوافقون على وجود قوة دولية؟؟ هل بالإمكان إيعاد المستوطنين من الخليل؟؟ فجميع المستوطنين في الخليل لا يتعدون اثنتين وأربعين عائلة ومائة وأربعين طالبا دينيا لماذا لا تنقلونهم إلى كريات أربع؟؟ وضعهم هناك سيكون أكثر أمنا. إن جماهيرنا في الخليل هي جماهير ذات سمات خاصة، وهي أكثر تدينا. ويوجد في أوساطهم أيضا متطرفون. إن الخليل تثير القلق، ربما نستطيع إرسال قسم من قواتنا إلى هناك، بالتعاون مع جيشكم، أو مع قوة دولية؟؟".

واضاف بصوت ضعيف "يجب عليكم أن تفهموني أنا شديد الاهتمام بالتقدم، بيد أنني بحاجة إلى ثقة شعبي. لديكم حكومة منتخبة، وبرلمان وقوانين واضحة. والثقة ليست هي الشيء الوحيد بين الإسرائيليين وزعمائهم، بيد أن الثقة هي العامل الوحيد القائم بيني وبين شعبي".

انفجر عبد ربه قائلا: "انتم تضعفون الرئيس انتم تخدعون، ولا اعتقد أن شينا قد تغير".

قررنا عدم تصعيد الجدل، والعودة إلى الفندق. وفي هيلتون، أفاد الصحفيون أن مساعدي عرفات ليسوا معنيين بتطبيق إعلان المبادئ فورا. فالكثيرون منهم لم يرغبوا في التخلي عن الحياة المريحة في تونس، وخوض الصعوبات في الحياة التي سيلاقونها في غزة، وعلى وجه الخصوص في إطار اتفاقية مرحلية.

اجتمعنا بعد الظهر بروس ومستشاريه، كما قمت أنا ونيريا بإعلام رابين بما حدث، وبدأ لنا بوضوح أننا لا نحرر تقدما، وإن علينا العودة إلى إسرائيل للتشاور. وعندما أعلمت عرفات بقرارنا، طلب مني أن نعود لتونس بعد عدة أيام، وحيلها قد نستطيع مناقشة إمكانية ترتيب لقاء بيني وبين بيرس.

لاحظت خلال وجودي تغيب أبو علاء، وقد فهم عرفات ذلك، فقال: "أرسلت أبو علاء إلى الأردن، لإجراء حوار مع رجال أعمال فلسطينيين مهمين". قرر دنيس روس ممارسة ضغط على أبو عمار في المساء، عبر الإلماح له بأن الولايات المتحدة ستتخذ حق النقض الفيتو ضد أي قرار شجب يتخذه مجلس الأمن الدولي ضد إسرائيل على خلفية المذبحة، إذا لم تعد منظمة التحرير إلى طاولة المفاوضات. وقد أثارت الإلماحة غضب عرفات. وهكذا باءت مهمتنا بالفشل.

غادر نيريا تونس بصحبة الوفد الأميركي إلى واشنطن التي كانت تنتظر قدوم رابين إليها، فيما عدت أنا وعوزي ديان إلى قاعدة سلاح الجو الأميركي في سيسيليا، ومن هناك إلى تل أبيب، في حين بقي لاريسون في تونس مصرا على تقديم يد المساعدة لاستئناف المفاوضات. وأجرى محادثات مع أبو مازن، كما كان يجري اتصالات هاتفية معي بصورة دائمة، وفي النهاية تمكن هو وأبو مازن من إعداد ورشة عمل تنص على نقل المستوطنين إلى كريات أربع مثلما يطالب الفلسطينيون، بيد أنني أوضحت له أن هذا المطلوب مستحيل التنفيذ، لأسباب سياسية، وقرأت عليه صيغة الحل التي اقترحناها، والتي تنص على قبول قوة دولية محدودة في الخليل، إلى جانب شرطة فلسطينية غير مسلحة. وهكذا أصبح بحوزة لاريسون وثيقتان: الأولى لاريسون - ١ وهي مطالب الفلسطينين، ولاريسون - ٢ وهي موقفنا.

عمد دنيس روس، في تلك الأولة، إلى تخطيط مسيرة افتتاحية جديدة، تضم الرئيس السوري حافظ الأسد إلى المسيرة السياسية. وقد اتصل الرئيس الأميركي بالأسد، واتفق معه على عودة سورية إلى طاولة المفاوضات، مقابل

عدم فرض الولايات المتحدة حق النقض الفيتو على قرار مجلس الأمن الدولي وهكذا حصل عرفات على الشجب المطلوب لإسرائيل، بيد أنه فقد القدرة على تجميد المسيرة السلمية، حتى تفي إسرائيل بمطالبه.

قرر رابين في العشرين من آذار إرسال وفد آخر إلى تونس يضم ج نيريا وأمنون شاحك ويوآل زينجر وأنا. وقبيل خروجنا، أعلمنا رئيس تش الاستخبارات العسكرية اوري ساجي، عن تقديره بأن عرفات قرر إرجاء استئناف المحادثات حول اتفاقية غزة وأريحا لمدة ثلاثة أسابيع، حتى استكمال المفاوضات حول الخليل.

وقد أعرب نائب وزير الدفاع، مردخاي جور، ورئيس الأركان أه براك، عن شكهما في ضرورة سفر الوفد إلى تونس. بيد أن رابين وبيرس مصريين على مواصلة إبقاء الصلة مع عرفات، ولم تكن سوى قلة قليلة على عا بان رابين وبيرس اتفقا في الليلة الماضية، على إخلاء قسم من مستوطني الخليل ومن ضمنهم طلبة المدارس الدينية، من أجل تخفيف حدة التوتر، وكان المفروض أن يتم تحديد موعد الإخلاء، بالتشاور مع الجهات الأمنية.

توجهنا إلى تونس أيضا عبر سيسيليا في طائرة تابعة لوزارة الخارج الأميركية، وقد توجه روس أيضا إلى هناك. وجاء لاريسون المرهق جدا إلى غرفتي، فطلبت منه أن يكف عن أي عمل من أعمال الوساطة. لقد عارضنا م اليوم الأول لمحادثات أوصلو، تدخلا من طرف ثالث في الجانب الجوهري م المفاوضات. رغم أننا رحبنا بأي تدخلات تؤدي إلى تهيئة أجواء صالحة للتفاوض، وفي إقناع الأطراف لإبداء المرونة اللازمة. فقد كنا نعتقد أنه يتوجب على الطرفين التوصل بقوتهم الذاتية إلى الصيغ الحقيقية للاتفاق. وهكذا تخل لاريسون - الذي كان دائما يحترم إرادة الأطراف - عن فكرة إعداد وثيقة لاريسون - ٣.

عندما التقينا عرفات بعد الظهر، استهل الحوار بلهجة عدوانية، وقال "لا نستطيع استئناف المفاوضات قبل أن تخلوا المستوطنين من الخليل، وقبل

تسمحوا لنا بإرسال رجال شرطة فلسطينية مع القوة الدولية. إن البند الذي يحتل رأس جدول الأعمال الآن، ليس اتفاقية غزة وأريحا، بل قضية الخليل. ولا نستطيع العودة إلى طاولة المفاوضات، قبل معالجة هذا البند. ورئيس الحكومة رابين يفهم ذلك، وقد قال لسي بالمهاتف، أنكم قدمتم إلى هنا بناء على وثيقة لاريسون، ثم لوح بورقة كانت في يده بتأثر.

تسامت بيني وبين نفسي، فيما إذا كان عرفات على علم بردنا على وثيقة لاريسون-٢٢٢.

شعرنا بالضيق جراء سوء التفاهم الذي حدث على أرضية وثيقة لاريسون، وحاولت فوراً حل هذه المشكلة، فقلت لعرفات : " عندما تحدث معك رابين حول وثيقة لاريسون، كان بحوزته وثيقة أخرى، وبمقدورك أن تسال لاريسون فهو غير بعيد عن هنا.

تساور عرفات بعض الوقت، مع عبد ربه، ثم قال: دعونا نضع الأوراق جانباً، ونرى كيف يمكن حل المشكلة، ما الذي تقترحونه؟؟ وما صلاحياتكم بالضبط؟؟.

إبان تساور عرفات وعبد ربه سألت شاحك: عن طبيعة التواجد الدولي في الخليل؟؟ فقال لي: يوجد هناك الصليب الأحمر. ووفقاً لذلك قلت: بمقدورنا التحدث عن نوع معين من التواجد الدولي في الخليل، ونوع من أنواع تواجد رجال الشرطة الفلسطينية".

* شاحك : بيد أنه يجب عليك أن تتذكر، أن مسؤولية الأمن ستبقى في أيدينا.

* عرفات: أنتم تدفعون بي إلى الزاوية، وماذا بشأن المستوطنين في الخليل؟؟

* شاحك: هذا قرار سياسي ، بمقدور رابين وحده اتخاذه، ولا أعتقد أن هناك أي فرصة لنقل المستوطنين من الخليل نتيجة للتفاوض معكم، أنا جنرال ولا أتدخل في مثل هذه الأمور.

* عرفات: ما هو نوع التواجد الدولي الذي نتحدثون عنه؟؟

*أنا: "اعتقد أن رابين قد يوافق على زيادة حجم وحدة الصليب الأحمر". وقد اتضح أن ما قلته كان خطأ قد ارتكبتّه.

حملق عرفات بي بدهشة، ثم اقترب من الطاولة بجسمه، وقال: أي

وحدات؟

*أنا : الصليب الأحمر، إن وحداته قادرة على التأثير وتهذبة الأمور.

لم تكن على استعداد لمواجهة ما حدث بعد ذلك، فقد ارتفع صوت عرفات حد الصراخ، وهو يوجه الحديث إلى عبد ربه: "هل سمعت ما قال؟؟ ربما لم أسمع ما قال جيداً، سببر يقترح الصليب الأحمر".

ثم توجه إلي، وأعطاني محاضرة مجانية "الصليب الأحمر، الصليب الأحمر" -قال وهو يرغي ويزبد "ما الذي تريد أن تفعله؟؟ هل تريد أن تحضر مرضات لإعطاء حقن مهدئة لسكان الخليل؟؟ لا أستطيع القول بأنني سمعت ما قلته جيداً، تريد جلب مرضات إلى الخليل من الصليب الأحمر لإعطاء الحقن المهدئة؟؟ إنهم يحرقون صوري في الخليل، والإسرائيليون يتحدثون عن مرضات. لماذا لا نحضر أخي فتحي عرفات ومعه الهلال الأحمر الفلسطيني. لا اصدق، أنت تمنعني إهانتني".

قرر شاك أنه لم يعد هناك معنى لمواصلة الحوار، لذا نهضنا وتوجهنا نحو فندقنا، ولم نقل للصحفيين المنتظرين شيئاً، مما أعطاهم انطباعاً بأن المسيرة السلمية أصبحت في حالة النزاع الأخيرة، وقد عقب أحدهم قائلاً: "عرفات سيبقى هنا".

قابلت في الفندق المبعوث الروسي فيكتور بسيفاليوك، والذي بدا متشائماً بنفس القدر، وقال: "ليس بمقدور عرفات الآن استئناف المفاوضات، لأن مكانته في الضفة والقطاع باتت متدنية إلى أدنى درجة. لقد رأيتَه لتوي، وأستطيع أن أقول لك، أنه يشعر بحالة إحباط شديدة وتشاؤم بسبب موقفكم".

وفي المساء، تناولنا طعام العشاء مع دنيس روس، والذي بدا، هو الآخر، شديد التشاؤم ولا يرى أي أمل في الأفق. وقد أصر خلال لقائه مع روس على أن يقبل الإسرائيليون شروطه.

اتفقنا، أنا وشاحك، على أن المسيرة السلمية في حالة خطرة جدا، وخصوصا بعد أن علم شاحك بأن رابين لا يعتزم إخلاء المستوطنين، خشية حدوث مالا تحمد عقباه على أرضية الاستعدادات التي بدأ اليمين يعد لها للتظاهر. لذا قررنا أن نقول الحقيقة ببساطة لعرفات: إن رابين غير مؤهل للاستجابة لمطالبه، وأنه سيكون قادرا على تخفيف حدة أزمته، بيد أن الامر سيحتاج بعض الوقت. وتمكنا من إعداد صيغة لتواجد دولي في الخليل ولقوة شرطة فلسطينية بلدية. بيد أن المفتاح كان بيد عرفات وقدرته على قيادة أبناء شعبه، وكان عليه اتخاذ قرار صعب. واقترحت على شاحك، أن يتحدث معه على انفراد كجنرال لجنرال - مثلما كان عرفات يحب تقديم نفسه.

في صبيحة اليوم التالي، توجهنا في الساعة العاشرة إلى منزل ضيافة منظمة التحرير، وطلب شاحك الحديث مع عرفات، فتوجهنا نحو المطبخ، وتحدثنا لمدة عشرين دقيقة. ويقول شاحك أنهما جلسا إلى طاولة المطبخ، وحينها قال لعرفات انه لا يجب أن يتوقع المستحيل، فرايين سيتخذ قرارات أخذت بعين الاعتبار مكانته السياسية هو، وهذه القرارات، لن تكون قابلة للتفاوض مع منظمة التحرير، وان من واجب عرفات أن يكون زعيم شعبه، وان يمهده لاستئناف المفاوضات.

لقد جلس أمام شاحك، عرفات مختلف عن عرفات الذي تعرفه، كان متكدرا جدا، ومنطويا على نفسه، وسارحا في القرار الصعب، الذي كان عليه اتخاذه، ثم قال : "قل لرابين إنني أتفهم الصعوبات التي يواجهها، وأتوقع منه أن يفعل ما يجب أن يفعله، حينما يصبح الوقت ملائما".

قال شاحك: 'بمقدورنا التقدم على صعيد قضايا أخرى، بمقدورنا تشكيل لجنة لمعالجة مشكلة الخليل، وفي نفس الوقت تواصل الحوار حول اتفاقية غزة وأريحا'.

استمع عرفات لأقوال شاحك، ولم يعقب عليها، وطلب من شاحك أن يعلم رابين بأنه علم من مصادره، أن رابين يتعرض للخطر من قبل ضباط إسرائيليين رفيعي المستوى، وبمقدورهم تدبير انقلاب. ومن الجدير بالذكر، أننا جميعاً، كنا ندرك أن عرفات كان أحياناً يجيد التحليق بين الواقع (والميلودراما). أرجو أن تعود إلى الغرفة للانضمام إلى زملائك، وبعد قليل سأعلمكم بقراري.

عاد شاحك، وجلس إلى جوارى متوتر، وكان واضحاً للفلسطينيين في الغرفة، أننا قدمنا اقتراحاً ما لعرفات. وبعد لحظات عاد عرفات إلى الغرفة وجلس في مقعده، وقال: بعد أن تحدثت مع الجنرال شاحك، قررت العودة إلى المفاوضات. رئيس الحكومة رابين، أيضاً، وقع تحت الضغط، وأنا أثق باتخاذ القرار الصحيح بشأن المستوطنين، في الوقت المناسب.

أما فيما يتعلق بالتواجد الدولي والشرطة الفلسطينية في الخليل، فسيتم تعيين لجنة لبحث ذلك، واقتراح أن يمثلنا في هذه اللجنة نبيل شعث، وياسر عبد ربه.

وقد أعلن شاحك فوراً أنني وزينجر، سنمثل إسرائيل في هذه اللجنة. استطرد عرفات قائلاً: 'يجب على أعضاء اللجنة أن يتوصلوا إلى قرار بهذا الشأن الليلة وغداً، وفي نفس الوقت، ستتألف المفاوضات حول اتفاقية غزة وأريحا. هذا هو واجبي في هذه اللحظات الصعبة، وبمقدور مفاوضاتنا العودة إلى القاهرة، وأنا أمل وأتوقع أن يجد رابين الأسلوب الذي يجعله قادراً على الرد على مطالبنا، وسوف أعلم الأميركيين والمصريين والنرويجيين'.

أصيب الفلسطينيون في الغرفة بذهول تام، فقد اتخذ عرفات قراراً لا يحظى بالشعبية أبداً، فالفلسطينيون في الضفة الغربية وأوساط مختلفة في العالم الإسلامي، طالبوا بطرد المستوطنين من الخليل كشرط لا يمكن التنازل عنه

لاستئناف المفاوضات وإذا لم يحدث ذلك، فسوف يبدو أن الفلسطينيين عادوا لممارسة الحياة كالمالوف، رغم المذبحة التي نفذها اليهود في أحد أقدس الأماكن الإسلامية.

كان عرفات يأمل أن يتمكن في نهاية المطاف، من تحقيق هذا الهدف، بيد أن شاحك أوضح له أن إرجاء المفاوضات حول غزة وأريحا حتى يتحقق هذا الهدف، لن يكون مجدياً.

لقد شهدنا عرفات في غضون أربع وعشرين ساعة وهو يشع ضعفاً وياساً

أصبحت مشكلة الخليل منتهية، وأثبتت عرفات في وقت الأزمة، أنه شريك حقيقي لنا في مسيرة السلام، وأنه الرجل الوحيد في منظمة التحرير المؤهل لاتخاذ القرارات الصعبة. لقد أدت هذه المزايا إلى تعزيز علاقاته مع الشخصيات الوحيدة في الجانب الإسرائيلي، القادرة على فعل ذلك.

وهكذا، بدا أن بالإمكان تطبيق اتفاقيات المبادئ، رغم المشاكل الجديدة التي كانت لا تزال تقف في الطريق أمامنا.

في تلك الليلة بلورنا الجانب الأكبر من التفاهم الخاص بتواجد دولي في الخليل، واتفقنا على بلورة الوثيقة النهائية في القاهرة، إضافة إلى تواصل المفاوضات حول غزة وأريحا. كما قررنا مطالبة النرويجيين بالمشاركة في القوة الدولية. وقام يوال زينجر ونبييل شعث، بإعداد مسودة اتفاق.

وهكذا، عندما التقى دنيس روس مع عرفات في نفس الليلة، وجده مصراً على مواصلة التفاوض حول غزة وأريحا.

وعندما عدنا إلى إسرائيل، وقدمت تقريري إلى بيرس ورايين، سألت رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، أوري ساجي : عن الأسباب التي حدثت بعرفات لتغيير رأيه؟ فرد علي ساجي قائلاً: " أنه يسير باتجاه معاكس لقراره الأول". ومن الجدير بالذكر، أن هذه، ليست هي المرة الأولى التي يجد فيها

رؤساء أذرع استخبارية صعبة في حل ألغاز ديناميكية مسار اتخاذ القرارات للزعماء. خلال الفترات الانتقالية بين الحرب والسلام. وفي نفس الأسبوع حصلنا على تذكار جديد لمدى الصعوبات المحتملة التي تواجه الانتقال إلى السلام.

ففي الوقت الذي جمعنا فيه العديد من المعلومات حول الخليل توطئة لخوض المفاوضات، وفيما قام شاحك بإعطاء التوجيهات الأخيرة لطاقمه بشأن المرحلة الأخيرة في محادثات غزة - أريحا. علمنا أن خمسة مسلحين فلسطينيين قتلوا في غزة في صدام مع جنودنا. وفي صبيحة اليوم التالي، ونحن في طريقنا في الطائرة من تل أبيب إلى القاهرة، أوضح لنا شاحك مدى خطورة الحادث. كان الخمسة من حركة فتح، وقد أوهم محمد دحلان رئيس جهاز الأمن الوقائي في القطاع بالعمل على تهديد الأرضية، توطئة للانسحاب الإسرائيلي من غزة، وقد كانوا عاندين من أحد الأفرار، وأطلقوا النار في الهواء. ورغم أن إطلاق النار كان دلالة على الفرح، إلا أنه اعتبر بمثابة انتهاك للاتفاقيات المبرمة معنا، والتي تنص على عدم استخدام البنادق التي بحوزة الفلسطينيين في أية مناسبة. وقد خشي شاحك من أن يؤدي هذا الحادث إلى ردود فعل سيئة لدى الفلسطينيين. نقلنا في القاهرة إلى مكان سري، وبعد قليل وصل الفلسطينيون مقطبي الجبين، وفورا طلب شاحك التحدث مع دحلان وشعث على أفراد، بيد أن دحلان شعر بوعكة، وعاد إلى فندقه.

لقد كان من الصعب تخيل حدوث تقلبات جذرية أكثر من القفز من مرحلة التنازع إلى مرحلة التعاون، ثم مذبحة الخليل، وقرار عرفات استئناف المفاوضات، والصدام القاتل بين رجال دحلان والجنود الإسرائيليين، ثم استئناف المفاوضات "والتي كان يجب على دحلان وشاحك أن يناقشا قضية التعاون فيما بينهما. وأنا اعتقد، أن دحلان، حينما شاهد شاحك، لم يكن يعرف فيما إذا كان قد جاء للتفاوض مع نظير في المفاوضات، أم مع عدو يعتبر مسئولاً عن مقتل رجاله؟؟ ويخيل إلي أنه رأى فيه الأمرين معا.

أوضح شاحك لنبيل شعث ما حدث ليلة أمس، ثم توجه الوفد الفلسطيني إلى الفندق لقيادة زميلهم المريض. وفي الماء تحدث شاحك ودحلان بهدوء، وعلى انفراد، وانتهى حوارهما بمصافحة حارة، واستئناف الحوار. وقد تم الاتفاق على أن تكون للنرويج وإيطاليا والسويد تواجد دولي مؤقت في الخليل، من أجل تهدئة الأوضاع في المدينة.

قاد شاحك طاقم مفاوضاته بصورة ممتازة، في حين أشرف عوزي ديان على التفاصيل الأمنية، وفي نهاية الحوار، حصلت إسرائيل على مبتغاها فيما يتعلق بالترتيبات الأمنية. لقد بقيت في أيدينا صلاحيات ذات أهمية كبيرة: المسؤولية عن الأمن الخارجي، الجانب الأمني للمعابر من وإلى الحكم الذاتي، والسيطرة على الطرق العرضية الثلاثة في قطاع غزة، وفي المناطق التي تضم المستوطنات. بيد أن غالبية أراضي غزة، وضواحيها، والمسؤولية عما يحدث داخلها، نقلت إلى الفلسطينيين. كما أسهم الاتفاق في خلق إطار التعاون. فقد تم اتخاذ قرار بتشكيل لجنة عليا إسرائيلية فلسطينية للتنسيق الأمني والتعاون، وثلاثة مكاتب تنسيق إقليمية (DCO) والتي يجب أن تعمل أربعاً وعشرين ساعة يومياً، ودوريات مشتركة، ووحدات متحركة مشتركة للإشراف على الوضع من الحركة، والتوجه إلى المناطق اللازمة عند الضرورة.

وهكذا، وبعد أقل من سنة من اللقاء الرسمي الأول، بين ممثلي إسرائيل ومنظمة التحرير، تمكن الأعداء السابقون من إنشاء جهاز معقد للتعاون في المجالات الأمنية. ولا شك أن الاتفاق هز الإيمان الإسرائيلي المتحذر، والقاتل أن بمقدورنا الاعتماد فقط على أنفسنا. لقد كانت هناك أهمية كبيرة لتحررنا من هذا الإيمان، فلو لم نفعل ذلك، فلسوف يكون من الصعب التحرر من السيطرة على الفلسطينيين.

بيد أن استيعاب هذا التغيير وهضمه كانا من الصعوبة بمكان في المجتمع الإسرائيلي، وخصوصاً العسكريين، وذلك بعد أن كان من البديهي القول أن الاعتماد على أنفسنا هو حجر الأساس في قدرة الدولة على البقاء والنجاة.

لقد اصبح "إرهابيو الأمس" شركاءنا في محاربة الإرهاب: أعضاء حركة فتح والقوة -١٧ الذين تورطوا في أعمال القتل ضد الإسرائيليين. لقد اعتقد الكثيرون: أن هذا التحول كبير جدا، وقد اتضح حينما أن أوان ذلك أن تجسيد المهمة ليس صعبا.

كانت المشكلة الرئيسية التي يتوجب علينا مواجهتها هي الرموز الوطنية، ورموز السيادة، التي طالب الفلسطينيون بها. وقد اعتقد بيرس انه لم يعد من المجدي، آنذاك شن حرب أو خوض معركة على هذا الصعيد. فقد كان يقدر أكثر من أي شخص آخر معنى منح الشرعية لمنظمة التحرير والفلسطينيين. واعتقد أيضا، انه إذا كنا نصر على قضايا معينة كالمسئولية الأمنية مثلا، فإن علينا أن نكون أسخياء في جوانب أخرى، لان الاتفاق من وجهة نظرنا كان بمثابة وسيلة لتحقيق هدف مشترك، وليس مجرد وثيقة.

طالب الفلسطينيون بجوازات سفر لسكان الحكم الذاتي. وقد أصررنا في البداية، على عدم منحهم جوازات لان صرف الجوازات يعني أن هناك دولة، وأصررنا على أن يكتفوا ببطاقة (Laisses Passes). واقنع بيرس رابين بضرورة أن تتم طباعة هاتين الكلمتين على جواز السفر الفلسطيني، إلى جانب كلمة (جواز). ورغم ذلك، كان هناك من وجد أن من الصعب استيعاب هذا التغير، وطالبوا بان يتم طباعة كلمة (Laisses Passes) بأحرف اكبر من كلمة (جواز). وهكذا لأول مرة اصبح للفلسطينيين جوازات سفر خاصة بهم. ومن الجدير بالذكر، أن الأردن ومصر لم توافق على ذلك، عندما كانتا تسيطران على الضفة وغزة. لكن بيرس اعترف به كحق لبنى البشر الذين يستحقون الاعتراف بهويتهم.

لقد مكنتنا اتفاقية غزة - أريحا من الإشراف والرقابة على المداخل إلى إسرائيل لاعتبارات أمنية، وكذلك على مداخل الحكم الذاتي، وهو الامر الذي خلق تناقضا، حسب رأي أولئك الذين كان يفترض أن يحظوا بالحرية، ويعبروا عن

هويتهم الوطنية لكن حركتهم العملية قيدت وحددت، لقد إلتحمت الحرية وتقييد الحركة معا، في إطار هذه البنية المعقدة للحكم الذاتي الفلسطيني الجديد.

وقد تم أيضا في هذه المرحلة النهائية إحداث تغيير شديد الأهمية : حيث تم التأكيد على أن تتقل منظمة التحرير ورئيسها مقرهما إلى منطقة الحكم الذاتي كي يتمكنوا من قيادة شعبهما عن قرب. كان من المفروض أن ينقل ياسر عرفات، الذي يعتبر رمزا لنضال الفلسطينيين ضد إسرائيل، مقره، إلى غزة أو أريحا، وقد حرصنا على أن ينتقل كرئيس لمنظمة التحرير أو السلطة الفلسطينية، وليس كرئيس لدولة فلسطين، وقد استجاب الفلسطينيون لهذا الطلب.

وتم التأكيد أيضا، على إنشاء مجلس مؤلف من أربعة وعشرين عضوا لمساعدة عرفات في إدارة الأمور حتى يتم إجراء انتخابات حرة - في أعقاب التوصل إلى اتفاق التسوية المرحلة للصفة الغربية - كما وافقنا على إطلاق سراح خمسة آلاف معتقل، شريطة ألا يكونوا قد قتلوا إسرائيليين.

صادقت إسرائيل على دخول زعامة منظمة التحرير إلى الحكم الذاتي، بمن فيهم أولئك الذين كانت تعتبرهم مطلوبين - وفقا للقائمة التي سلمتها الجهات الأمنية الفلسطينية لإسرائيل.

لقد أسفر هذا الاتفاق في حقيقة الامر، على الصعيد العملي، عن ولادة حكومة فلسطينية - رغم الاسم المختلف الذي أطلق عليها - وحصلت على صلاحية إدارة شئون الفلسطينيين ومواصلة المفاوضات مع إسرائيل.

ومن الجدير بالذكر، أن هذه الخطوة، كانت أحد أهم التعابير ذات المغزى في التغيير الجذري الذي أسفر عنه اتفاق أوسلو.

وكانت هذه الخطوة تعني أن إسرائيل ستتفاوض مع نظام فلسطيني ذي صلاحيات. ومنذ ذلك الحين، بدأ يقترب ذلك اليوم، الذي ستوقع فيه دولتان على اتفاقية التسوية الدائمة، ولم يبق سوى بناء شروط العلاقات الجديدة بين الطرفين.

هذا ولم يكن الطرفان يدركان كم يخبئ الغيب لهما من أعمال عنف، ستقع بين التوقيع على الاتفاق المبدئي وبين إنجاز الاتفاق النهائي.

نصت الإتفاقية أيضا، على تاريخ محدد لإنجاز اتفاقية التسوية الدائمة - خمس سنوات منذ التوقيع على اتفاقية غزة وأريحا. ونظرا لتوقيع اتفاقية غزة وأريحا في الرابع من أيار ١٩٩٤، فإن من المفروض ألا يتجاوز توقيع اتفاقية التسوية النهائية الرابع من أيار ١٩٩٩ لقد بدأ العد العكسي باتجاه السلام الكامل.

وقبل وضع اللمسات الأخيرة على الاتفاقية، عقد اجتماع حاسم بين القادة أنفسهم. ففي الثالث من أيار، اجتمع عرفات مع رابين في قصر الرئيس مبارك وبوجوده، وبحضور وارن كريستوفر وبيرس ونديس روس ورؤساء الوفود، وقد كانت الجلسة عاصفة، وتواصل النقاش خلالها خمس ساعات. وقد أهاب الرئيس مبارك بالمجتمعين التوصل إلى اتفاق حول القضايا التي لازالت عالقة. وقد عاد عرفات إلى طرح ثلاثة مطالب معروفة : زيادة مساحة أريحا زيادة كبيرة، المسؤولية المدنية عن القسم الجنوبي من ساحل غزة، وضع شرطي فلسطيني على جسر اللنبي. وطالب رابين بالحصول على قائمة بأسماء الأعضاء الأربعة والعشرين في المجلس الذي سيشكله عرفات، والتي كان من المفروض أن تضم إلى الاتفاقية كملحق. وعندما أعرب عرفات عن احتجاجه نظرا لأنه يسمع هذا الطلب لأول مرة - رغم أنه طرح أمامه سابقا- ابتسمت أنا وشاحك.

وحينها قال عرفات: أنا اعرف أنني أبدا أمامكم كمهرج، وإذا كان الامر كذلك، واصلوا الابتسام.

-رابين: سيدي الرئيس، نحن نتعامل معك باحترام كبير جدا، بيد أنه يتوجب عليك احترام التفاهم الذي نتوصل إليه.

-عرفات: لقد وعدتموني بتقديم رد بشأن الشرطي على جسر اللنبي، وعدتموني برد على مساحة أريحا، وها انتم تهينونني باقتراح كيلومتر هنا وكيلومتر هناك، انتم الأقوى، وانتم الذين تقررون.

وفي نهاية الجلسة، وافق رابين على توسيع مساحة أريحا بستة كيلومترات أخرى، ومنح السيطرة المدنية لعرفات على خمسة كيلومترات أخرى من القسم الجنوبي لساحل غزة رغم قرب المنطقة من المستوطنات بيد أنه لم يكن

على استعداد بأي حال من الأحوال، للموافقة على وضع شرطي على جسر النبي، رغم الاتفاق على استئناف المفاوضات بهذا الصدد وهكذا اختتم هذا الاجتماع في حوالي الساعة الثانية ليلا، وقام الطرفان بإعداد الاتفاقية النهائية. في الرابع من أيار، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة ظهرا، بدأت مراسيم التوقيع على الاتفاقية في القاهرة. وبعد إلقاء عدة خطابات وقع عرفات ورايين على اتفاقية الحكم الذاتي في غزة وإريحا.

وخلال التوقيع لاحظ رايين أن عرفات لم يوقع على الخرائط المرفقة، فنهض من مكانه وتوجه إليه، وأشار إلى مكان التوقيع وطلب منه التوقيع فوراً، بيد أن عرفات رفض ذلك.

وكما يبدو، فإنه اعتقد أن التفاهم الذي تم إنجازه قبل عدة ساعات حول إعادة النظر في قضية الشرطي على جسر النبي، ستعكس نفسها في الخرائط، بيد أنه اخطأ وقد أدرك ممثلوه في المفاوضات ذلك. سارع شعث وشاحك للوقوف وراء الزعيمين على المنصة، وهناك انطلقت عاصفة عاتية وتم تسجيلها بالكامل بكاميرات الفيديو في نقل حي ومباشر إلى جميع أنحاء العالم.

كان جميع الحاضرين يتوسلون إلى عرفات كي يوقع، بل وكادوا يهاجمونه جسدياً لإرغامه على التوقيع، بيد أنه أصر على موقفه، وفي النهاية تغلبت عليه ضغوط مبارك الذي طلب منه، بلغة حادة ألا يخرج مصر المضيفة. ولم يوقع عرفات على الخرائط، قبل أن يستخلص من رايين وعدا بإرسال رسالة إليه تتضمن المشاكل التي لا زالت تحتاج إلى إجراء مفاوضات حولها، وعلى وجه الخصوص قضية الشرطي على الجسر.

تركت المسرحية التي نفذها عرفات على المنصة في أفواهنا مرارة شديدة. فالأمر يتعلق برجل أحرز لشعبه إنجازاً لم يسبق له مثيل. وفي نفس الوقت، تصرف بصورة جعلت الأعراف المعمول بها في العلاقات بين الزعماء الوطنيين والعلاقات الدولية بأكملها - تبدو أضحوكة.

بيد أن تقديرات عرفات كانت مختلفة. فقد شعر انه وقع على اتفاقية ستجعل الكثير من الفلسطينيين ينظرون إليه بعين الاحتقار، نظرا لسماعه لإسرائيل بالإمساك بين يديها بقدرة تأثير حاسمة على شؤون حياتهم. فهذه الوثيقة التي تم التوقيع عليها تؤكد سيطرة إسرائيل على المعابر، وحق الفيتو على التشريع الفلسطيني، وقبول أو رفض اسم أي شرطي من المفروض أن يدخل إلى الحكم الذاتي. وبالتالي اراد عرفات أن يرى أبناء شعبه، انه يناضل من أجل مصالحهم رغم الضغوط الدولية الشديدة، ولهذا السبب كان على استعداد لإخراج شركائه في المسيرة السلمية.



٦- حول طاولة المفاوضات في طابا، أيلول ١٩٩٥ من اليسار الى اليمين : ياسر عرفات، أبو علاء، أوري سبير، أيلان بيران، شمعون بيرس، شمعون ساميه.

انسحب الجيش الإسرائيلي من غزة وأريحا في الخامس والعشرين من أيار ١٩٩٤- أي بعد ثلاثة أسابيع من مراسيم التوقيع على المراسيم العاصفة في القاهرة، وفي الأول من تموز ١٩٩٤ دخل ياسر عرفات إلى قطاع غزة بعد أن استقبله ضابط إسرائيلي في معبر حدود رفح وفي ميدان غزة كان بانتظاره مائة ألف فلسطيني وعندما ألقى كلمته فيهم، أصفى إليه الكثيرون في إسرائيل والعالم كله.

ولدهشة الجميع فإن قلة قليلة من الإسرائيليين هي التي خرجت عن طورها بسبب قدومه إلى غزة فقد استقبل خروج الجيش الإسرائيلي من القطاع لدى الإسرائيليين كبركة لدى الجميع.

وقد استقبل الإسرائيليون بحر الإعلام الذي بدا في الميدان، والخطاب الهادئ الذي ألقاه عرفات، بتفهم صامت ..

لقد أثمرت الفكرة التي طرحها شمعون بيرس عام ١٩٩٢، وبدت ثمارها ناضجة عام ١٩٩٤ وأصبح عرفات زعيما في مكانه، وعليه أن يبني مجتمعا واقتصادا، وقد تعهد بزيادة المعايير الأمنية، إضافة إلى تعهده بالتعاون والتفاوض مع جارتة الجديدة - إسرائيل.

الصلة الهاتفية مع أبو علاء تواصلت في أعقاب مراسيم التوقيع. وكان قد وقع على الاتفاقية الاقتصادية في باريس في التاسع والعشرين من نيسان. وقد أصبحت هذه الاتفاقية جزءا من اتفاقية غزة وأريحا على أن يتم إخضاعه وفقا للاتفاق بين عرفات ورايبن- للقسم الأمني من الاتفاقية، إذا ما برزت هناك خلافات بين الجانبين.

ومن الجدير بالذكر، أن هذا الوضع من مساسا خطيرا جدا فيما بعد، بالاقتصاد الفلسطيني إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفترات الطويلة من الإغلاق الذي فرض على مناطق الحكم الذاتي، في أعقاب العمليات الإرهابية، التي وقعت في إسرائيل.

وبعد عدة اشهر- وفي أوج المفاوضات توفي والد أبو علاء فاتصلت به وعزيتة، وكان آنذاك في باريس، وعرضت عليه أن يأتي لحضور الجنازة - رغم انه سيضطر للقدوم سراً - فقال لي: انه اختار أن يفي بإجراءات الحداد على والده في تونس. فهو لم يكن يرغب في العودة إلى أبو ديس طالما لم يتم توقيع الاتفاقية، وطالما لم يكن قادرا على العودة، علنا، كعضو في زعامة منظمة التحرير.

وفي منتصف شهر تموز، دق جرس الهاتف، وكان أبو علاء على الطرف الآخر من الخط. وقال لي: "أنا اتصل بك من أبو ديس، لقد عادت العائلة كلها، أم علاء والأولاد إلى منزل والدي، ونحن نرغب باشتراككم في فرحتنا. قلت له: أهلا وسهلا أبو علاء، نحن سعداء بعودتكم، هانحن في نهاية المطاف قد أصبحنا جيران.

كان صوت الفرح باديا تماما في صوته، ولم اكن أتخيل طيلة حياتي، بل وحتى سنة واحدة مضت- أنني سأسعد إذا ما علمت أن أحد زعماء منظمة التحرير سيسكن على بعد عدة كيلومترات من بيتي.

حددنا فورا موعدا للاجتماع في تل أبيب لتناول طعام الغداء، ودعونا لاريسون معنا، وقد تحدثنا ساعات طويلة، حول التعاون فيما بيننا، وخصوصا في الشؤون الاقتصادية، ثم سرنا باتجاه يافا القديمة، فقال أبو علاء: لا أكاد اصدق انه أن الأوان الذي نستطيع فيه الالتقاء في تل أبيب. سنحتاج وقتا طويلا حتى نتمكن من عمل ذلك، بيد انه كلي أمل، في حدوث ذلك. وهذا هو تفسير الاتفاق بالنسبة لي شخصيا. هناك الكثير من المشاكل التي لا زالت بانتظارنا على الطريق، بيد أن هناك مسألة واضحة تماما، وهي أننا لن نتجه إلى الورااء أبدا".

الفصل السادس

أوسلو فتحت أبواب الشرق الأوسط أمام إسرائيل إسرائيل انطلقت عبر أوسلو إلى الأردن

دخل عرفات وزملاؤه إلى غزة من أجل قيادة شعبهم، وهو الأمر الذي كان بمثابة سابقة في تاريخ الشعب الفلسطيني. وفي البداية ارتكبوا جميع الأخطاء والعثرات جراء الافتقار إلى التجربة والخبرة لدى منظمة التحرير في إدارة المجتمع والاقتصاد.

كانت إسرائيل قد احتلت غزة قبل سبع وعشرين سنة من أيدي المصريين خلال حرب ١٩٦٧. وعندما حان الأوان، كي تغادر إسرائيل غزة، تركت خلفها مستوطنين وتركت جنودا إسرائيليين لحمايتهم، إضافة إلى التأثير الاقتصادي، بيد أن غزة أصبحت الآن فلسطينية، بعد مئات السنوات من الحكم الأجنبي: العثماني، والبريطاني، والمصري، الإسرائيلي، أصبح الفلسطينيون أنفسهم مسئولين عن المنطقة.

كانت غزة - فلسطين، التي سلمت إلى عرفات بائسة للغاية، رغم الإصلاحات النسبية التي دخلتها، مقارنة بوضعها عندما احتلتها إسرائيل عام ١٩٩٧.

كانت المدينة وضواحيها مصابة بعدة أمراض عضال: الانفجار السكاني، البطالة الرهيبة، انعدام البنية الاقتصادية. أضف إلى ذلك، أن الوضع الاقتصادي تدهور بصورة أسوأ، قبل قدوم عرفات بسنة، بسبب الإغلاق الذي كانت إسرائيل تفرضه بين الفينة والأخرى، على المناطق. وقد أدى ذلك، إلى خفض الناتج الوطني الخام في غزة، بنسبة ٢٥% وازدياد معايير البطالة بنسبة ٥٠% كانت مخيمات اللاجئين تفيض بشرا، ونسبة الزيادة الطبيعية من أعلى النسب في العالم. وإضافة إلى كل هذه المشاكل، كانت غزة والقرى والمدن

الأخرى في القطاع، تفتقر إلى شبكات المجاري، وشبكات الكهرباء، والطرق، وحتى مياه الشرب.

وقد أدت المقارنة بين هذا الوضع المزري والازدهار الذي تعيشه إسرائيل، على بعد خطوات معدودة إلى زيادة حدة اليأس في نفوس المواطنين هناك. ولا شك أن هذا اليأس، كان الأرض الخصبة التي نمت فيها حركتا حماس والجهاد الإسلامي. وقد انضم إلى صفوف هاتين الحركتين عشرات آلاف الشبان الفلسطينيين الباحثين عن عالم أفضل في الإيمان الأصولي. وقد فهمت هاتان الحركتان اتفاقية أوسلو، ككابوس تسوية مهنية مع عدو أبدي، وكتهديد على الحركات الدينية والاجتماعية التي حاولت التمترس ضد أي تأثيرات خارجية.

استهل عرفات عمله كرئيس للسلطة الفلسطينية باستخدام نفس الأساليب التي سبق أن خدمته في الماضي : محاولة تثبيت قوته عبر انتهاج أسلوب "قرق تسد". وكان أول الأهداف التي سعى إليها، تشكيل جهاز شرطة في غزة وإريحا، من رجاله المخلصين، وبأعضاء جيش التحرير الفلسطيني، الذين وصلوا من الخارج. وقد تم دمجهم مع مؤيديه المحليين، ونظمهم في عشرة أجهزة أمنية، منها أجهزة لا لزوم لها أصلا.

لقد عمل عرفات على إنشاء هذه الشبكة من الأجهزة الأمنية، بصورة رئيسية، كركيزة لسلطته.

كان العالم - الذي واصل العمل على مدى المساعدة للرئيس - مطالباً بتزويده بالتمويل من أجل تمكينه من إقامة نظامه، والمتمثل في : قوة شرطة قوية، ونظام بيروقراطي مدني لتنفيذ الصلاحيات الجديدة. ومن الجدير بالذكر، أن قضية تخصيص مبالغ مالية لتوظيفها في دفع إحدى الدول نفقاتها الشاملة، تتعارض مع سياسية المساعدات التي تنتهجها غالبية الدولة المانحة. بيد أن القواعد والأمس أنفة الذكر، لم تتغير نظرا لان تلك الدول، كانت تعلم، أن عرفات يعمل على بناء أسس سلطته. فالسلطة الفلسطينية لم تكن تمتلك ولو جهازا لاجابة الضرائب.

اقترح بيرس - الذي كان يدرك حقيقة، ووضع السلطة الفلسطينية - إنشاء صندوق دولي خاص باسم وزير الخارجية النرويجي هولست، على أن تستغل أمواله للإنفاق على المناحي الخاصة بكلفة إنشاء السلطة الفلسطينية. وتولى النرويجيون عملية إقامة الصندوق باسم هولست، في حين عمل البنك الدولي كسكرتير للإشراف على المشروعات المختلفة، وصندوق النقد الدولي قدم التوجيه والرعاية النقدية.

أشرفت الولايات المتحدة على كل هذه الجهود، ذات المؤسسات المتعددة، مستعينة بالخدمات التي قدمها دنيس روس، وتوني فستندبخ الممثل الأميركي الديناميكي لمؤتمر الدول المانحة. والتي انضمت إلى طاقم السلام، الذي شكلته وزارة الخارجية الأميركية.

وتعهدت الولايات المتحدة، أيضا، بمنح الفلسطينيين خمسمائة مليون دولار - أي أكثر من أي دولة أخرى مانحة - . بيد أن خيبة الأمل الكبيرة تبدت بأجلى معانيها في الدول العربية، والتي رفعت النضال الفلسطيني إيان محاربة منظمة التحرير لإسرائيل، إلى مستوى المعجزة ودعمت الاخوة الفلسطينيين في أوقات الحرب، بيد انهم تجاهلهم عندما آن الأوان، كي يبنوا وطنهم القومي. وتحت وطأة ضغط الأميركيين أسهمت السعودية بمبلغ مائة مليون دولار سنويا، بيد أن الضغوط الأميركية لم تجد نفعا في دفع دول الخليج الأخرى، لمساعدة لهم.

لم يستطع عرفات الصمود إزاء "كشوف الحساب" التي بدأت الدول المانحة تعرضها عليه، لان هذه المصطلحات كانت غريبة عليه تماما، فقد تعامل مع التعويضات كأموال مستحقة لشعبه بصورة طبيعية، بسبب الظلم الذي وقع عليه طيلة تاريخه، وخصوصا تحت وطأة نير الاحتلال الإسرائيلي.

أخذ الفلسطينيون، في هذه الأونة، يعملون على تطوير مؤسسات سياسية قوية، وليست مؤسسات اقتصادية. وخلال مؤتمر الدول المانحة الذي عقد في باريس خلال الفترة الواقعة بين ٧-٩ أيلول ١٩٩٤، طالب نبيل شعث بتخصيص

أموال المانحين للمؤسسات الفلسطينية في القدس، بيد أنني قلت للاريسون - رئيس المؤتمر - أن الوفد الإسرائيلي لن يدخل إلى المؤتمر، إذا لم يتراجع الفلسطينيون عن طلبهم انف الذكر، وفي أعقاب النقاش الطويل الذي أجريناه، وافق شعث على إزالة هذا المطلب، عن جدول أعمال المؤتمر، بيد أن عرفات طلب منه الا يفعل ذلك وبناءً عليه، قررت تخريب المؤتمر، فقد شعرت بالغضب الشديد لاستغلال الفلسطينيين للوسيلة التي ساعدناهم نحن، في الحصول عليها، من أجل مصلحتهم.

وهكذا، عندما جميعا إلى منازلنا، بعد أن طلبنا من النرويجيين أن يستدعوا ممثلي الطرفين إلى أوسلو في الثالث عشر من أيلول من أجل إحياء الذكرى الأولى لتوقيع اتفاقية المبادئ، والعمل للعثور على حل للمشكلة. اتفق بيرس وعرفات، في أوسلو، على استبعاد جميع القضايا موضع الخلاف بينهما من قاعات مؤتمر الدول المانحة. وكبي نؤكد ذلك، وقعنا معا على "بيان أوسلو" رسمياً، وشاهدنا العرض الذي قدمته جوقات من الأولاد الإسرائيليين والفلسطينيين أمام النرويجيين المصنفين. وهنا، توجه عرفات إلى بيرس بمناداته "بابن عمي". وقد خرج بيرس بانطباع من هذا اللقاء، يفيد أن عرفات معني بتثبيت مكانته السياسية والذاتية، أكثر مما هو معني ببناء اقتصاد أو مؤسسات حيوية أخرى لمجتمع مدني.

لقد اتضح لنا، في غضون الأسابيع الأولى للحكم الذاتي الفلسطيني بغزة -وبصورة لا تقبل الجدل- أن عرفات لا يستغل قوته الجديدة من أجل نزع سلاح حماس ومنظمات المعارضة العنيفة الأخرى بصورة منهجية. وقد طالب رابين، خلال اللقاء الذي عقده مع عرفات، في العاشر من آب، بأن تعزز السلطة الفلسطينية جهودها من أجل كبح هذه الجهات والمنظمات، وقال لعرفات بصوت مهذب: "هذا هو اختبارك".

وحال سماع عرفات لهذا المطلب، قال : أن عليه أولاً أن يبنني دعماً فلسطينياً قوياً له، قبل أن يشرع في مثل هذه الخطوة بكامل جهده وقد حرص

الكثير من مقريه، على أن يوضحوا لنا، أن أساليب عرفات، تختلف عن أساليبنا في العمل.

وفي تعقيبه على هذا المطلب، قال لي حسن عصفور، حينما تقابلنا في غزة: "لقد حاربتم الإرهاب بالقوة، وفشلتم، بيد أن عرفات يستخدم استراتيجية مختلفة، وسينجح فيها، اعتمدوا عليه وادعموه، وسترون. إننا نجري حواراً مع حماس، والكثيرون من رجال حماس ينتقلون إلى جانبنا".

كان الجهاز الأمني، يمارس ضغطاً على عرفات لإرسال قواته من بيت إلى بيت لمصادرة أسلحة حماس، بيد أن قادة الجهاز كانوا يدركون أن هذه الحركة تحظى بتأييد شعبي واسع، وأنه يتوجب علينا أن نمنح عرفات فرصة معالجتها بالدمج بين القوة والحوار.

وفي منتصف عام ١٩٩٤، قال لي: أن هناك اتفاقاً آخذاً في التبلور بين حماس وحركة فتح يتضمن حظر استخدام العنف، واعتراف الطرفين بصلاحيات مركزية، يمكنها أن تمنح الشرعية للتعددية السياسية.

لقد أمل عرفات، في أن ينجح إنجازُه الذي لم يسبق له مثيل في السيطرة على قطاع غزة، في جذب مؤيدي حماس نحوه. وكانت جميع الدلائل تشير إلى أنه محق في اعتقاده.

ويقول لاريسون - الذي عين في حزيران ١٩٩٤ نائب سكرتير الأمم المتحدة لتنسيق المساعدات للفلسطينيين. كما عينت زوجته مونه، نائبا للسفير النرويجي في إسرائيل - إن أكبر تغيير طرأ على مدينة غزة، تمثل في حياة الليل على شاطئ البحر. ففي أعقاب كل ذلك الأمن الطويل من حظر التجول الليلي، تمكن السكان من السهر ليلاً أو نهراً، على شاطئ البحر، والاستفادة من شبكة الفنادق التي أقيمت هناك.

وبدأت أيضاً تختفي الأغصية عن رؤوس النساء، وقصرت الفساتين من الجزء الأسفل، وهو الأمر الذي استقبله لاريسون بالترحاب، معتبراً إياه اتجاهاً نحو التطبيع مع الغرب.

بيد أن حركة حماس، خشيت من أن تؤدي هذه المبادرة الصغيرة، باتجاه إسرائيل والغرب، إلى جانب تعاون ياسر عرفات مع إسرائيل والغرب - إلى تصفية حركة حماس.

وهكذا، وبينما السلطة الفلسطينية تجري مفاوضاتها، استكمل رجال حماس - وبتشجيع من جهات مختلفة في إيران وسورية والأردن، نشاطاتهم في مخيمات اللاجئين واعدت العدة للشروع بعمليات إرهابية، من أجل "كشف أخطار السلام المزيف".

قتل المسلحون الفلسطينيون في غضون الأشهر الستة الأولى لتولي السلطة الفلسطينية شئون غزة، خمسة عشر إسرائيلياً - ثمانية منهم بالقرب من غزة وقد جاء رد رابين شديداً جداً.

لقد حرص رابين حقا على التفريق بين حماس وفتح، وأوضح للجماهير الإسرائيلية، إن حركة فتح تعمل ضد الإرهاب، إلا أنه اعلم عرفات، بأن عليه أن يعزز جهوده الخاصة بالقضاء على المتطرفين الأصوليين وقمعهم. وكى يزيل أي شكوك عن مدى الخطورة التي ينظر بها إلى هذه العمليات، أغلق الضفة والقطاع، في تشرين الأول ١٩٩٤، وقطعها نهائياً عن إسرائيل. وقال: إذا كانت السلطة الفلسطينية لا تستطيع منع الإرهاب، وطالما كان الجيش الإسرائيلي لا يستطيع العمل في المناطق الواقعة تحت سيطرة السلطة الفلسطينية، فلا مناص من منع الفلسطينيين من دخول إسرائيل أو العمل فيها.

الخطأ يجر الخطأ. لقد فشل عرفات منذ البداية في تجذير صلاحياته بشكل كامل، ولم ينجح في قمع القوى التي تميل إلى استخدام العنف، ثم قمنا نحن بسياسة الإغلاق ليس بمعاقبة المسلحين والقوى العنيفة، بل عاقبنا الفلسطينيين كلهم. وقد تعاملت الجماهير الإسرائيلية مع الإغلاق كحاجز في وجه الإرهاب، في حين لم يكن الجهاز الأمني يعتبر الإغلاق وسيلة فعالة لهذا الغرض. بل ربما كان الأمر على العكس تماماً، فالإغلاق طويل الأمد كان يسهم في تعزيز قوى الإرهاب، ليس فقط لأنه أتاح لها الفرصة لوصف اتفاقية غزة وأريحا كاتفاقية

لاستمرارية الاحتلال بأساليب أخرى. بل لأنه كلما تدنست مستويات الحياة، كلما ازداد الدعم والتأييد للتطرف والعنف وازدهر في أوساط الفلسطينيين.

وفي خريف عام ١٩٩٤، تلقت مسيرة السلام ضربات موجعة للغاية. مما جعل جهات فلسطينية وإسرائيلية تتساءل: "هل هذا هو السلام". وبدأ كل جانب يكيل التهم للآخر، واخذ الوضع يتدهور من الوعود والآمال الكبيرة إلى الصعوبات الاقتصادية، إلى العنف والإرهاب، والتصريحات المعادية حتى آلت في نهاية المطاف، إلى طريق سياسي مسدود.

ويذكر الكثيرون، يوم الرابع عشر من تشرين الأول ١٩٩٤، كيوم التعارضات الحادة بين الوعود التي حملها إعلان المبادئ التاريخي، وبين الآلام المرتبطة بتحويله إلى واقع. فقبل خمسة أيام تم اختطاف الجندي الإسرائيلي (نحشون فاكسمان) من قلب إسرائيل، وكادت الدولة كلها توقف أنفاسها عندما شرع الجيش بالبحث عنه وأجرى رابين اتصالات مكثفة جداً مع عرفات، بوساطة الدكتور احمد الطيبي، حول هذه القضية بل وجرى الحديث عن إمكانية إطلاق سراح الشيخ احمد ياسين، زعيم حركة حماس من المعتقل الإسرائيلي، مقابل إطلاق سراح فاكسمان.

وفيما كان أعضاء كنيسة عرب يقومون بأعمال الوساطة بين عرفات والحركات الإسلامية، اتضح للجيش الإسرائيلي، أن فاكسمان ليس محتجزاً في غزة - مثلما اعتقد اسحق رابين في البداية - بل في (بير نبال) القرية من رام الله والواقعة تحت السيطرة الإسرائيلية.

وإضافة إلى الاتصالات المكثفة مع عرفات في غزة، بدأ رابين ومسؤولو قوات الأمن بدراسة إمكانية القيام بعملية إنقاذ سريعة لفاكسمان، واعلم رابين بيرس بما يحدث، بيد أن جميع هذه الاتصالات دارت من وراء الكواليس. وبعد أسبوع من انتظار تطورات جديدة، ساد إسرائيل توتر لا يطاق.

وشاءت المفاوضات، أن تعلن لجنة جائزة نوبل للسلام، في الرابع عشر من تشرين الأول - أي في نفس الفترة - عن قرارها منح الجائزة لرابين وبيرس

وعرفات. ولم يعرف بيرس بهذا القرار، الا قبل ساعة واحدة من إعلانه، لقد كنت طيلة النهار معه، وحينما علم بالقرار بدا أن تقاطيع وجهه لم تتغير، بيد أنني تعلمت خلال سني العمل مع هذا الرجل، الذي لا يترك لمشاعره فرصة للإفصاح عن نفسها، أن المح بما يشعر به. وقد أدركت أن القرار اثر فيه إلى ابعد الحبود. تواصلت الجهود الرامية لتحرير فاكسمان طيلة ساعات ما بعد الظهر. وعندما بدا فشل فرص نجاح أعمال الوساطة، قرر رابين القيام بعملية إنقاذ عسكرية لفاكسمان.

في ساعات المساء المبكرة، اتصل بي رئيس شعبة العمليات في وزارة الخارجية (رون بروشاور) وقال لي: "قتل فاكسمان إيان محاولة قوة إسرائيلية اقتحام المنزل الذي كان محتجزا فيه، كما قتل ضابط إسرائيلي يدعى "ثير بوراز".

باتت الدولة كلها، تلك الليلة، تحت وطأة الصدمة، لقد نجح إرهاب حماس في تحقيق هدفه، ولا شك أن المناظر التي تبدت حينما تم إعلام عائلة فاكسمان بمقتله، ونداءات الغضب التي أطلقت في أعقاب ذلك، تغلبت على إدراك حقيقة أن المسيرة السلمية جاءت لتخليص الأجيال القادمة من حالات الرعب والموت، التي كنا نشهدها انذاك.

كانت تلك الليلة، بمثابة ليلة اختبار لزعامة رابين. وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده، بدا عابسا، مقطب الجبين، وشرح بشجاعة بالغة، الجهود التي بذلت من اجل إنقاذ فاكسمان، وأكد انه يفرق بين (القتلة) من رجال حماس، وبين شركائه الفلسطينيين، في محاربة الإرهاب.

وفي صبيحة اليوم التالي، قلت لبيرس: إذا ما وصفنا الإرهاب بأنه المشكلة الرئيسية التي نواجهها، فسوف نسهم في تعزيز قوة القتل ومعارضتي السلام من الداخل والخارج، لانهم سيدركون مدى حجم القوة الهائلة الموجودة بين أيديهم لمحاربة المسيرة السلمية. لذا، علينا أن نحاربهم، في نفس الوقت الذي يجب أن نكون اكثر برودا من (البريطانيين)، وان نعوض على نواجذنا، ونقول

للجماهير الحقيقة البسيطة: "الإرهاب سيتواصل حتى ننجز السلام الكامل، ولا يجب، بأي حال من الأحوال، أن نخضع أو نستكين له".

ورغم أن بيرس وافق على ما قلته، إلا أنه بدا متشككا بالصورة التي اقترحتها عليه، وهو يرى المنافسة والتحدي القائمين بين الخوف والأمل.

كان بيرس محقا في اعتقاده فبعد خمسة أيام من إطلاق أعضاء حماس النار على فاكسمان، قام انتحاري بتفجير نفسه في الحافلة (رقم ٥) إبان سيرها في شارع ديزنوجوف في تل أبيب، مما أسفر عن مقتل واحد وعشرين شخصا.

هز الإرهاب إسرائيل، وأفقدها صوابها، وانطلقت جماهير المعارضة في مظاهرات صاخبة ضد سياسة (أوسلو) واتهمت الحكومة علنا بالإسهام في مقتل الإسواتيليين.

وفي المظاهرة التي نظمت في الثاني والعشرين من تشرين الثاني - والتي شارك فيها بنيامين نتنياهو ورفائيل ايتان وزبولون هامر، أطلقت شعارات مثل: "هذا السلام يقتلنا"، "رابين قاتل".

ورغم هذه المظاهرات والنداءات، فإن ياسر عرفات لم ينجح في إدراك عمق الخطر الناجم عن الإرهاب، ولم يجند جميع الوسائل التي يمتلكها كي يبدو كشرير حقيقي في وقف أعمال العنف ضدنا. لقد أخذ تخطيطه الاستراتيجي بعين الاعتبار وضع المجتمع الفلسطيني، وقام على أساس الاقتراض القاتل: أن بالإمكان هزيمة الأصولية، بعمل تدريجي أقل عدوانية، أنه لم ير التعارض القائم بين هذه الاستراتيجية وبين التزامه بالعمل مع إسرائيل.

وهكذا، شاءت الأقدار أن تتحمل المسيرة السلمية مصاعب جمة، ورغم ذلك بدا واضحا إن المسيرة ستواصل انطلاقها إلى الأمام استنادا إلى الإصرار وتفهم إمكانية القضاء على الإرهاب، عبر الحل السياسي بصورة أساسية، إلى جانب النشاطات الشديدة، على أرض الواقع، والضغط على عرفات لدفعه للعمل بصورة أكثر حزما وحدة.

واجه النصف الثاني من عام ١٩٩٤ مفارقة أخرى كان المسار الفلسطيني الإسرائيلي في أمس الحاجة حقا إلى تعديل، بيد أن إسرائيل كانت قد بدأت تتمتع بثمار السلام التي نمت بصورة مباشرة على أغصان الانفراج الحادث مع الفلسطينيين. لقد بدأت اتفاقيات أوسلو تفضي إلى التطورات الإقليمية التي أملنا فيها. ففي تشرين الأول والثاني، فتحت أبواب أمانا في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

ففي أعقاب شهور طويلة من التفاوض السري مع المملكة الهاشمية - والتي اشرف عليها بصورة أساسية، مساعدو رابين إليكيم روبنشتاين ورجل الموساد افرام هليفي وايتان هابر- وقعت إسرائيل والأردن في الرابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٩٤ على اتفاقية سلام رسمية بينهما.

لعبت الولايات المتحدة دورا مهما في ضمان هذا السلام، وتحقيقه. وقد تمكن رابين وبيرس من إقناع الرئيس الأميركي بمحو ديون أردنية لأميركا بقيمة ستة مليارات دولار، والتعاون مع الدولتين في مجال إنشاء مشاريع اقتصادية مشتركة. ترأست أنا وروبينشتاين الوفد الإسرائيلي للمحادثات الثلاثية التي بادر إلى طرحها بيرس، والتي أسفرت عن مخططات ومشروعات واعدة بشكل خاص لغور الأردن على جانبي النهر. وهكذا، حظي الأردن بخطوط حدودية ثانية، بعد أن حظي بخطوط حدودية أولى مع مصر وتعهدا للأردن، بحل مشكلة المياه التي يواجهها. ورغم استياء الفلسطينيين الكبير، فقد حظي الأردن بمكانة خاصة في الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس. وتطورت علاقات وطيدة بين رئيس الحكومة رابين والملك الحسين والتي انبثقت من خلال التفاهم الشخصي، والتطلعات الاستراتيجية المشتركة بشأن ضرورة ضمان استقرار النظام الهاشمي- والتعاون عند اللزوم ضد التهديدات الخارجية-.

ضمن السلام مع الأردن، السلام، دون مشكلة (التدريج)، فقد ولد مباشرة من قلبي زعيمي الدولتين، وللذين أعربا عن ذلك بصورة دائمة وواسعة.

كان الحسين، الزعيم العربي الذي احب الاسرائيليون أن يحبوه، فهو سيد دولة منظمة تميل إلى الغرب، وبالإمكان الوصول إليها، أضف إلى ذلك أن إسرائيل التي كانت تنوق إلى القفز من العداء إلى المحبة، عثرت في الأردن على الشريك النموذجي. ولا شك أن مراسيم التوقيع على الاتفاقية في السابع والعشرين من تشرين الأول ١٩٩٤، في المعبر الحدودي الجديد بين العقبة وإيلات، ابرز هذه المشاعر. فالجنرالات الذين قاتل، أحدهم ضد الآخر، تصافحوا، وتبادلوا الهدايا. وقدم الرئيس كلينتون، ووزير الخارجية الروسي كوزيريف للمشاركة في المراسيم، بل إن أوساط اليمين الإسرائيلي تبنت الاتفاقية مع الأردن بحماس، تلك الاتفاقية التي لم تكن تهدد أهدافهم الأيدلوجية الإقليمية.

أتى رابين والحسين أحدهما على الآخر، بمحبة متبادلة وحقيقية. وتحدث الحسين بحرارة عن السلام الصادق، وليس الاتفاق القائم فقط كحبر على ورق. ولم توجه الدعوة إلى عرفات للمشاركة في هذه المراسيم، بسبب تحفظ الحسين منه، ذلك التحفظ الذي لم يكن في تلك الأيام غريبا أيضا على رابين، على الرغم من انه كان واضحا، أن السلام مع الأردن، ما كان لينجز لولا انفراج أو سلو، ولولا هذا الانفراج أيضا، ما انفتحت أمام إسرائيل قنوات أخرى إلى العالم العربي.

وفي الثاني من تشرين الثاني ١٩٩٤- أي بعد سنة من طرح شمعون بيرس فكرة المؤتمر الدولي الاقتصادي، وقع حدث تاريخي آخر في كازبلانكا. فقد تدافع زعماء العالم، وبصحبتهم الآلاف من رجال الأعمال من جميع أنحاء العالم نحو المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ولأول مرة، منذ قيام إسرائيل، أصبح بمقدور إسرائيليين وعرب، الاجتماع في حدث دولي مفتوح ومناقشة صفقات تجارية، بل والاتفاق على صفقات أولية. لقد انهارت جدران الكراهية، وأصبحت المقاطعة العربية مجرد تاريخ قديم.

وفي الخيمة الخاصة التي وضعها الملك الحسن الثاني ملك المغرب، تحت تصرفنا، اجتمع شمعون بيرس مع زعماء ووزراء خارجية خمس عشرة

دولة عربية، وامتزجت الكوفيات والجلابيات والأزياء والملابس والبذلات في منظر سريالي، نظرا لإغراق إسرائيل في إطار، بدا حتى ذلك الحين، انه عربي خالص.

وفي أعقاب استقبال الملك الحسن لنا، بدأنا بـيرس وأنا حوارا مع ياسر عرفات، تحت أسماع وأبصار الكثيرين المندهمين، كانت الصورة مذهلة حقا، لقد أتاح التعاون الإسرائيلي الفلسطيني، إمكانية مزاجات جديدة في المنطقة.

وفي الوقت الذي جلس فيه الزعماء واصنعوا إلى عدة خطابات قصيرة، جلست أنا في الصف الثاني مع دنيس روس. وفي حقيقة الامر، فان مؤتمر كازابلانكا جذب قوى كبيرة وقوية على الصعيد الاقتصادي في المنطقة، بدءا بالإصلاحات على صعيد الاقتصاد العربي، ونمو نخبة اقتصادية جديدة ومتقنة، وتعاون بين رجال أعمال إسرائيليين وعرب، والعمل على إنشاء مؤسسات إقليمية، وانتهاء بإنشاء بنك تطوير إقليمي.

لقد عملت بالتنسيق مع شخصيات فلسطينية - أبو علاء - ومصرية وأردنية، من اجل إقامة مؤسسة إقليمية كهذه.

وبعد بضعة أسابيع، من مؤتمر كازابلانكا مثلنا نحن ممثلي الأطراف الأربعة - أمام مسؤولي وزارتي المالية والخارجية، الأميركيتين - كوفد شرق أوسطي، وطالبنا باسم المنطقة، بإنشاء جهاز مالي لتمويل المشروعات. وبعد أن تمكن بيرس من إقناع الرئيس كلينتون بمدى أهمية البنك الإقليمي، بدأت مراسيم إنشائه. وانطلق الشرق الأوسط الجديد في طريقه.

اقتصرت مشاركة رابين في المؤتمر على عدة ساعات فقط. وقد تطرقت كلمته - تماما ككلمة عرفات - إلى قضية القدس. وقبل عودتنا، عقد اجتماع بين رابين وبيرس وأعضاء وفدنا المفاوض، وبين عرفات ووفده المفاوض في إحدى الفيلا الفاخرة في كازابلانكا. وقد استهل رابين الحديث بلهجة شديدة قاتلا: 'سيدي الرئيس: يجب علينا مواصلة محاربة الإرهاب، لانه لا

توجد قضايا ذات أبعاد وانعكاسات أخطر من الأبعاد التي يمكن للإرهاب أن يعكسها على الطرفين".

وقد رد عرفات على ذلك قائلا: "نعم، علينا أن نحارب المتعصبين الذين يملكون كما هائلا من المال، لكن وبدلا من أن تعاقبهم، فإنكم تعاقبوننا بصورة غير مباشرة. ففي غزة يوزعون منشورا ضد كلينتون، بيد ان مصدر هذا المنشور هو دمشق. أرجوك كفوا عن العقوبات الجماعية. أنا أدرك انه لم يكن من السهل عليك أن تعلن في أعقاب المأساة التي وقعت في تل أبيب التزامك بالمسييرة السلمية. وأنا أشكرك على ذلك، بيد أنني اعتقد أن إطلاق سراح الشيخ ياسين سيكون مجديا، فهو سيؤثر على المتطرفين، أنا اعرفه، وسيدعو لوضع حد لأعمال العنف".

فقال رابين: "لقد فحصنا هذه النقطة، وهو ليس على استعداد لعمل ذلك. وعلى أية حال، فان من الحيوي أن تواصل أنت محاربة الإرهاب، هذا هو أهم نضال، إن الرأي العام الإسرائيلي تأثر، وهناك نداءات في إسرائيل لقتلي". عرفات : "وأیضا أنا، في الرأي العام الفلسطيني". رابين : "إذا كان الامر على هذا النحو، فنحن في نفس القارب".

لقد كان هذا اللقاء، هو الوحيد الذي حضرته لرابين، وسمعتَه يتطرق فيه ليس فقط إلى مشاعر الجماهير الإسرائيلية الغاضبة، بل أيضا إلى الدعوة لقتله. لقد قال ذلك بالضبط قبل سنة ويومين من قيام شاب متعصب بإخراج هذه النداءات إلى حيز التنفيذ.

وتواصلت موجة الإرهاب، ووقعت عمليتان في تشرين الثاني بالقرب من المستوطنات في قطاع غزة، مما أسفر عن مقتل عشرة إسرائيليین منهم سبعة جنود.

وجد رابين وبيرس نفسيهما أمام مازق، فهما لم يكونا ليشكا للحظة في مصداقية طريقهما أو إيمانهما بان المسيرة السلمية ستتعزيز، على المدى البعيد، أمننا الوطني: كما انهما كانا يعتقدان اعتقادا جازما، بان إيقافهما لمسيرة أوسلو،

سيؤدي إلى تعزيز قوة حركة حماس، وسيقوض جميع المزايا التي كسبتها إسرائيل من الاتفاقية. هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى، فقد بدأت شكوك الجماهير الإسرائيلية- وليست فقط أوساط اليمين- تتزايد تجاه قدرة عرفات، بل ومدى رغبته في السيطرة على (المخربين)، وهكذا بدا هامش المناورة يتضاءل.

وعلى أرضية هذا الوضع، طرح بيرس فكرة جديدة. فقد اقترح على عرفات خلال لقائهما في غزة، في الثامن والعشرين من تشرين الثاني تغيير جدول العمل المحدد في إعلان المبادئ بحيث تجري الانتخابات للسلطة الفلسطينية، قبل إعادة الانتشار الإسرائيلي في الضفة الغربية مع الحرص على تقليص تواجد الجيش الإسرائيلي - يوم إجراء الانتخابات- إلى حد كبير جدا، في المناطق الفلسطينية، وقال بيرس: في أعقاب الانتخابات ستقوم إسرائيل بتوسيع الحكم الذاتي تدريجيا، وستبدأ من جنين. وقد تحدث بيرس مع عرفات عن خطته تلك، على أن لا يتم الإفصاح عنها ونشرها. ولم يرفض عرفات الفكرة بل طلب منحه مهلة زمنية للتفكير والتشاور مع مقربيه.

أمل بيرس في قبول عرفات للفكرة في نهاية المطاف، نظرا لان الانتخابات كانت ذات أهمية كبيرة جدا، لدى عرفات، كوسيلة لاضفاء الشرعية على حكمه.

اعترضت على هذا التوجه، وقلت لبيرس لا اعتقد أن هناك أي فرصة لموافقة عرفات على إحداث أي تغيير في اتفاقية إعلان المبادئ، أضف إلى ذلك، انه لا يستطيع إجراء الانتخابات في ظل الاحتلال. وأضفت : لقد أتحت لنا الفرصة، في نهاية المطاف، للتخلص من السيطرة على شعب آخر. وطالما لم يتم وضع حد للاحتلال، فسوف تكون هزيمة الإرهاب مستحيلة. فالإرهاب سينهار إذا ما دمرت القاعدة الشعبية التي يتغذى منها. ولا شك أن هذه العملية طويلة بيد انه لا بديل لها.

ومن الجدير بالذكر، أن أعمال العنف الأصولية لم تكن نتاجا لسيطرتنا على المناطق فقط، بل كانت أيضا نتاجا للصراع العنيف الدائر بين المنظمات

الأصولية، وبينها وبين عرفات، ولا شك أن الإرهاب حظي بتأييد واسع في أوساط الجماهير الفلسطينية نظرا لان تلك الجماهير كانت مطلوبة الحرية. وافق بيرس على الأهداف التي أشرت إليها، بيد انه لم يكن مقتنعا بإمكانية إنجازها. إزاء التأثير الكبير للعمليات الإرهابية على الرأي العام في إسرائيل.

طلبت من بيرس بان يسمح لي بمواصلة الحوار مع الفلسطينيين، حول اتفاقية التسوية المرحلية، شريطة أن يعملوا معنا لتعزيز حربهم ضد الإرهاب. وبعد نقاش مطول، قرر رابين وبيرس دراسة هذه الإمكانية مع الفلسطينيين والشروع بمحادثات التسوية المرحلية.

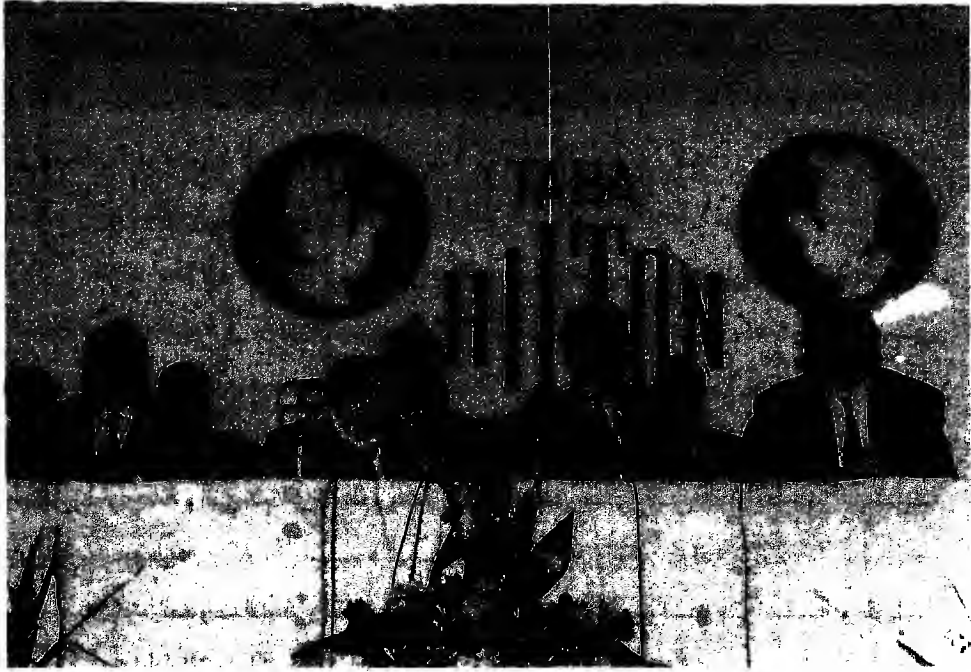
شارك في هذه المحادثات التي عقدت في القاهرة عوزي ديان - والعميد جادي زوهر رئيس الإدارة المدنية في الضفة الغربية، ويوآل زينجر، وأنا. وقد طلب منا رابين أن نعمل أولا على تحديد القضايا بالتعاون مع الفلسطينيين، وكان علينا أن نطالب بمواصلة السلطة الفلسطينية العمل بحزم ضد الإرهاب. وعندما جمعنا أوراقنا استعدادا للتوجه إلى المطار، سأل عوزي ديان: "من الذي يت رأس الوفد؟" فأجاب رابين: "أوري سبير".

كنت اعلم أن بيرس أوصى بان يتم تعييني رئيسا لوفد مفاوضات التسوية المرحلية، بيد أن رابين تردد في ذلك. وقد اخبرني امنون شاحك- الذي كان انذاك قد حل محل أهود براك، في رئاسة الأركان انه أيضا أوصى بتعييني رئيسا للوفد، وأكد أهمية تعيين مدني رئيسا، بيد أنني لم اكن اعرف ذلك، لذا فوجئنا، خصوصا وأني لم اكن اعلم، بمدى ثقة رابين بي في المفاوضات، بسبب قربى من بيرس.

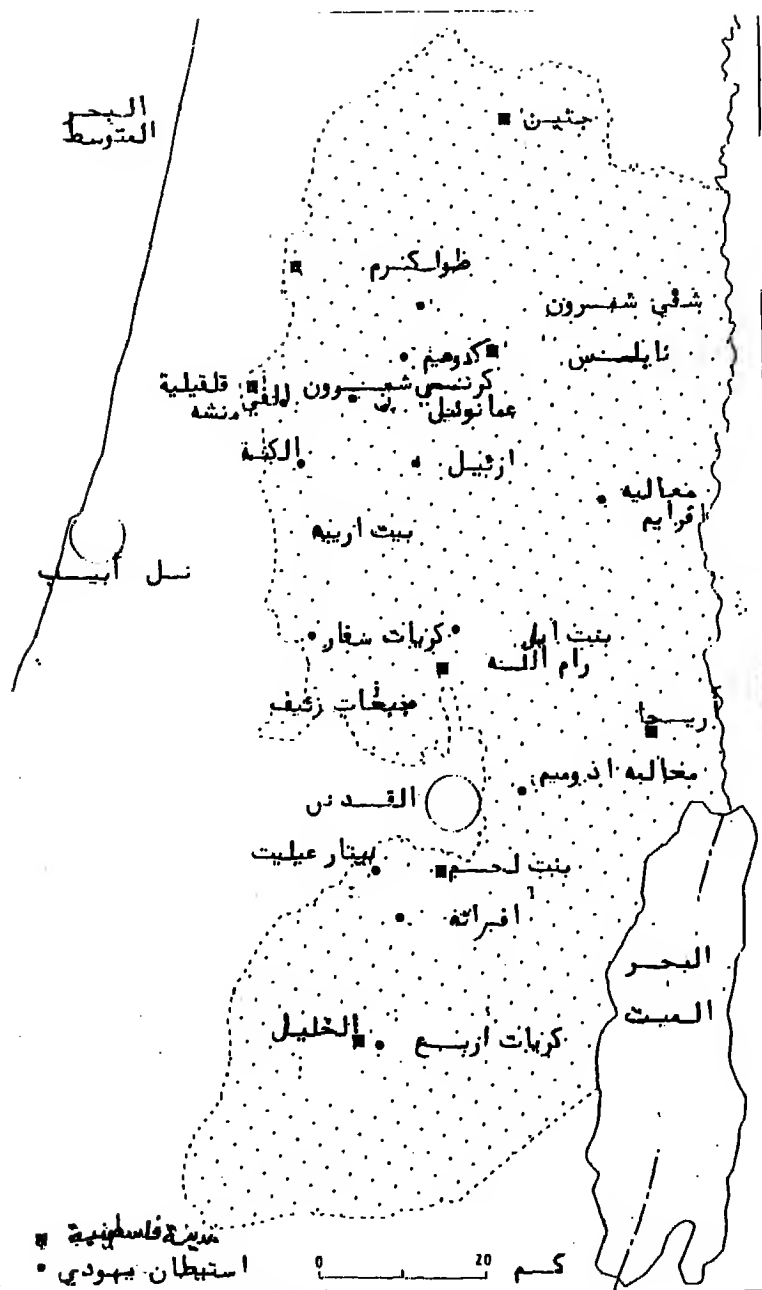
كانت المفاوضات في القاهرة مع نبيل شعث ووفده متواصلة وطويلة ومضينة، وتبادلنا الاتهامات حول الجهة المسؤولة عن الإرهاب. وحال عودتنا من القاهرة، انضمت إلى الحاشية المصاحبة لبيرس، التي توجهت لحضور حفل تسليمه ورايين وعرفات جائزة نوبل للسلام، في أوسلو.

وعندما اجتمع الوفدان في أوسلو، إثر تسلم الجوائز لإجراء مفاوضات بحضور المضيفين السنويين، ألقى رابين محاضرة على عرفات بشأن الإرهاب، وعرض عليه أحد احتمالين : "لا اعتزم تغيير التزامي الخاص باتفاقية المبادئ. ونحن على استعداد - إذا رغبت في ذلك- لإجراء مفاوضات حول جميع مركبات الخارطة الأمنية في الضفة الغربية في أعقاب الانتشار الإسرائيلي، وتنفيذها فيما بعد. بيد أنني أخشى أن مثل هذا الإجراء، سيتطلب زمنا طويلا جدا، هذا في الوقت الذي يواصل فيه معارضو السلام، تنفيذ أعمال عنف".

أما الاحتمال الثاني، فيتمثل في التقدم تدريجيا، مثلما عرض عليك بيرس، أي أن تجري الانتخابات للسلطة الفلسطينية، وتترك للمجلس المنتخب إمكانية إجراء المفاوضات حول إعادة الانتشار".



٧- التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقية التسوية المرحلية في طابا ١٩٩٥/٩/٢٣.



الخارطة الثالثة - الضفة الغربية

لم يتح بيرس ورايين الفرصة لعرفات للتفكير وحاول الاثنان إقناعه بجدوى الخيار الثاني. وفي النهاية، قال عرفات انه سيفكر في القضية ، واقترح أن نواصل التفاوض.

عمل النرويجيون الذين شاركوا في الحوار إلى دفع الطرفين إلى عدم الانشغال فقط بالمشاكل، بل العمل على دفع المسيرة إلى الأمام.

وحال عودتنا من أوسلو، عرفت انه قد أُلقيت على عاتقي مهمة جسيمة، ومنحت فرصة كبيرة للمساعدة في تجسيد السياسة التي كنت أوّمن بها. لقد كنت أوّمن بأن حل النزاع يكمن في تخليّنا عن السيطرة على الفلسطينيين. وإن بالإمكان التغلب على الإرهاب وأخطار الحرب عبر المشاركة في ائتلاف إقليمي يتناسب مع احتياجات الأمن الإسرائيلية، الناجمة عن الخطر الحقيقي الكامن في الأصولية. وكان مفتاح كل ذلك، حسب اعتقادي، يكمن في احترام الطرفين لاتفاقيات أوسلو.

بيد أنني لم اكن لأجد في تلك الأونة شريكا لي في إيماني بإمكانية إجراء مفاوضات وتجسيد اتفاقية التسوية المرحلية في الضفة الغربية. فيوسي بيلين مثلا، كان يعتقد أن هذه التوقعات لم يعد لها وجود. على ارض الواقع، لذا، فإن من الأفضل لنا أن نواصل المفاوضات مباشرة، باتجاه التسوية الدائمة وكان يجري هو هيرشفيلد وفوندك محادثات سرية حول ذلك، مع أبو مازن ووفد مرافق له في ستوكهولم. ورغم انه تم إحراز تقدم مثير الا أن هذا التقدم لم يصل إلى مرحلة الانطلاق.

وعندما اعلم بيلين بيرس بتلك المفاوضات طلب منه بيرس أن يوقفها فوراً، واعلم عرفات بأن المحادثات لم تجر تلبية لرغبته.

وإزاء الهوة الواسعة جدا والقائمة في مواقف الطرفين، لم اصدق أنا وبيرس احتمالات وجود طرق قصيرة ولا شك أن عمليات جس النبض، ستمكن الفلسطينيين من دراسة مدى المرونة الإسرائيلية، وكان الفلسطينيون سيعمدون إلى

فرض جمود سياسي دائم، دون أن يكون هناك مقابل عميق ومرغوب في الضفة الغربية.

شرعت وسائل الإعلام في تلك الآونة برثاء اتفاقيات أوسلو، والاستعداد لتشجيع جثمانها، واعتقد الكثير من الفلسطينيين أنها كانت بمثابة خطأ جسيم ومأساوي. وان إسرائيل لن تتقدم بعد ذلك إلى الأمام أبداً، لأنها حققت مبتغاهها، ودفعت بعرفات إلى ما كانوا يسمونه "معتقل غزة".

كان أبو علاء يشاطرنى الرأي في أن التمسك بقوة بالاتفاقيات، هو وحده الكفيل بإتاحة الفرصة للطرفين للازدهار من جديد. وحال عودتنا من مراسيم تسلم جائزة نوبل، اجتمعت به في فندق الملك داوود بالقدس للتحاور. وقد استهل حديثه بالقول: "أوري، يجب علينا العمل بغية إنقاذ المسيرة وجل ما أخشاه هو أن ينجح أعداء السلام في تحقيق أهدافهم، وأشعر بالقلق الشديد جراء احتمال انهيار الشراكة بين شعبينا، والتي هي مفتاح النجاح. لقد كان مؤتمر كازابلانكا حدثاً تاريخياً، بيد أنه ما كان ليعقد لولا اتفاقيات أوسلو".

ثم قال لي: في أعقاب لقائى بعرفات في تونس ونحن في طريق العودة من أوسلو، اقترح أبو مازن أن أدير أنا المفاوضات في المستقبل.

واضاف: عرفات يشك في أنكم لا ترغبون في استئناف المسيرة السلمية، ونخشى من أن تتجول "غزة أولاً"، إلى غزة أولاً وأخيراً. واسمح لي أن أقول لك: إن فكرة بيرس واقتراح رابين القائل بأن يختار عرفات بين التجسيد الكامل الذي يحتاج إلى وقت أو خوض الانتخابات فوراً، تعزز هذه الشكوك لديه".

وتحدث أبو علاء عن ضرورة استخلاص العبر المناسبة من الخبرة التي تم اكتسابها في غزة، وحول بذل جهد فعال وأكثر منهجية ضد الإرهاب، كمصلحة فلسطينية وليس كخدمة نؤديها من أجل إسرائيل.

وأكد ضرورة الحفاظ على التقدم، وتوفير الأمل لشعبه في مستقبل اقتصادي وسياسي أفضل. ثم طرح نظرية جديدة، لبلورة اتفاقية التسوية المرحلية، حيث تحدث عن إنشاء ثلاث مناطق أمنية في الضفة الغربية: الأولى

تحت السيطرة الفلسطينية والثاني تحت السيطرة الإسرائيلية، والثالثة يديرها الطرفان بالتعاون.

واضاف أبو علاء: "إسرائيل ستعد خارطتها الأمنية وفقا لاحتياجاتها، ومع التمسك الكامل بإعلان المبادئ، وعلى أن يتم تجسيد هذه الخارطة على مراحل داخل المناطق الثلاث آنفة الذكر وعبد الرزاق يحيى يؤيد هذا الفهم، وقد ناقشه مع عرفات".

اقترح أبو علاء، أن نعود لفتح مسار سري لمناقشة القضايا شديدة الحساسية، وبصورة خاصة القضايا ذات العلاقة بالأمن، لا يمكننا أن نجري مفاوضات، وكأنها مؤتمر صحفي.



٨- رؤساء اللجنة الثلاثية الإسرائيلية الأمريكية الفلسطينية، من اليسار الى اليمين :
أوري سبير، دنيس روس، أبو علاء. خلال لقاء في فندق (لاروم) في القدس.

مسار سري جديد

أبو عمار مع متطلبات إسرائيل الأمنية مقابل إعادة انتشار تدريجية

وعدت أبو علاء أن اعرض اقتراحاته على المسؤولين عني وإن أرد عليه بشأن قضية فتح مسار سري جديد. وعندما أعلمت بيرس بفحوى ما دار بيني وبين أبو علاء، وافق على إحياء مسار على غرار مسار أوسلو، إلى جانب المحادثات العلنية في القاهرة، بين يوال زينجر وصائب عريقات، بشأن الانتخابات الفلسطينية.

وقام بيرس بمناقشة هذه القضية مع رايبين والذي أعرب عن تأييده، واقترح على بيرس أن يستغل مقابلته القادمة مع عرفات، للاتفاق معه على مسار سري.

قام لاريسون - الذي كان يتمتع بثقة الطرفين بالإعداد للقاء بين بيرس و عرفات في غزة في الحادي والعشرين من كانون الأول. وقد دار معظم الحوار بينهما، على انفراد، ثم انضم إلى مساعدهما في الغرفة التي جعل عرفات منها مكتبه، وأعلن بيرس، انه اتفق مع عرفات على مواصلة التفاوض حول الانتخابات ببنيتها القائمة وعلى أن يتم إجراء لقاءات دولية مستقبلا لتسوية القضايا التي لا زالت محل خلاف.

غمزت بعيني لأبو علاء، لكن بيرس لاحظ ذلك بوضوح، فتناول ورقة (مروسة) بشعار النسر الفلسطيني وبالكلمات "منظمة التحرير الفلسطينية" السلطة الوطنية الفلسطينية-مكتب الرئيس"، وكتب عليها عدة كلمات وناولها لي، فوجدت انه كتب: "مثلما ترى اتفقنا على مسار سري، والكادر الرفيع هو للتغطية".

كانت تلك استهلاله اكثر المراحل تعقيدا في المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين. فقد كنا نرعى للتوصل إلى اتفاق لتطبيق اتفاقية المبادئ في أوسلو على الضفة الغربية. وكان مغزى هذه الاتفاقية المرحلية واضحا لنا جميعا ، والذي يعني: تحديد مصير اكثر المناطق موضع الخلاف بين إسرائيل والفلسطينيين، أضف إلى ذلك أننا كنا سنخوض أكثر مشاحنات الجدل مرارة في تاريخ الحركة الصهيونية، ذلك الجدل الدائر بين الصهيونية الإصلاحية، وحزب العمل. ففي حين أصرت الأولى على التمسك الكامل بأرض آبائنا التاريخية على أسس أيديولوجية دينية وطنية، فإن الحركة الثانية عارضت السيطرة على مليوني فلسطيني بما تعكسه هذه السيطرة من آثار مدمرة على المجتمع الإسرائيلي.

ومن الجدير بالذكر، أن كل حركة من الحركتين كانت تشعر أن الحركة الأخرى تعرض وجود إسرائيل وحياة سكانها للخطر.

كان يجب على المفاوضات أن تقدم ردودا شافية للقضايا التالية بشأن الحكم الذاتي الفلسطيني:

- * مدى المسؤولية الفلسطينية عن الأمن - على أرضية تجربة غزة وإريحا.
- * المدن والمناطق التي ستنفذ فيها إسرائيل إعادة الانتشار في المرحلة الأولى من أجل إتاحة فرصة إجراء الانتخابات الحرة والديموقراطية لمجلس السلطة الفلسطينية.
- * الإجراءات الخاصة بانتخابات المجلس الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة، والصلاحيات ومجالات المسؤولين لهذا المجلس.
- * نقل الصلاحيات المدنية إلى المجلس الفلسطيني، مع إبقاء صلاحيات جزئية معينة بأيدي إسرائيل، كالصلاحيات الخاصة بالبنى التحتية ذات الاستخدام المشترك - المياه- الطرق، الكهرباء وغير ذلك.
- * الوضع القضائي للسلطة الفلسطينية وعلاقتها مع إسرائيل.

إعادة الانتشار، والعمل بصورة تدريجية في المستقبل، والتي ستتيح الفرصة لانسحاب الجيش الإسرائيلي إلى أماكن أمنية محددة، المستوطنات- والتي ستبقى على ما هي عليه الآن.

* العلامات الاقتصادية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، والتعاون في المجالات الأخرى.

وبناء على إعلان المبادئ، فقد تم التأكيد على الشروع في مفاوضات في الرابع من أيار ١٩٩٦ حول التسوية الدائمة، والتي ستسلط الأضواء على قضايا كالقدس والمستوطنات واللاجئين والحدود والمناطق الأمنية، وهذا القسم من المفاوضات سيقود إلى اتفاقية ومصالحة تاريخية بين الشعبين حتى الرابع من أيار ١٩٩٩.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، حجم التحديات على أرض الواقع، فإن مفاوضات التسوية المرحلية قد تستمر سنوات. ومن الجدير بالذكر، أن الكثيرين أعربوا عن اعتقادهم أنه حتى لو تم ذلك، فلن يكون بالإمكان التوصل إلى اتفاق. فقد زعم نقيض البديهيّات (ميرون بنبنستي)، أن المستوطنات في الضفة الغربية خلقت وضعاً سياسياً غير قابل للتغيير. واقترحت جهات أخرى حلولاً سريعة والتي تراوحت بين (الفصل) الفوري- وفقاً لاقتراح وزير الشرطة موشيه شاحل- وبين القفز عن التسوية المرحلية، والشروع فوراً بالتفاوض حول التسوية الدائمة- مثلما اقترح يوسي بيلين .

اعتقد أبو علاء وأنا، أن المحادثات المبكرة بيننا ستكون حرجية، وإن اتفاقاً على العبر التي يجب استقاؤها من اتفاقية غزة وإريحا وعلى اتجاه مناسب بشأن الضفة الغربية، هو وحده الكفيل بخلق الفرصة للتوصل إلى اتفاقية تسوية مرحلية في غضون هامش زمني معقول.

وعلى غرار ما كان الوضع في أوسلو، مكنّا لأنفسنا، هذه المرة أيضاً البداية: أن الالتزام بالشراكة الحقيقية هو الذي سيمكننا من العمل بفعالية وجدوى.

وأدركنا أيضاً، أن أي محاولة للقيام منذ البداية بمعالجة قضايا شديدة الحساسية مثل إعادة الانتشار والسيطرة على المياه، ستوصلنا إلى طريق مغلق خطر.

واتفقنا على أن أي نقاش في القضايا ذات العلاقة بالتسوية الدائمة، كالقدس والمستوطنات وما شابه ذلك هو دلالة على الكارثة المؤكدة القادمة. لقد كنا ندرك بوضوح تام حجم التحديات التي وجدنا أنفسنا في خضمها.

وإذا ما نجحنا في مهمتنا، فسوف تبدأ مسيرة تقسم بالتحريض التدريجي للجماهير الفلسطينية من السيطرة الإسرائيلية، ويتم إنجاز الفرصة الحقيقية لامن إسرائيل، وسيتم دفع المسيرة السلمية في المنطقة كلها إلى الأمام.

أما إذا فشلنا، فإن مسيرة السلام بين إسرائيل والفلسطينيين - وإمكانية توسيعها بحيث تشمل المنطقة كلها - ستتهار. لقد منحتنا المصلحة المشتركة العميقة، والتجربة المتراكمة لدينا، أملاً بأن بالإمكان حق الوصول إلى اتفاق.

كانت السرية التامة هي أحد الشروط الأساسية للنجاح وكان طاقم أوصلو يجيد الحفاظ عليها. وكنا في حاجة إلى مسار علني كي نبعد الأنظار عن مسارنا السري، والدفاع عن مسارنا السري.

وقررنا أن يكون المسار العلني في القاهرة بين يوال زينجر وصائب عريقات حول الانتخابات وبين العميد جادي زوهر - وبعمد اللواء اورن شاحور منسق أعمال الحكومة في الضفة والقطاع، والذي حل محل اللواء داني روتشيلد - وجميل الطريفي بشأن نقل الصلاحيات المدنية.

كان يجب أن تتمحور المحادثات السرية حول القضايا الأمنية. ومنذ اللحظة التي ستتوصل فيها إلى اتفاقيات على هذا الصعيد سيصبح بمقدورنا السير باتجاه مفاوضات مفتوحة وتتناول قضايا أكثر.

كان الحفاظ على السرية أصعب بكثير مما كان عليه إبان محادثات أوصلو، فقد كانت وسائل الإعلام تدري أن المسيرة بدأت، وبذلت محاولات لا تكل، لمعرفة ما إذا كانت المحادثات العلنية في القاهرة تخفي خلفها محادثات

سرية في مكان ما؟ أضف إلى ذلك أن عدد المشاركين هذه المرة، في الإعداد والتحضير والتفاوض كان اكبر بكثير مما كان عليه في عهد اتفاقيات أوسلو. عثر موظفو مكتبي، وسكرتيرتي النشطة ستيتلا شو ستك على مكان مناسب لحوارنا، في فندق (يميت) الواقع على (كورنيش) تل أبيب - رغم أننا نتقلنا بين العديد من الفنادق الأخرى - كفندق الملك داود، وهيئات، وموريه في القدس.

أعلمت ستيتلا مسؤولي الفندق، أنها ستستضيف بين الفينة والأخرى في الفندق، رجال أعمال من البحرين، وإن عليهم الحفاظ على ذلك سرا. وكانت ستيتلا تأتي قبل أي لقاء بساعتين إلى الفندق، وتعمل بالتعاون مع الرائد عبري رئيس مكتب عوزي ديان، على تحويل الغرفة إلى غرفة جلسات. وحال اقتراب الفلسطينيين من الفندق، كانوا يعمدون إلى استدعاء سائقي عديد عنايبم، كي يقودهم إلى الباب الخلفي والذي كان بالإمكان الوصول منه مباشرة إلى الغرف المناسبة، حيث نكون بانتظارهم في أعقاب اللقاءات التحضيرية التي كنا نجريها مسبقا مع رئيس الحكومة رابين ووزير الخارجية بيرس. ثم كنا ننتقل إلى غرفة الجلسات: أبو علاء وعبد الرزاق يحيى وحسن عصفور، وحسن أبو لبدة - وهو شاب لامع، كان يترأس مكتب الإحصاءات الفلسطيني، واللواء عوزي ديان والعميد جادي زوهر، ويؤال زينجر وأنا. وكانت جلساتنا تطول حتى تغطي أحيانا نهاية الأسبوع كله.

بدأ المسار السري بالعمل في الرابع من كانون الثاني ١٩٩٥، ولم تعلم وسائل الصحف أي شيء عنه طيلة اشهر. وفي نهاية كل جولة حوار، كنت اسلم بيرس ورايين تقريراً مكتوباً، حيث استخدماه كأساس للتشاور التالي مع المجموعة المؤلفة من رئيس الأركان امنون شاحك ورئيس شعبة الاستخبارات اوري ساجي، ورئيس جهاز الأمن العام كرمي جيلون، وسكرتير رابين العسكري اللواء داني يتوم، وطاقم المفاوضات. ومن الجدير بالذكر أن رابين كان يسمي هذا الطاقم

باسم (طاقم سبير) وقد انضم إليه فيما بعد، مستشاره رئيس الحكومة للشئون القضائية، عليزة جورن.

وفي نفس الوقت كان اللواء عوزي ديان يستخدم طاقما أمنيا كبيرا، ويوآل زينجر عمل مع مستشارين قضائيين للعديد من الوزارات الحكومية، وقام زوهر- وبعده شاحور - بعقد جلسات لإعداد عمل الطاقم توطئة لنقل الصلاحيات المدنية إلى الفلسطينيين وكانت لجنة التوجيه تلتقي مرتين أسبوعيا في وزارة الخارجية أو في مكتب عوزي ديان. بيد أن الشخصين الوحيدين اللذين كانا يتخذان القرارات الحاسمة، هما رابين وبيرس، وتمكنا بمرور الزمن، من تطوير شراكة رائعة ومفاجئة.

وكانت هناك لجنة وزارية أيضا ذات علاقة بالمفاوضات، مؤلفة من موشيه شاحك ويوسي سريد - وفيما بعد، أهود براك، حينما تم ضمه إلى الحكومة. كان نظراؤنا الفلسطينيين يكتفون بالتشاور مع أنفسهم، ومع ياسر عرفات، وكان أبو علاء يتوجه إلى تونس، كل عدة أسابيع، لإعلام أبو مازن بما يجري.

العبير الأمنية لاتفاقية غزة - أريحا:

خصصت الجلسات الأولى في فندق (يميت) لاستعراض العبور الأمنية التي تم استقاؤها من تجربة غزة - أريحا. وقد طرح عوزي ديان النتائج التي خلصت إليها بوضوح وحده على النحو التالي: "انتم تفتقرون إلى سياسة أمن منطقية ومترابطة، انتم تعالجون قضايا محاربة الإرهاب على أسس فردية، ولا توجد لديكم بهذا الصدد سياسة شاملة، مثلما ينص عليه لاتفاق. وإذا لم يطرأ تغيير فوري على الوضع الساري في غزة، فإنني - وبوصفي مسئولاً عن معالجة القضايا الأمنية- لا أستطيع أن انصح رابين بالشروع في مفاوضات مفصلة حول التسوية المرحلية، أو ببساطة يستحيل أن نسمح بأن يكون الأمن في الضفة الغربية مهلهلا.

ويجب عليكم أن تثبتوا تحسنا كبيرا جدا على صعيد السياسة والإصرار والفعالية، فيما يتعلق بمحاربة الإرهاب، أنا لست سياسيا، لذا، فلنني أتحدث إليكم من وجهة نظر عسكرية بحتة، بيد أنني أؤكد لكم أن الكادر السياسي لدينا، يأخذ بعين الاعتبار وجهة النظر العسكرية ويولي توصياتنا أهمية كبيرة جدا. واضاف عوزي ديان: كما يجب أن نتطرق إلى الجماهير الإسرائيلية التي ستطرح على رئيس الأركان سؤالا بسيطا: "هل ستوفر لنا التسوية الجديدة الأمن أم لا؟".

رد أبو علاء على إجمال ديان بالقول: "أوافقك الرأي فيما يتعلق بأهمية القضية الأمنية، وهي شديدة الأهمية، أيضا بالنسبة لنا، ونحن نبذل جهودا كبيرة على صعيدها ونحرز نجاحات لا تستطيعون إحراز أكثر منها. وأنا اعتقد أن علينا أن نطور سياسات أكثر شمولية، بيد انه يجب عليكم أن تدركوا، أنكم حولتم الحكم الذاتي إلى معتقل، وتحولتم من محتلين إلى حراس سجون تراقبون تحركاتنا. وهذا الوضع يضعف السلطة الفلسطينية وقدرتها على معالجة الفلسطينيين الذين يحرزون فوائد من الأزميتين الشخصية والاقتصادية للجماهير. هناك خيبة أمل كبيرة في جانبنا أيضا من الاتفاقية، ويجب أن نرى لجماهيرنا بصيصا من الأمل. ولسنا هنا بصدد التحدث عن أسلوب (خذ وهات)، بل عن ميزان علاقات جديدة انتم فيه الأقوى".

رد عوزي ديان على ذلك بالقول: "لا توجد لدينا أي نية في تنغيص حياتكم، بيد انه إذا ما رغبتم في إحداث تغيير في طبيعة علاقتنا معكم، يجب عليكم اتخاذ خطوات حاسمة: أولا يجب أن توضحوا أن الشرطة الفلسطينية هي الجهة الوحيدة التي تتمتع بالصلاحيات العسكرية، وثانيا يجب أن تصادروا جميع الأسلحة غير المرخصة وثالثا: من واجبك وقف عمليات التحريض على العنف وهناك أهمية أيضا للعامل النفسي والإعلامي، كما يجب عليكم أن تستنكروا تماما لعمليات قتل الإسرائيليين".

قال أبو علاء محتجا: "نحن نفعل ذلك، فغالبية الجماهير الفلسطينية - وليس حسب رأيي، بل أيضا حسبما تفيد استطلاعات الرأي العام - تعارض العنف، ولا شك أن هذا التغيير هو كبير جدا. لقد كانت أعمال قتل الإسرائيليين - بسبب الاحتلال - أعمال بطولية مشروعة، بيد أنه يجب على الجماهير، أن تؤمن بمصادقية نواياكم وإذا ما رأوا المسيرة السلمية وقد آلت إلى طريق مسدود، ورأوا أنفسهم يعانون من البطالة فمما لا شك فيه أن هذا الوضع سيسهم في قتل حوافزهم، لأن هذين العاملين يسيران جنبا إلى جنب. وانتهم لم تحترموا الكثير من البنود في اتفاقية غزة وإريحا مثل فتح ممر آمن بين غزة وإريحا".

وهكذا، تواصل الجدل، لقد كان لدى الطرفين مصالح مشتركة ومتناقضة أيضا وقد آن الأوان لتسريح أخطائنا وهي المهمة التي يبدو أنها لم تكن سهلة. بيد أن حقيقة التطرق إلى هذه الأخطاء بصورة مشتركة، إعادتنا إلى روحية أوصلو، وإلى الشراكة في حل المشاكل.

وفي إحدى اللقاءات السرية، فتح عوزي ديان خارطة رام الله، محاولا أن يؤكد مدى تعقيد الوضع الأمني في الضفة الغربية، وقد أكدت رام الله ما أراد التأكيد عليه، واستهل حديثه قائلا:

دعونا نطبق الوضع السائد في غزة حاليا على رام الله بصورة نظرية في أعقاب الانسحاب. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الخطوات التي نتخذونها حاليا ضد الإرهاب وإذا ما انسحبنا من رام الله والواقعة على بعد عدة دقائق سفر من القدس، فلا اعتقد أن هناك أي فرص في صد تيار الإرهاب، الذي سيتدفق من هذه المدينة. فغزة محاطة بسياج، وليس كالضفة الغربية، إن انطلاق إرهاب مجنون من مكان مثل رام الله سيؤدي إلى تدمير الاتفاق فورا. وأشار عوزي بعد ذلك، إلى المستوطنات، والتي تطل إحداها على المدينة مباشرة، وتحدث عن الاحتكاكات المعقدة، التي تندلع عندما يسكن شعبان مختلفان بصورة متقاربة إلى هذا الحد في منطقة واحدة: كانت فكرة إخراج جنودنا من رام الله بالنسبة لإسرائيل تبدو مستحيلة.

بدأ أبو علاء من جانبه يرسم على ظهر ورقة من أوراق وزارة الخارجية الإسرائيلية، خارطة تقسيم المسئوليات في المنطقة، في محاولة لإثبات أن بالإمكان السيطرة على الوضع على أرض الواقع.

وفي إحدى الجلسات أوضح عبد الرزاق اليحيى النظرية الأمنية الفلسطينية، فقال: "لقد أثبتت نظريتك الأمنية فشلا وليس نظريتنا نحن، وانتم ترغبون في فرض نظريتك الأمنية علينا من خلال رؤية ضيقة لمغزى الأمن، بيد أنه يتوجب عليكم أن تدركوا أن الحل يكمن في تغيير الأجواء النفسية، وإذا ما أرغمتونا على عمل شيء ما، فإن عرفات لن يكون قادرا على الصمود فيه طويلا. وإذا ما عينتم أنفسكم قضية لتحديد ما هو صحيح أو غير صحيح ستدمرون النوايا الحسنة القائمة بيننا وبين شعبنا ان الطريق المؤدي إلى إحداث تغيير راديكالي في الأجواء بصورة تخدم في نهاية المطاف، الطرفين، يتمثل في خلق شراكة أمنية".



٩- مايا سبير ومنى قريع - ابنة أبو علاء - في حفل زفاف مايا / كانون الثاني

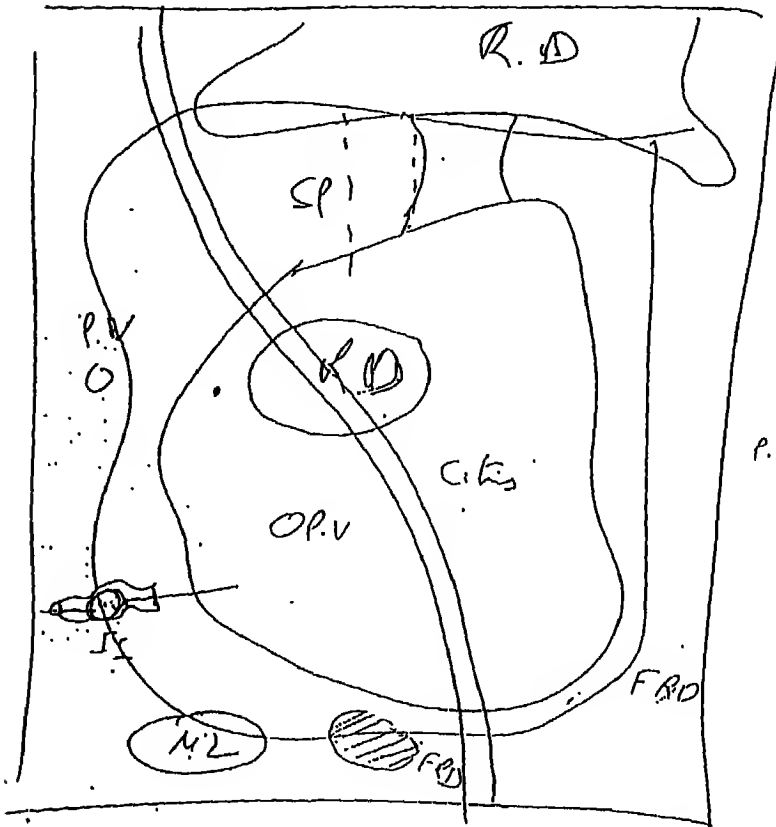
.١٩٩٨



CONFERENCE OF HEADS OF MINISTRIES FOR FOREIGN AFFAIRS

DIPLOMACY IN TRANSITION
Jerusalem, Israel, 29-31 March 1995

Notes



רسم קאריקטוני לתوزيع الصلاحيات الآمنة، رسمه أبو علاء، على ورقة

وزارة الخارجية الاسرائيلية خلال مفاوضات ياميت/شباط ١٩٩٥

وفاجأنا هذا الجنرال المحنك بالقول : أننا نقترح تشكيل قوة شرطة إسرائيلية - فلسطينية مشتركة للقيام بأعمال الدورية في الضفة الغربية، ولا شك أن جهدا مشتركا من هذا القبيل، سيسهم في إحداث تحول كبير في المفاهيم وسيؤدي إلى هدوء في المنطقة".

عقب أبو علاء قائلا : "نعم، التعاون هو مفتاح النجاح. بيد أنكم لا زلتم تتصرفون وكأنكم أسيادنا، ويخيل الي أن كثيرا من جنودكم لا يدركون طبيعة الشراكة المنبثقة من الاتفاقية ففي كل مرة، يجب أن نجتاز أحد حواجز جيشكم وهي كثيرة فإن جنودكم هنا يمسون بكرامتنا مساطيرا، عندما يضطروننا للانتظار ساعات طويلة، أو بإلقاء بطاقات هوياتنا على الأرض، كي نركع أمامهم علنا. وأنا لا ابدى تذمرا تجاهكم انتم، فنحن نجلس هنا متساويين، بيد أن جنودكم يتعاملون خارج هذه الغرفة وكأن شيئا لم يتغير. إن غالبيتنا يصلون إلى هذه المقابلات بعد أن يكون الجنود الإسرائيليون قد أهانوهم بصورة أو أخرى، نحن أناس ذوو مكانة في مجتمعنا، وحتى نحن نحمل بطاقات "شخصية مهمة"، يقوم جنودكم بإهانتنا أمام العديد من الفلسطينيين الآخرين، فكيف سيكون الامر حينما يتعلق بفلسطيني عادي؟".

رددت على ذلك قائلا : أوافقك الرأي على ضرورة أن نأمر جنودنا بالتعامل بصورة مناسبة، بيد أن علي أن أؤكد أن هذا الوضع ناجم عن أسباب أمنية، فجنودنا شديدا التوتر دائما خشية أن يمر أمامهم فلسطيني يحمل قنبلة". - أبو علاء: "أنا أدرك أن التغيير يتطلب زمنا، ولربما نستطيع الصبر على الإهانات، لكن كيف يمكن أن نفسر الطريق المسدود الذي آلت إليه المفاوضات السلمية؟".

-عوزي ديان: "حي يمكن فتح هذا الطريق عليكم أن تبرهنوا لنا أنكم غيرتم توجهاتكم على الصعيد الأمني في غزة".

إضافة إلى الحوارات التي كنا نجريها في فندق يميث، كنت أنا وأبو علاء نعقد العديد من الجلسات المنفردة في محاولة لإعداد النظرية الأساسية

للتسوية المرحلية. وقد تمحورت النقاشات التي جرت في واشنطن والقدس وتل أبيب، حول الأمور التي يجب أن ننجزها معاً، وبالتالي، كانت كلمة السر هي "التعاون". وقد أكد أبو علاء، أن هذا العامل الحيوي للغاية، والذي برز بصورة واضحة جداً في إعلان المبادئ، ثم تمييعه في اتفاقية غزة أريحا. وهكذا حاولنا بناء منظومة أكثر شمولية من التعاون في إطار العلاقات الأمنية والاقتصادية، والمدنية المستقبلية، واتفقنا على أن تكون هذه المنظومة بمثابة البنية التحتية لجوهر الاتفاقية المرحلية ولتجسيدها.

قال لي أبو علاء في إحدى اللقاءات الليلية التي عقدناها في واشنطن في تلك المرحلة: "سنوافق على التأقلم مع مطالبكم الأمنية، بيد أنه سيتوجب عليكم إقناعنا بأن قضيتكم هي حقاً قضية أمنية، إن ما يهمنا هو أن تتركوا بين أيدينا غالبية السيطرة، مثلاً هو وارد في إعلان المبادئ مما يعني أن تسلمونا غالبية الصلاحيات في الضفة الغربية. وإذا ما جرى الأمر على هذا النحو، فلن نعارض التسويات الأمنية. فالأرض هي القضية المهمة بالنسبة لنا، وانتشار المستوطنات يرمي لسد الخيارات في وجوهنا نحو المستقبل، وهو ما لن نوافق عليه بأي حال من الأحوال. لقد قامت مفاوضات أوصلو على قرار حكومتكم بتجميد المستوطنات، وإذا لم تحترموا هذا الجانب، ولم تنفهموه فلن يكون هناك أي اتفاق في المستقبل".

قلت له: إذا أردت أن تعرف ما يحدث في المستوطنات، فيكفي أن تصني لتصريحات المستوطنين، الذين وصفوا ولهم الحق من وجهة نظرهم - كاعداثهم الأيديولوجيين، أما فيما يتعلق بالتعاون بين السيطرة والأمن، فإن الأمر مفتوح للنقاش.

وقد انتهزت هذه الفرصة كي أوضح لأبو علاء أنني وعوزي ديان وبيرس ورايين متفقون في الرأي تماماً على الصعيد الأمني.

ومن الجدير بالذكر أن الفلسطينيين كانوا يعتقدون أن الكلمة الأخيرة في المفاوضات معهم هي للجيش. والحقيقة هي أننا لم نكن لننقدم دون تدخل الجيش

وباقى الأجهزة الأمنية، والتي كانت ذات تأثير كبير جدا. بيد أن الضباط لم يتدخلوا ولو مرة واحدة طيلة المسيرة، في اتخاذ القرارات السياسية.

كانت اللقاءات بين يوال زينجر وصائب عريقات في القاهرة، والمتعلقة بالإجراءات الانتخابية تدور على نار هادئة. وقد أوصى زينجر في مرحلة معينة بأن يتم إجراء هذه المحادثات أيضا في مكان قريب كتل أبيب مثلا. وكان عريقات نفسه يستعين خلال هذه المفاوضات بموظفين تابعين للاتحاد الأوروبي، والذين وافقوا على مد يد المساعدة في إعداد الفلسطينيين للانتخابات. وفي نهاية آذار تمكن عريقات وزينجر من صياغة مسودة رائعة، نقلت الخلافات فيها بين الطرفين إلى الدرجة التي اقتصررت فيها فقط على إدارة عملية التصويت في القدس الشرقية.

كان الكثير من الإسرائيليين يتعاملون باستخفاف مع الانتخابات الفلسطينية، وقد تبدى هذا الوضع حتى خلال النقاشات التي جرت في مكتب رابين، والذي أعرب عن اعتقاده بأن ليس من مهمتنا أن نفرض على الفلسطينيين صورة ديموقراطية كصيغة (جفرسون). بيد أن يوال زينجر، والذي قدم تقارير حول الخلافات القائمة في أوساط الزعامة الفلسطينية حول التعددية السياسية، أقنعنا بالتعامل مع الانتخابات بجدية.

وفي الوقت الذي كان فيه الكثير من الفلسطينيين يتابعون النمط الإسرائيلي، رغب البعض الآخر في الإبقاء على الصيغة المركزية.

إن لقاءات القمة التي جرت منذ هذا الوقت وما تلاه بوتيرة سريعة ومكثفة، أصبحت إحدى أهم فصول المحادثات، فقد اجتمع رابين وبيرس مع عرفات على انفراد، مرات عديدة، خلال شتاء ٩٤-١٩٩٥، وكانت هذه اللقاءات ترمي لإقناع عرفات باستحالة التوصل إلى اتفاقية التسوية المرحلية، إذا لم تحسن السلطة الفلسطينية أداؤها وأداء قوات أمنها، على صعيد مكافحة الإرهاب.

وفي إطار هذه اللقاءات العلنية، انضم إلى المفاوضات مبعوث سري، كان يتنقل بين عرفات ورايين، وكان رابين قد طلب من يوسي جينوسار - أحد

كبار مسؤولي جهاز الأمن العام، في مطلع عام ١٩٩٤، أن يعمل كمبعوث سري بينه وبين عرفات، وكانت الرسائل التي يحملها جينوسار، تتعلق بقضايا أمنية محددة : تحذيرات، مطالب واقتراحات تعاون بين الأطراف. وكان جينوسار على اتصال مع الأجهزة الأمنية، عبر السكرتير العسكري لرئيس الحكومة، اللواء داني يتوم، وقد ضم إليه في بعض الاحيان بعض مسؤولي هذه الأجهزة.

أدت مكوكية جينوسار أنفة الذكر، إلى ولادة عامل مفيد للغاية. فالاستطاف بين عرفات ورايين لم يكن كبيرا، بيد أن جينوسار قام بترجمة شخصية كل واحد منهما للآخر، مما أدى إلى نمو تفاهم افضل بينهما. ونجح جينوسار في بناء صورة واضحة للمشاكل الداخلية التي تواجه كلا من الطرفين، وساعد بذلك في بناء نوع معين من الثقة التدريجية بينهما. وهكذا بدأ عرفات في اتخاذ خطوات تؤدي إلى تعزيز الثقة بين الطرفين، وعلى رأسها اعتقال المشبوهين.

لم تكن لقاءات بيرس مع عرفات لطيفة، بيد أن بيرس كان قادرا على موازنة نضاله من اجل المواقف الإسرائيلية مع التقدير العميق للاحتياجات الفلسطينية.

وتعتبر أهم القرارات التي اتخذها بيرس وعرفات هي تلك القرارات التي تم اتخاذها في تلك الأشهر . فمنذ اللحظة التي اقتنع فيها بيرس أن بالإمكان إنجاز تسوية مرحلية كاملة، تحول إلى القوة المحركة والدافعة للمسيرة السياسية. لقد كان مطلعا على أدق تفاصيل مفاوضات 'يميت'، وقضى وقتا طويلا في التفاوض والتنسيق مع رايين على انفراد، واجتمع في بعض الاحيان مع عرفات بغية اتخاذ القرارات التي أصبحت بمثابة نقطة تحول في المسيرة السياسية. وقد تم دق أحد الحجارة الأساسية في التاسع من آذار ١٩٩٥، أي بعد أسبوع ونصف الأسبوع. من انتهاء لقاءات جس النبض في فندق 'يميت'. لقد أجملت تلك المحادثات في رسالة شخصية لبيرس، وضمنت تلك الرسالة اقتراحا لعقد صفقة شاملة تنص على : انه إذا ما انتهج الفلسطينيون حقا سياسة أمنية شاملة، وابدوا

إصرارهم على محاربة الإرهاب، فسوف نكون على استعداد لتشريع المفاوضات بغية استكمالها حتى الأول من تموز ١٩٩٥. والاتفاق سيتطلب تعاوننا في جميع المجالات - على أن يتصدر الأمن هذه المجالات- ويتم تطبيقه تدريجياً.

وتحدثت في اقتراعي أيضاً، عن إعادة الانتشار للقوات الإسرائيلية خارج مدن الضفة الغربية - المناطق المكتظة بالسكان- وعن تسويات أمنية خاصة يتم تجسيدها في الخليل كمرحلة أولى على صعيد تسليم المناطق للسلطة الفلسطينية. وأضفت إلى اقتراعي استمراراً لهذا المسار: يأتي دور إعادة انتشار آخر إضافي في المناطق غير المأهولة. والتي ستنفذ على مراحل على مدى سنتين - نصف مرحلة التسوية المرحلية، بما يتلاءم واحتياجات إسرائيل الأمنية.

كان اللقاء الذي أجراه بيرس مع عرفات في التاسع من آذار جيداً، وقام على أساس نتائج جميع مناحي محادثات يمين. وفي أعقاب انتهاء هذه المحادثات أعلن عرفات عن سياسة السلطة الفلسطينية الأمنية الشاملة. وقد تضمن هذا الإعلان: أن الشرطة الفلسطينية هي الجهة الأمنية الوحيدة ذات الصلاحيات للعمل في المناطق، ولتحديد السياسات المنهجية لإحباط الإرهاب وصور العنف الأخرى. ويحظر على المواطنين الفلسطينيين حمل الأسلحة دون تصريح من السلطة الفلسطينية، و الالتزام بتعزيز التعاون الأمني مع إسرائيل. أعلن بيرس بهذه المناسبة عن أن الطرفين سيبدلان قصارى جهدهما من أجل التوصل إلى التوقيع على اتفاقية التسوية المرحلية في الأول من تموز ١٩٩٥.

ومن الجدير بالذكر، أن اسحق رابين صادق على هذا التاريخ، بعد تردد لبعض الوقت على الرغم من انه لم يكف عن ترددات مقولته بأنه لا توجد تواريخ مقدمة.

وأنا في حقيقة الامر أؤيد تحديد تاريخ هدف، لان تحديد التاريخ يجعل الطرفين يتجاوزان الجدل الذي لا ضرورة له، ويتجهان مباشرة إلى الهدف، على أمل إنجاز الاتفاق في التاريخ المحدد.

لقد دفع اللقاء- في التاسع من آذار- المفاوضات من مرحلة الحوارات المبدئية إلى المرحلة البراغماتية، وفي نهاية هذا اللقاء، طرح عرفات مطالبه الثلاثة التي تظهر في كل لقاء، دون أن تحظى برد يريح باله: إطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية، إزالة الإغلاق عن غزة والضفة الغربية، والتجميد التام للبناء في المستوطنات.

كانت كل نقطة من هذه النقاط شديدة الأهمية للجماهير الفلسطينية، بيد أننا لم نتعامل معها بجدية، نظرا لأننا اعتبرنا توقيع اتفاقية التسوية المرحلية، بمثابة انفراج تاريخي، ولهذا السبب ركزنا جهودنا على المفاوضات في الكثير من الأحيان أكثر مما ركزنا هذه الجهود في معالجة قضايا الواقع. بل لقد أبدينا إستخفافا، إلى حد ما، بمطالب الفلسطينيين على هذا الصعيد. وحينما انظر إلى الوراء الآن، أدرك أننا أخطأنا، لأن حلنا لهذه المشاكل، في حينه، كان سيؤدي إلى خلق نوايا حسنة بصورة أفضل، مما سيساعدنا في مناقشة جوانب أخرى، وفي شبكة العلاقات مع الفلسطينيين بصورة عامة.

تقسيم الضفة الغربية إلى مناطق:

تمحورت لقاءاتنا في الأشهر التالية حول قضيتين رئيسيتين :

* المتابعة الشاملة لتنفيذ السياسات الأمنية التي أعلنها عرفات في التاسع من آذار.

*دراسة المبادئ القائمة خلف التسوية الأمنية، والتي سيتم تطبيقها في الضفة الغربية مستقبليا.

وفي السادس عشر من نيسان - وعندما تأكدنا من أن هناك تقدما على صعيد تنفيذ السلطة الفلسطينية لالتزاماتها الأمنية- طرح عوزي ديان موقفنا الأمني الأساسي وفقا للفروق القائمة بين الضفة الغربية وقطاع غزة سواء ما كان منها على ارض الواقع، أو في اتفاقية إعلان المبادئ.

وقد تمت الإشارة، في هذه النظرة، إلى النقل التدريجي للصلاحيات في مجال الأمن الداخلي للسلطة الفلسطينية، ومواصلة سيطرة إسرائيل على المناحي التالية:

* الأمن الخارجي - بما فيه نهر الأردن.

* المستوطنات ، والمستوطنات المحيطة بها، والطرق التي تستخدمها لحركة الإسرائيليين، بما فيها الطرق الالتفافية التي تم شقها لاستخدام المستوطنين.

* الدفاع عن إسرائيل على طول الخط الأخضر.

كان يفترض أن ينتشر الجيش الإسرائيلي على مراحل خارج جميع المناطق المحتلة باستثناء مناطق ذات أهمية أمنية، وإسرائيل هي التي ستقرر مساحة هذه المناطق.

وكان يفترض، أن يتم تنفيذ المرحلة الأولى من الانسحاب -الانسحاب خارج المناطق المأهولة بالسكان - عشية الانتخابات الفلسطينية وكان من المتوقع أن تتم انسحابات أخرى فيما بعد.

طرح الفلسطينيون نظرية أمنية مختلفة تماماً. وقام عبد الرزاق اليحيسي بوصفها في التاسع عشر من أيار في نقاش آخر جرى في تل أبيب. وقد استهل طرحه بالقول: "اسمحوا لي أن أقول: إن نظريتكم الأمنية تقتصر إلى المعيار السياسي. فالأمن سيتحقق مع التحسن الذي سيطراً في العلاقات بين الطرفين. والنظرية التي طرحتموها، توفر لكم حقاً بسيطرة اكبر على المناطق، بيد أنها ستؤدي إلى هز العلاقات، مما سيؤدي بالنتيجة النهائية إلى الانقصاص من الأمن.

"ونحن نقترح تقسيم المناطق إلى ثلاثة أنواع من المناطق: إحداها تقع تحت سيطرتنا، والثانية تقع تحت سيطرتكم - مثلما جاء في اتفاقية إعلان المبادئ-، والثالثة- واسعة-التي ستوضع تحت إدارة قوة أمنية مشتركة .

ونحن نصر على حرية الحركة للفلسطينيين على الطرقات وإذا كان عليهم التنقل بين حاجز لآخر، فسوف يقومون بإهانتهم وإذلالهم، وتسميم الأجواء..

ويجب عليكم أن تتذكروا، أن نوعية الحياة اليومية للمواطنين هي التي ستحدد كل شيء؟؟

بدا عوزي ديان شديد الضيق من التهمة التي وجهت إلى إسرائيل بأنها تسمح الأجواء، لذا رد قائلا: "نحن لا نبدأ من الصفر، إن طبيعة مسلكيتكم في غزة وإريحا، غير مريحة أو مرضية، ولم يطرأ تحسين على هذه المسلكية والتنفيذ إلا في الآونة الأخيرة، ونحن تحت وطأة الضغوط التي مارسناها عليكم".

-أبو علاء: "لقد ارتكبنا جميعنا أخطاء، بيد أنه يتوجب علينا أن نستقي العبر اللازمة من أجل الاتفاق القادم. وإذا ما قطعتم الضفة الغربية طولا وعرضا، لن يكون هناك أي أمن".

-سبير: "نحن نتحدث عن مسار تدريجي، مثلما أكدنا على ذلك في أوسلو. لقد احتجتم إلى تسعة أشهر من أجل معالجة المشاكل الأمنية في غزة، أما في الضفة الغربية، فسوف يتوجب عليكم السيطرة على الوضع الأمني منذ اليوم الأول. وإذا لم تفعلوا ذلك، فإن الاتفاقية ستتهار. لذا، فإن الأهمية لا تعزى فقط إلى الاتفاق، بل أيضا لنظرية التنفيذ للاتفاق من وجهة نظر الأطراف".

"وما دمنا قد وصلنا إلى مرحلة إعادة الانتشار وتطبيقه، ربما يكون قد آن الأوان لإجراء نقاش هادئ بعيدا عن هنا".

-أبو علاء: "نحن نؤيد هذا الاقتراح، وسوف نناقش هذه القضية الليلة مع الرئيس عرفات".

كانت هذه النقاشات هي أول النقاشات التي عرفت، فيما بعد، في مجموعتنا باسم "عملية طورينو": جولتان من المحادثات السرية الشاملة في إيطاليا حول نظرية إعادة الانتشار وحول الملحق الأمني للتسوية المرحلية.

قام الطاقم في باقي الأيام من شهر أيار وحزيران بالتشاور مع رابين وبيرس وكبار رجال الجهاز الأمني، حول تفاصيل موقفنا الأمني، وحول إعادة الانتشار. لقد افتتحت هذه النقاشات بصورة عامة - باستعراضي العام لوضع

المفاوضات، واستعراض عوزي ديان ويوآل زينجر واورن شاحور، حول مجالات أعمالهم.

هناك احتكاك في كل مفاوضات بين هيئة الإشراف والطاخم المعالج للمفاوضات على ارض الواقع، والذي يتوجب عليه أن يتحمل صعوبات المفاوضات مع الطرف الآخر. لذا، لم يكن من العجيب أن تتسم النقاشات بحالات غضب وانفعال. ولهذا السبب طورت لدى الطاقم فهما عميقا، بأن يتفاوض حول القضايا المصيرية للأمن القومي دون خوف من مواجهة المسؤولين عنهم، في الوقت الذي أتاح لنا رابين وبيرس وشاحك فرصة التعبير عن مواقفنا وأرائنا المختلفة.

كان هناك خيط رفيع يفصل بين القضايا السياسية والعسكرية خلال تلك الجلسات. لقد كانت أوسلو أساسا، قرارا سياسيا، بيد أن تطبيقها تطلب حولا أمنية، ووفقا لذلك شجع اسحق رابين بوجود رجال الأمن - التفكير العسكري حول المصالح الأمنية الإسرائيلية بعيدة المدى، في إطار التقدم باتجاه حل سياسي.

وفي نهاية كل لقاء، اعتاد بيرس وضعنا وإطلاعنا على الصورة الأوسع للقضايا المطروحة، ثم كان رابين يقوم بإجمال النقاش بكامله وكثيرا ماكان الاثنان يتطلعان إلى الصورة من نفس الزاوية، ويريان نفس الأشياء، كما أصر الاثنان على حماية المصالح الإسرائيلية الأساسية، مثلما تراها الجهات الأمنية، رغم انهما كانا يدركان مدى ضرورة تطوير علاقات سياسية مع شركائنا الفلسطينيين. وكانا يدركان أيضا، أن الاتفاق الذي سيميل إلى جانب أحد الأطراف أكثر مما ينبغي، محكوم عليه بالفشل.

واعتماد بيرس أن يدعو لإضافة زائدة وسخية على الصعيد القيمي، مثل حرية الحركة للفلسطينيين مثلا، أما رابين، فكان يميل إلى الخط البراغماتي، مع تقدير قدرة عرفات، والقوة المطلوبة منه لقبول مطالبنا ورغم ذلك، كانت استنتاجاتهم التي يخلصون إليها متماثلة بصورة تامة تقريبا.

وفي أوقات الأزمات، كان بيرس هو الذي يشجعنا، ويعرب عن ثقته التامة في أننا نسير بالاتجاه الصحيح. وكان يصل إلى القرارات بسرعة كبيرة

نظرا لانه يرى المفاوضات كمعالجة لمشاكل الماضي، في حين يرى أن التحدي الحقيقي يتمثل في بناء ائتلاف إقليمي لمواجهة أخطار المستقبل وفرصه. أما رابين، فتمثلت قوته في التفاصيل، وبرؤية التقدم التدريجي، وبعملية القوارات.

إن الشراكة بين الرجلين اللذين يستطيع أولهما رؤية الغاية كلها، في حين يرى الآخر الأشجار، كانت المصدر الأساسي لقوة اتخاذ القرارات المتميزة. وبدا أن هذه الشراكة تتطور تطورا متميزا جدا، إبان الجدل حول التسوية المرحلية. فبينما كان رابين ينحو في بداية المفاوضات، نحو تجاوز بيرس، بل والعمل على إبعاده من الصورة، كلما كان ذلك ممكنا. فقد عمد الاثنان - خلال المفاوضات- إلى إبداء التقدير والاحترام العميق أحدهما للآخر. وكانا يتبادلان المذكرات بينهما، ويلتقيان على انفراد قبل وبعد الجلسات التي نعقدتها.

طلبنا - كطاقم - أن يوضح الكادر السياسي الأهداف التي يسعى إليها، وقلت لرابين : "ستجد الأسلوب الذي يوصلنا إلى أهدافنا، بيد أن من الأفضل إعلامنا بطبيعة ونوع التسوية التي تسعى إليها". وقد علمنا شيئا ما عن هذه التسوية خلال الجلسة التي عقدت في حزيران، عندما وضع عوزي ديان على طاولة النقاش الخارطة الأمنية التي أعدها الجيش للتسوية المرحلية. فقد تم تكوين اربع مدن من المدن الفلسطينية السبع في الضفة الغربية، باللون البنّي، وهي: جنين ونابلس وطولكرم وقلقيلية. كمناطق سيتم تسليمها للسلطة الفلسطينية تسليما كاملا قبل الانتخابات الفلسطينية.

ولونت مدينتا رام الله وبيت لحم أيضا باللون البنّي على أن يتم إخلاؤها من الجيش فيما بعد، عندما يتم شق الطرق الالتفافية التي ستكون المستوطنين من التحرك داخلها أو الالتفاف حولها بأمان.

أما مدينة الخليل والتي لونت باللون الأبيض، فقد كانت حالة خاصة، وتم اتخاذ قرار بإبقائها تحت السيطرة الإسرائيلية العسكرية الكاملة.

لقد كانت المدن الست الملونة باللون البنّي بمثابة جزر صغيرة وسط بحر من المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل. وكان يفترض أن يتم تغيير هذا المنظر بصورة تدريجية، مع بدء إعادة الانتشار القادم، ومع توسع مجال الصلاحيات الفلسطينية.

وفي أعقاب هذا العرض، تطور نقاش جدي شاركت فيه جميع الأطراف. وعندما سأل رايبين شاحك عن رأيه، قال : إن الخارطة تعكس الأسلوب الذي سيمكن الجيش الإسرائيلي من طرح أفضل الحلول الأمنية مع الأخذ بعين الاعتبار، بقاء جميع المستوطنات في مكانها. الجيش الإسرائيلي يتحمل مسئولية أمن المستوطنين، وعليه أن يقول لهم بثقة الآن: "إن أمنكم سيبقى في أيدينا، ونحن المسئولون عنه".



١٠- الملك الحسين والملكة نور وأوري سبير إبان مفاوضات الاتفاقية الأردنية - الإسرائيلية.

"بريستيج فلسطيني ومكاسب إسرائيلية"

رابين حرص على عدم الحديث عن حجم الانتشار الإضافي المستوطنات فرضت إيقاع التسويات الأمنية وعرفات وافق

لقد تطرق قسم كبير من التسويات الأمنية التي تم التخطيط لها ومناقشتها في المفاوضات إلى المستوطنات، وكانت ذات علاقة بها وغالبية الموارد التي تم استثمارها في الأمن كانت هي الأخرى ذات علاقة بأمن المستوطنين.

وعندما جاء دوري للحديث، قلت أنني أقبل النظرية الأمنية الأساسية، بيد أنني أخشى ألا يكون مكان للحديث عن التمييز بين المدن الفلسطينية وحذرت من أن عرفات لا يستطيع التوجه لخوض الانتخابات إذا لم تحظ جميع المدن الفلسطينية بتعامل متشابه. وتطرقت بصورة رئيسية إلى إرجاء إعادة الانتشار في رام الله وبيت لحم، بيد أنني تطرقت أيضا إلى مكانة الخليل.

هب رابين قائلا: "إذا خرجنا من الخليل سيحدث هناك انفجار، فهناك يعيش أسوأ المتطرفين من الطرفين".

وبدا بيرس أيضا. متشددا، حيث انطلق قائلا: "ما الذي يريده عرفات؟؟ هل يريد تفجير كل شيء؟؟ إن ما يأخذه منا لم يسبق لأي جهة أن أعطته له".

قلت في تعقيبي: إنني اعتقد أن عرفات سيستجيب لمطالبنا الأمنية، وأنه يجب أن تركز الأمور حول هذه النقطة. بيد أنه لن يستطيع إقناع مؤيديه بقبول التمييز القائم بين المدن الفلسطينية. إن إجراء الانتخابات في ثلاث مدن من بين المدن الفلسطينية هو غير مقبول وليس عمليا. أن الانطلاقة المتطرفة في المفاوضات، لا تؤدي دائما إلى إحراز المبتغى".

طلبت أيضا مناقشة المطالب الفلسطيني المفاجئ والخاص بتشكيل قوة مشتركة، بيد أن هذه المسألة لاقت معارضة شديدة لدى الحاضرين، وقيل لي: "إن المسؤولية الأمنية غير قابلة للتقاسم. وأعرب اللواء ايلان بيران - قائد القطاع

الأوسط عن تحفظه من إعادة انتشار آخر في رام الله وبيت لحم، في المرحلة الأولى.

وقال: "ستكون السلطة الفلسطينية، على بعد خمس دقائق سفر من القدس، لذا فإنني أوافق على الاكتفاء بإعادة، انتشار في أربع مدن فلسطينية قبل الانتخابات".

وفجأة اخذ رابين زمام الأمور بصورة مفاجئة وقال: "على أية حال، يجب علينا أن نبدأ التفكير بإعادة، انتشار الجيش الإسرائيلي خارج قواعده الثابتة في شوارع القرى بالضفة الغربية والتي تشكل ٦٥% من مجموع الجماهير الفلسطينية. وإذا كان بالإمكان التوصل إلى نظرية ثالثة، تسمح بتسليم الفلسطينيين الصلاحيات المدنية في المناطق القروية، وعلى أن نتسلم نحن المسؤولية الأمنية، فلا شك في أن اقتراحنا سيكون أكثر معقولة، وسيتساوق مع إعلان المبادئ".

طلب رابين من ديان وزينجر أن يدرسا قضية المنطقة الثالثة. أما فيما يتعلق ببيت لحم ورام الله، فقد طلب من نائب رئيس الأركان متان قلناني أن يدرس كم من الوقت نحتاج لشنق الطرق الانتفاقية بالقرب من هذه المدن. وفيما يتعلق بالخليل، قال رابين: سنصر على تنفيذ إعادة الانتشار التي اقترحتها وزارة الدفاع الإسرائيلية، والتي تنص على إبقاء الجيش الإسرائيلي في مكانه بيد أننا سنوافق على اتخاذ إجراءات معينة يوم إجراء الانتخابات.

وأعرب رابين عن تحفظه من تشكيل قوة مشتركة، لكنه أيد فكرة إنشاء أطر مقلصة للتعاون الأمني.

اجمل زينجر قرار رئيس الحكومة في وثيقة خاصة، أعلن فيها عن وجود منطقة ثالثة وهكذا، تضمنت خارطتنا المقترحة منطقة بنية اللون هي المنطقة (A) وتقع تحت السيطرة الفلسطينية على الصعيدين العسكري والمدني، ومنطقة ذات لون اصفر (B) وتقع تحت السيطرة العسكرية الإسرائيلية والسيطرة المدنية الفلسطينية، ومنطقة ذات لون ابيض، وهي المنطقة (C) وتقع تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة على الصعيدين العسكري والمدني.

وعندما شاهد رابين الوثيقة والخارطة المرافقة لها، طلب أن نعمل على توسيع المناطق ذات اللون الأصفر على أن نأخذ بعين الاعتبار الأراضي المملوكة للفلسطينيين، والعديد من المناحي المتعلقة بالصلة بين القرى، وفي نفس الوقت، طلب أن نخرج من هذه المنطقة، الطرق التي تخدم الإسرائيليين في تحركاتهم. وإزاء الحديث عن الانسحاب الأول جرى الحديث عن انسحاب بنسبة ٢٥% من الضفة الغربية على اعتبار أن هذه النسبة، هي المنطقة (A)، و٢٥% على اعتبارها المنطقة (B) مع بقاء ٧٢,٥% من المنطقة ضمن إطار (C) - أي أنها ستبقى كلها في أيدينا.

أصبحنا على أهبة الاستعداد لخوض المعركة حول إعادة الانتشار. وكان قد تم الاتفاق سابقا، على إجراء المفاوضات في إيطاليا. ولهذا السبب، استدعي بيرس سفيرنا في روما (آفي برنر)، وطلب منه أن يعثر على مكان مناسب لإجراء المفاوضات، وكان عليه أن يعمل بسرية بالغة، وأن يكون على صلة بهذا الصدد مع وزيرة الخارجية الإيطالية سوزانه انيلي، التي كانت علاقاتها مع بيرس وطيدة.

سافرنا والوفد الفلسطيني في طائرة تابعة لشركة فيات حتى روما، وهناك تم نقلنا إلى مركز الندوات التابع للشركة في سيارات منفردة. والمبنى المذكور هو مبنى كبير من أربعة طوابق.

وفي ساعات ما بعد الظهر، تجمعنا في إحدى غرف المحاضرات في الطابق الأرضي، وفورا قدمنا إلى الفلسطينيين نسخا من اقتراحنا للملحق العسكري لاتفاقية التسوية المرحلية.

عمد الفلسطينيون إلى مراجعة المسودة، والخارطة، وتسجيل ملاحظاتهم على هامش الصفحات. كان الملحق الذي يتضمن تسع فقرات، يؤكد على سياسة محاربة الإرهاب التي ستتتبعها السلطة الفلسطينية. كما تطرق إلى قيام السلطة الفلسطينية بمصادرة الأسلحة غير المشروعة، في كل مدينة يتم تسليمها لها. وتقديم الإرهابيين إلى المحاكمات، واتخاذ أساليب منهجية أخرى، لمنع الإرهاب

والتحريض على العنف. وتضمن الملحق أيضا تفصيلا واضحا لمسئولية إسرائيل عن ضمان الأمن في الضفة الغربية كلها، باستثناء المدن التي كانت ستسلم للفلسطينيين. وتطرق الملحق إلى اقتراح إقامة منطقة ثالثة-المنطقة القروية- والتي ستتحمل فيها إسرائيل المسئولية الأمنية، ويتحمل الفلسطينيون المسئولية المدنية ونص الملحق أيضا، على تنفيذ عمليات إعادة الانتشار الرامية إلى توسيع المنطقة الخاضعة للسيطرة الفلسطينية الكاملة، بصورة تدريجية، وبالتناسب مع الوضع الأمني.

وفي صبيحة اليوم التالي رد أبو علاء على وثيقتنا باعتدال -كأسلوبه دائما في المرحلة الأولى، كي يرينا أنه يتطرق إلى مواقفنا بجدية- وطلب بعض التوضيحات. وقد دار الجدل حول مساحة المنطقة (B) بيد أننا رفضنا مناقشة مسألة المساحة، وقلنا أننا سنقدم إليهم خارطة مفصلة بعد أن يتم الاتفاق على مبادئ النظرية الأمنية.

وخلال التشاورات التي أجريناها فيما بيننا، اقترحت ألا يتم كشف الخارطة للفلسطينيين حتى نهاية المفاوضات كي لا نطرح قضية تؤدي إلى تدني مستوى التفاهم، فقد كنت أدرك أن التطلعات الفلسطينية، أكبر بكثير مما قررنا اقتراحه عليهم.

ثم انتقلنا إلى غرفة مجاورة، وأخذنا نجمل النظريات الأساسية للمناطق، على ورقة بيضاء دون أن نكشف مساحتها، مما أثار ثائرة الفلسطينيين، وخصوصاً حسن عصفور، الذي استهل حديثه قائلا: "وفقا لاتفاقيات أوسلو يجب أن نتسلم جميع الصلاحيات الأمنية والمدنية عشية الانتخابات. كفوا عن مضايقتنا بهذه المصطلحات القضائية، يجب عليكم أن تسلمونا غالبية الضفة الغربية".

رد عليه يوال زينجر بإسهاب، حول نظرية تسليم الصلاحيات الأمنية بالتدريج، بيد أن رأي الفلسطينيين بقي على ما هو عليه. لذا، اقترحنا عليهم أن يعودوا إلينا وهم يحملون ردا لملاحظتنا على الملحق الأمني، واتفقنا خلال محادثات (تورينو) على مزج اتفاقية غزة أريحا في اتفاقية التسوية المرحلية.

وفي ساعة متأخرة، طلبت، أنا وزينجر، من أبو علاء أن يقوم بجولة معنا في الحديقة. وأوضحنا له خلال النزهة، استحالة أن نحصل على موافقة رابين على المنطقة (B)، إلا إذا تحملت إسرائيل المسؤولية الأمنية.

قال أبو علاء: "أنا أفهم ضرورة الأمن، بيد أن من المستحيل أن نوافق على أن تعيش غالبية جماهير الضفة الغربية تحت نير السيطرة الإسرائيلية الكاملة" وعاد أبو علاء لطرح فكرة التعاون الشامل في هذا المجال، وأشار إلى أن إعلان المبادئ وعد الفلسطينيين بالسيطرة الكاملة على مصير شعبهم.

طرحنا، أنا وزينجر، فكرة إمكانية اندلاع مواجهات بين المستوطنين والفلسطينيين قلنا له: إذا حدث ذلك، فإن الجيش الإسرائيلي وحده هو الذي سيكون قادرا على معالجة هذا الوضع.

وأضفت: "بمرور الزمن سيعتاد الطرفان هذا الوضع، وحينها -مثلما جاء في صيغتنا- سنستطيع توسيع مسئوليتكم الأمنية".

-أبو علاء: "سأتحدث مع زملائي ومع الرئيس أبو عمار، حينما أعود، وعندما تصل الأمور إلى الشؤون الأمنية، فإننا على استعداد للاستجابة لاحتياجاتكم. لكن لا تنسوا أن كل ذلك سيكون رهنا بأن نقتنع بأن هدفكم هو حقاً الحفاظ على الأمن، وليس أن تسرقوا منا أرضنا".

أدركنا في أعقاب هذا الحديث، أن المفاوضات ستكون شديدة جدا، بيد أننا كنا نتمتع على الأقل، بميزة أننا قدمنا وثيقة إسرائيلية مفصلة وحددنا معايير التسوية المرحلية بوجود السيطرة العسكرية الإسرائيلية في المرحلة الأولى على غالبية الضفة الغربية دون الانتقاص من قدرة الفلسطينيين على توسيع المناطق الواقعة تحت سيطرتهم تدريجيا.

كانت نواة التسوية المرحلية على النحو التالي: كان الفلسطينيون على استعداد للتنازل عن صلاحيات أمنية بصورة أسهل من التنازل عن مناطق، أو بمعنى آخر كان أمن المستوطنات مسألة مقبولة لديهم، كمصلحة يجب أن يأخذوها بعين الاعتبار لكنهم ليسوا على استعداد للقبول بتوسيعها.

كانت صيغة الحل، تقوم على خلق منطقة سيطرة مشتركة خلال مرحلة التسوية المرحلية، والنقل التدريجي لمناطق أخرى إليهم. ولم يبق الآن سوى التفاوض حول مركبات هذه الصيغة.

حدد رابين الأول من حزيران، كبدائية لإجراء المشاورات. كان راضيا عن محادثات تورينو ووقف بحزم خلف التكتيك الذي اتبعه الوفد الإسرائيلي. واتخذ قرارا بضم اورن شاحور إلى طاقم المفاوضات، وأمر بطرح مسألة نقل الصلاحيات على جدول الأعمال.

عندنا في نفس اليوم إلى تورينو وقدم الفلسطينيون، وهم يحملون ملاحظات مكتوبة، حول صيغة الملحق الأمني، كانت الخلافات بين الطرفين عميقة للغاية فقد أصر الفلسطينيون على المسؤولية الأمنية المشتركة في المنطقة (B)، وطالبوا بأن تشمل المنطقة (A) المدن الفلسطينية كلها، وجميع القرى البلدية في الضفة الغربية. كما طالب الفلسطينيون بأن يتم وصف إعادة الانتشار كإجراء غير قابل للتغيير.

وقدم الفلسطينيون لنا مدخلا جديدا للملحق الأمني. وأكد أبو علاء أنه إذا ما قبلنا هذه الصيغة فسوف يبدي الفلسطينيون مرونة في كل ما يتعلق بباقي الصيغة.

أكد المدخل المذكور على حرية الحركة للفلسطينيين داخل الضفة الغربية والمعبر الآمن. بين الضفة الغربية وغزة.

وقال أبو علاء: "لن نسمح لكم بالسيطرة على حرية حركتنا، ولن نوافق على وجود أي حواجز عسكرية للجيش الإسرائيلي داخل الضفة الغربية".

كان الفلسطينيون يرغبون أيضا، في ضمان تسليمهم الصلاحيات المدنية بوتيرة سريعة في غالبية مناطق الضفة الغربية. وقد حاول أبو علاء القيام بمناورة ذكية، حيث اكتفى برد شفهي على وثيقتنا المفصلة دون الالتزام بموقف دقيق، وفي بلورة غالبية المصالح الفلسطينية في مدخل الملحق الأمني.

حاولنا، أنا وزينجر خلق مزاجية بين صيفتي الطرفين، وقد تم استخدام هذه الصيغة كأساس للمفاوضات المستقبلية، هو المبادئ الأمنية. وقد تم الإشارة إلى الملاحظات والتعليقات العامة الفلسطينية في صيغة الملحق الأمني. ولم نتقدم إلا بعد أن وافق الفلسطينيون على المناطق الثلاث في الضفة الغربية ومنطقة فلسطينية (A) ومنطقة إسرائيلية (C)، ومنطقة تحت السيطرة المشتركة (B) على أن يتم تحديد ذلك خلال المفاوضات. وهكذا، أصبح بأيدينا بداية وثيقة مشتركة. عدنا إلى إسرائيل، ونحن نشعر أننا أحرزنا تقدما حقيقيا. وفي الطرق سلينا أنفسنا أنا وأبو علاء، بتقليد حوار بيرس وعرفات لقد كنا بحاجة إلى قسط من الراحة، بعد كل هذا التوتر الكبير.

وحال عودتنا اتفق رابين وبيرس، على أنه أن الأوان كي نكشف للفلسطينيين النقاب عن المدن التي نعتزم الانسحاب منها، وأن يكشفوا لهم أيضا المطلب الإسرائيلي القائل، بضم جميع المناطق القروية الفلسطينية، في المنطقة (B) وليس (A) مثلما أراد الفلسطينيون.

تمحورت الخلافات، حتى تلك اللحظة، في مواقفنا حول مسؤولية كل طرف في كل منطقة من المناطق الثلاث في الضفة الغربية، وهكذا بدأ النزاع يدور حول مساحة كل منطقة.

قدمت مونه لنقلنا حيان وزينجر والعميد شلومو بروم نائب ديان -أنا- إلى منزل الملحق النرويجي، حيث كان الفلسطينيون بانتظارنا هناك. واتفقنا على أن يبيت الفلسطينيون هناك، على أن نعود نحن إلى منازلنا.

بدأت الحوار بالقول: أن الجيش الإسرائيلي سيعيد استثماره الأول، عشية الانتخابات الفلسطينية، خارج الحدود القضائية للمدن: جنين وطولكرم وقلقيلية ولابلس، والتي سيطلق عليها المنطقة (A). على أن يتم فيما بعد وفي أعقاب استكمال شق الطرق الالتفافية لتحركات الإسرائيليين - تنفيذ إعادة انتشار جديد في منطقتي بيت لحم ورام الله. أما الخليل فسوف تعتبر حالة خاصة، نظرا لوجود مستوطنين داخلها، واقترحت أن يتم تشكيل لجنة توكل إليها مهمة إعداد ترتيبات

خاصة للانتخابات الحرة في هذه المدينة. أما المناطق القروية (B)، فتتم إدارتها بالتعاون بين الجهتين، على أن تتحمل إسرائيل المسؤولية الأمنية، وتحمل السلطة الفلسطينية مسؤولية الشؤون الإدارية. أما المناطق غير المأهولة، وكذلك المناطق التي توجد فيها المستوطنات، فسوف تبقى تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة، بوصفها المنطقة (C).

وفي أعقاب إجراء الانتخابات، تقوم إسرائيل بتسليم السلطة الفلسطينية- وفقا لتقديرات إسرائيل- صلاحيات أمنية في المنطقة (B)، وفي المناطق غير المأهولة من المنطقة (C). والتي لا أهمية أمنية لها. ولا ينطبق ذلك بحال على أي منطقة من مناطق المستوطنات.

سجل الفلسطينيون ملاحظات على أقواله، ثم طلبوا وقف المفاوضات لبعض الوقت. وسمعنا أصوات نقاشهم الغاضب وهو ينبعث من غرفة المفاوضات.

أدركنا هذه المرة، أن الأزمة قادمة لا محالة، ولم نعرف مدى تأثير هذه الأزمة على الطرفين بيد أننا اعتقدنا أن التاريخ الهدف-الأول من تموز- سيضغط على الفلسطينيين لدفعهم إلى التقدم.

عدنا إلى طاولة المفاوضات، وقال الفلسطينيون أنهم على استعداد للرد على اقتراحاتنا، واستهل أبو علاء الحديث بلهجة شديدة قائلا:

"نحن على استعداد لتطبيق اتفاقية إعلان المبادئ معكم، بيد أن ما تطرحونه بعيد كل البعد عما وقعنا عليه. فأنتم تريدون تقريبا ٩٠% من المناطق، و١٠٠% من المسؤولية الأمنية ولا تبدون أي التزام، فيما يتعلق بما ستفعلونه في المستقبل، إضافة إلى أنكم تحدون من حركتنا وهذا ما لا نقبله، وبصورة خاصة محاولتكم إضفاء الشرعية على الوضع الراهن، مع تغييرات طفيفة على أرض الواقع. الآن أنتم تسيطرون كمحتلين، وبمقدورنا مقاومتكم تحت هذا الوصف، ولن تحصلوا أبدا على موافقتنا لتخليد الوضع على ما هو عليه بوسائل أخرى ونحن نطالب بإحداث تغيير حقيقي، مثلما هو وارد في اتفاقية إعلان المبادئ.

وأضاف ٠٠٠ نحن على استعداد للتعاون في مجال محاربة الإرهاب، بيد أنه يجب توسيع مساحة المدن، بحيث تشمل سلسلة من القرى، ولن نوافق بأي حال على التمييز بين مدينة وأخرى. وبمقدوركم الحفاظ على مسئولية إسرائيل الأمنية، في جميع المناطق المأهولة الأخرى (B) بيد أنه يجب أن نتسلم صلاحيات كاملة، بما فيها الصلاحيات الأمنية على الفلسطينيين، ونحن على استعداد لوضع شرطة فلسطينية هناك، على أن تقدم لكم تقارير حول نشاطاتها، بيد أنها لن تكون خاضعة لكم، ولن نوافق على إهانة رجال شرطتنا بوضعهم تحت سيطرتكم.

وأضاف ٠٠٠ وفيما يتعلق بالمستقبل، فإننا نطالب بجدول زمني دقيق، وخارطة مفصلة على مواصلة تسليمنا المناطق في أعقاب الانتخابات الفلسطينية. ولا نعتزم أبدا، إرجاء نقل أي قضايا تتعلق بالتسوية المرحلية، حتى بدء مفاوضات التسوية الدائمة.

وأضاف ٠٠٠ إذا ما قبلنا توجهكم القاضي بإبقاء غالبية المناطق والصلاحيات الأمنية في أيديكم، فسوف تتحول الضفة الغربية إلى منطقة خصومات وعداء، وليس هذا هو هدفنا، يجب أن تصبح فترة التسوية المرحلية جسرا للتعاون نحو التسوية الدائمة.

أدركت بعد أن أنهى أبو علاء أقواله أن علينا أن نعلن عن رفضنا القاطع لمطالبهم. بيد أنني اكتفيت بالقول: أننا سمعنا أقوال أبو علاء وعرفنا ماهية التطلعات الفلسطينية، وسنقدم تقريراً عن ذلك لرابين وييرس.

وجدنا أنفسنا وقد وصلنا إلى طريق مسدود، لأن الخلافات القائمة كانت هائلة إلى الدرجة التي لا نستطيع معها أن نبدأ المفاوضات طلبت أن أتحدث مع أبو علاء على حدة، وتوجهنا سويا إلى غرفة جانبية، وجلسنا، أحننا في مواجهة الآخر. وقلت له: "اقتراحاتكم لن تكون معقولة، لن نمحكم مسئولية إلى هذا الحد الكبير على الصعيد الأمني فنحن ببساطة، لا زلنا لا نثق بكم. إن اقتراحاتكم ستخرب المفاوضات، وإذا ما قبلناها، ستتفجر الضفة الغربية كلها".

وقد رد أبو علاء على أقواله بعدوانية غير مألوفة: "أنتم ترغبون في ضمان الأمن، وأنا أنقهم ذلك، بيد أننا لن نقبل سيطرتكم على أراضينا تحت شعار الأمن، وعلى وجه الخصوص في ظل غياب عدم التزام باستمرارية المسيرة. وعدم الثقة هي مسألة متبادلة وبمقدوركم أن تحاولوا فرض وجهة نظركم على عرفات. وإذا ما مارستم اشد الضغوط من أجل دفعه إلى الزاوية، فقد لا يجد أمامه خيارا سوء قبول وجهة نظركم. لكن يجب عليكم أن تتذكروا أنه إذا ما فعلتم ذلك، فسوف تعزلونه، فالاتفاق من جانب واحد لن يصمد لذا يجب عليكم التفتيش عن وسائل لضمان أمنكم وفي نفس الوقت يوازن الاتفاقية. وإذا كان الأمن هو حقا، مصلحتكم الوحيدة، فنحن لن نتنازل عن أي أراضي".

رددت على أبو علاء بغضب: "إذا كنت تتهمني بمحاولة الوصول إلى اتفاق من جانب واحد، يجب عليك البحث لك عن شريك جديد. إن مطالبك ستقودنا إلى طريق دون مخرج، وأنتم ستكونون الخاسرين والعبء ملقى عليك أنت، لذا اقترح عليك أن تعود لي وأنت تحمل أفكارا أخرى". نهض أبو علاء دون أن ينبس ببنت شفة، واستدعى سائقه، وتصافحنا ببرود، وانطلقنا كل واحد وجهته.

وفي تقريرنا لرابين وبيرس نصحنا بأن يتم الانتظار حتى يقوم الفلسطينيون بخطوة من جانبهم، فقد كان مستقبل النظرية الأمنية في الضفة الغربية معلقا في كفة الميزان.

في الثامن والعشرين من حزيران، اجتمعت أنا وأبو علاء في فندق (دان) في تل أبيب. كان غضبنا قد انطفأ واقترح أبو علاء أن نرجى المحادثات حول معايير كل منطقة من المناطق الثلاث في الضفة الغربية. وكان يجب أن نحدد مزايا المنطقة (B) وإمكانية مواصلة إعادة الانتشار وقلت له: أنه وفي ضوء توقع الجماهير توقيع الاتفاقية في الأول من تموز، فإن من الأفضل أن يلتقي بيرس وعرفات ويعلنا أنه تم التوصل إلى اتفاق. ومن الجدير بالذكر، أنه لم يكن قد تم الإعلان حتى ذلك الحين، عن وجود حوار حول هذه القضايا- لم يتسرب

أي نبأ حول المفاوضات التي استغرقت شهورا في فندق يميست ومحادثات (تورينو). وعلى أية حال، يجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نتفق حول خطوط الاتفاق، بيد أن الأمر لن يكون ممكنا إلا إذا توصلنا إلى تفاهم حول طبيعة المنطقة (B).

قبل أبو علاء بفكرة عقد اللقاء بين بيرس وعرفات، ثم اقترح أن تكون السلطة الفلسطينية مسؤولة عن النظام العام في المنطقة (B)، في حين تكون إسرائيل مسؤولة عن مكافحة الإرهاب وأمن الإسرائيليين الذين يعبرون هذه المنطقة.

سألته: ما الذي سيحدث إذا ما اصطدمت عمليتنا مع الفلسطينيين؟ فقال: بالإمكان تنسيق هذه العمليات عبر مكتب ارتباط في كل منطقة.

قلت: "نحن نعتقد أن بالإمكان تقسيم العمل بين قواي الأمن، لكن ليس لتقسيم المسؤولية. يجب على إسرائيل أن تمسك بين أيديها بزمam المسؤولية الأمنية بصورة حاسمة- كان هذا هو الموقف الذي بلورته وزارة الدفاع- وإذا ما استطعنا الاتفاق حول هذا الشرط، وعلى هذا المبدأ، يمكننا مواصلة نقاش جميع التفاصيل". بيد أن أبو علاء رفض الرد على اقتراحي وفضل ترك القرار لبيرس وعرفات.

اتصل بي رابين في أعقاب اللقاء. وقد كان يخشى من أنه إذا لم نتوصل إلى قرار حتى الأول من تموز، أن نضطر لمواجهة مظاهرات وغليان في الضفة الغربية. فقلت له: إن الأمور لا زالت تراوح مكانها دون تقدم. وهكذا القي على عاتق بيرس، كسر الجمود من جديد.

اجتمع بيرس وعرفات مساء السبت الموافق الأول من تموز، على الجانب الإسرائيلي من حاجز ايرز. كانت وسائل الإعلام احتشدت وجاء عرفات محاطا بعدد من حراسه الشخصيين. وقد جرت المقابلة في غرفة صغيرة في مبنى الإدارة المدنية ولم يشارك في الجلسة الافتتاحية مع بيرس وعرفات، سوى أنا وأبو علاء، في حين انتظر أعضاء الحاشيتين الآخرون في غرفة مجاورة.

وفي أعقاب مراسيم الاستقبال والمجاملات، ومنح وسائل الإعلام فرصة تصوير اللقاء، أعرب بيرس عن تقديره للعمل السري للجنة الأمنية وللشراكة الخاصة بين (يوآل زينجر) وصائب عريقات، بشأن الانتخابات وقال: بمقدور أورن شاحور وجميل الطريفي مواصلة نقاش عملية نقل الصلاحيات. وقد رد عرفات بنفس الأسلوب الذي يرد فيه، كل مرة تطرح فيه، قضية الصلاحيات المدنية على جدول الأعمال- رد بأقوال تتعلق بالمال، فقال: "عليكم أن تمنحونا أيضا صلاحية جبي الضرائب غير المباشرة، نحن بحاجة إلى المال، والمبالغ الممنوحة لنا من الدول المانحة غير كافية، ورجال الشرطة الفلسطينية لا يتسلمون رواتبهم".

وفي الحقيقة، كنا قد قررنا تسليم الفلسطينيين صلاحية جبي الضرائب غير المباشرة في نهاية المسيرة، وذلك من أجل استخدامها كمحفز لتسريع المفاوضات. وقد حدا ذلك ببيرس لتغيير موضوع الحديث، فوصف لعرفات الضيق الشديد الذي يعم أوساط الجماهير الإسرائيلية، جراء عدم توقف الأعمال الإرهابية، وقال: "حقا، إن أداءكم تحسن كثيرا على الصعيد الأمني، بيد أن العمليات لا زالت متواصلة، إننا نقترب لتجسيد خطوة شديدة الأهمية، وأنا أريد هذا التجسيد. وأنت تعلم، سيدي الرئيس أنني أعارض أن يسيطر اليهود على مصير شعب آخر، بيد أنه علينا أن نقتنع شعبنا بذلك، وأن نتقدم على الطريق بحذر. ولا يجب بأي حال من الأحوال، أن نخلف احتكاكات بين شعبين، لان هناك متطرفين في الجانبين، كما عليكم أن تفكروا في الانتخابات التي ستجرونها لأول مرة، في تاريخ الشعب الفلسطيني، وتذكر أن أي أمة أخرى لم تعرض عليكم ما نعرضه عليكم نحن. لقد قلت لي قبل عدة أشهر، أنهم أنزلوك إلى مستوى رئيس بلدية غزة، وهانحن الآن نتقدم باتجاه التفاوض حول المدن الست الكبرى في الضفة الغربية. ولا شك أن هذا تطور تاريخي، لكن يجب عليكم أن تأخذوا بعين الاعتبار، اعتباراتنا الأمنية.

سجل أبو علاء أقواله، وأرسل باتجاهي ضحكة صفراء، وبدأ أنه يعتقد أن بيرس يقود عرفات خلال النقاشات بالاتجاه المرغوب لإسرائيل. وفي الوقت الذي واصل فيه بيرس إيضاح مطالبنا. بالمسئولية الأمنية الحاسمة في منطقة (B) بيد أن عرفات حاول التهرب من النقاش، حينما ذكر بيرس مصطلح السيطرة باللغة الإنجليزية (overriding) وقال: "إذا كان الأمر يتعلق بمصطلح إنجليزي فإنني سأتركه لأبو علاء".

رسم بيرس ابتسامة واسعة، وقال: "أبو علاء: متشدد جدا، افصله من المفاوضات؛ إنه وسبير يتمتعان بإدارة مفاوضات دون التوصل إلى أي نتائج، افصله وسأفصل أنا أوري.

ضحك عرفات، بيد أنه امتنع عن التطرق إلى المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقة (B).

طلب بيرس من ديان أن يشارك في الجلسة، وأن يستعرض الوضع الأمني، وقد خرجت من الغرفة، فيما بقي ديان حوالي ساعتين وعندما خرج، قال أنه مارس هو وبيرس ضغوطا شديدة على عرفات، بيد أن عرفات لم يتنازل أبدا.

تم استدعاء زينجر لدراسة الحلول التي بدأ أبو علاء يقترحها. وقد قال للفلسطينيين أن هناك العديد من المصطلحات في إطار الممكن، أما مصطلح المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقة (B)، فيجب أن يظهر في الوثيقة.

وعندما استدعيت بعد ست ساعات للعودة إلى غرفة الحوار بين بيرس وعرفات سمعت بيرس يقول بلهجة غاضبة: "لن نصل إلى أي اتفاقيات إذا لم يعلم جنودنا أنهم المسؤولون عن المنطقة (B) وإذا لم تسر الأمور على هذا النحو، ستحدث صدامات في المنطقة، هل توافق؟؟ هل توافق؟؟ إذا لم توافق، فإن رايبين وأنا لن نستطيع التقدم نحو الاتفاق أبدا".

كان عرفات يحمل في فضاء الغرفة تارة، ثم تعود عيناه للحملقة في الورقة الموضوع أمامه على الطاولة، والتي كتب فيها بيرس بخط يده مسألة

"المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقة (B). وبدا بوضوح أنه يعاني من أزمة حقيقية فقد أدرك أن بيرس لن يستجيب له. ورغم ذلك يبدو أنه شعر أن إسرائيل تعتزم إحداث تغيير واسع في الضفة الغربية من خلال صلاحياتها الأمنية. لقد جلس عرفات حوالي ساعة في الغرفة دون أن يتقوه بكلمة، فيما كان بيرس يقوم، بين الفينة والأخرى ليقطع الغرفة جيئة وذهابا وهو نافذ الصبر.

Israel will have the
overriding responsibility for
internal security in order
to protect civilians and fight
against terrorism
Consequently movement at
on the roads of Palestinians
armed police or its activities in
villages that don't have permanent
stations, will ~~be~~ ~~have~~ be
confirmed ~~through~~ by the
JCO

وثيقة بخط يد بيرس قد مدها إلى الرئيس الفلسطيني
عرفات إبان المفاوضات حول تحديد المسؤوليات
الأمنية الإسرائيلية في المنطقة (ب) ١-٧-١٩٩٥

في نهاية المطاف، قال عرفات: أنه يحتاج للتشاور مع مقرييه، واقترح أن نحدد موعدا لمواصلة الحوار، بدا بيرس غير راض، بيد أنه قبل بذلك، وتم الاتفاق على إعلام وسائل الإعلام بأنه تم إحراز تقدم عام. وأن الاتصالات ستتواصل بين الزعماء في غضون الأيام القليلة القادمة.

استؤنف الاجتماع بعد ثلاثة أيام. وكان أبو علاء يرسل لي فاكسات تحمل حلولاً تتضمن مصطلح "المسئولية الحاسمة" لقد أدرك الفلسطينيون، أنه لم يبق أمامهم سوى محاولة الحصول على أكبر ثمن ممكن مقابل موافقتهم على ما تريده إسرائيل.

وفي رسالة الفاكس، التي بعث بها أبو علاء إلي ليلة الثاني/ الثالث من أيلول، والتي كتبها على ورق مروس بشعار مكتب الرئيس، وصل إلي حالة توازن في اقتراحاته حيث قال: تحصل إسرائيل على مسئولية حاسمة على المنطقة (B)، في حين تخول السلطة الفلسطينية مسئولية الحفاظ على النظام العام من خلال سلسلة من مراكز الشرطة. كما أكد على ضرورة نقل مناطق أخرى إلى السلطة الفلسطينية، مع تحديد جدول زمني محدد وملزم، ونقل أراض دولة إلى الفلسطينيين.

تلبية لطلب من رئيس الأركان، قمت أنا وزينجر ويتوم، بإعداد ردودنا. وفي اليوم التالي الموافق الرابع من تموز، التقينا رابين قبل التوجه إلى حاجز ايرز، بيد أن اقتراحات أبو علاء أثارت ثأثرته، وقال: "هل يود أن نبدأ تسليمه الضفة الغربية بصورة تدريجية؟؟ فلننس هذه القضية".

ومن الجدير بالذكر، أن رابين كان يعمد في كل مرة يفضبه فيها للموقف الفلسطيني، إلى التحذير من التنازل بشأن القضية المطروحة.

اقترح أن نتوصل مع الفلسطينيين إلى اتفاق ينص على أن يكون منتصف عام ١٩٩٧ هو التاريخ الذي سننقل إليهم مسئولية المناطق التي لا نعزو إليها أهمية أمنية -الانسحاب الإضافي- فقال رابين إن منتصف عام ١٩٩٧، هو

تاريخ مقبول لديه، بيد أنه لا يجب أن نفتح للفلسطينيين عن مساحة الأراضي التي سنسلمها إليهم. ولا شك أننا سنضطر في يوم من الأيام لفتح خارطة إعادة الانتشار الإضافي، لكن بالتأكيد ليس الآن".

بدا أن بيرس غير مرتاح للهجة رابين، ويعتقد أنه لم يقدر بصورة جيدة الجهد الذي بذله والصلابة التي أبداه في الحوار مع عرفات. وخيل اليّ أن رابين كان يريد أن يقول للمحيطين به أنه حقاً لا يدير المفاوضات، بيد أنه يسيطر على الوضع.

وعلى أية حال، فإن توجيهات رابين ورسالة أبو علاء، كانت كافية لتحويل لقاء الرابع من تموز إلى قاعدة مريحة للاتفاق. وقد بدأ اللقاء بجلسة بين عرفات وبيرس على انفراد، ثم استدعيت أنا وأبو علاء للانضمام إليهما. وقد جاء في صيغة الاتفاق:

١. في المنطقة (A)-المدن- تحتفظ السلطة الفلسطينية بجميع الصلاحيات الأمنية والمدنية.

٢. في المنطقة (B)-القرى الفلسطينية- تكون لإسرائيل مسؤولية حاسمة للأمن، من أجل الدفاع عن الإسرائيليين ومحاربة الإرهاب، في حين ستسلم السلطة الفلسطينية الصلاحيات المدنية، وتكون مسئولة عن النظام العام- للفلسطينيين-.

٣. يكون لإسرائيل في المنطقة (C) مسؤولية أمنية ومدنية كاملتان.

اقترح بيرس، أن يتم حل القضايا العالقة الأخرى- كيف ستعمل الشرطة الفلسطينية في المنطقة (B) من أجل الحفاظ على النظام العام، وقضية الخليل بواسطة لجان خاصة تعمل في إطار مفاوضات واسعة. واقترح استكمال الانسحاب الإضافي حتى منتصف عام ١٩٩٧- طالب الفلسطينيون باستكمالها حتى شباط ١٩٩٧. وأن يبدأ رجال الشرطة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي بتنسيق إعادة الانتشار.

وفي حديثهما إلى الصحفيين، لم يتطرق بيرس وعرفات إلى التفاصيل بيد أنهما أشارا إلى توجيههما أمرا لـي ولأبو علاء لاستكمال المفاوضات حتى الخامس والعشرين من تموز.



١١ - أوري سبير ووزير الخارجية الأردني جواد العناني إبان الاتفاقية الأردنية - الإسرائيلية.

الفصل السابع

تفكيك الاحتلال

انسحابات دون تحديد مساحات

نقل الصلاحيات من "السادة" للعبيد خلق أزمة حسية لدى الإسرائيليين

أبو علاء اقترح: ٢٥٪ و ٢٥٪ لكم فرفضنا

تفكيك الاحتلال

بدأت المفاوضات- في أعقاب الموافقة المبدئية- لبلورة الاتفاق، وتحدثنا حول نقل الصلاحيات الأمنية والمدنية في الضفة الغربية إلى أيدي السلطة الفلسطينية، وتحديد أسس العمل للانتخابات الفلسطينية. لقد كان زينجر على حق، لقد بدأت الآن المرحلة الصعبة، وفتحت الطريق نحو المرحلة المعقدة والصعبة وشديدة التوتر في المفاوضات.

قررنا أن تعمل جميع اللجان في آن واحد. وتم تقسيمها إلى لجان تعمل في المجال الأمني بما فيها لجنة فرعية لشئون الخليل- ولجان لنقل الصلاحيات، والانتخابات والملحق القضائي، وملحق التعاون، والاتفاقية نفسها. لقد عكفنا خلال الفترة الواقعة بين لقاء الرابع من تموز في حاجز ايرز وبين بدء المفاوضات بصورة عملية على تشكيل اللجان، والبحث عن مكان للقلم.

ومرة أخرى، قررنا عقد اللقاءات في إيطاليا، حيث عرضت علينا الحكومة الإيطالية منشأة عسكرية وقام طاقم خاص بإجراء جميع الترتيبات الضرورية لكن عرفات غير رأيه، فقد أراد أن يبقى طاقم مفاوضاته قريباً منه- لذا وافقنا على عقد الاجتماعات في فندق (جنى موريه) في (زخرون يعقوب).

إعادة الانتشار الإضافي (النبضات):

بدأنا المفاوضات في زخرون يعقوب، في السادس عشر من تموز، وتواصلت المحادثات أسبوعاً بيد أن التقدم الذي تم إحرازه كان طفيفاً. ومن الجدير بالذكر، أننا وجدنا صعوبة بالغة في تعود مثل هذا العدد الكبير من اللجان، والتي تضم كل واحدة منها حوالي مائة عضو، مثلما يتطلب الأمر للاستعانة بالخبراء والجهات الضرورية. وقد استغل أبو علاء هذا الوضع لتقديم أول عرض لصيغة بنية الاتفاقية، والتي أكد فيها على صلاحيات السيطرة والقضاء الفلسطيني على غالبية مناطق الضفة الغربية في أعقاب الانسحابات الإضافية الإسرائيلية ومن الجدير بالذكر أن هذه التغطية أصبحت بمثابة حجر الأساس الرئيسي في المفاوضات.

لقد نصت اتفاقية إعلان المبادئ على نقل الصلاحيات الأمنية بصورة تدريجية إلى أيدي الفلسطينيين في إعادة الانسحاب (النبضات) في الضفة الغربية، باستثناء المناطق الأمنية والمستوطنات. بيد أن هذه الاتفاقية لم تتطرق بالتفصيل، إلى معايير المناطق الأمنية آنفة الذكر. وقد أكدنا أن على إسرائيل وحدها تحديد هذه المناطق، وفقاً لتقديراتها ولا يجب تحديدها مسبقاً.

تحدثنا مع رابين بهذا الصدد، نهاية الأسبوع، بيد أنه أعرب عن خشيته من أن يؤدي اطلاع الفلسطينيين على خارطة المناطق الأمنية المحددة. إلى خلق أزمة، وذلك نظراً لأنهم توقعوا أن يحصلوا على مناطق أوسع من تلك التي اعترفتنا نحن منحها لهم - جرى الحديث في النقاشات الداخلية عن حوالي ٥٠% من مساحة الضفة الغربية - في أعقاب جميع الانسحابات، ووفقاً للتقديرات العسكرية على ما هو مطلوب للمناطق الأمنية الحيوية، ومن أجل ضمان أمن المستوطنات - لذا قرر رابين تأجيل المواجهة حول نسبة المنطقة التي سيتم تسليمها إلى الفلسطينيين. بل وكان هناك في أوساطنا من يخشى من أن تحرمنا إعادة الانتشار الإضافية من أحد المؤثرات المهمة جداً التي سنحتاج إليها خلال مفاوضات التسوية الدائمة.

وقد أوضح طاقم المفاوضات أن الانسحاب الإضافي هو بمثابة تحسين لاتفاقيات كامب ديفيد والتي التزمنا خلالها، بإعادة الانتشار إلى مناطق أمنية محددة في مرحلة واحدة، في حين عملنا في أوسلو على تقسيم هذه المرحلة الواحدة إلى عدة مراحل. على أية حال، كان علينا أن نبدأ بمفاوضات جديدة حول التسوية الدائمة في الرابع من ايار ١٩٩٦-أي قبل آخر نشر للقوات بأربعة عشر شهرا.

أسهمت خارطة التسوية الدائمة-والتي كنا على استعداد لإبداء قدر كبير جدا من المرونة بالنسبة لها، مقارنة بإعادة الانتشار الإضافي- في تحديد أهمية الانسحاب الأخير، ومثلما قلت في نقاشات داخلية، اشك في تنفيذها أصلا. ولهذا السبب، ولأسباب تكتيكية قررنا إبطاء النزاع على إعادة الانتشار الإضافية ومحاولة إحراز تقدم في مناح أخرى.

كانت المشكلة المركزية تتمثل في إقناع أبو علاء- هو تكتيكي متميز، فطن، ويجيد الدفاع عن مصالح أولئك الذين كلفوه. وحال عودتنا إلى زخرون يعقوب، وجدنا الفلسطينيين وقد شددوا مواقفهم في جميع القضايا المدنية التي كانت على جدول الأعمال. وكانت الرسالة واضحة تمام الوضوح: "قولوا لنا ما الذي يمكن أن نتوقعه من إعادة الانتشار الإضافي في المستقبل، ومقابل ذلك، ستكون على استعداد للتقدم في الحاضر". وهكذا آلت المفاوضات إلى طريق مسدود.

ضايقنا المستوطنون، وحلفاؤهم من اليمين إيان تواجندا في زخرون يعقوب، بالمظاهرات والصراخ. ولم تكن صرخاتهم وشعاراتهم، فقط، تضايقنا، بل لقد حاولوا عرقلة دخولنا إلى الفندق والخروج منه. وأعرب الفلسطينيون عن تدميرهم جراء السباب الذي يلاقونه من المستوطنين واليمين، الذين أخذوا يدقون بقبضاتهم على سياراتهم. بل لقد كانت هناك ضرورة لتفريجي، ذات مرة، في حوالي الساعة الواحدة ليلا، من الفندق، في سيارة مصفحة فيما كان سائقي يشق طريقه وسط الجماهير الغاضبة، التي أمطرته بسيل من السباب واللعنات. ورغم

ذلك، لم نصطدم بمظاهرة واحدة مؤيدة للسلام، وهو الأمر الذي حز في نفوسنا إلى حد كبير، لقد كان على دعاة السلام، أن يخرجوا إلى الشوارع، للإعراب عن آرائهم في هذا المنعطف التاريخي الكبير، بيد أن هذه المظاهرات لم تجر، إلا في المرحلة الأخيرة من نفس العام.

وفي إحدى وجبات العشاء، في غرفة الطعام بالفندق جلست بصحبة عوزي ديان، وعبد الرزاق اليحيى، والذي كان يحدق في الشمس، وهي تفرق خلف قرمزية الشمس الغاربة، وأشار بإصبعه قائلًا: "هل ترون. تلك هي الطنطورة حيث ولدت".

قلت بعدم ارتياح "صحيح"؟؟ كان الحديث عن مساقط الرأس يذكرني دائما إلى أي حد يضرب هذا النزاع جذوره في التاريخ القديم على نفس هذه البلاد، وإلى أي حد، من المهم العودة لتقسيمها مرة وإلى الأبد.

ارتسمت ابتسامة غريبة على شفطي عبد الرزاق اليحيى، وقال: "انظروا كم كنت غيبا، من الطنطورة انتقلت إلى الأردن، ومن الأردن إلى سورية ثم إلى جيش التحرير الفلسطيني، إلى الخليج، إلى مصر، بيروت، تونس، عمان، ثم إلى الضفة الغربية وهانا الان، اجلس فوق قمة هذا الجبل.

أكثر من خمس وأربعين سنة من التجوال والغربة، في حين كان بمقدوري، ببساطة، أن أذهب من الطنطورة إلى هنا، كي أجلس معكم لتناول وجبة عشاء.

عقبت على حديثه بالقول: "نحن جميعا قطعنا طريقا طويلا حتى وصلنا إلى هنا".

في الحادي والعشرين من الشهر، عقد بيرس إجتماعا مع الرئيس المصري تلبية لطلب مبارك، لإطلاعهم على المستجدات، وقد طلب منا- أنا وأبو علاء- الانضمام إليهم.

جلسنا في غرفة كبيرة حول طاولة مستطيلة، كان الرئيس مبارك يجلس على رأسها، بينما جلس عرفات وبيرس على جانبيها، وقد كان إلى جوار الرئيس المصري مساعده الرئيسان : وزير الخارجية عمرو موسى وأسامة الباز. كان الباز من وجهة نظرنا مؤيدا للمسيرة الحالية، في حين كان عمرو موسى الدبلوماسي المحنك يتطلع إلى مسيرة سلمية تلعب فيها إسرائيل دورا هامشيا بالنسبة للزعامة الحقيقية للمنطقة التي تسعى إليها مصر.

كان الانسحاب الإضافي يحتل رأس جدول أعمال اللقاء، وطرح أبو علاء القضية أمام الرئيس مبارك، وقال : 'مسألتنا الانسحاب الإضافي والأمن هما جوهر القضية، وأساس أي تسوية ولا شك أن الخليل تعتبر مشكلة، نظرا لأن سكانها وأقاربهم موزعون في جميع أنحاء الضفة الغربية، والإتفاقيات بشأن المنطقة (B) تسير بصورة معقولة، بيد أن ما أمل في التوصل إليه هو الإتفاق حول إعادة الإنتشار الإضافي في المنطقة (C) .

استهل بيرس تعليقه موجها كلامه إلى عرفات : 'أنظروا إلى أين وصلتكم : قلقيلية على بعد تسعة كيلو مترات من البحر، ونصف كيلو متر من كفار سابا، وبيت لحم ورام الله على بعد بضعة كيلو مترات من القدس، لا أعتقد أن هناك دولة في العالم على إستعداد لعمل ما فعلناه، سيدي الرئيس.

ثم توجه بيرس إلى مبارك قائلا : 'هل كنت ستوافق على أن تحكم سلطة أخرى على بعد بضعة كيلومترات من القاهرة؟؟ بالتأكيد أنك لن توافق، لقد اعتقد الفلسطينيون وغيرهم أن مصطلح غزة أولا، سيكون 'غزة أخيرا'، لقد ظنوا أننا نحاول خداعهم، وها أنا ورايين نقول : اعتمدوا علينا أيضا في الانسحاب الإضافي، لا تجروا الآن أي مفاوضات حوله، لقد التزمنا باستكمال إعادة الانتشار حتى منتصف ١٩٩٧، وسنفي بهذا الالتزام، فعندما نعطي كلمتنا، فإننا نلتزم بذلك.

عرفات : 'وما الذي سيحدث إذا ما حدث انقلاب في السلطة؟؟ ومن يضمن لنا أنه لن يقع مثل هذا الانقلاب'.

بيرس " سنفوز في الانتخابات القادمة رغم كل ما تسمعه سيدي الرئيس، هل ترى ما الذي نقترحه عليكم؟ : أي دولة كانت ستقبل بعمل ذلك؟؟ الليبيون؟؟ الصرب؟؟ الفرنسيون؟؟ العراقيون؟؟.

تدخل وزير الخارجية المصري عمرو موسى في محاولة لامتصاص التوتر القائم قائلاً : "أقترح أن تترك للطواقم التي تعكف على التفاوض حول الانسحاب الثاني والخليل، أن تواصل عملها لقد فهمت من سبير أن هناك اقتراحات مختلفة بهذا الصدد".

بيد أن بيرس واصل حديثه، لإطلاع الجميع على حجم التضحية الإسرائيلية، فقال : "نحن ننفق مليار شيكل على قواعد الجيش الجديدة، وعلى الطرق الإنفاقية للمستوطنين، نحن أناس جادون". وعندما شعر أنه استنفذ كل ما أراد قوله، إنتقل إلى مرحلة تأييده إقتراح عمرو موسى بشأن استمرارية عمل طواقم المفاوضات.

تمكننا في اجتماع الإسكندرية من إحراز تقدم معين في قضية مهمة، فقد اقترح المصريون - وكما يبدو بمبادرة من أبو علاء، أن تعقد الانتخابات في القدس الشرقية في مكتب البريد.

كانت إسرائيل قد طالبت بأن يتم إرسال بطاقات الإنتخاب في البريد، في حين أراد الفلسطينيون وضع الصناديق الانتخابية في أماكن مقدسة، أو في مكاتب الأمم المتحدة، بيد أن بيرس رفض هذا المطلب رفضاً تاماً لذا، فإن إجراء الانتخاب في مكتب البريد كان سيتيح الفرصة لكل طرف كي يزعم من جانبه أنه انتصر.

وحيثما انتقل النقاش إلى المعتقلات الفلسطينية التسع والثلاثين في المعتقلات الإسرائيلية، قال بيرس للرئيس مبارك : إن فُسما منهن أدين بالقتل، وبالتالي لا يمكن إطلاق سراحهن، ألا إذا قبل رئيس الدولة منحهن العفو، وحالاً

تناول الرئيس مبارك سماعة الهاتف، وطلب من مساعده أن يتصل بصديقه عيزر وايزمن رئيس الدولة.

صاح الرئيس المصري في السماعة : 'عيزر كيف حالك؟؟ عرفات وبيرس لدي الآن، وهما يرسلان إليك تحياتهما، والحقيقة أنني أريد أن أتوجه إليك برجاء : نحن نريد موافقتك على إطلاق سراح المعتقلات الفلسطينيات'.

لم نسمع ما قاله وايزمن من الطرف الآخر، بيد أن الرئيس مبارك انفجر في ضحكة صاخبة، وأغلق السماعة، ثم قال لنا : 'حسننا لقد وافق على مد يد المساعدة'.

أدت هذه المحادثة إلى إدراج أسماء جميع المعتقلات الفلسطينيات في بند تحرير الأسرى التابع للاتفاقية، بيد أن بيرس طلب من الرئيس مبارك عدم الإعلان عن ذلك الآن.

عندما عدنا في نفس الليلة، للالتقاء بطاقم أبو علاء في زخرون يعقوب، قلت : 'لقد كان لقاء الإسكندرية مجدياً، بيد أن أبو علاء كان يحمل رأياً مخالفاً، وقال : لم يتم اتخاذ أي قرار بشأن مهمة إعادة الانتشار الإضافي، سيتوجب علينا العمل على هذا الصعيد'.

أعرب الفلسطينيون عن عدم رغبتهم في البقاء في زخرون يعقوب، واتفقنا على الانتقال إلى إيلات، وفي الطريق توقفنا في البحر الميت، بيد أن المحادثات هناك لم تكن مجدية، وإبان تواجدها هناك علمنا بوقوع عملية انتحارية في حافلة رמת جان، مما أسفر عن مقتل ستة أشخاص.

ورغم أن أجهزتنا الأمنية تؤكد أن السلطة الفلسطينية تحارب الإرهاب، بصورة جدية، بيد أنه لم يتم العثور على أسلوب للقضاء على الإرهاب بصورة قاطعة. وخلال اللقاءات التي جرت بين الجهات الأمنية من الجانبين، تم اتخاذ قرار بتوطيد التعاون أولاً ضد الإرهاب، وتصعيد العمل ضده.

وصلنا إلى إيلات في الأول من آب لإجراء المرحلة الأخيرة من المحادثات، وكانت الحماية الخارجية قد أوكلت إلى شرطة إسرائيل، أما على

الصعيد الداخلي فأوكلت مناصفة بين قوات الأمن الإسرائيلية وجهاز الأمن الفلسطيني، حيث قام كل طرف باحتلال أحد مدخلي فندق (باطيو) الذي كنا سنجري المفاوضات فيه.

وقد وجدنا حفنة من الصحفيين بانتظارنا في الخارج أما المتظاهرون فكما يبدو أن الحر الشديد في إيلات حال دون لحاقهم بنا من زخرون يعقوب. الوفدان الفلسطيني والإسرائيلي لم يكونا هذه المرة، على غرار وفدي أوسلو فقد عكس الوفدان - حوالي مائتي شخص - قطاعات واسعة وشرائح مختلفة من المجتمعين، وكان بالإمكان العثور في الوفدين، على جميع التطلعات السياسية المختلفة.

عقدت يوم الإثنين، إجتماعا لأعضاء الوفد الإسرائيلي لمناقشة الإستراتيجية، وتحليل القضايا التي سيتم طرحها للنقاش، وقد أعرب أعضاء طاقمنا، مرة أخرى، عن غضبهم تجاه الوفد الفلسطيني، وقالوا : "لقد غيروا رأيهم من جديد، ويقولون أنهم لا يملكون صلاحيات، وهم يتمسكون بمواقف متطرفة، ويحاولون كسب الوقت"، لقد كان الفلسطينيون لا يزالون في أعين الوفد "الأعداء" ولا شك أن أي مفاوضات تنسم بقدر من التوتر، بيد أن هذا التوتر برز بصورة أكبر الآن، نظرا لاضطرار أعضاء الوفد الإسرائيلي للتعامل مع الوفد الفلسطيني انطلاقا من مبدأ المساواة، لقد وجد بعض أعضاء وفدنا، صعوبة في ذلك، بعد سبع وعشرين سنة من الاحتلال، والكراهية الشديدة تجاه منظمة التحرير لقد اعتاد أبو علاء أن يقول لي خلال الليالي التي قضيناها في النقاش سوية، : إن أعضاء الوفد الفلسطيني تعاملوا بنفس المشاعر مع الوفد الإسرائيلي، وكانوا يقولون : "الإسرائيليون غير معنيين بالتوصل إلى إتفاق، وكل ما يرغبون فيه، هو مواصلة الاحتلال". وكان يؤكد لي، أن اتخاذ المواقف المتشددة، هو جزء من طبيعة المفاوضات، وليس من طبيعة المفاوضات.

إعتاد أعضاء الوفدين، خلال الأسبوع الأول، أن يأكلوا كل على انفراد، بعكس رؤساء الوفدين، ومسؤولي الجهاز الأمني، الذين تعرفوا على بعضهم البعض في السابق.

كانت اللجان المختلفة تستعين بمستشارين قضائيين، وقد أشرف زينجر على لجاننا بكفاءة عالية جداً، وكانت اللجان المختلفة تجتمع في غرف مخصصة لها، حيث تجد على أحد الأبواب يافطة كتب عليها مثلاً "الأراضي"، وأخرى كتب عليها "الأمّن"، وثالثة كتب عليها "اللجان الفرعية للخليل"، ولا شك أن كل من كان يسير في ممرات الفندق، كان يرى أمام ناظريه المسيرة السلمية، موزعة هنا وهناك.

اعتاد طاقم التوجيه الاجتماع، خلال الليل، في مجموعات صغيرة، وفي ساعات الفجر، كنا نعتقد أنا وأبو علاء اجتماعاً ثنائياً، وكانت أفكار أبو علاء مركزة في المرحلة الأولى، على إعادة الانتشار الإضافي بيد أنني قلت له، ذات مرة : حتى لو تفاوضنا ألف سنة، فإن إسرائيل لن تكشف خارطة المرحلة الأخيرة لإعادة الانتشار الإضافي.

فرد أبو علاء : "هل تعتقد أننا سنؤيد الاتفاق دون أن نعرف ما الذي سيسفر عنه". هل تعتقد أننا سنقبل بترك جميع القرارات المستقبلية بين "أيديكم" إذا كان الأمر كذلك، وكانت الأمور رهنا بي أنا قلن يكون هناك أي اتفاق".

وهكذا توجهت إلى بيرس مجدداً، وقلت له، إن عليه أن يحل المشكلة مع عرفات، فوافق على الإتصال به، وأن يعرب له عن تضرره من عدم إحراز أي تقدم في المفاوضات، وقال له : إن الأمريكيين يشاطرونه الرأي في نفاذ صبره وصبرهم.

إتصل بيرس بعرفات خلال تناول الوفدين طعام العشاء بدعوة من مارتن ايندك، ولارسون، اللذين كانا معنيين بترتيب لقاء قمة بين عرفات وبيرس في طابا، وقد استجاب عرفات لهذه الفكرة، رغم معارضة ونصائح كبار مسؤولي الوفد الفلسطيني، ووافق على اللقاء في العاشر من آب.

ثارت تائرة أبو علاء عندما علم بموافقة عرفات على اللقاء وقال لي :
"أنتم تعملون هنا مع وفد يمثل الشعب الفلسطيني، وإذا ما توصلتم معنا إلى اتفاق
كمفاوضين متساويين فإن الاتفاقية ستصمد يجب أن ننقل إلى صانعي القرارات،
فقط، الأسئلة والمشاكل التي لا ننجح معا في حلها، ويجب أن نفعل ذلك في
النهاية".

تفهمت أسباب غضب أبو علاء، بيد أنني أدركت أيضا، أنه إذا لم تحل
الآن قضية الانسحابات الإضافية، فسوف يكون من الصعب جدا إحراز أي تقدم
في أي مجال آخر، ورغم الثقة السائدة بيني وبين أبو علاء، إلا أنه كان يشك في
أن إسرائيل ترغب في دفع ثمن زهيد جدا، مقابل قبولها في المنطقة، مع
استمرارها في إدارة حياة الفلسطينيين في الضفة والقطاع، وإن كان بصورة أكثر
اعتدالا وهكذا وقبل أن يصل عرفات إلى طابا، اقترح أبو علاء علي صفقة :
"أنتم تبقون في ٢٥% من الضفة الغربية، وهي مساحة المستوطنات والمناطق
الأمنية المحددة وتسلموننا في الانسحاب الأخير ٧٥% فأنا أود أن آخذ بعين
الاعتبار مصلحتكم الأمنية؟ قلت له إننا لا نستطيع الموافقة على ذلك، لأننا لا
نعرف ما الذي سيكون عليه الوضع الأمني في منتصف عام ١٩٩٧.

اجتمع بيرس وعرفات في طابا في العاشر من آب، بحضور عبد
الرزاق اليحيى وياسر عبد ربه، وأبو علاء، وعوزي ديان وزينجر وأنا، قدم
بيرس إلى الاجتماع بروحية عسكرية، فقد شعر أن أبو علاء بالغ، حينما طالب
بأن تتسحب إسرائيل من غالبية الضفة الغربية، حتى منتصف عام ١٩٩٧، وشعر
أن هذا المطلب سيصعب إمكانية تنفيذ الصفقة كلها، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار
وجهة نظر الجماهير الإسرائيلية، لقد اعتقد أبو علاء أنه يجب عليه في هذه
القضية المركزية، أن يتجاهل تقديرات مناورتنا بغية الدفاع عن مصالح شعبه في
المستقبل.

بلورت أنا وزينجر قبل اجتماع القمة موقفنا بشأن الانسحاب الإضافي
بحيث يتم الانسحاب مرة كل ستة أشهر، على مدى ثمانية عشر شهرا، ودون

تحديد مساحة كل انسحاب وقمنا خلال اجتماعات طابا بطرح هذا الموقف على عرفات الذي قبله أمام دهشة أعضاء الوفد الفلسطيني. وربما كان عرفات يفهم أكثر من أي شخص آخر ضرورة إستئناف الاتجاه نحو الحكم الذاتي الفلسطيني الكامل بسرعة، وبالتالي منطقة التسوية الدائمة، ولهذا السبب كان عرفات يعزو أهمية أقل للضمانات المتعلقة بالمستقبل، مما يعزوه لما يمكن إحرازه في الحاضر.

كان مصدر الاهتمام والقلق الوحيد لدى عرفات هو الرأي العام الفلسطيني، لذا قرر أن يخوض النزاع مع إسرائيل حول الخليل، بدلا من إثارته حول الانسحاب الإضافي.

طالب عرفات بأن نوافق على إقامة مركز شرطة فلسطيني في الخليل، وألح إلى أنه إذا ما تنازل بيرس في هذا المطلب، فسوف يصبح بالإمكان معالجة جميع جوانب الاتفاق الأخرى بسرعة.

قرر بيرس الموافقة على الصفقة، وأن يتوجه إلى إسرائيل لمناقشة رابين ومسئولي جهاز الأمن الإسرائيلي حولها.

طلب رابين عقد اجتماع في مكتبه الساعة الحادية عشرة ليلا، فتوجهنا إلى هناك في طائرة عسكرية إسرائيلية، بيرس وديان، وزينجر وأنا وأورن شاحور، وحضر الاجتماع ضباط كبار من الجيش، وبعض مسئولى جهاز الأمن العام. والوزراء موشيه شاحل ويوسي سريد، وأهود براك، الذي عين قبل فترة وجيزة وزيرا للداخلية.

شرح بيرس التفاهم الذي تم التوصل إليه بشأن الانسحاب الإضافي، وأعرب رابين حال سماعه عن ارتياحه لذلك، ثم طلب من بيرس قصر النقاش على إمكانية إقامة الفلسطينيين مركزا للشرطة في الخليل نظرا لأنه كان يرغب في العودة إلى طابا، في نفس الليلة، ونقل رده إلى عرفات، وإنهاء الصفقة، ووصف بيرس كيف هاجم أعضاء الوفد الفلسطيني عرفات بسبب تنازله بشأن الانسحاب الإضافي، وقال لقد كان من المناسب التنازل لعرفات في قضية مهمة

بالنسبة للرأي العام الفلسطيني قضية إقامة مركز الشرطة الفلسطيني في الخليل مقابل مسألة أهم بكثير على الصعيد الإستراتيجي الانسحاب الإضافي.

عارض العسكريون إقامة مركز الشرطة في الخليل، وبرروا ذلك بأن وجود وجهتين أمنيتين في المنطقة سيحدث حالة فوضى، وأعربوا عن قلقهم من ردود فعل المستوطنين على وجود مركز شرطة فلسطيني في الخليل، ومن الجدير بالذكر، أن بيرس بدا مصرا على اتخاذ قرار إيجابي، في هذه القضية، مخالفا بذلك آراء العسكريين.

صرخ بيرس قائلاً : "لقد ضجرت من خوفكم مما سيقوله المستوطنون، أية صلافة هذه، هل تريدون أن يبقى مائة وخمسون ألف مواطن فلسطيني في الخليل رهائن في أيدي أربع مائة يهودي؟؟ هناك حدود للمبالغة وهناك حدود للجبن، وأنا أقول لكم : إن بمقدورنا كسر عرفات، إذا كان هذا ما تريدونه، بيد أننا سنبقى، في هذه الحالة، مع حماس، والانتفاضة والإرهاب، نحن ملزمون باتخاذ قرار حول من الذي يحكم هذه الدولة؟ هل هي الحكومة أم حفنة من المستوطنين؟؟ وأن أقول لكم أنتم الجنرالات : يجب عليكم أن تدرسوا القضية برمتها من الزاوية الأمنية، وأن تكفوا عن مواصلة التهديد القاتل : ما الذي ستكون عليه ردود فعل المستوطنين؟؟".

عندما أنهى بيرس حديثه ساد الصمت في المكتب، وكان وجهه شديد الاحمرار من الغضب، وتجاهل جميع التقديرات الخاصة بشعبيته، وكان واضحاً تماماً، وأن شخصا ما سيعرب نياً قبل إنبلاج الفجر، "يفيد أن بيرس باع الخليل".

أدرك رابين أن النقاش سيته نحو قضايا سياسية، فطلب من جميع الحاضرين باستثناء الوزراء الخروج من الغرفة.

وقفنا في الخارج وسط توتر شديد، وبعد عشر دقائق خرج الوزراء، وخرج بيرس بسرعة، وقال : "نحن عائدون إلى طابا، لقد تم قبول اقتراحه بالإجماع".

وصلنا إلى طابا في حوالي الساعة الثانية ظهراً، وقد تحدث بيرس في البداية مع عرفات، حول القرار الوزاري فشكره عرفات، واقترح أن يتم الالتقاء صبيحة اليوم التالي، بيد أن الفلسطينيين أرجأوا المحادثات إلى ما بعد الظهر، وبدأ لي بوضوح، أن أبو علاء يتهرب مني.

وعندما اجتمع عرفات ببيرس، قال له : عندما تم الإعلان في صوت إسرائيل أمس عن التوصل إلى إتفاق بشأن الخليل، قدم جماعة من وجهاء المدينة إلى طابا، وطلبوا الالتقاء به، وهددوه بمقاطعة الانتخابات، إذا لم ينسحب الإسرائيليون من الخليل مثل باقي المدن الفلسطينية وأن أهل الخليل هم جماعة خاصة، صعبة وعنيدة.

اقترح بيرس أن يقوم نفسه بشرح مزايا. الاتفاق لوجهاء الخليل، وعندما بدأ بيرس ذلك تجاهلوه تماماً، وتجاهلوا حديثه حول المصالح الأمنية الإسرائيلية، وحول ضرورة التعايش المستقر.

تلقينا في تلك الآونة تقارير تفيد بأن هناك ثوتراً حقيقياً في الخليل، وأنه لا يجب أن نعتبره مناورة من عرفات، بقصد خدمة المفاوضات، لذا قرر بيرس إرجاء اتخاذ قرار بشأن هذه المدينة، وقد اكتفى البيان الذي تم إصداره في نفس اليوم بالقول، إن الطرفين ناقشا القضية.

واتفقنا في أعقاب الاتصالات مع دنيس روس، على تشكيل لجنة ثلاثية، إسرائيلية فلسطينية أمريكية لمناقشة القضايا الاقتصادية والرأي العام والسياسات.. أما باقي الصنفقة بما فيها التفاهم حول إعادة الانتشار الإضافي على مراحل، والتي ستنفذ على مدى ثمانية عشر شهراً، وتقسيم الصلاحيات في المنطقة (B). مثلما تم الاتفاق عليه في الرابع مع تموز، فقد تم الاتفاق عليها في وثيقة مكتوبة.. وقد اقترح بيرس التوقيع على هذه الوثيقة، في مراسيم رسمية، نظراً لأنه سيطر لها أمام الحكومة فوافق عرفات على ذلك، فعقب أبو علاء على ذلك متذكراً وقال : إن هذه الوثيقة ليست اتفاقاً، بل هي جزء من إتفاق، فلماذا يجب التوقيع عليها؟ بيد أن عرفات أمره بالتوقيع، فقال أبو علاء : حسناً، لكن ليست أمام كاميرات

التصوير، وهكذا للمرة الثالثة في أعقاب أوصلو والقاهرة، جلسنا أنا وأبو علاء للتوقيع على وثيقة بالأحرف الأولى.

وفي الثانية ليلاً عقد بيرس وعرفات مؤتمراً صحفياً تلياً فيه التفاهم الذي تطرق بصورة رئيسية إلى الانسحابات الثلاثة دون اتخاذ قرار حول مساحة الانسحاب.

قدم بيرس الاتفاق إلى الحكومة، وقمت أنا وزينجر بتوضيحه، وقد احتج أهود براك على وتيرة الانسحابات الإضافية، وقال : "إذا لم نحافظ على وسائل الضغط التي بحوزتنا إلى موعد متأخر، فكيف يمكننا التأكد من أننا لن نضطر للانسحاب إلى مناطق مقلصة نسبياً من الضفة الغربية، في منتصف عام ١٩٩٧، وقبل أن يتم اتخاذ القرارات المصيرية حول التسوية الدائمة.

أوضحت له، أنا وديان وزينجر : أنه عندما حصلنا على ثلاثة انسحابات، فإننا حصلنا على وسيلة ضغط جديدة عدا عن أننا لم نحدد مساحة كل انسحاب.

وقد حاول رابين إقناع براك بالقول : "إننا نتحدث عن إنجاز حقيقي، فلا تر فيه تنازلاً" قرر براك الامتناع عن التصويت، بيد أن الحكومة صادقت على الاتفاق.

أدركنا أننا حققنا الفوز في هذه الجولة من المفاوضات، نظرنا لأن تفاهم طابا ترك المستقبل مفتوحاً أمام اختبارات الواقع، وأمام ديناميكية التعاون في مجال تطبيق اتفاقية التسوية المرحلية، عدنا إلى إيلات، ونحن ندرك أن قدراً كبيراً من العمل الصعب لا زال أمامنا وكنا ندرك كذلك أن أعضاء الوفد غاضبون بسبب توجهنا المباشر إلى عرفات.

عملت طيلة المفاوضات على إطلاع روس بصورة دائمة على ما يجري، الذي عمل على تشجيع الوفدين، وأعرب عن تقديره العميق نظرنا لأننا نحل مشاكلنا بأنفسنا، دون تدخل الولايات المتحدة.

شعرت، في منتصف آب، أن هناك ضرورة لإشراك الأمريكيين في المفاوضات، وكنا آنذاك أنا وأبو علاء نجري اتصالات دائمة مع دنيس روس، بل كنا أحيانا نتحدث معه واحدا وراء الآخر من نفس الهاتف المتحرك.

واصل الأمريكيون، في تلك الآونة،حث الدول المانحة على الوفاء بالتزاماتها بالتنسيق مع النرويج والاتحاد الأوروبي، وحرص ممثلو الحكومة الأمريكية على تجنيد تأييد الكونغرس فيما كان الليكود في تلك الآونة يدير معركة شديدة في أوساط الكونغرس، ضد المساعدات المقدمة إلى السلطة الفلسطينية، وذلك عبر ممارسة ضغوط على الحزب الجمهوري واللوبي اليهودي.

وخيل إلينا أن سفارتنا في واشنطن لا تعمل بالشكل المطلوب لمواجهة حملة الليكود، مما حدا بראبين إرسال رسالة يحثها فيها على بذل قصارى جهدها بهذا الصدد، ويقول : إن تقديم المساعدات للسلطة الفلسطينية هو جزء لا يتجزأ من محاربة الإرهاب.

نقل الصلاحيات المدنية وحل الإدارة المدنية :

إنشغلت وسائل الإعلام التي غطت المحادثات بصورة أساسية بالأمن الإسرائيلي، وبالرموز الخارجية للحكم الذاتي الفلسطيني، بيد أن نواة التسوية المرحلية، تمثلت في نقل الصلاحيات المدنية، وقد أقيمت هذه المهمة على عاتق اللواء أورن شاحور والذي تم تعيينه في شباط، منسقا لأعمال الحكومة في المناطق المحتلة، وذلك على عكس توصيات أعضاء وفد المفاوضات، الذي خشي من افتقار شاحور إلى التجربة، في كل ما يتعلق بالمناطق وسرعان ما اتضح، أن هذا الافتقار إلى التجربة هو أهم مزايا شاحور، فقد سهل عليه ذلك إجراء محادثات مثمرة، حول حل الإدارة المدنية في المناطق وخلق واقع جديد، أضف إلى ذلك أنه لم يكن لدى شاحور أي ميل للبيروقراطية التي سيطرت على حياة الفلسطينيين، وكان متحررا من تقاليد السيطرة التي ميزت غالبية الأشخاص الذين ترعرعوا في الحكم الذاتي، كما أنه كان يتحدث بحدّة مع الفلسطينيين

والإسرائيليين على حد سواء ورغم أنه ضم إلى هيئة الأركان ، إلا أنه لم يكن متساوقاً مع ضباطها.

إن نظير شاحور في هذه المفاوضات جميل الطريفي، وهو رجل أعمال من البيرة، ثري، وهو أيضاً شخصية متميزة في طبيعتها وغريب عن الزعامة الفلسطينية، بيد أنه كان يحظى بثقة عرفات، نظراً للنشاطات والعلاقات الاقتصادية المتشعبة التي طورها. وفي البداية، شكل شاحور والطريفي منتدى خاصاً بهما، بيد أنهما سرعان ما اندمجا في أعضاء طاقم المفاوضات.

طلبت من رايبين أن يشجع شاحور على التقدم في مجال نقل الصلاحيات، لأنني اعتقدت أن غالبية العمل في إيلات، سيكرس لهذا الغرض وضمنت أن رجال شاحور سيساومون بمنتهى الشدة، على كل ذرة صلاحيات ترغب إسرائيل في الاحتفاظ بها وقد كنت محقاً فيما يتعلق بحرص شاحور، بيد أنه تقدم بسرعة كبيرة ومنذ اللحظة التي بدأت فيها مفاوضات إيلات، أكتثرت أنا وهو من الالتقاء مع رؤساء مجموعات العمل، لسماع تقاريرهم والإجابة بهم للتركيز فقط، على الشئون ذات الأهمية لإسرائيل، على المدى البعيد، والتحرر من مسألة السيطرة على حياة الفلسطينيين.

فتحت الحوارات حول الصلاحيات التي استخدمتها إسرائيل منذ شام ١٩٦٧، أمامي عالماً جديداً لقد طور العديد من الإسرائيليين بمرور السنين مفهوم أن الاحتلال الإسرائيلي حضاري ومتطور بيد أنني عرفت خلال الحوارات التي دارت أن هذين المصطلحين هما الشيء ونقيضه، ولم أكن أعرف إلى أي حد تعمقنا في حياة الفلسطينيين، لقد عملنا على تمبيع هذه الحقيقة، لأننا ربما كنا أول محتلين في التاريخ، يشعرون أن الاحتلال واقع عليهم هم، إن تفكيرنا في ذاتنا كمجتمع إنساني وكضحية أبدية للتاريخ، إضافة إلى النفور الشديد من العرب، أعمى أبصارنا عن رؤية ما يحدث في الضفة الغربية.

لقد علمت خلال محادثات إيلات أن الفلسطينيين في الضفة الغربية لا يستطيعون العمل أو البناء، أو الدراسة، أو شراء أرض، أو العمل في الزراعة أو

فتح محل عمل، أو الخروج في نزهة ليلية، أو الدخول لإسرائيل، أو السفر إلى الخارج، أو زيارة عائلته في الأردن أو في غزة دون تصريح منا، لقد كان جهاز الإدارة هائلا حقاً.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض هذه القيود كان له ما يبرره حقاً، بيد أن القسم الأعظم منها، كان نتاجاً لنمط بيروقراطي فظيع يتنامى شيئاً فشيئاً، ويتغذى من ميزانية لا تنتهي.

وخلال سني الاحتلال السبع والعشرين، قضى واحد من ثلاثة فلسطينيين وقتاً من حياته في السجن أو التوقيف، كما أن الجماهير الفلسطينية كلها عانت من إهانات وإذلال، بل ربما كان بعض جروح هذه المرحلة، لنا قابلاً للشفاء إلى الأبد.

والآن أصبح على المحتلين أن ينقلوا صلاحياتهم إلى (عبيدهم) وهو الأمر الذي تسبب لهم في أزمة حسية وعملية.

لقد تمكنا في إيلات من تفكيك الاحتلال مسمار إثر الآخر، بيد أنه كان من بين رجالنا، من صعب عليه جداً أن يتغير.

لقد وجد بعض أعضاء الإدارة المدنية أن الجلوس مع (مواطنيهم) السابقين في إيلات أكثر بكثير مما يستطيعون تحمله.

أرسلت لشمعون بيرس رسالة شخصية، خلال فترة المفاوضات، لوصف المناظر الكامنة، خلف طاولات المفاوضات، في معرض تطرقي إلى الشئون المدنية، قلت له فيها: "يخيل الي أن طواقم المفاوضات المدنية مركبة من أناس يسكنون في المستوطنات، ومن محامين، وأن الكثيرين منهم لا يرغبون في حل الإدارة المدنية.

سمعت من الفلسطينيين أن أحد أكثر المتسلطين الذين يتحكمون في حياتهم، هو ضابط في الإدارة المدنية، يدعى موسكوفيتش، فإذا صادق موسكوفيتش سيصبح بالإمكان البناء، وإذا لم يوافق فلن يصبح بالإمكان البناء، وقد يضطرون للانتظار سنوات طويلة حتى يوافق، لقد أصبح موسكوفيتش

مؤسسة كاملة، وعندما قابلت موسكوفيتش في نهاية المطاف، وجدته شخصا ضعيف الجسم متدينا ولطيف، ولم يثر في نفسي أي انطباع بأنه طاغية، وقد قال أحد المسؤولين عنه : موسكوفيتش شخص جيد، وهذا هو انطباعي أنا أيضا وهذه هي المشكلة، شخص طيب في وضع مستحيل لأنه وفي ظل ظروف كالتي يعيشها، لا مكان لعمل النوايا الحسنة، والاستقامة.

تدخلت كثيرا في مراحل معينة من المفاوضات، أولا كي أثبت وجودي، وثانيا كي أتعرف على الأوضاع عن كثب، كي يصبح بمقدوري تقديم توصياتي لرابين وبيرس، حول ما يمكن وما لا يمكن التساهل حياله، وقد اتفقت مع شاحور حول عدم إمكانية التساهل بشأن المصالح ذات العلاقة بالأمن أو التسوية الدائمة. مثلا، في كل ما يتعلق بشئون المياه، والكهرباء، بيد أنه لم يكن لدي أي شك في ضرورة تصفية سيطرتنا على الصلاحيات الكثيرة المطلوبة لنا فقط بحكم العادة.

وفي مفاوضاتنا مع جميل الطريفي، والتي مثلنا فيها بداية، اللواء روتشيلد، ثم شاحور، تم الاتفاق على نقل إحدى عشرة صلاحية إلى الفلسطينيين وطرح تسع وعشرين صلاحية أخرى على طاولة المفاوضات في إيلات للنقاش.

وفي إحدى ليالي المفاوضات الأولى حول نقل الصلاحيات، قررت الانضمام إلى المفاوضين للتفاوض حول المحميات الموجودة في المنطقتين (A) و (B) والتي تقوم إسرائيل بتطويرها منذ عام ١٩٦٧، وجدت نفسي في خضم جدل عاصف جدا، وصراخ، وقد سارع نظرائي لإيضاح سبب الصراخ، طالب الإسرائيليون أن يحافظ الفلسطينيون على المحميات مثلما هي الآن، في حين رفض الفلسطينيون منح أي التزام حول المحميات باعتبارها، أصبحت منذ الآن من صلاحياتهم هم ووجدت عددا من شعبة المحميات الطبيعية الإسرائيلية مذهولين تماما، من توجهات الفلسطينيين.

تسلمت مكان رئيس اللجنة وبدأت التفاوض مع الفلسطينيين حول

القضية:

أنا : هل تودون تدمير المحمية الطبيعية؟؟

رئيس الوفد الفلسطيني : هذا ليس من شأنكم عليكم أن تسلمونا المنطقة، ونحن سنفعل بها ما يحلو لنا، لا نفكر للحظة أن الطبيعة ليست مهمة بالنسبة لنا، لكننا لن نخضع لكم في هذا الصدد.

وفجأة قدم أبو علاء، الذي تم استدعاؤه كي يكون ثقلا موازيا لي، وبعد أن سمع تقريراً قصيراً بالعربية من رئيس الوفد الفلسطيني، إلتفت إلي فقلت له : أبو علاء، من حقكم عمل ما يحلو لكم في المحميات، بيد أننا معنيون بأن نحافظوا عليها. ولربما أنكم تعتقدون أنه ما كان علينا ومنذ البداية أن نطورها، بيد أنني أختلف معك في ذلك، وأقول : إننا سنعيد لكم شيئاً قيماً ومثلما يحظر عليكم تدمير المواقع الأثرية يحظر عليكم أيضاً تدمير الطبيعة أو المساس بالحيوانات النادرة. أبو علاء : لا شك أنكم تجيدون التعامل مع الحيوانات، وحقيقة، فإننا كفلسطينيين معنيون بالحفاظ على البيئة، بيد أننا سنفعل ذلك بأسلوبنا، أضف إلى ذلك، فإنني أكره الأرناب، وسأحرص على أن يتم القضاء عليها حتى آخر أرناب فيها" بدا وجهه وهو يتحدث، جدياً للغاية.

لم يدرك مسئول المحميات الطبيعية الذي وقف إلى جانبي أن أبو علاء يمزح، فقال بغضب : "إذا كان الأمر على هذا النحو فلن تأخذوا المحميات". ضحك أبو علاء، وقال : يا صديقي لا داعي لأن تخاف على الأرناب، ولا حتى على الأرناب الفلسطينية ثم اقترح أن تتم حماية المحميات بسن قانون فلسطيني.

قلت : أنا مسرور لأن مثل هذا القانون موجود على رأس سلم أولوياتك بيد أنني أعرف أنه لا وجود لمثل هذا القانون.

أبو علاء : لن تحدّدوا لنا أي معايير، هذه مسألة مبدئية.

أنا : "جميل دعنا نوزع بياناتاً على الصحفيين نقول فيه أنكم ترفضون الدفاع عن المحميات الطبيعية، ولا شك أن مثل هذا البيان، سيمس بكم على الصعيد الإعلامي في الخارج.

وما كدت أنهى كلمتي، حتى سمعت أصوات التأييد عن اليمين وعن اليسار إذا ما خضعنا لهم في هذه القضية سيفعلون كل ما يجلو لهم في مناح أخرى.

شعرت أنه أن الأوان للتوصل إلى تسوية فقلت : لماذا لا نتفق على أن نحافظوا على المحميات الطبيعية وفقا للمواثيق الدولية.

أبو علاء : "هل هناك موثيق من هذا القبيل؟"

التفت نحو خبيرائنا، بيد أن أيا منهم لم يتذكر أي موثيق من هذا القبيل.

وفجأة قالت إحدى المحاميات المرافقة لأبو علاء، لماذا لا نكتب : "أننا سنحتفظ بالمحميات الطبيعية وفقا لمعايير علمية مدروسة؟" وافقت، وأضفت أن من المهم التعاون في المجالات التي لا تعرف حدودا سياسية، وقد وافق أبو علاء على ذلك، وقال : يجب أن ينطبق هذا على محمياتنا ومحمياتكم فأعربت عن موافقتي. لقد دارت نقاشات مماثلة في جميع القضايا الأخرى ذات العلاقة بنقل الصلاحيات إلى الفلسطينيين بغية الدفاع عن مصالحنا بعيدة المدى، وقد ارتبطت المشاكل العويصة بالبنية التحتية.

وخلال المفاوضات حول الوضع الصحي، طلبنا من السلطة الفلسطينية أن تلتزم بإجراء سلسلة من المطاعيم، وتتحمل تكاليف المعالجات الطارئة للفلسطينيين في المستشفيات الإسرائيلية، وبعد جدل طويل، توصلنا إلى تسوية تنص على أن يدفع الفلسطينيون مقابلا كالذي يدفعه الإسرائيليون خلال تلقي العلاج في مستشفياتنا، أما المطاعيم فتعطى طبقا لتوصيات منظمة الصحة العالمية.

وافق رابين على تسليم الفلسطينيين أراضي دولة في المنطقتين (A) و (B) شريطة أن لا يتم المساس بحقوق اليهود أصحاب الأراضي في مناطق السلطة، بيد أن الفلسطينيين عارضوا ذلك بشدة، وقالوا أنهم يعتزمون تقديم استئناف إلى المحاكم بشأن مصادرات أراضيهم بصورة غير قانونية، وقد رد

مفاوضونا بالقول : انهم لا يستطيعون الوثوق بالمحاكم الفلسطينية، وأنهم يفضلون على أية حال، أن تترك هذه القضية حتى التسوية النهائية.

حاولت التحدث مع أبو علاء على انفراد بهذا الخصوص، بيد أنه كان متصلبا جدا وذكرني بالأرض التي سلبتها إسرائيل من والده، وكيف تعاملت معه المحكمة باحتقار، عندما حاول تقديم الأوراق التي تثبت ملكيته للأرض.

لقد ثارت عاصفة شديدة عندما قال الفلسطينيون أنه إذا ما ادعينا أننا نملك أرضا في الضفة الغربية فسوف يردون لنا الصاع صاعين، وسيقدمون مطالبات لملكيتهم أراضي داخل إسرائيل السيادية، وقد اتسمت النقاشات بالحدة الشديدة والصراخ، وفي نهاية المطاف توصلنا إلى حل ينص على تشكيل لجنة قضائية مشتركة بالمساواة من ممثلي الطرفين كي تتخذ قرارات في قضايا الاستئناف الخاصة بمصادرة الأراضي أو نقلها أو بيعها، لقد أدى هذا الاتفاق إلى الحيلولة دون فتح مشاكل لا حصر لها.

جاءت النقاشات حول صلاحيات التخطيط والبناء مبررا كافيا جدا لتبادل الاتهامات الشديدة جدا فقد وضعنا قيودا على حق البناء والتخطيط في اتفاقية غزة - أريحا في أماكن السكن القائمة بالتأكيد على أن أي عملية توسيع للبناء تحتاج إلى موافقة لجنة مشتركة، ولا شك أننا ندرك أن من الصعب تطبيق هذا البند، أما في محادثات إيلات، فقد حاولنا أن نكون أكثر واقعية وحددنا معايير أكثر تحديدا في مجال لبناء، وبشكل خاص فيما يتعلق بالقضايا الأمنية مثل حظر البناء بالقرب من القواعد العسكرية- وأضفنا بندا يقول : أنه لا يجب أن يمس التخطيط أو البناء بالمستوطنات أو ببنائها التحتية. كانت هذه خطوة إيجابية تعكس فهم شاحور، وموافقة رايبين وبيرس على ضرورة عدم مواصلة قمع عملية التطوير الاقتصادي الفلسطيني من خلال القيود التي تفرضها على البناء.

وفي معرض تطرق الفلسطينيين إلى الصلاحيات الخاصة للأراضي الواقعة في المنطقة (C) -الخاضعة لإسرائيل خضوعا تاما طالبا بالحفاظ على الوضع الراهن في جميع المناحي والنشاطات غير الأمنية، فقد تم تجميد

الاستيطان، بقرار من حكومتكم أضف إلى ذلك أن غالبية المنطقة (C) مؤلفة من مناطق أمنية، فلماذا تواصلون تطوير مصانع وغابات وغير ذلك؟ وقد اعتقد رابين أن هذه الأقوال منطقية، لذا تم الاتفاق على أن تمسك إسرائيل بالصلاحيات ذات العلاقة بالمناطق الصناعية والغابات المحميات الطبيعية في المنطقة (C) بيد أن عملية تطويرها يجب أن تتم بالتنسيق مع السلطة الفلسطينية، أما باقي الأراضي في المنطقة (C) وحق البناء فيها فقد بقيت تحت السيطرة الإسرائيلية وكان من المفروض أن يبقى في هذه المنطقة أربعون ألف فلسطيني وقد نقلت الصلاحيات الخاصة بالتعليم والصحة وما شابه ذلك إليهم لذا تم التأكيد في الاتفاقية على أن السلطة الفلسطينية ستكون مسئولة عن جميع الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة.

تواصل النضال والنزاع حول ما يجب أن يتم نقله إلى الفلسطينيين من الصلاحيات ليلا ونهارا كانت النقاشات تبدو في صورة تعارض بين وجهتي نظر، فالفلسطينيون يقولون إن ما هو من حقهم يجب أن يكون من حقهم، ولا يجب أن نقاسمهم فيه، باستثناء التعاون القائم على التبادلية، في حين أن وجهة النظر الإسرائيلية كانت تقول : إن من حقنا اتخاذ القرار حول أي الصلاحيات سنتنازل عنها- وفي الحقيقة عن أية أجزاء من الصلاحيات- وشريطة أن لا يمس هذا التنازل بالمصالح الإسرائيلية بعيدة المدى، لقد تم العثور دائما على الحلول عبر التسويات، بيد أن الواقع كان أقوى من النظرية، وتقسيم الصلاحيات جرى بصورة عامة، وفقا لمصلحة الطرف الذي كان يسيطر على المنطقة.

كانت هناك قضيتان ندرك أنه لا مناص من التعاون في مجاليهما،

وهما:

شبكة الكهرباء : رغم أن الاتفاق حولها هو الاتفاق الوحيد الذي تم إرجاؤه في نهاية المطاف، لأننا أصرينا على وضع جميع خطوط الضغط العالي تحت سيطرة إسرائيل بغية الدفاع عن مصالحنا في المستوطنات ومعسكرات الجيش وفي نفس الوقت كنا على استعداد للتعاون في خطوط الضغط المنخفض.

المياه : والذي نشب حولها نزاع شديد جدا، وشارك في مفاوضاتها حولها (نوح كنرتي) صديق رابين ومستشاره لشئون الاستيطان، ونبيل الشريف وهو خبير فلسطيني في شؤون المياه ، كان كنرتي مفاوضا متشددا جدا وقد بدا متشككا تجاهي وتجاه بيرس ولم يتشاور الا مع رابين في البداية وعندما بدأت المفاوضات أهان الوفد الفلسطيني كله عندما قال : إن المواطن الفلسطيني المتوسط، يحتاج إلى ربع كمية المياه التي يحتاجها الإسرائيلي المتوسط- مما يعني أن الإسرائيلي أنظف من الفلسطيني، وقد حاول أبو علاء الا يمس كنرتي بأقواله، وكان في كل جلسة يسأله، فيما إذا كان يسمح له بشرب الماء؟؟ وكان كنرتي يرد عليه قائلا: فقط بضع قطرات.

وعندما اقترحت على كنرتي أن يختار أسلوبا أقل حدة خلال المفاوضات رد علي قائلا : دعني أفعل ذلك بأسلوبي وفي نهاية المطاف سنصل إلى تفاهم، فبدون اتفاقية حول المياه لن يكون هناك أي اتفاقية تسوية مرحلية.

وردا على هذا الأسلوب المتشدد قرر أبو علاء أن يعامله بالمثل، وطالب بأن تعترف إسرائيل بالحقوق المائية الفلسطينية، ويتضح من هذا المصطلح القضائي أن من حق الفلسطينيين الحصول على قسم هائل من المياه الجوفية ومياه نهر الأردن، بيد أن كنرتي كان يتحدث عن الكمية التي خصصت للفلسطينيين على الصعيد العملي وإمكانية البحث عن مصادر مياه جديدة، وإبرام اتفاقية تحول دون حفر آبار مياه جديدة بصورة غير منظمة.

وقد طرح بيرس هذه القضية خلال لقائه بالرئيس المصري حسني مبارك وعرفات في الإسكندرية حينما قال : "عندما وصلت الأمور إلى مناقشة قضية المياه، اختار مفاوضوك سيدي الرئيس، أن يعودوا إلى التاريخ القديم وأن يتحدثوا عن الحقوق المائية.

فرد عليه عرفات قائلا : "النبي موسى أهم من النبي إبراهيم، فموسى لم يشرب الماء من نهر النيل فقط، بل نجا بفضل.

فقال بيرس: " ما دمت تتحدث عن موسى فلربما انك تستطيع أن تخرج الماء بضربة من نبوت في الصخر، أرجو أن لا تتردد في عمل ذلك." انفجر الرئيس مبارك بالضحك، وقال: " فقط شمعون يستطيع أن يستخرج الماء من الصخر.

بيرس: " سنكون واقعين ولن نسلبكم أي قطرة ماء، وأنا أقترح أن تبقى المياه التي تملكونها حاليا ضمن صلاحياتكم وسنعمل نحن على مساعدتكم في العثور على مصادر مياه جديدة، هناك خطر تلوث المياه الجوفية من المجاري وخصوصا في قطاع غزة. واصل بيرس حديثه، واقترح أن تتم تحلية مياه البحر في غزة بمساعدة الدول المانحة ويمقدورنا تشكيل لجنة مشتركة لشئون تطهير المياه ونحاول زيادة كمية المياه في المخازن الجوفية الشرقية لنهر الأردن ونحن لن نخاطر بأي حال من الأحوال بالمياه الموجودة تحت أيدينا".

انضم إلى (كنرتي) في المرحلة الأخيرة من الحوار حول المياه، وزبير الزراعة يعقوب تسور، واورن شاحور وقد تمكن أبو علاء من إقامة اتصال جيد معهما، في حين بدا كنرتي يقيم علاقات عمل جيدة مع نبيل الشريف لقد أدى سجننا في فندق (باطيو) إلى خلق شبكة علاقات مفاجئة جدا.

تم التوصل إلى حل مشكلة المياه بالتباحث بين بيرس وعرفات على جميع تفاصيل القضية : الكمية، والعتور على مصادر مياه جديدة، وتشكيل لجنة مياه مشتركة واعترفنا بأن قضية الحقوق الفلسطينية في المياه هي إحدى القضايا التي تطرح للنقاش خلال التسوية النهائية.

لقد خلصت من محادثات المياه إلى أن الآراء في هذه القضايا تتراوح بين الكيمائيين الذين يتنبؤون بمستقبل خطير لإسرائيل و بين العلماء الذين يؤمنون بأن التكنولوجيا ستجلب لنا حلا وأن الحل يجب أن يكون إقليميا وعليه فإن السلام هو أفضل مصادر المياه.

تغيير صفة الاحتلال ٠٠٠٠ ومراحل طابا

أدركنا إلحاحية قضيتين ٠٠ تحرير الإسرائيليين من فكرة المحتل والعمل

بندية مع الفلسطينيين

بيرس تصرف كدب هائج لدفع المفاوضات ٠٠ كال المديح لعرفات وأهان

مساعديه

نص إعلان المبادئ على حل الإدارة المدنية الإسرائيلية، ونقل
الصلاحيات إلى أيدي الفلسطينيين، وقد أشار رابين إلى أن تقديم الخدمات
للفلسطينيين في أعقاب التسوية المرحلية، يتطلب تحويل الإدارة المدنية إلى مركز
ارتباط وتنسيق، يشرف على التعاون المذكور في الاتفاقية، بيد أنني خشيت من
أن نجد في الارتباط والتنسيق إدارة مدنية جديدة، وإن كل ما في الأمر هو أننا
غيرنا العنوان الذي تعمل تحته.

لذا فضلت أن يتم استيعاب غالبية العاملين وعمليات الإدارة المدنية
القديمة في الوزارات الحكومية المختلفة، على أن يتعاونوا مع مؤسسات السلطة
الفلسطينية، في حين تلعب وزارة الخارجية الإسرائيلية دورا بارزا في أعمال
التنسيق مع الفلسطينيين، وقد أصبحت هذه الأفكار جزءا من الملحق الخاص
للاتفاق الذي خصص للتعاون.

وخشيت أيضا من أن يؤدي تحويل مركز الارتباط والتنسيق إلى الجهاز
الأساسي للعلاقات مع السلطة إلى عدم الحصول على التعايش المطلوب لخائق
نوع من العلاقات الثنائية التي لا يقوم أي سلام مستقر دونها.

إن الانتقال من مرحلة الاعتماد والاتكال الفلسطيني الكامل علينا، إلى
مرحلة الاعتماد المتبادل، كان صعبا للغاية على المؤسسة الإسرائيلية، فقد أدركت
أن تحرير إسرائيل من نير الاحتلال شيء، وتحرير الإسرائيليين من كماشة تفكير
المحتل هو شيء مختلف تماما، ولم يكن الأمر يقتصر على الإسرائيليين فقط، بل
كان من الصعب أيضا على الفلسطينيين أن يبدأوا التعاون معنا وفقا للأسس
الجديدة بعد كل هذه السنوات الطويلة من الاحتلال.

كتبت لبيرس بهذا الصدد قائلا : "التسوية المرحلية لن تتجح إلا إذا غيرنا توجهنا تجاه الفلسطينيين في جميع مناحي العمل، بما فيها الجيش والإدارة المدنية والوزارات الحكومية". وقلت له : كيف تحولت سكرتيرتي (ستيلا) إلى ملجأ دائم لهم، يتوجهون إليها كلما أعاقهم الجيش على الحواجز لعدة ساعات وهم في طريقهم إلى المفاوضات، ورويت له كيف اتصل بها أبو علاء الغاضب، وروى لها أن الضابط المناوب على حاجز ايرز، لا يسمح له بالدخول إلى إسرائيل في طريقه إلى المفاوضات، رغم أنه أطلعته على هوية "شخصية مهمة" التي يحملها، نظرا لأن سائقه غير مزود بالأوراق اللازمة.

وقد حاولت أنا وستيلا تسوية الأمر مع الضابط المناوب، إلا أنه أصر على موقفه قائلا : "لا يهمني سواء كان هذا الشخص المائل أمامي أبو علاء أو غيره، هذه هي الأوامر".

اختطف أبو علاء سماعة الهاتف من يد الضابط، وقال لي غاضبا : "عشرات الفلسطينيين يعبرون من هنا ويروننا في هذا الوضع، أنتم معنيون بإهانتنا أمامهم، سوف أصاب في أحد الأيام بسكتة قلبية بسببكم".

لم أنجح في تهدئته، وفي نفس الوقت، تمكنت ستيلا من الاتصال بمكتب رئيس الأركان وبعد حوالي ساعة، تمكن أبو علاء من العبور، بيد أنني كنت محرجا جدا منه، وأكثر إحراجا بسبب تصرفنا.

لا شك أن بالإمكان دائما تبرير المسلوكيات المخزية ضد الفلسطينيين بالخوف من الإرهاب ، ولا شك أن لهذا الخوف ما يبرره، بيد أن بعض المسلوكيات آنفة الذكر ينبع من التداعي العميق لأنماط السلوك الإنساني، لقد أدركت قلة قليلة فقط ، أنه إذا لم نتعامل مع الفلسطينيين بتقدير، ومثلما نتعامل مع أنداد لنا في جميع مناحي العلاقات، فإن الأمور ستتقلب علينا في جميع المجالات التي سيكون التعامل فيها بيننا وبينهم يسير وفق أسس متبادلة، وبصورة خاصة في مجال الأمن، والذي سيتوسع رويدا رويدا بمرور السنين.

و ذات ليلة، ذهبت للسباحة في بركة الفندق، وهناك وجدت جبريل الرجوب ومحمد دحلان، وسفيان أبو زائدة وهشام عبد السرازق اللذين كانا يترأسان نادي الأسير السابق - مجموعة من الفلسطينيين الذين اجتازوا السجون الإسرائيلية-. وقد سبنا بعض الوقت، ثم جلسنا نحن الخمسة على حافة البركة، كان الأربعة يتحدثون العبرية بصورة جيدة جداً، وبلهجة اليهود، من أبناء البلاد. وبعد حساب سريع، اتضح أن هؤلاء الأربعة - وهم جميعاً في العقد الرابع، قضوا ستين سنة في سجوننا، وقد تحدثوا المرة تلو الأخرى عن زملائهم الذين نفذوا عمليات ضد إسرائيل بأوامر أولئك الذين نتفاوض معهم الآن، بمن فيهم ياسر عرفات، وقد حذروني من أنه طالما لم نعد إسرائيل إلى إطلاق سراح المعتقلين بصورة جماعية - حتى ولو كان ذلك تدريجياً، فإنهم هم أنفسهم، لا يستطيعون تأييد الاتفاقية، ووعدوا بأن يعملوا على تجنيد معتقلي حركة فتح، إلى نادي الأسير السابق، ودفعهم باتجاه العمل من أجل السلام.

قلت لهم : إن مسألة إطلاق سراح المعتقلين تحتاج إلى قرار من الكادر السياسي. نظراً للمغزى الخاص لهذه القضية. وقد واصلنا حديثنا حتى ساعات الفجر.

وبعد وقت قصير، تحدثت مع ذوي ضحايا إرهاب كانوا قد قدموا إلى إيلات، وقد تحدثوا بمرارة شديدة، وطلبوا منا ألا نطلق سراح المعتقلين الذين قتلوا أبناءهم. وطلبوا أيضاً، أن نشترط تنفيذ الاتفاقية، بقيام السلطة الفلسطينية بتسليم الفلسطينيين الذين قتلوا إسرائيليين، وقد هب وزير العدل (ديفيد ليثاي) لمد يد المساعدة لهم وتوجه إلى إيلات للتحدث مع أبو علاء في قضية تسليم الفلسطينيين إلى إسرائيل، وقد جاء رد أبو علاء قاطعاً : 'هذه المسألة غير واردة في الحساب أبداً، وأنتم أيضاً، لن توافقوا على تسليم القتل الإسرائيلي لنا، وإذا وافقتم على التبادلية في هذا الصدد سنقبله، وأنا على استعداد للتعهد بأن نعمل من أجل إلقاء القبض على القتل وتقديمهم للمحاكمات'.

وفي نهاية المطاف، تم الأخذ برأي رابين الواقعي في الاتفاق، والذي ينص على أنه يتوجب على السلطة الفلسطينية أن تلقي القبض على القتلة، وتقدمهم للمحاكمة وإذا لم تفعل ذلك، يجب عليها تسليمهم إلى إسرائيل.

لم يستطع الفلسطينيون التأقلم بسهولة مع عادة إضفاء الشرعية على أعمال القتل التي تجري ضد إسرائيليين، فيما يسمونه الكفاح المسلح، ضد الاحتلال. لقد بدا واضحا، أن الإرهاب هو أخطر العوامل التي تهدد المسيرة السلمية، وكان الإرهابيون يدركون ذلك.

اتصلت بي سكرتيرتي ستيلا في الحادي والعشرين من آب، وفي أوج المفاوضات في إيلات، وقالت لي: "وقعت عملية في القدس، شاهد التلفزيون الإسرائيلي". لقد وقع انفجار في حافلة إسرائيلية مما أسفر عن خمسة قتلى، وقد جاء زينجر وديان إلى الغرفة، فقلت لهم اطلبوا من الجميع أن يوقفوا المحادثات.

اتصلت بمكتب رابين، فرد علي بيرس الذي كان موجودا هناك، وقال لي: إنهما طالبا من السلطة الفلسطينية أن تبذل كل ما في وسعها ضد الإرهاب، وبدا أن الاثنين مصران على التمييز بين حماس والسلطة الفلسطينية، وعدم منح حماس فرصة استخدام حق "الفيقو" ضد المسيرة السلمية.

ثم قال لي بيرس: "علق المفاوضات إلى ما بعد الجنازة، كعلامة حداد، ولن نجعل الإرهابيين يحققون إنجاز وقف المسيرة". طلبت إذننا بإبقاء الوفد الإسرائيلي في الفندق، فوافق رابين.

بقي الفلسطينيون أيضا معتكفين في غرفهم، ووجدنا أن من الصعب علينا التحدث معهم، وكان شيئا لم يحدث، ولم يكن أي منا يشك للحظة، في أن هؤلاء الأشخاص الذين نتحاور معهم يعارضون الإرهاب، ويدركون مدى الأضرار التي يلحقها بمصلحتهم، ذلك أن الإرهاب موجه أيضا ضدهم. وعلى أية حال، لم نستطع أن نتجاهل أن الفلسطينيين قتلوا في نفس اليوم إسرائيليين وقد أدى الشعور بالغضب والحداد من جانبنا، إلى إحراجهم وخلق جو خائف للغاية.

قدم بعد الظهر، أبو علاء وكبار أعضاء الوفد الفلسطيني إلى غرفتي للإعراب عن أسفهم وعزائهم، وجلس أبو علاء وعبد الرزاق اليحيى، وعصفور والطريفي مع ديان وزينجر وشاحور وأنا، وأعربوا عن أسفهم وقدموا بياناً رسمياً بذلك، وقد وصفنا لهم العملية وتفاصيلها، ثم عادوا إلى غرفهم.

وفي ساعات المساء، جلسنا لمشاهدة الأخبار وطلبت من ستيل أن تسأل أبو علاء وزملاءه فيما إذا كانوا يحبون الانضمام إلينا؟؟ وقد جاءوا، وشاهدنا سوية العملية، دون أن يتفوه أي منا بكلمة، ثم غادروا المكان.

استؤنفت المحادثات بعد ظهر اليوم التالي، في أعقاب انتهاء مراسيم دفن القتلى، وبعد يومين اتصل أبو علاء بي هاتفياً، وطلب مني أن آتي لمشاهدة نشرة الأخبار معه، وعلى شاشة التلفاز شاهدت جنازة طفلة في السابعة من عمرها قتلت برصاص الجنود الإسرائيليين، وقد سلط المصور العربي، جهاز التصوير على التابوت الصغير ثم سلط على أهل الصغيرة، ثم على الجماهير الغاضبة والحزينة، لقد كان الحزن لديهم عنيفاً وغاضباً، تماماً مثلما كان لدينا، لقد اعتاد شركاؤنا الفلسطينيون التأكيد على أن الألم والعذاب لا يمكن أن يكون حكراً على طرف واحد، وسألت نفسي : ترى هل سيكون إدراكنا المتزايد للأساسة المشتركة التي نعيشها بمثابة الخطوة الأولى على صعيد المصالحة؟؟ لقد كنا ندرك أنه لا يكفي إدخال الكادر السياسي والعسكري في المعسيرة من أجل إحلال التغيير، بل يجب إدخال الشعوب وإشراكها.

كانت المفاوضات تجري تقريباً، طيلة الأربع وعشرين ساعة، وفي الغالب كنا نبدأها في العاشرة صباحاً، ونتوقف لتناول الغذاء، ونواصل حتى الساعة السادسة مساءً، فننتوقف لمدة ساعة، لتناول العشاء، ثم تبدأ الجلسات الليلية والتي كانت تمتد حتى بزوغ الفجر.

الانتخابات، تركيب وصلاحيات المجلس الفلسطيني :

واصل زينجر وعريقات إجراء مفاوضات مفصلة حول انتخابات المجلس الفلسطيني ومعايير وتركيبته، لقد انضمت عملية تشكيل هيئة تشريعية

جديدة وتحديد صلاحياتها، وصياغة إجراءات الانتخابات لهذه الهيئة، إلى المهمة التي راقت جدا للفلسطينيين.

قررنا منذ البداية، أن نقصر مهمتنا على ضمان المعايير الانتخابية للمجلس كي لا تشذ أو تتحرف على إعلان المبادئ، بيد أن العلاقات الوطيدة جدا التي تطورت بين صائب عريقات وزينجر، جعلت تدخلنا في الانتخابات أوسع. بل لقد سافر الاثنان إلى أسكتلندة لمتابعة الانتخابات المحلية التي عقدت هناك، واستقاء ما يمكن استقاؤه من عبرها.

أوصينا، أنا وزينجر، بأن يوافق الكادر السياسي الإسرائيلي على مجلس تشريعي مؤلف من مائتي وخمسين عضوا، أي أكثر بكثير من المائة عضو الذين طالب بهم الفلسطينيون وكان هدفنا من ذلك، تعزيز ودعم مؤيدي السلام، وتشجيع التعددية بيد أن توصيتنا رفضت، وقرر رابين وييرس أن يكون عدد أعضاء المجلس ثلاثة وثمانين شخصا ثم توسيعه فيما بعد إلى ثمانية وثمانين عضوا.

تطلع الفلسطينيون إلى الفصل بين صلاحيات المجلسين التنفيذي والتشريعي، وكانت توجهاتنا مرنة نسبيا، فقد رغبتنا بادئ ذي بدء، في تشجيع الانفتاح والتعددية في مجتمع شديد التوتر بين مؤيدي النظام المركزي، وبين أولئك الذين رغبوا في تقليد النمط الإسرائيلي، وقد اتفقتنا على ثلاثة أمور :

- تشكيل مجلس تنفيذي - حكومة من جميع الجوانب العملية.
- تشكيل مجلس أكبر، وذي صلاحيات تشريعية.
- إطلاق لقب (الرئيس) على عرفات، بصورة تمنح لكل طرف أن يفسره بالصورة التي يريتها.

طلب عريقات أن تتم الموافقة على وجود رئيس للمجلس التشريعي، وهذا أمر مخالف لما جاء في اتفاقية المبادئ، بيد أن بيرس وافق، ونجح في إقناع رابين بالموافقة على الوظيفة الجديدة، بغية تعزيز التعددية في أوساط الفلسطينيين. دار الخلاف الأساسي في إطار المحادثات حول قضية إجراء الانتخابات في القدس الشرقية، بيد أن صائب عريقات وزينجر تعاملوا مع هذه القضية

الحساسية بذكاء وحكمة، وقد جاءت الحلول التي طرحهاها فنية وبراعماتية. ومن الجدير بالذكر، أن الإتفاقيات كانت تنص مثلما أوردنا آنفاً على أن القدس خارج إطار الحكم الذاتي، بيد أن إتفاقية المبادئ، نصت على أن الإنتخابات لن تتجاوز سكان القدس الشرقية.

وافق الطرفان على أن يصوت الفلسطينيون من سكان القدس في مكاتب البريد، وأن يستخدموا نوعاً معيناً من الصناديق الإنتخابية التي تشبه صندوقاً بريدياً وآخر إنتخابياً، وتكون الشرطة الإسرائيلية مسؤولة عن ضمان الأمن العام، ويقوم مراقبون دوليون بنقل الصناديق إلى منطقة الحكم الذاتي لعد الأصوات، ولا يستطيع أي شخص من سكان القدس ترشيح نفسه للمجلس التشريعي إلا إذا كان لديه عنوان آخر خارج القدس في الضفة الغربية مما يسمح لإسرائيل بالإدعاء بأن أي من سكان المدينة لم يرشح نفسه، وبقي سؤال واحد : هل يجب وضع طابع بريد على المظروف مثلما طالبنا؟؟ ثم جاء الحل لهذه المشكلة أيضاً في صورة وضع خاتم البريد على المظروف.

تم نقل المراقبين الدوليين الذين قام الاتحاد الأوروبي بتجنيدهم إلى أيلات لتلقي التوجيهات حول دورهم.

لقد كان حل هذه القضية بمثابة إنجاز كبير لعريقات وزينجر، حيث لم يكن أسهل من تحويل كل ملابس من ملابس هذه القضية إلى عبء تتحطم عليها المسيرة بأكملها، بيد أن الرغبة المشتركة والخبرة الكبيرة، والثقة المتبادلة، حالت دون حدوث ذلك.

المكانة القضائية الجديدة للسلطة الفلسطينية :

قام قضاةيون من مكتب الإدعاء العسكري الإسرائيلي، والسلطة الفلسطينية بدراسة وبحث قضية المكانة القضائية للسلطة الفلسطينية، وتمكن الطرفان من بلورة صيغة متشابهة ضمنيت صلاحية القضاء الإسرائيلي في الشئون الجنائية في المنطقة (B) ومكنتنا من اتخاذ الخطوات الضرورية لنشاطاتنا الأمنية في هذه المنطقة، بيد أنها وضعت في أيدي الفلسطينيين المسؤولية عن

النظام العام، ولأول مرة، تم إخضاع الإسرائيليين لقوانين الضرائب الفلسطينية إذا ما قاموا بأعمال المتاجرة في المنطقة (A و B).

العلاقات الاقتصادية :

واصلت وزارة المالية، التي مثلها في المفاوضات (ديفيد برودت) - وهو شخص شديد ومحك، الدفاع عن مصالح إسرائيل الاقتصادية، ومن الجدير بالذكر، أنه كان يؤمن بضرورة تطوير الاقتصاد الفلسطيني، لذا بذل جهودا كبيرة في إقناع الدول المانحة لزيادة المبالغ المقدمة إلى السلطة الفلسطينية هذا وكنت أنا (وبرودت) نترأس وفدنا في مؤتمر الدول المانحة.

كما قام مسئولو الوزارة بنقل جميع المبالغ الضريبية التي جبتها إسرائيل، باسم السلطة الفلسطينية بأمانة.

بيد أنه سرعان ما اتضح، أنه كلما تعلق الأمر بقضية تخطيط العلاقات الاقتصادية الرامية إلى زيادة الإزدهار الفلسطيني، والتعاون الاقتصادي المستقبلي بين إسرائيل والفلسطينيين والأردن، فإن سياسة وزارة المالية لا تفي بالاحتياجات المطلوبة، لقد أثرت على قراراتنا مصالح اقتصادية داخلية قصيرة الأمد، ويرجع ذلك أيضا، إلى أن صانعي القرارات لم يكونوا يعلمون بالتفاصيل الاقتصادية الفنية، أضف إلى ذلك، بروز مشكلة أخرى، تتعلق بقرارنا المبدئي القائل بإخضاع عبور البضائع والأشخاص للقيود الأمنية.

ولم نعد إلى التركيز على التفاهم الاقتصادي، لأننا اعتقدنا أن المشاكل الاقتصادية للسلطة الفلسطينية يمكن أن تحل، عبر زيادة حجم استثمارات الدول المانحة ولا شك أن هذا التفكير كان خاطئا فنحن لم نر حقيقة إن عدم توفر إجراءات ونظم ثابتة لحركة البضائع والحلولولة دون حدوث تشويش وعرقلة في هذه الحركة، جراء فرض الإغلاق سيجعل القطاع الخاص يحجم عن الاستثمار، في مناطق الحكم الذاتي ودون هذه الاستثمارات والضرائب الناجمة عنها فلن يكون هناك مناص من أن تعمل الدول المانحة على حماية السلطة الفلسطينية من الغرق.

وقد حذر من هذا الوضع (عوييد عيران) و(يوسي عمراني) موظفا وزارة الخارجية، وقد أعد عمراني مستندا فذا، حول أخطار استبدال الحكم العسكري بالسيطرة الاقتصادية، ونادى بأن تظهر إسرائيل كرما كبيرا جدا تجاه السلطة الفلسطينية، وقد وافقتا على وجهة نظره، بيد أننا لم نفعل شيئا أكثر من ذلك، لأن الآراء التي كانت سائدة آنذاك نادى بالحفاظ على المصالح الاقتصادية الإسرائيلية بدلا من الأخذ بعين الاعتبار مزايا الاستقرار والتعاون الاقتصادي من ناحيتنا وناحية الفلسطينيين في آن واحد، وقد دفع الطرفان فيما بعد ثمننا باهظا جراء قصر النظر آنف الذكر.

وتفاقت حدة المشكلة إزاء نزوع الزعامة الفلسطينية نحو مركزية الاقتصاد، وتجاهلها لضرورة بناء مؤسسات إقتصادية عصرية، إضافة إلى ارتباط هذا الوضع بأعمال فساد في أوساط السلطة.

وعلى غرار ما حدث في المجال السياسي، فقد انقسم المجتمع الفلسطيني أيضا على الصعيد الاقتصادي إلى قطبين متناظرين : أولئك الذين عملوا على استتساخ نماذج وأنماط إقتصادية إقليمية، والذين تطلعوا إلى تطوير منظومة إقتصادية غربية، تقوم على اقتصاد السوق، بين الذين عملوا على تطوير احتكارات في قطاعات مختلفة، وبين الذين أيدوا نظريات المنافسة.

وهكذا تطور الحكم الذاتي، وأصبح خليطا متفردا من الأنماط التي يسود مستقبلها الضباب، وبدا أن هناك صورة كئيبة تنتظر السلطة الفلسطينية على المدى القصير.

أدرك لاريسون الوضع الاقتصادي الخطر الذي تعيشه السلطة الفلسطينية، فقد عمل ثلاث سنوات كنائب للسكرتير الاقتصادي للأمم المتحدة لشئون المناطق المحتلة، لذا حاول إقناع الدول المانحة باستثمار الأموال في مجال البنى التحتية، والخدمات الاجتماعية والرامية إلى دعم المحتاجين وتعزيز الاستقرار السياسي، وحاول كذلك إقناعنا بمدى خطورة مياسة الإغلاق، وقال المرة تلو الأخرى : أنتم تسهمون في خلق ضغط شديد وغلجان في قطاع غزة،

وحاول تقديم يد المساعدة إلى الزعامة الفلسطينية في خلق وتأسيس مؤسسات اقتصادية، بيد أنها تجاهلته رغم العلاقات الوطيدة القائمة معه.

ومن الجائز أن السبب الرئيسي في تقديراتنا الخاطئة يرجع لاعتقادنا بأن المسيرة السياسية نفسها ستؤدي بصورة محتومة، في نهاية المطاف، إلى علاقات اقتصادية صحية لقد اعتقدنا جميعا بأنه إذا ما سارت التحليلات الأساسية بالصورة المطلوبة، فإن الشئون الاقتصادية ستتطور بصورة بديهية وتلقائية.

وهكذا، فإن الملحق الاقتصادي لم يشتمل بصورة أساسية سوى على توسيع (اتفاقية باريس) الموجودة، والتي كانت جزءا من اتفاقية غزة وأريحا.

وفي نفس الوقت الذي انشغلت فيه اللجنة الأمنية، برئاسة ديان وعبد الرزاق الحيحي، واللجان الفرعية الخاضعة لها، بدون كلل و ملل في قضايا مثل : كمية الأسلحة التي ستمنح للسلطة الفلسطينية، ودخول رجال الشرطة الفلسطينية إلى المنطقة، والإجراءات التي سيتم اتخاذها خلال فترة التماس، والمشكلة العويصة التي ولدت من رحم المطلب الإسرائيلي بحقها في (المطاردة الساخنة) داخل المنطقة (A).

كانت توجهات رابين وبيرس لأعضاء هذه اللجنة واضحة تماما : محاربة الإرهاب هي قضية لا يمكن تجاوزها أو التهاون فيها، إضافة إلى ضرورة خلق إطار تعاون في مجالها، وعدم التجادل حول كل طريق وكل قمة جبل. في ضوء حقيقة قبول الفلسطينيين للنظرية الأمنية الإسرائيلية الأساسية.

أتاح لنا التقدم الثابت على جميع الأصعدة الأساسية للاتفاقية، إمكانية الوصول في نهاية آب، إلى المعركة الحاسمة التي دار رحاها في معظمه في طابا

وفي الأول من أيلول أعددت تقريرا مسهبا لرابين وبيرس، تطرقت فيه بالتفصيل إلى المشاكل التي لا زالت عالقة بيننا.

وعندما هبطنا في نفس اليوم في مطار تل أبيب، اعتبر التقرير أنف الذكر بمثابة ورقة العمل للنقاش الذي جرى في مكتب رئيس الأركان وخلال

اللقاء المذكور قدم قائد القطاع الأوسط (ايلان بيران) الخارطة العسكرية لاتفاقية التسوية المرحلية بيد أننا قررنا تركها حتى نهاية المفاوضات وفيما كان (بيران) يعرض الخيارات المختلفة للمرونة في المرحلة النهائية، دخلت سكرتيرة رئيس الأركان شاحك، وقدمت له ورقة صغيرة، كتب عليها : الدكتور هورن تريد التحدث معك هاتفياً، فخرجت وأنا أعتقد أن هناك نبأ سيئاً، وعندما تحدثت معها قالت لي : "أسفة للنبأ لكن أمك توفيت الليلة"، فاعتذرت (لشاحك) وغادرت المكان إلى منزلي.

وفي نهاية الأسبوع، قدم أبو علاء بعد أن هاتفني في منزلي معزياً، وقبل أن يغادر البيت، تناولت نسخة من القرآن كان والدي يستخدمه إبان دراسته للغة العربية في القاهرة عام ١٩٤٧- وقدمته إليه.

قبل عودتي إلى ايلات في العاشر من أيلول ، قيل لي أن الحراسة عززت على منزلي، وإنني بعد الآن، لن انتقل دون حراسة، لأن اسمي ظهر في القائمة السوداء التي أعدها المستوطنون المتطرفون. صاغ يوال زينجر وصائب عريقات، وثيقة بشأن الجدول الزمني لمواصلة المباحثات و أوصي بتاريخ هدف، لانتهاء منها بين ١٧-١٨ أيلول كي نستطيع التوقيع على الاتفاقية قبل عشية راس السنة العبرية، الذي صادف الرابع والعشرين من أيلول.

تم تكليف الاثنين الإشراف على صياغة الاتفاقية كلها، وقامت جميع اللجان بنقل المسودات التي تم الاتفاق عليها إليهما، كما قام الاثنان بحل سلسلة طويلة من المشاكل وقضايا المصالح المتعارضة والمتبادلة للطرفين، وتميزا بدمج موضوعات في أماكن مختلفة من الاتفاقية.

إضافة إلى ذلك اشرف زينجر على مجموعة قضائيين إسرائيليين عملت طيلة الأربع والعشرين ساعة لفحص كل كلمة، وجمله، وأداة تشكيل، وترقيم المرة تلو الأخرى، والمسودات المعدلة.

ترك أبو علاء لدينا انطباعات، بأنه على استعداد لجر المفاوضات إلى الأبد، ووجدنا أنفسنا نخوض حرب أعصاب، فقد كان هو وزملاؤه غاضبين لأننا لوينا ذراع عرفات في اللقاء الذي تم في الحادي والعشرين من آب، بشأن الانسحاب الإضافي، وقد حاول أبو علاء مواجهة هذه القضية من خلال مطالبته بأن لا يتم توسيع أي مستوطنة لأكثر من خمسين مترا من أقصى منزل فيها.

ولجا إلى ما سبق وأن قاله رابين لعرفات، في أحد لقاءاتهما قبل سنة تقريبا، حول بناء أسيجة حول المستوطنات، رغم أن رابين كان آنذاك، يتطرق إلى الضرورات الأمنية وليس إلى توسيع المستوطنات.

وصلنا خلال مفاوضات الخليل، إلى طريق مسدود، فقد واصل الفلسطينيون إصرارهم على مواقفهم بدءا من فتح مركز شرطة فلسطينية في المدينة، وحتى إبعاد المستوطنين منها، بل لقد حاول أبو علاء تقويض اتفاقية الصلاحيات الأمنية في المنطقة (B) عبر المطالبة بتوسيع صلاحيات الشرطة الفلسطينية في إطار الحفاظ على النظام العام، بيد أننا لم نتنازل بهذا الصدد أبدا، وفي نهاية الأسبوع الثاني من أيلول، أعدنا النظر في السنتين سؤالا التي كانت بحاجة إلى إجابة، وقد طلب زينجر الذي كان يبيدي دائما صبورا عجيبا فيما يتعلق بزمان المفاوضات - أن أعمل على تحديد موعد نهائي مع أبو علاء للتوقيع، لأنه إذا لم يحدث ذلك فقد نجد أنفسنا نحاور في ايلات إلى الأبد.

كنا في الحقيقة قد استنفدنا كل قدرتنا على المساومة والتفاوض، ولم يبق أمانا سوى اتخاذ قرار بشأن بعض الموضوعات بغية إنجازها في إطار مساومة صفقة تبادل، ونقل قضايا أخرى إلى عرفات وبييرس لاتخاذ قرار بشأنها.

وفي نهاية الأسبوع، وصلتنا توجيهات فيما يتعلق بتوزيع القضايا بين المجموعتين آنفتي الذكر، فتم اتخاذ قرار بنقل كل ما يتعلق بالخليل وقبر راحيل إلى

بيرس وعرفات لحسمها، وبعد أن عرفت ذلك دعوت أبو علاء وقلت له : " إن الوقت يمضي، واقترحنا عليه أن نعلم (دنيس روس) بأننا سنوقع على اتفاقية التسوية المرحلية في الثاني والعشرين من أيلول في واشنطن".

اتصل أبو علاء بعرفات، وحصل على موافقته على عقد المراسيم في واشنطن، ثم قمنا بإعلام دنيس روس بالاتفاق، واقترح أبو علاء أن نجتمع في غرفته مساء الغد، في محاولة لحل غالبية القضايا المتنازع عليها.

كان أبو علاء قد نجح، خلال فترة العمل من توحيد جميع أعضاء طاقم المفاوضات الفلسطيني خلفه، ودفعهم للاعتراف بزعامته أما بالنسبة لي فقد كان الوضع سهلاً أيضاً، فقد كان كل زميل من زملائي يدير المفاوضات التي يترأسها بيد أننا كنا نعمل بتنسيق كامل وعلى أساس تكتيك موحد.

جلست في غرفة الجلسات التي اعتدنا عقد اجتماعاتنا فيها، حتى جاء أبو علاء وقد ارتسمت على وجهه نظرة جادة وحال جلوسه قال : "لقد" أن الأوان لأن ننهي الأمر". وقد استغرقت المفاوضات بيني وبينه طيلة الليلة، في حين اجتمع عوزي ديان على أفراد مع مسؤولي جهاز الأمن الفلسطيني، واجتمع شاحور مع الطريفي وزينجر مع صائب عريقات.

وفي صبيحة اليوم الثاني، اتضح أننا تمكنا من حل نصف القضايا التي كانت مطروحة على جدول الأعمال ومن ضمنها اتخاذ قرار بأن ينتهي الانسحاب الإضافي في غضون ثمانية عشر شهراً منذ تاريخ إجتماع المجلس الفلسطيني، وأن يتم إقامة خمسة وعشرين مركز شرطة فلسطينية في المنطقة (B).

وقد أصر أبو علاء على وصف إعادة الانتشار، والاتفاق نفسه بأنه "يستحيل تغييره" وقد وافقته الرأي، فنحن لم نكن نرغب في الخروج من المدن الفلسطينية كي نعود لنحتلها من جديد، لذا تم الاتفاق على أن نكتب في مدخل الاتفاق أن العلاقات الجديدة التي سيجري تجديرها بين الطرفين، ستكون "غير قابلة للتغيير".

عملنا خلال الأسبوع التالي. زينجر وعريقات وديان واليحيى وشاحور والطريفي وأبو علاء وأنا بجدية وفي نهاية الأسبوع، أصبح بأيدينا صيغة مؤلفة من ٤١٠ صفحات لاتفاقية التسوية المرحلية، ورغم ذلك كان على بيرس وعرفات أن يستكملا عملا صعبا للغاية، كان عليهما ليس فقط حل القضايا الثلاث الأكثر صعوبة في الاتفاق : الخليل، وقبر راحيل، وخارطة إعادة الانتشار، بل كان عليهما أيضا، حل سلسلة طويلة من المشاكل شديدة الحساسية، والتي تراكمت إبان إعداد الصيغة النهائية.

وقد كتبت في الوثيقة التي بعثت بها إلى بيرس، والتي ضمنتها توصياتي توطئة للقائه بعرفات في طابا، أن هناك خمسا وعشرين قضية لا زالت بحاجة إلى حل لذا من المتوقع أن تخوض مفاوضات صعبة للغاية، خصوصا وأن عرفات، سيحاول أن يبدو بصورة الرجل الذي ناضل بكل قوته، من أجل مصلحة شعبه حتى اللحظات الأخيرة.

تمكن بيرس إبان الإعداد للاجتماع، من إقناع كبار ضباط الجيش بأن المصلحة الأمنية الإسرائيلية، تتطلب العثور على تسوية معقولة في الخليل، وبناء على ذلك، قام بيران وشاحك بإعداد خطة لتقسيم الصلاحيات الأمنية في الخليل بين الفلسطينيين - الذين كان من المفروض أن يتسلموا السيطرة على غالبية أجزاء المدينة والجيش الإسرائيلي الذي كان سيتولى مسؤولية الأمن في الحي اليهودي، والمناطق المتاخمة له، وكان من المفروض أن يتم تنفيذ هذه الخطة نسي غضون تسعة أشهر، بصورة تتناسب مع خطة شق الطريق الالتفافي حول الخليل وحلحول، وقد وافق رابين على هذه الخطة، في الخامس عشر من أيلول.

وتتص الخطة المذكورة على سيطرة الجيش الإسرائيلي على الطريق الالتفافي، وكريات أربع، والحي اليهودي في الخليل وضواحيه القريبة، والحرم الإبراهيمي، والطريق الذي يربط بين الحي اليهودي وكريات أربع، بطريق تصل إلى القسم الجنوبي من الطريق الالتفافي.

طلب رابين أن يجتمع بيرس وبيران مع عرفات في طابا، في بداية المفاوضات إضافة إلى عدة عناصر من الجهاز الأمني، وكانت مهمتهم تتمثل في التأكيد على العمل المكثف ضد الإرهاب كشرط لتنفيذ الاتفاقية.

بدأ أطول أسبوع في المفاوضات في السابع عشر من أيلول في فندق هلتون في طابا، وقد سكن وفدنا في الطابق الثامن، والفلسطينيون في الطابق التاسع، وكانت قاعة الاجتماعات في الطابق العاشر.

وفي أعقاب المحادثات الأولية، والتي جرى خلالها الحديث عن نشاطات السلطة الفلسطينية ضد الإرهاب، طلب بيرس من (بيران) أن يطرح الاقتراح الإسرائيلي الجديد حول الترتيبات الأمنية في الخليل، والتي وصفها هو نفسه كتسوية جيدة جدا.

استهل عرفات حديثه بالقول : لماذا يجب على العشرين ألف فلسطيني الذين يعيشون قريبا من الحي اليهودي في الخليل، أن يخضعوا للسيطرة العسكرية الإسرائيلية؟؟ فتوجه إليه بيران بكل الاحترام، وشرح له المبررات الإسرائيلية. وعندما طلب الفلسطينيون تغيير خط الفصل المقترح في المدينة، رفض بيرس هذا المطلب فورا.

قال عرفات : " لا نستطيع أن نسلم بالوضع الراهن المعمول به في الحرم الإبراهيمي - والذي تنص الخطة على إبقائه تحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية فتقدم بيرس باقتراح عدة بدائل وصيغ تنتهي كلها بإبقاء السيطرة الإسرائيلية على الحرم، لكن عرفات رفضها جميعا، وفي نهاية المطاف اتخذ قرار بأن نعمل أنا وأبو علاء، على إعداد الصيغة المقبولة لهذه المشكلة، فانتقلنا أنا وهو إلى إحدى الزوايا وبدأنا نناقش:

أنا : أنت تعرف بأننا لا نستطيع إبداء أي مرونة في هذه القضية.
أبو علاء : ربما تكون قد نسيت أن هذا المكان هو مكان مقدس للمسلمين، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، أن يهوديا قام بتنفيذ مذبة في أوساط المسلمين هناك، فإننا نصر على تواجد أممي معين لنا على الأقل.

أنا : قلت "هذا مستحيل"، لقد كنت أدرك أن حساسية المكان الشديدة تحول دون إمكانية توزيع المسئوليات الأمنية عليه .

أبو علاء : "ونحن لن نوافق على الوضع الراهن".

وفي نهاية المطاف ، اتفقتنا على ألا نتفق، وأن نقول ذلك في اتفاقية التسوية المرحلية، وعلى أن يتم تشكيل لجنة لدراسة الترتيبات الأمنية على أن تقدم توصياتها المشتركة في غضون ثلاثة أشهر من إعادة الانتشار في الخليل، وهكذا بقي الوضع الراهن على ما هو عليه : دون أن يوافق الفلسطينيون على ذلك.

وافق عرفات على الصيغة آنفة الذكر بيد أنه أعطاني ورقة صغيرة رسم عليها صورة لسيارتين، ثم طلب إيقاف النقاش لبرهة من الزمن.

ولم يكن لدي أي فكرة عما سافعله بالورقة التي أعطاني إياها عرفات، لذا طويتها ووضعتها في جيبِي.

نزلنا إلى (بار) الفندق وبعد حوالي ساعة عدنا إلى غرفة الاجتماعات وقد توقع بيرس أن يستهل عرفات المفاوضات بقول شيء ما بوصفه الطرف الذي طلب وقف الحوار للاستراحة، بيد أن عرفات لم يتفوه بكلمة لفترة ما، وحينها تناول بيرس ورقة وبدأ يكتب عليها، في حين أخذ عرفات يحملق في الورقة وهو شديد التوتر.

ونظرا لأنني أجلس إلى جوار بيرس، فقد وجدا أنه يكتب قصيدة شعر مخصصة (لأبي جيل) وجنونه (بالانترنيت) وقد شاهد أفي جيل من الطرف الآخر ما يكتبه بيرس، ونجح بشكل ما في الحفاظ على تقاطيع وجهه جامدة.

وبعد حوالي نصف ساعة من الصمت، توجه بيرس إلى عرفات وسأله :

"سيدي الرئيس ما الذي تنتظره؟"

عرفات : أريد أن أعرف فيما إذا كنت قد فكرت في الاقتراح الذي قدمته لسبير؟ شعرت بالدهشة الشديدة، بيد أنني سحبت الورقة المطوية من جيبِي وفتحتها، فرمقها بيرس بنظرة، وبدا بوضوح أنه لا يدرك ماذا يعني عرفات بها،

فسارع عرفات للقول أن الرسم هو بمثابة دورية مشتركة وأنه يقترح تفعيلها في منطقة الدخول إلى الحرم الإبراهيمي، فأوضح له بيرس أن قضية الحرم الإبراهيمي قد أجمعت، بيد أن عرفات كان يريد العودة لمناقشتها.

انفجر بيرس قائلاً: قدمت إليك أفضل اقتراح يمكننا تقديمه، وكما يبدو، أنه أفضل مما كنت أنت تتوقع، وإذا كنت معنياً بالحصول على المزيد، فسن تحصل على ذلك مني، أنا سأغادر هذا المكان.

بدأ بيرس ينهض من مقعده لمغادرة المكان، وحينها حاول عرفات تهدئته، مقترحاً أن يعمل زينجر وعريقات على إعداد صيغة كاملة للتفاهم الذي تم إنجازه بشأن الحرم الإبراهيمي، لقد تم حل مشكلة الخليل، ولا شك أنه إذا لم يتوفر حسن النوايا بين المفاوضين، فإن أي خلافات قد تنفجر وتتحول إلى قضية تثير أصداء واسعة، وهذه القضايا كان يمكنها أن تتحول بسهولة إلى معركة بين إسرائيل والفلسطينيين بين العالمين اليهودي والإسلامي، وإلى أزمة دولية يستحيل حلها، لقد أدى الالتزام بالشراكة إلى العثور على حل، وتم نقل تفاصيل تجسيد التسوية في الخليل إلى اللجنة الفرعية للشئون الأمنية.

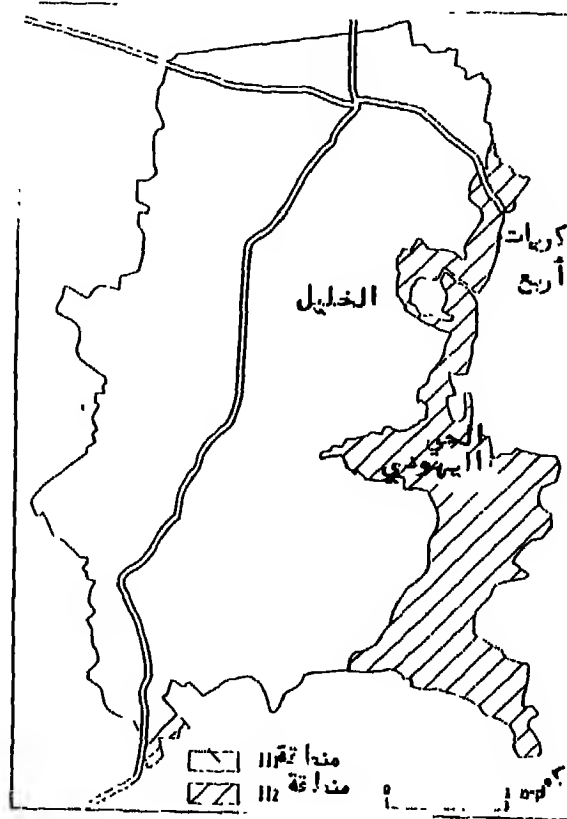
وطيلة الأيام والليالي التالية، طرحت القضايا الباقية على بساط البحث، وطرح الفلسطينيون قضية المعتقلين الفلسطينيين بوجود سفيان أبو زائدة وهشام عبد الرزاق وقد تم الاتفاق على إطلاق سراح جميع المعتقلين، وكذلك المعتقلين الذين ينضون تحت معايير محددة مثل المعتقلين الذين قضوا ثلثي محكومياتهم أو الذين حكموا بالسجن لأقل من عشر سنوات.

اعتاد بيرس تائب مساعدي عرفات بوجوده، وكان يتعامل بجلافة خاصة مع صائب عريقات، فكلما حاول عريقات التدخل في النقاش، أو طرح مبرر قضائي أو غيره، يسارع بيرس للقول له: دعك من هذا صائب، فهو ليس مسألة مهمة.

صائب: "أنتم لستم في حاجة إلى هذا".

وفي الوقت ذاته لم يتوان بيرس عن كيل المديح لعرفات، حيث كان يقول لأعضاء الوفد الفلسطيني : "من حسن حظكم أن لديكم مثل هذا الزعيم، انظروا ما الذي حققه لكم المفتي الحسيني بتوجيهاته المتطرفة عام ١٩٤٨" إنه لم يحقق شيئا".

تصرف بيرس طيلة الأيام الثلاثة كدب غاضب، فكان يقاتل ويتمتم، لذا لم يحظ بشعبية في أوساط أعضاء الوفد الفلسطيني، كان يهدد ويضرب المنضدة بقيضته، وفي إحدى المرات خرج من الغرفة هائجا، وطرق الباب خلفه، وسط دھولنا جميعا، لقد وصل إلى قناعة تامة، بأنه لن يستطيع دفع المفاوضات إلى خط النهاية إلا بهذا الأسلوب.



في الليلة الثالثة عرض زينجر وصائب عريقات القائمة الطويلة للقضايا الفرعية نسبياً، التي لا زالت بانتظار الحل، وكانت الساعة قد شارفت على الرابعة صباحاً

اقترح عرفات مواصلة النقاش حتى الصباح، بيد أن بيرس لم يكن على استعداد لقبول ذلك أبداً، فأخذ يقرأ القضايا واحدة وراء الأخرى، وبعد صيغة الحل بنفسه، بينما عرفات يجلس أمامه مرهقا وغير قادر على التركيز. وفي صبيحة اليوم التالي، أعلم مروان كنفاني الناطق باسم عرفات الصحفيين : "أنه أقنع الرئيس الفلسطيني بالذهاب للنوم عدة ساعات كي لا يقع مغشياً عليه على طاولة المفاوضات.

حلت الساعة التي يثبت فيها عرفات قدرته كمفاوض من الدرجة الأولى، في المرحلة الأخيرة، كانت القضايا الباقية دون حل هي : قبر راحيل وعبور رجال الشرطة الفلسطينية من المنطقة (A) إلى المنطقة (B) وخارطة التسوية المرحلية. وقام بيران بشرح الاقتراح الإسرائيلي للترتيبات الأمنية في قبر راحيل، والذي جاء فيه : أن الجيش الإسرائيلي سيتحمل المسؤولية الأمنية عن القبر نفسه، والطريق المؤدي إليه من حي جبلة في جنوبي القدس، ولأسطح بعض المنازل التي تطل عليه، ولموقف السيارات المتاخم للقبر وعلى أن تقوم دوريات مشتركة بالعمل خارج الإطار الذي تمت الإشارة إليه.

صرخ عرفات قائلاً : سكان بيت لحم لن يوافقوا على ذلك بأي حال من الأحوال، وأنا لن أوافق على ذلك، فإلى جوار القبر توجد مقبرة إسلامية والمكان كله موجود في المنطقة (A) وأنا نفسي مثلاً هو معروف لكم، من نسل راحيل.

ثم حاول عرفات أن يفتح النقاش مجدداً حول الحرم الإبراهيمي، وأصبح النقاش عاصفاً مما جعلنا نفضل أرجاء النقاش حول قبر راحيل إلى اليوم التالي عدنا إلى الطابق العاشر، في أعقاب تناول طعام العشاء كي نكشف أمام الفلسطينيين- قبل الموعد المقترح لإنهاء النقاش.

خارطة التسوية المرحلية

قدم بيران خارطة المنطقتين (A و B) واللّتين تشكّلان ما نسبته ٢٢% من الضفة الغربية وقد احتلت المدن الفلسطينية التي شكلت المنطقة (A) ٣% من الضفة الغربية، حلق عرفات في الخارطة للخطة ثم قفز من مقعده، وقال إن هذه الإهانة أكبر بكثير مما يستطيع أن يحتمل، هذه هي كائنونات هل تريدون أن اسلم بكائنونات أنتم تريدون تدميري وغادر عرفات الغرفة.

وبعد عدة دقائق من وصولنا إلى الطابق الثامن، قدم صحفيون إسرائيليون، وقالوا إن مروان كنفائي أعلن عن انهيار المفاوضات وأن عرفات سيغادر طابا، اقترح بيرس أن أحاول الوصول إلى عرفات قبل مغادرته، في حين اتصل آفي جيل هاتفا بدنيس روس لإعلامه بالأزمة الناشئة وقبل أن أصدق إلى الطابق التاسع، تحدثت مع أسامة الباز في القاهرة، وطلبت منه أن يتحدث مع عرفات، كما تحدثت مع يوسي جينوسار في الشان ذاته.

لقد أردنا أن نحول دون انهيار المفاوضات بسبب الخارطة، لأن هذا الانهيار سيستمر أسابيع ولن يكون مجديا للمفاوضات، صعدت إلى غرفة عرفات، فطلب من جميع الموجودين الخروج، فجلست قبائله وقلت له : إن خارطتنا ملائمة تماما لإعلان المبادئ فقال : إنه لا يستطيع الموافقة على الكائنونات، وأن هذا الوضع مستحيل، فاقترحت عليه أن يقوم هو ومساعدوه بإعداد التواصل الجغرافي الذي يعتقدون أنه ضروري ونحن على استعداد لمناقشته.

انضم إلينا ايلان بيران، وتحدث مع عرفات بروحية مماثلة لما قلته أنا فوافق عرفات على أن يعود الوفدان إلى غرفة الاجتماعات لمناقشة التعديلات المطلوبة.

عاد عرفات إلى الطابق العاشر وأحضر معه الخارطة التي أعدها الفلسطينيون في فندق باطيو والتي تشير إلى أن ٤٠% من مساحة الضفة الغربية هي مناطق الحكم الذاتي، مع ضمان وصول إسرائيل إلى جميع المستوطنات.

نظر بيرس إلى الخارطة، ورفض مجرد مناقشتها وطلب من اللواء (بيران) والعميد (يوم طوف ساميه) أن يفردا على الطاولة الخريطة الإسرائيلية. سأل بيرس عرفات : في أية مناطق تريد أن يكون هناك تواصل جغرافي. فأشار عرفات إلى عدة أماكن على الخارطة فبذل بيران قصارى جهده لإرضاء عرفات، وعمل على توسيع المناطق الفلسطينية في عشرة أماكن تقريبا من أجل خلق معابر يبين المنطقتين (A و B).

قال بيرس : (هَذَا هُوَ) لا أستطيع بعد الآن إضافة أي شيء إلى الخارطة، وأرسلها لإعادة رسمها بالتعديلات الجديدة ولم يعارض عرفات ذلك. لاشك أن موافقتنا على انسحاب الجيش الإسرائيلي من ٢٧% من الضفة الغربية في البداية كان يعتبر بالنسبة لنا موقفا منطقيا، إضافة إلى أننا حافظنا على مصالحنا الأمنية مثلما حدد الجيش الإسرائيلي، وقد استغرقت الجلسة كلها ثلاثين دقيقة.

في نهاية الجلسة، قال أبو علاء، أنه خارج إلى غرفة الهاتف، وتذكرت أنه لم يتفوه بحرف طيلة النقاش، وقد بدا الآن شاحب الوجه. لقد بدا شديد الغضب جراء الضغوط التي مارسناها على عرفات، وتفرق الجميع للإعداد لليوم الأخير من المحادثات يوم الجمعة وللتوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاق، وعكف زينجر وعريقات على صياغة التنازلات الأخيرة بسرعة كبيرة.

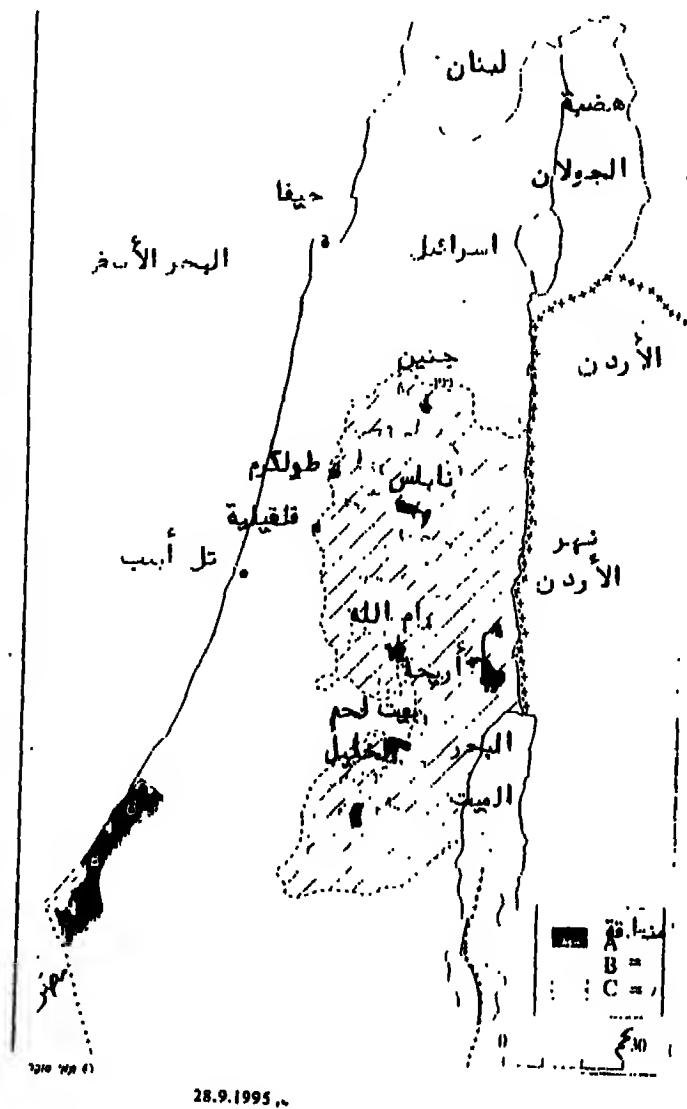
قدمت ستيلا فجأة وقالت : عرفات يطلب أن تذهب إلى غرفة أبو علاء فوراً، لقد أغمي عليه، ركضت إلى غرفة أبو علاء فوجدته أصفر الوجه شاحبا كالأموات، ويرتعد ويفقد بين الفينة والأخرى وعيه، في حين جلس عرفات مذهولا إلى جانب السرير، وهو يمسك بيد أبو علاء همست في أذنه: أبو علاء كل شيء على ما يرام، وستكون على ما يرام.

وقدم بيرس وجيل إلى الغرفة، في الوقت الذي كان فيه الطبيب يقيس نبض أبو علاء، فوجده غير مستقر، كنا واثقين من أنه أصيب بنوبة قلبية، واستدعينا سيارة إسعاف لنقله إلى المستشفى في إيلات. عدت إلى الغرفة كي أرتاح قليلا عندما قدمت ستيتا وقالت لي لقد اتصل جيل من المستشفى وأفادت أن سقوط أبو علاء جاء جراء الإرهاق وليس بسبب الإصابة بنوبة قلبية، وأن وضعه بات مستقرا.

Paragraph 11: Each side explained its position regarding the Tomb of the Patriarchs. ^{12.8} Since they were unable to reach an agreement about it, they have agreed ^{that} ~~(to keep)~~ the present situation ^{is is.} ~~is is.~~ ^{While Continue}

Paragraph ^{12.8} 14: ^{Signing of the agreement} Six months after the redeployment, the high level committee on Hebron will begin to discuss the above mentioned arrangements in order to seek an agreement.

مسودة المفاوضات حول الحرم الابراهيمي مع ملاحظات
أبو علاء - طابا - الملوك / ١٩٩٥ .



الخارطة الخامسة : خارطة التسوية المرحلية

أبو علاء... منطقية وتفهم لاحتياجاتنا الأمنية
اليسار الإسرائيلي قرأ الاتفاقية ولم يفهم مغزاها التاريخي
واليمين فسرهما بفلسطنة الضفة

استأنفنا المحادثات في نفس الليلة، كي نستطيع التوقيع على الاتفاقيات في اليوم التالي. واقترحت على بيرس أن يوقع زينجر وعريقات هذه المرة على الاتفاق، لأنني لم أتخيل أن بمقدوري التوقيع على الاتفاق الذي عمل أبو علاء أكثر من أي إنسان آخر، من أجل إنجازه -ذلك الاتفاق- الذي بدا في نظر الكثيرين مستحيلا.

لقد قاد أبو علاء الجانب الخاص به في كل مرحلة من مراحل الاتفاق بدقة وبكامل طاقته، بيد أنه فعل ذلك دائما بمنطقية وتفهم لاحتياجاتنا الأمنية. استهل عرفات المفاوضات بالمطالبة بتجميد الاستيطان، وفقا للوعد الذي قطعه له على نفسه -رايين- حسب قوله.

فقال له بيرس: "لن نجري معكم أي مفاوضات حول تجميد الاستيطان، هذا القرار هو قرار إسرائيلي، وقد اتخذته حكومتنا قبل إعلان المبادئ، بيد أنني على استعداد لإرسال نسخة من القرار إليك كرسالة مرفقة.

وأقنع بيرس عرفات بالا يتم تحديد مساحة كل مستوطنة على الخارطة للحيلولة دون نشوب جدل عديم الجدوى حول ما يمكن اعتباره استيطانا أم لا.

واصلت الطواقم العمل، وأصبح الطابقان الثامن والتاسع، بمثابة مصنع للوثائق، وقام عشرات الأشخاص بحملها جيئة وذهابا من غرفة إلى أخرى، في حين عكفت الطواقم في إحدى الغرف على إحداث التغييرات في خرائط الضفة الغربية، واستكملت اللمسات الأخيرة المتعلقة بالتسويات الخاصة بالخليل.

بقيت صبيحة الجمعة، ثلاث قضايا، تحتاج لتدخل بيرس وعرفات: العبور من المنطقة (A) إلى المنطقة (B) من قبل الشرطة الفلسطينية تغيير مكانة مناطق من (B) إلى (A) والترتيبات الأمنية في قبر راحيل، إضافة إلى عدة

قضايا مدنية وقضائية فرعية تتطلب مفاوضات إضافية، وتعديل الخرائط بصورة نهائية.

وأعرب زينجر وعريقات عن اعتقادهما بأنه لا توجد أي وسيلة، يمكن من إتمام ما هو مطلوب حتى مساء الجمعة، وبالتالي، كان يتوجب علينا العمل مساء السبت كي نصل إلى مرحلة التوقيع بالأحرف الأولى يوم الأحد، عشية رأس السنة.

قمنا، عريقات وزينجر وأنا، بإعداد صيغة مرضية لتحويل قسم من المنطقة (B) إلى المنطقة (A) إلى جانب الانسحاب الإضافي - باستثناء المناطق ذات العلاقة بالقضايا التي سيتم تحديدها خلال مفاوضات التسوية الدائمة.

أعطينا هذه الصيغة أهمية كبيرة، لأننا كنا قادرين بفضلها، على الاحتفاظ بالسيطرة الأمنية في قرى معينة قرب الخط الأخضر أو قرب المستوطنات حتى التسوية النهائية، بيد أننا لم نكن نرغب في أن يدرك الفلسطينيون هذه الحقيقة، ولم نكن واثقين من سرية الهواتف وأمانتها في طابا. لذا بدت المحادثة التي أجراها بيرس مع رابين لاطلاعه على التغييرات التي تم إجراؤها، والصيغة التي تم إنجازها غريبة إلى حد ما، وقد جاء الاتصال على النحو التالي:

-بيرس: "اسحق، أنا بيرس، لقد توصلنا إلى اتفاق حول نقل أقسام من المنطقة (B) إلى (A) وتطرق بالتفصيل إلى الصيغة، ثم قال: "الطاقم يقول أنها ليست صيغة جيدة إلى حد كبير، بيد أننا نوصي بقبولها".

-رابين: "لا أفهم، إذا لم تكن جيدة إلى حد كبير، فلماذا نقبلها؟"

-بيرس: "اسحق أنا أتحدث من طابا".

-رابين: "أنا أعرف"

-بيرس: "اسحق تذكر أنني أتحدث من طابا"

-رابين: لقد قلت لي ذلك للتو، وأنا أعرف ذلك".

-بيرس: "لذا أوصي بقبول الصيغة"

- رابين: "آه... ويبدو أنه أدرك لقوه سبب هذه التوصية الغريبة من بيرس، وأعطى موافقته.

عدنا للاجتماع، عشية رأس السنة العبرية، في غرفة الاجتماعات في الطابق العاشر، وقام بيران بإيضاح إجراءات تنقل رجال الشرطة الفلسطينية من المنطقة (A) إلى (B) - من المدن إلى القرى - وذكر بأنهم سيحتاجون إلى إذن منا، مثلما هو معمول به بين مراكز الشرطة.

- عرفات: "نعم، بالتأكيد، سوف ينسقون معكم".

- بيران: "لا، سيدي الرئيس، أنت تعرف الفارق، سيكونون بحاجة إلى طلب الإذن عبر مكتب التنسيق الإقليمي، وإلا فإنه سيحدث ارتباك مطلق بشأن حركة رجال الشرطة الفلسطينية وجنودنا".

- عرفات: "لذا، هناك حاجة للتنسيق بين الطرفين"

- بيرس: "التنسيق سيتم من خلال تصريح في مكتب التنسيق الإقليمي" ما هي المشكلة؟"

قفز عرفات من مقعده وقال: "ماذا تفكرون؟" هل سيكون رجال الشرطة الفلسطينيون خاضعين لكم؟؟ هل يجب أن نطلب منكم تصريحا كي ندخل قرية فلسطينية في المنطقة (B) من أجل التحقيق في عملية سطو أو نزاع عائلي؟؟ هذا ليس اتفاقا، لن أوافق على أن تخجلوني، لست عبدا لكم، لست عبدا لكم". وخرج من الغرفة هاتجا.

قال بعض رجالنا: "هذا يحدث دائما قبل نهاية المفاوضات" بيد أننا شاهدنا حقائب الفلسطينيين محمولة على درجات الفندق، مما جعلنا نتساءل عما إذا كنا قد وصلنا إلى أزمة حقيقية؟؟ توجه إلي كنفاني، وقال لي: "هذه المرة سيغادر المكان حقيقة" فقلت: "وبيرس أيضا سيغادر المكان، لقد ضجرنا من هذه الأزمات" فقال "دعنا الآن من كل هذه الألاعيب، وتعال نلحقه عليك تستطيع إقناعه".

سرت في أثر كنفاني إلى غرفة عرفات، ودخلت إليها. كان غضبه شديدا بل اشد من الغضب الذي أبداه بشأن الخارطة قبل ثلاثة أيام. وقال: "لم أفكر أنكم ستسيرون في هذا الطريق، أنتم حقا تريدون إذلالني، وما دام الامر على هذا النحو، فإنني أفضل الا يكون اتفاق".

قلت: "أبو عمار، لقد اجتزت طريقا طويلا جدا، ومن المؤسف حقا أن تحطم كل شيء الآن، وأنا أؤكد لك، أنه لو تواصلت المفاوضات مائة سنة أخرى، فإن بيرس ورايين لن يغيرا موقفهما بهذا الصدد. إن ما ترغب فيه سيؤدي إلى هدم التوازن القائم في المنطقة.

بقي عرفات عدة دقائق دون أن يتفوه بكلمة، ثم نادى ياسر عبد ربه، وتحدثا باللغة العربية ورغم أن عبد ربه لم يكن معروفا باعتداله، الا أنه بدا بوضوح، وهو يحاول إقناع عرفات، بإيداء قدر أكبر من المرونة.

قلت: "سيدي الرئيس، من خلال إدراكي لمدى صلاحيتي في التوصل إلى تسوية، أنا واثق أننا نستطيع التوصل إلى أساليب اقل عدوانية لقول الأشياء التي نود قولها في مراسيم الاتفاق. وبعد ثلاثة أشهر، قد نستطيع إعادة النظر في إمكانية إجراء تغيير في وضع حركة رجال شرطتكم".

عثر زينجر في هذه الاثناء على صيغة إنجليزية آلين لأخذ تصريح للتتقل "Confirmation" بدلا من "Approved" ووافق بيران، أنه وفي نهاية الأشهر الثلاثة الأولى للسيطرة المشتركة على المنطقة (B)، ستكون هناك حاجة لأخطار مسبق حول تحركات الشرطة في المناطق التي سيتم الاتفاق عليها بين الطرفين. وقد وافق عرفات على ذلك. لم يبق سوى مشكلة قبر راحيل. وعندما عدنا وتقابلنا في الطابق العاشر، قال (بيران) لبيرس باللغة العبرية وبحماس بالغ، أنه يصر على وضع جنود إسرائيليين على أسطح المنازل القريبة من قبر راحيل: "فقال له بيرس: "تحدث بالإنجليزية".

توجه بيران إلى عرفات، وقال: "إذا ما نفذنا الأمور بأسلوبكم، فلن أكون مؤهلا لضمان الأمن، لقد وافقتم، لقد بذلنا جهدا كبيرا من أجل إرضائكم بشأن

إعادة الانتشار حول جميع المدن، وأيضا بشأن الخليل وأنا مضطر لاشتراط شرط يعتبر الحد الأدنى في هذا المكان المقدس".

كان بيران يغلي، ومرة أخرى فاجأنا عرفات، وكما يبدو، أنه تأثر بحماس بيران، لذا توجه عرفات إلى بيران وصافحه، وقال: "أنا موافق"، ثم عانق اللواء المندهش.

أصبح اتفاق التسوية المرحلية جاهزا ومستكملًا للتوقيع وبعد أن اتصل بيرس وعرفات بكريستوفر وروس لاطلاعهم على الوضع، تم النقاط صورا للوفدين معا للذكرى.

عاد أبو علاء قبل يوم من الاتفاق، وقد استقبلناه بالترحاب فتوجه إلى بيرس وقال له: "أشكرك من أعماق قلبي على مرافقتك لي إلى المستشفى". فقال له بيرس: "الامر المهم هو أنك معافى".

همس أبو علاء قائلا: "لقد أنقذ بيرس حياتي. لقد جلس إلى جوارى في سيارة الإسعاف، وقال لي: احمد- أبو علاء- نحن جميعا نريدك" وأنا لن أنسى ذلك ما حييت".

جلسنا يوم الأحد، أنا وأبو علاء، أمام كاميرات التلفزيون، ووقعنا على اتفاقية التسوية المرحلية بالأحرف الأولى والذي اسماه الجميع اتفاقية أوصلو الثانية- ثم ألقى بيرس وعرفات كلمتين قصيرتين هنا خلالها عرفات الشعب اليهودي بالعبرية بعيد راس السنة.

وقد أثنى بيران على الاتفاقية أمام الصحفيين بالقول: "لم تكن هناك أي إمكانية لإنجاز اتفاق أفضل، ولم نستطع التعايش مع أقل من ذلك".

وقعت الاتفاقية في (٤١٠) صفحات، وثمانى خرائط وكانت لغتها شديدة التعقيد، تماما مثل خطوطها الهيكلية، ومثل الواقع الذي من المحتمل أن يتغير، بيد أن المبادئ التي وضعت كأساس لهذه الاتفاقية، كانت واضحة وهي على النحو التالي:

في المرحلة الأولى (تشرين الأول-كانون الأول ١٩٩٥)-

١. الجيش الإسرائيلي سينسحب من ست مدن فلسطينية في الضفة الغربية، باستثناء الخليل وجميع الصلاحيات فيها مدنية وعسكرية، ستنقل إلى الفلسطينيين.

٢. يقوم الجيش الإسرائيلي في نفس الوقت بالانسحاب من جميع قواعده في المنطقة القروية بيد أنه سيواصل تحمل المسؤولية الأمنية الشاملة لمحاربة الإرهاب والدفاع عن الإسرائيليين في المنطقة التي تشمل تلك القرى.

٣. ستأخذ السلطة الفلسطينية على عاتقها في أعقاب إعادة الانتشار العسكري الإسرائيلي، المسؤولية الأمنية، والمسؤولية المدنية للمدن الفلسطينية -٣% من مساحة الضفة الغربية- وكذلك المسؤولية المدنية ومسؤولية النظام العام في القرى الفلسطينية -٢٤% من مساحة الضفة الغربية- ويجري تجسيد مسؤولية النظام العام من خلال خمسة وعشرين مركز شرطة فلسطينيا مثلما هو وارد في الخرائط.

٤. تتحمل إسرائيل المسؤولية المدنية والمسؤولية الأمنية لـ ٧٣% من مساحة الضفة الغربية-المناطق غير المأهولة- و ١٠% تقريبا من مساحة قطاع غزة بصورة خاصة في مناطق الاستيطان مثلما تم تحديده قبلا، في اتفاقية غزة أريحا.

٥. تتحمل إسرائيل جميع المسؤوليات الأمنية لتتقل الأشخاص والبضائع إلى الضفة الغربية وقطاع غزة ومنهما إلى الخارج.

في المرحلة الثانية (كانون الثاني-نيسان ١٩٩٦):-

١. تجرى انتخابات ديموقراطية وحررة لمجلس فلسطيني مؤلف من ثمانية وثمانين عضوا، وكذلك لمنصب رئيس السلطة الفلسطينية بمشاركة جميع أصحاب حق الانتخاب في الضفة الغربية وغزة.

٢. بعد شهرين من الجلسة الافتتاحية للمجلس الفلسطيني، يتخذ المجلس الوطني الفلسطيني- وهو الجهة الممثلة لجميع الفلسطينيين- قرارا، بأغلبية

ثلاثي أعضائه على الأقل، للمصادقة على إلغاء جميع بنود الميثاق الوطني الفلسطيني الداعية لتدمير إسرائيل، والتي تتناقض، بأي شكل من الأشكال مع الاتفاقيات مع إسرائيل.

٣. بعد ستة أشهر من التوقيع على اتفاقية التسوية المرحلية، يخلي الجيش الإسرائيلي الخليل، ويتم نقل غالبية أجزاء المدينة للسيطرة الأمنية والمدنية الفلسطينية، ستواصل إسرائيل الاحتفاظ بالمسؤولية الأمنية للمنطقة التي يسكنها المستوطنون في الخليل، والطرق التي يتحرك عليها هؤلاء المستوطنين والحرم الإبراهيمي، وعدة مناطق ملاصقة.

المرحلة الثالثة:

في الرابع من أيار ١٩٩٦، ستبدأ المفاوضات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية حول التسوية الدائمة، والتي ستشمل قضايا، مثل المستوطنات، القدس، اللاجئين، الحدود والعلاقات مع الدول الأخرى. وستنتهي هذه المفاوضات في الرابع من أيار ١٩٩٩.

المرحلة الرابعة:

تخلي إسرائيل المنطقة غير المأهولة من الضفة الغربية باستثناء مناطق أمنية محددة- وفقا لتحديد إسرائيل على أن تفعل ذلك في غضون ثمانية عشر شهرا من تاريخ الجلسة الافتتاحية للمجلس الفلسطيني. تنفذ الانسحابات الثلاثة الإضافية، على ثلاث مراحل بفارق زمني قدره ستة أشهر بين المرحلة والتي تليها.

وفي نفس الوقت تنقل إسرائيل إلى السلطة الفلسطينية صلاحيات أمنية في المناطق القروية الفلسطينية (المنطقة B) باستثناء المناطق ذات العلاقة بقضايا التسوية الدائمة.

تطبق المسؤولية الأمنية الإسرائيلية على الأمن الخارجي، وعلى الإسرائيليين الذين يعيشون في المستوطنات، وعلى حركة الإسرائيليين في الضفة الغربية وقطاع غزة. ويتحمل الفلسطينيون مسؤولية تنفيذ نشاطات أمنية ترمي

لمحاربة الإرهاب. بما فيها مصادرة الأسلحة غير المشروعة، في المناطق الواقعة تحت مسؤوليتهم الأمنية.

حدد الاتفاق أيضا الصلاحيات التشريعية المحددة للمجلس الفلسطيني، وألغى أي صلاحيات تعارضها حيث جاء فيها: "أن السلطة الفلسطينية لن تدير أي علاقات خارجية، باستثناء شئون محددة، كانت منظمة التحرير تعالجها- مثل المساعدات الدولية- كما أكد الاتفاق على أن السلطة الفلسطينية ستكون جزءا من الجهاز الجمركي الإسرائيلي.

وأكد الاتفاق على أن إسرائيل، والسلطة الفلسطينية، ستعتمدان إلى إنشاء منظومة لجان للتعاون في مجال تطبيق الاتفاق، بما فيها لجنة رقابة ومتابعة عليا، والتي ستشرف على تنفيذ الاتفاق.

أضف إلى ذلك، أن هذا الاتفاق التاريخي وضع حدا للسيطرة الإسرائيلية على الفلسطينيين، ووضع حدا لنظرية "أرض إسرائيل الكاملة" ووضع حجر الأساس لبداية تعاون بين الشعبين اللذين قررا اقتسام البلاد فيما بيغها من أجل الهدف المشترك: السلام والأمن والتطوير الاقتصادي.

عدنا إلى إسرائيل، عشية عيد رأس السنة، وبعد انتهاء العيد، توجه وفد كبير إلى واشنطن لحضور المراسيم الرسمية لتوقيع الاتفاقية.

قدم الوفد الفلسطيني عبر القاهرة وشمل أبو مازن، فقد قرر عرفات في اللحظات الأخيرة، أن يوقع أبو مازن وليس أبو علاء إلى جانبه على الاتفاق باسم الفلسطينيين. لقد مس هذا القرار بأبو علاء مساهميا، لأن أبو مازن لم يلعب دورا في المفاوضات حول التسوية المرحلية، بل ولم ينتقل للسكن في مناطق، الحكم الذاتي، الا قبل شهرين من ذلك، أي بعد سنة من وصول عرفات ورجاله إلى الضفة الغربية وغزة، قادمين من تونس.

كان الانسجام بين عرفات ورايين يوم توقيع الاتفاقية، أكثر من عادي. وفي الكلمة التي ألقاها رايين في مراسيم الاستقبال التي أعدها الرئيس الأميركي

كلينتون في ساعات الظهر، قال رايبين بين ضحك أعضاء الوفد الفلسطيني: أن عرفات قد أصبح يهوديا بسبب الخطابات الكثيرة التي يلقيها. وقع رايبين وبيرس وعرفات وأبو مازن على الاتفاقية في البيت الأبيض بحضور الرئيس الأميركي والرئيس المصري حسني مبارك، والملك الحسين.



١٢- أوري سبير ووزير الخارجية النرويجي هولست وأبو علاء خلال مفاوضات التسوية المرحلية والتوقيع بالأحرف الأولى عليها.

الباب الثالث

- النضال -

الفصل الثامن

سلام وعنف

شارك إيجال عمير - وهو طالب في كلية الحقوق، يناهز السابعة والعشرين من العمر، ويعتبر قبعة متدينين سوداء - في المظاهرات التي اندلعت ضد الحكومة، تلك المظاهرات التي أطلقت خلالها شعارات تقول: "رابين قاتل، رابين قاتل". ومثله مثل الكثيرين الآخرين، اختزن عمير مشاعر الكراهية والحقد التي يختزنها اليمين الإسرائيلي، بيد أن المظاهرات والصيحات المجنونة التي أطلقها خلالها لم تكن كافية لإرواء نفسه المتعطشة لتدمير السلام، لذا عمد إلى التخطيط طيلة شهور ووضع خطة ذاتية قادرة على تدمير المسيرة.

سكن عمير في هرتسليا، وقد عملت والدته مديرة لروضة أطفال، وكان والده روائيا، وعلى رف الكتب في منزله تم العثور على رواية "رئيس هدف لفوهة البندقية" وهي رواية مغامرات، يدور فيها سباق مجنون، بين قوات الأمن الفرنسية، ومحترف قتل مأجور، لقتل الرئيس (ديغول)، وقد تم اعتقال هذا القاتل في نفس اللحظة، التي كان يصوب فوهة البندقية إلى جسد الرئيس ديغول ويهم بإطلاق النار.

قرر إيجال العمل بصورة أكثر فعالية. وفي آذار ١٩٩٤ شارك في مظاهرة أعلن خلالها أن بيرس ورايين هما افعيان يجب قتلهما، ولا شك أن دولة إسرائيل ستقتل من الدمار إذا ما قتلها شخص ما، مما سيؤدي إلى إجراء انتخابات توصل نتيا هو إلى السلطة.

لقد شعر اليمين الإسرائيلي، أكثر بكثير مما شعر اليسار، بأن اتفاقيات أوسلو الثانية هي بمثابة تطور تاريخي سيجلب الكوارث على إسرائيل. لقد عكف غالبية أعضاء اليسار، آنذاك، على قراءة ما هو وارد في الاتفاقية، وتتبع مسار الخرائط الملحقة بها، دون أن يتعمقوا بمعزاها التاريخي.

أما اليمين الإسرائيلي فقد أدرك أن إعادة الانتشار وتسليم المدن إلى الفلسطينيين يعني (فلسطين) الضفة الغربية، وأملوا في أن يتمكنوا من وقف هذه المسيرة بالمظاهرات العامة التي نظمتها المعارضة وجهات برلمانية وغير برلمانية.

وفي السادس من تشرين الأول ١٩٩٥ وعندما انعقدت الكنيست للموافقة على الاتفاقية، تجمهر عشرات الآلاف في ميدان صهيوني بالقدس، وألقى بنيامين نتنياهو - بوصفه رئيس المعارضة - خطاباً فيهم، وصف خلالها الاتفاقية بأنها (عملية خنوع) ووصفها أيضاً بأنها "خطر على وجود إسرائيل" وقد أكد نتنياهو ونظراؤه الآخرون من أعضاء اليمين، أن المصادقة على الاتفاقية في الكنيست ستتم بأغلبية أعضاء كنيست ليسو يهوداً ذلك أن من بين الواحد والستين عضو كنيست - الذين كانوا على وشك الموافقة على الاتفاقية - خمسة أعضاء من العرب ودرزي واحد. وبالإعلان عن أن رابين يعتمد على "الحزب العربي المؤيد لمنظمة التحرير" اسهم أعضاء اليمين في سحب الشرعية من العرب في إسرائيل. لقد استشرت الفكرة التي طرحها نتياهو والقائلة أن الاتفاقية لا تحظى بتأييد أغلبية يهودية في إسرائيل، في العديد من الأوساط اليهودية المتطرفة، وأوساط أولئك الذين شككوا دائماً في مدى إخلاص العرب في إسرائيل للدولة.

وفي تعقيبه على هذا الوضع، قال (إليك هعتسني)، أحد زعماء المستوطنين: "الحكومة هي عصابة، تمكنت من اختطاف الحكم بالاستعانة بمنظمة إرهابية" أي أن حكومة رابين كانت بالنسبة له حكومة غير شرعية ولا تمثل الشعب الإسرائيلي.

ومن الجدير بالذكر، أن (ايغال عمير) قال خلال محاكمته، في أعقاب اغتياله لاسحق رابين "لقد اختير رئيس الحكومة بأصوات العرب، ٢٠% من أولئك الذين صوتوا لصالحه هم من العرب، فهل ندع هؤلاء العرب، يقررون مصير بلادي؟

وخلال المظاهرة الصاخبة، أنفة الذكر، في السادس من تشرين الأول ١٩٩٥، وزعت صور رابين وهو يرتدي ملابس "الاس اس" الشرطة النازية وقالت الأنباء حينئذ أن الذي وزع هذه الصور هم جماعة منظمة (كهناحي).

وفي نفس الليلة، هاجمت الغوغاء سيارة رابين- بيد أنه لم يكن فيها- وأخذت تدق بقبضاتها على السيارة، بل وقام بعضهم باقتلاع علامة (كاديلاك) من السيارة، وفاخروا قائلين: إذا كنا قادرين على الوصول إلى علامة السيارة، فنحن قادرين على الوصول إلى رابين. راقبت رابين خلال الجلسات التي عقدت اثر المظاهرات آنفة الذكر، فرأيت أن رد فعله على تلك الهجمات اتسم بمزيج من الغضب والرفض. ولم يبد أنه يخشى اليمين، وأن يكن قد تصرف تجاهه بضبط نفس تلم.

وفي نفس اليوم الذي كان يفترض أن تصوت فيه الكنيسة على الاتفاقية عقد رابين اجتماعا شارك فيه شمعون بيرس، والكادر السياسي الأعلى، وأنا واستهل رابين الحديث بالقول: "في غضون الأسبوع القادم، سنشرع بإخلاء مكاتب الإدارة المدنية -على الأقل مكتبين في منطقة سلفيت- وأمل أن نتمكن من إخلاء أربعة مكاتب وستقرر هيئة الأركان أسلوب الإخلاء. وأنا أريد من شمعون بيرس، ومستولي جهاز الأمن العام، أن يجتمعوا بعرفات، ويطالبوه بتحسين أدائه ضد الإرهاب وبالإمكان أيضا أن تقترحوا عليه اختيار تاريخ لإجراء الانتخابات، يقع بين العشرين من كانون الأول ١٩٩٦ ونيسان ١٩٩٦ إذا أراد الانتظار حتى استكمال إعادة الانتشار في منطقة الخليل.

بدا رابين مصرا على مواصلة تنفيذ الاتفاق، وأن الضجة وحوادث الشغب والمظاهرات في الشوارع لا تؤثر عليه أبدا. لقد كان على وشك تنفيذ عمل أمني شديد التعقيد: إخلاء الجيش الإسرائيلي من أماكن التجمعات السكنية الفلسطينية، وبالتعاون مع شريك لا يمكن وصفه بالنموذجي، بيد أن الطرفين يعملان من أجل هدف يؤمنان به.

اجتمع بيرس وقادة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، مساء اليوم التالي بعرفات، الذي جاء إلى حاجر ايرز وبصحبته مسئولو أجهزته الأمنية. وقد قال عدد من ضباطنا الكبار لعرفات، أنه يسمح لرجاله بالتأكيد أكثر من اللازم على المحادثات التي أجراها مع مسئولى حركة حماس فى السودان بموافقتنا. وقالوا له. انه لا يكفى أن يعمل على إقناع حماس بالتحول إلى حزب سياسى غير عنيف، بل يجب عليه أيضا، أن يتخذ خطوات حاسمة ضد عناصر الإرهاب النشطة فى المناطق.

أكد مسئولو الأجهزة الأمنية التابعة لعرفات أنهم يعملون ليلا ونهارا للحيلولة دون وقوع عمليات إرهابية، وأعربوا عن تذرهم من طبيعة العلاقة القائمة بينهم وبين جهاز الأمن الإسرائيلى، والمتمثلة فى المطالبة الدائمة من جانب واحد، وليس التعاون بين الطرفين كجهتين متساويتين.

وقد أكد بيرس ومرافقوه، أن الامر كله رهـن بمدى التعاون الذى يبدىه الجهاز الأمنى الفلسطينى معهم فى مجال مكافحة الإرهاب، وخصوصا فى الضفة الغربية، بل أن أعضاء الجهاز الأمنى الإسرائيلى، اشترطوا تنفيذ إعادة الانتشار بتعزيز التعاون الأمنى بين الجهتين وقد وافق عرفات على جميع مطالبنا الشخصية بيد أنه بقى مصرا على أسلوب (فرق تسد) تجاه حركة حماس.

وقد تم الاتفاق، خلال هذا اللقاء، على جدول زمنى للانسحاب الإسرائيلى من المدن الفلسطينية فى الضفة الغربية. وقد طالب الفلسطينيون أن يتم الانسحاب من منطقة جنين فى أسرع وقت ممكن، وان يتواكب مع إطلاق سراح المعتقلات الفلسطينيات بمن فيهن المعتقلتان اللتان رفض رئيس الدولة منحهما العفو- رغم التزامنا بذلك فى اتفاقية التسوية المرحلية- بسبب مشاركتها فى أعمال قتل إسرائيليين.

أطلقنا على عملية إعادة الانتشار اسم عملية (يومان)، وكنا على وشك إخراجها إلى حيز التنفيذ، وقرر رابين أن توكل عملية الرقابة على التنفيذ، إلى

لجنة متابعة وتوجيه عليا، يتم تشكيلها من طواقم المفاوضات برئاسة برناستي، وبرئاسة أبو علاء عن الجانب الفلسطيني.

قررنا عقد اجتماع لهذه اللجنة، مرة واحدة كل أسبوعين، وقد عقد اللقاء الأول في مكتب أبو علاء في (المرام) شمالي القدس، وقررنا خلاله، أن نستقي العبر من اتفاقية غزة - أريحا، وأن نشرف على كل بند من بنود الاتفاق، ونضمن سير عمل عشرات اللجان الفرعية، التي تم تشكيلها وفقا لما هو وارد في الاتفاقية.

لقد علمتنا التجربة، أن نجاح تطبيق الاتفاقية رهن بالتعاون الكامل بين الطرفين في جميع المجالات. وأعرب الفلسطينيون عن تذرهم من الإغلاق الذي يتم فرضه عليهم بين الفينة والأخرى، جراء تنفيذ العمليات الإرهابية. وعقب أبو علاء على ذلك قائلا: "انتم تسمون بالمسيرة السلمية، ولا شك أن هذا الوضع هو جزء من الأجواء التي تؤثر على الأمن".

ناقشنا خلال الحوار المذكور، قضية الرقابة على الانتخابات الفلسطينية، وقدم عشرات المراقبين الدوليين من الخارج. لقد رغب الفلسطينيون منذ البداية، بوجود المراقبين الدوليين كضمانة لعدم تدخلنا في الانتخابات، بيد أن هؤلاء المراقبين، أصبحوا الآن بمثابة ضمانة لصحة مسار الانتخابات.

أشرف بيران على إعادة الانتشار، وهي عملية معقدة لم يسبق للجيش الإسرائيلي أن اكتسب خبرة فيها: انسحاب إرادي مع منح الإمكانية لأولئك الذين كانوا خاضعين حتى الآن، لسيطرة الجيش الإسرائيلي، لتسلم مسؤولية أمنهم والتي - لاشك - ستؤثر على أمننا. ووفقا لذلك، كانت هناك ضرورة، ليس فقط للقيام بمجهود كبير جدا على الصعيد الميداني، بل أيضا إحداث تغيير عميق في نظريتنا القائلة: انه لا يجب أن نعتمد في القضايا المتعلقة بأمننا الا على أنفسنا.

عقد بيران ندوة لضباط قطاعه، ودعا إليه طاقم أوصلو كي يوضح لهم الاتفاقية. وقد تمت خلال هذه الندوة، مناقشة ما يسمونه في الجيش "بتغيير الهوائي" - تغيير التوجه من السيطرة إلى التعاون. لقد أصبحت الأهداف جزءا

من المسيرة الآخذة في التطور، نظرا لان التسوية المرحلية، تطلبت تعاوننا اكبر من التعاون الذي تتطلبه حتى مرحلة التسوية الدائمة. ولا يرجع ذلك فقط، لكبر حجم الأراضي التي ستمنح للفلسطينيين، بل لان أعداء السلام كانوا متطرفي الطرفين.

وفي السابع عشر من تشرين الأول ١٩٩٥-أي بعد ثمان وعشرين سنة وعدة اشهر، من احتلاله لها، خلال حرب عام ١٩٦٧، دخلت القوات الفلسطينية وهي في أبهى لباسها، ورفعت الاعلام الفلسطينية بين هتافات وصراخ الجماهير. ورغم أن القوات الإسرائيلية توخت ضبط النفس في خروجها، الا أن المواطنين الفلسطينيين رشقوها بالحجارة، وكان منظرا صعبا للغاية على الجماهير الإسرائيلية.

لم تكن الحرارة التي أبدتها الجماهير الفلسطينية مفاجئة لي، بيد أن لا مبالاة الزعامة الفلسطينية للرأي العام الإسرائيلي لا زالت تدهشني. لقد كان الإسرائيليون على استعداد للتسليم، بان يدير الفلسطينيون شئون حياتهم، بيد انهم لم يكونوا على استعداد للتسليم برشقهم بالحجارة، وقد حولت هذه الصورة، المسيرة السلمية، في عين الكثيرين، إلى نوع جديد من أنواع المواجهات.

لم يدرك الرئيس الفلسطيني، مدى تأثير مثل هذه المناظر على الرأي العام الإسرائيلي، فقد انشغل تماما بمعالجة القضايا الداخلية، في حين لم نحاول نحن، الشروع بحوار مع الرأي العام الفلسطيني لاسباب تتعلق بالتوقع الذاتي. لقد كان على عرفات، بوصفه الطرف الأضعف- أن يعترف بأهمية التحاور مع الرأي العام الإسرائيلي، مثلما فعل الرئيس المصري أنور السادات، والملك الحسين.

بدأنا نجني ثمار السلام، في مجالات أوسع. فقد خلق قرار إخلاء المدن الفلسطينية من الجيش الإسرائيلي. توجهها جديدا تجاه إسرائيل في جميع أنحاء العالم العربي تقريبا، وكذلك في باقي أنحاء العالم.

ويوصفي مدير عام وزارة الخارجية، شعرت بالنتائج الملموسة للتحويل الجديد، فقد أصبحت لدينا علاقات دبلوماسية مع ١٦٢ دولة، وقد أفادت سفاراتنا، التي طالبتها بالعمل على جني حصاد هذه المسيرة: بأن هناك اهتماما كبيرا بالاقتصاد الإسرائيلي، ولم يكن يمضي أسبوع دون زيارة ضيف كبير - رئيس حكومة أو وزير خارجية، والأهم من ذلك، كانت زيارات رؤساء الشركات الدولية.

لقد تخلت إسرائيل حقا عن المدن الفلسطينية، لكن الأهم من ذلك، هو أنها تخلصت من الصحراء الدولية، التي دفعت إليها قبل أكثر من عشرين سنة. وبدأت ممثلياتنا في الشرق الأوسط. في سلطنة عمان، وقطر وتونس نشاطاتها الدبلوماسية.

لقد تم إحراز نجاحات كبيرة جدا خلال المؤتمر الاقتصادي الدولي، الذي عقد في عمان، بعد سنة من مؤتمر كازابلانكا. وقد تم التركيز خلال مؤتمر عمان، على مشروعات التطوير الإقليمي، وخصوصا المشروعات المشتركة مع الأردن، مثل المطار في منطقة العقبة - إيلات، وريفيرا سياحية في نفس المنطقة، ومشروعات مشتركة على ساحل البحر الميت.

وإذا كان مؤتمر كازابلانكا قد شكل السابقة، فإن مؤتمر عمان، أكد على الديمومة، وقد أكثر القادمون إلى المؤتمر، من الحديث حول إنشاء بنك إقليمي شرق أوسطي، وهيئة تخطيطية مشتركة بين إسرائيل والفلسطينيين والأردن ومصر. على أن يعمل من عمان، وكنا على وشك تعيين أول دبلوماسي إسرائيلي، لشغل وظيفة في أول هيئة شرق أوسطية.

كان السياسيون الذين قدموا إلى مؤتمر عمان قلة، وغالبية المشاركين هم من رجال الأعمال، ودار الحديث حول قضية مركزية، تتمثل في تشكيل شرق أوسط جديد على الخارطة الاقتصادية العالمية، وخلق عهد من التعاون والمنافسة الاقتصادية لصالح كل سكان المنطقة. وتضمن البيان الختامي للمؤتمر، أقوالا

صريحة، حول انتهاء المقاطعة العربية، وتوجهت مجموعة من رجال الأعمال العرب مباشرة إلى مؤتمر القدس.

لقد أدى السلام مع الفلسطينيين، وانفتاح العالم تجاهنا إلى تعزيز الوضع الراهن في القدس. لقد استندت استراتيجيتنا في القدس، على خلق استقرار يصب في مصلحة الحاكم والمسيطر على المدينة في الحاضر، وتؤثر على نوعية الحل الذي سيتم إقراره في المفاوضات حول التسوية الدائمة.



١٣- أبو علاء، وزير الخارجية النرويجي هولست، ووزير الخارجية شمعون بيرس في لقاء في النرويج.

إسرائيل: سلام بأسس فلسطينية وسقف سوري

الخطأ الإسرائيلي تجسد في نزعة التمسك بفهم السلام النفسي خارج إطار الوعي

كان اسحق رابين، وشمعون بيرس، ومضيفاهما الأردنيان الملك الحسين، والأمير الحسن - أبطال المؤتمر، وقد اجتمعوا مع رؤساء حكومات ورجال أعمال، واستقبلوا بحفاوة أينما توجهوا. وهكذا، وبعد أشهر طويلة من المفاوضات، والقرارات الصعبة، والنضال ضد معارضة منفلتة، شعر رابين وبيرس بالارتياح التام. لقد أدركنا أن الطريق إلى عمان، ما كانت لتفتح على مصراعها لولا أوصلو، ولولا حل المشكلة الفلسطينية، لما تعززت مكانة إسرائيل الإقليمية، والتي ستجلب معها استثمارات دولية، وأمن إقليمي.

لقد أصبح مؤتمر كازابلانكا، وعمان، واتفاقيات أوصلو، بمثابة المفتاح للدعم طويل الأمد للاقتصاد الإسرائيلي، والأمن الإقليمي.

وهكذا، بدأ يتبلور في المنطقة، ائتلاف سلام، وتطوير اقتصادي، في مواجهة الائتلاف الأصولي المتطرف.

وفي نهاية المؤتمر في عمان، قام بيرس، والسفير الإسرائيلي في عمان - شمعون شامير. وأنا بجولة على الأقدام في العاصمة الأردنية. وقد استقبلت الجماهير - التي صادفتنا - بيرس بحرارة، وصافحته، وهو الأمر الذي لم نكن نحظى به في إسرائيل، حيث كان اليمين الإسرائيلي لا يألو جهداً، في تأليب الجماهير موهما إياها، بأنه يعمل على سد الطريق بأجساد رجاله في الخنوع الإسرائيلي الكبير.

وفي تشرين الأول، قام أعضاء منظمة (كاخ)، بإجراء المراسيم الدينية "الضرب بسياط النار - قرب منزل رئيس الحكومة اسحق رابين في القدس، والتي دعوا فيها لملائكة السماء إنزال لعناتها على رابين. لقد قام بغالبية عمليات التحريض، جماعة حركة (مأماتس) التي قادها المستوطنون ورجال الليكود.

مقدمات الاغتيال:

وفي أيلول، ظهر عضو الكنيست (تصحي هنجفي) بصورة سرية في معسيرة القدس، وصرخ قائلاً: 'رابين خائن'. وقد وصف الصحفي (ناحوم برنياع) هذا الحادث، في جريدة يديعوت احرونوت بالقول: 'تصحي هنجفي هو اليد اليمنى لنتتياهو، وكفاءاته الخاصة سيدفع بنتتياهو إما إلى رئاسة الحكومة، وإما إلى (المجاري)، وربما يجره إلى الاثنيتين معا'.

كان الشعار الأساسي الذي رفعه اليمين يتمثل في: 'أن الحكومة تعمل كطابور خامس، وأنها تعرض الدولة للخطر بخضوعها لأعداء إسرائيل قتلة اليهود'.

أعلن نتتياهو أن الحكومة الحالية خطر على إسرائيل، وبدأ (إليكهمعتسني) الاستعداد لمقاضاة الحكومة، مثلما فعل الفرنسيون مع (خائن بيتان) - رئيس حكومة فيشي، الذي حكم عليه بالإعدام، في أعقاب الحرب العالمية الثانية - . ووصف (موشيه بيجلين)، رئيس حركة 'هذه أرضنا' رابين القاتل. الذي باتت أيامه معدودة.

وفي خضم هذه الدوامة، وبينما انشغلنا نحن بالانسحاب من مدينتين أخريين - طولكرم قلقيلية - شرع (إيجال عمير) في وضع اللمسات الأخيرة على خطة اغتيال رابين.

وقالت الصحف آنذاك، أن رئيس جهاز الأمن العام، اجتمع بقيادة أحزاب المعارضة وعلى رأسهم نتتياهو، وحذرهم من الارتباط بجهات اليمين المتطرفة والمتدنية، بيد أن تلك الأحزاب رفضت تحذيراته واعتبرتها تدخلا أمنيا في الشؤون السياسية.

شعر رابين، وبيرس بالغربة التامة وسط هذه الأجواء المعادية، خصوصا، وإن اليسار امتنع عن المواجهات، وفضل، بدلا من ذلك الاحتفال بثمار السلام، بل ولجا قسم منه إلى التذمر من هذا الجانب، أو ذاك، من اتفاقيات السلام، نظرا لكونها جسدت، أو لم تجسد، أو لسرعتها أو بطئها.

إن الموقف السلبي، أنف الذكر، لليسار الإسرائيلي، هو الذي أتاح الفرصة لفوز اليمين في الانتخابات، في نهاية المطاف، تماماً في الوقت الذي كان فيه اليسار يعلن انتصاره الأيدلوجي.

أصبح الشارع ملكاً للمعارضة، وكنت أشعر بالإجباط وخيبة لأمل الكبيرة، كلما سألتني أحد معارفي: لماذا لا تبذلون جهداً أكبر في مجال العلاقات العامة، وتوضيح وجهة نظركم للجماهير؟؟ لم يعد الجدل بين الزعماء في إسرائيل بل بين الجماهير والجماهير.

عمل (جان فريدمان) - وهو مواطن فرنسي ورجل أعمال يهاجر العسيتين واحد أصدقاء (شمعون بيرس) - على إقناع بيرس، بأن يسمح له بالتعاون مع (شلومو لاهط) - رئيس بلدية تل أبيب - في تنظيم مهرجان سلام كبير لتأييد رابين والمسيرة السلمية، وللرد على العنف الذي يمارسه اليمين.

أهاب بيرس برابين، أن يوافق، بيد أن رابين أعرب عن شكه - في البداية - في إمكانية خروج الجماهير من منازلها ومشاركتها في المهرجان، لكنه وافق في النهاية على الفكرة.

مؤتمر السلام واغتيال رابين:

حال عودتهما من عمان، اكتشف رابين وبيرس، أن (فريدمان) و(لاهدط) تعاملتا مع المهمة بمنتهى الجدية، فقد غضت الصحف بالإعلانات عن مهرجان السلام المزمع عقده في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥، الساعة السابعة مساءً، في ساحة ملوك إسرائيل تحت شعار "نعم للسلام، لا للعنف".

قرأ (ايغال عمير) ما نشر حول المهرجان، وقال لشقيقه: إن فرصته ستلوح، كما يبدو، ليلة السبت - الأحد، وفي ساعات المساء من يوم الرابع من تشرين الثاني، عباً مسدسه بعبارات (فارغة)، وأعدده للإطلاق وصعد إلى الحافلة (٢٤٨) العاملة على الخط بين (هرتسليا) وشمال تل أبيب.

توجهت أنا وزوجتي وابنتي إلى ساحة ملوك إسرائيل، وكنت قلقاً، وأسأل نفسي فيما إذا كانت الجماهير ستقوم بالمهرجان؟؟ فقد كنت أدرك أن

الحضور الجماهيري هو اختبار التأييد لاتفاقيات أوسلو. ومن بعيد، شاهدنا ساحة ملوك إسرائيل تفيض بالجماهير التي ملأت كل مكان وجاءت من كل حذب وصوب، بينما رفرفت على نافذة بلدية تل أبيب يافطة كبيرة كتب عليها "نعم للسلام لا للعنف".

بدت الجماهير في حالة معنوية عالية، بيد أنها كانت تتصرف بهدوء. وشاهدت الكثيرين من معارفي، والذين اخذوا يشدون على يدي للدور الذي لعبته في المسيرة السلمية وشاهدت الابتسامات تعلو على الشفاه، وكأن تلك الجماهير جاءت على استحياء، ثم اكتشف كل واحد أن هناك الآلاف غيره، يؤيدون السلام مع الفلسطينيين.

اقتربنا من المنصة كي نصغي إلى أغاني المغنيين، ولل كلمات التي ألقاها سفيراً مصر والأردن. ثم جاء دور رابين وبيرس، والذين تحدثا من خلال إظهار تقديرهما العميق أحدهما للآخر، وبدأ كل منهما يتحدث عن الآخر كشريك في صنع السلام. وكانت كلمات رابين لا تنسى: "وانتم هناء، بحضوركم لهذا المهرجان تثبتون مع الكثيرين من أمثالكم، ممن هم غير موجودين الآن، إن الشعب يرغب حقاً في السلام ويهاض العنف. إن العنف هو بمثابة تدمير الأسس الديمقراطية الإسرائيلية، لذا يجب شجبه، وإدانتة وعزله، فالعنف ليس طريق دولة إسرائيل.

"السلام لا يأتي فقط بالصلاة، بيد أننا نصلي من أجله، وهو محط آمال وتطلعات الشعب اليهودي، الرغبة الحقة في السلام ...

"هناك أعداء للسلام يحاولون المساس بنا بغية تقويض السلام، وأنا أود أن أقول لكم دون لف أو دوران، إننا عثرنا على شريك للسلام أيضاً بين الفلسطينيين، في منظمة التحرير التي كانت عدواً، وتوقفت عن ممارسة الإرهاب. ودون شركاء للسلام، لا وجود للسلام، وسوف تطالب المنظمة بالوفاء بدورها في السلام تماماً، مثلما سنقوم نحن بدورنا في السلام، بغية إيجاد حل للعامل شديد التعقيد، والطويل، والمفعم بالأحاسيس أكثر من أي عامل آخر من عوامل النزاع العربي الإسرائيلي، وهو العامل الفلسطيني الإسرائيلي".

وفي نهاية الخطابات ظهرت المغنية (ميري الوني) على المنصة، وقدمت الميكروفون لرابين، وبيرس وقادتهما وال جماهير في غناء "أغنية السلام". وقام رابين بمعاينة بيرس بين ذراعيه، وبدا أن العلاقات العاصفة بينهما، تحولت، في نهاية المطاف لشراكة حقيقية، إذ لم يكن بمقدورهما تحمل عبء الحمل إلا معا. وانتهى المهرجان بنشيد الأمل، وبدأت الجماهير تتفرق، الساعة التاسعة.

وصل (عمير) إلى منطقة الساحة، وأزال قبعة المتدينين من فوق رأسه، لقد أراد أن يبدو كسائق لإحدى سيارات الشخصيات الإسرائيلية التي حضرت المهرجان، كان يرتدي (تي شيرت) ذا لون أزرق. وقد وقف غالبية ساعات المهرجان أسفل السلم بانتظار رابين وبيرس. وعندما وصلنا إلى تلك السلم، شاهدنا بيرس على بعد عشرة أمتار تقريبا، يتجه نحو سيارته، وفجأة سمعنا أناسا يصرخون "رابين، رابين".

شاهدته وهو ينزل الدرجات، وزوجته خلفه، ورجال الأمن يفصلون بينهما، وفجأة، سمعت صوت ثلاثة انفجارات قصيرة. صرخت ابنتي مايه: "ماهذا؟؟؟" فقلت: "اعتقد انه صوت دراجة نارية".

بدأت الجماهير تفر في كل اتجاه، صاعدا السلم، وشاهدت سيارة إسعاف تنطلق من ناحية الشمال باتجاه الشارع، وحينها، أدركت أن ما سمعته كان أصوات عيارات نارية.

أغلقت الشرطة المكان، ولم نستطيع الوصول إلى السلم، لذا، لم يبق أمامنا سوى المسارعة إلى البيت لمشاهدة الأخبار. وعندما وصلنا إلى السيارة، شاهدت الصحفي (أوري أفنيري) جالسا في سيارته، والراديو مفتوح، فقلت له سمعنا صوت عيارات نارية. وفجأة سمعنا صوت المذيع يقول: كما يبدو، انه جرى محاولة لاغتيال اسحق رابين.

وصلنا إلى البيت في حوالي الساعة الحادية عشرة، وبدأ الأصدقاء يتصلون بي، وتتراوح الشائعات لديهم إصابة رابين، إصابة طفيفة وبين أصابته إصابة خطيرة، بدأت أفتش في محطات التلفزيون، وفي حوالي الساعة الحادية

عشرة وخمس دقائق، قال مذيع راديو (SKY NEWS) أن اسحق رابين توفي متأثراً بالجراح التي أصيب بها في محاولة الاغتيال.

أدرت البث إلى التلفزيون الإسرائيلي، لعل النبأ الذي سمعته غير صحيح، فشاهدت على الشاشة صورة اسحق رابين، وقد كتب تحتها ١٩٢٢-١٩٩٥، وكان (إيتان هابر) يقرأ البيان الرسمي بشأن مقتل رابين: "تعلن حكومة إسرائيل بذهول بالغ، وبحزن عميق، عن موت رئيس الحكومة، ووزير الدفاع اسحق رابين الذي قتل الليلة بأيدي مغتال".

انفجر الأشخاص المحيطون بهابر بالبكاء، وكذلك نحن، وسمعنا صراخاً من كل مكان، وكأنه لا أحد يصدق ما سمعته أذناه.

لست ادري حتى كتابة هذه السطور فيما إذا كان (ايغال عمير) قد نجح في اغتيال المسيرة السلمية عندما اغتال رابين أم لا. بيد أن أولئك الذين انشدوا نشيد السلام على المنصة في تلك الليلة، يجلسون الآن في صفوف المعارضة، فيما يجلس أولئك الذين هتفوا "رابين خائن" على سدة الحكم.

اتصل بي (لاريسون) من غزة، حيث كان في ضيافة عرفات، وقال لي: انه سمع إيان اجتماعه مع أبو مازن نبأ اغتيال رابين، فتوجه الاثنان إلى عرفات، واعلماه بمقتل الرجل الذي لقبه بشريكي، فبكى عرفات وأنا.

عقد بيرس اجتماعاً عاجلاً للحكومة في مكتب وزارة الدفاع، حيث تم انتخابه رئيساً للحكومة خلفاً لرابين، مثلما ينص القانون.

بعد مشاورات مع الجهات الأمنية، قرر بيرس عدم دعوة عرفات لحضور الجنازة، وقد ترأس الوفد الفلسطيني أبو علاء، وبصحبه عدد من كبار الشخصيات الفلسطينية، وقد توجه إلي أبو علاء، وقال: "لقد كان قائداً حقيقياً للسلام، الخسارة تعم الشعب الفلسطيني أيضاً".

وبعد الجنازة، اجتمع الرئيس الأميركي كلينتون مع بيرس على انفراد، وقد قام السفير الإسرائيلي في واشنطن، (ايتمار رابينوفيتش) بإطلاع بيرس على فحوى القضية التي سيتحدث كلينتون معه فيها: "القضية هي سورية، سيطالب

الأميركيون بأن تفي بالوعد الذي قطعه رابين لهم. وهي قضية شديدة التعقيد. إن التزام رابين بانسحاب محتمل من هضبة الجولان كان مرتبطاً بسلسلة من الشروط التي لم يف بها الرئيس الأسد حتى اليوم". استغرق الاجتماع المنفرد بين بيرس وكلينتون ساعة ونصف الساعة، في حين جلست أنا ونديس روس خارج غرفة الرئيس، وفهمت منه، أن الولايات المتحدة معنية جداً بالتقدم على المسار السوري. وفي نهاية المقابلة، نهض كلينتون وعانق بيرس، وقال له: "لقد فقدت شريكاً يمكنك الاعتماد علي في أن أكون شريكك في كل ما يتعلق بالسلام".

وفي نفس الليلة، روى لي بيرس، ما حدث بينه وبين كلينتون، وبدأ أنه شديد الدهشة، فقد أعلمه الرئيس، أن رابين أعرب خلال حوارهم مع الأميركيين، عن موافقة مشروطة للانسحاب الكامل من هضبة الجولان، أما الشرط فيتمثل في أن يتلاءم السلام مع احتياجات إسرائيل بشأن التطبيع، وترتيبات أمنية، وتطبيق جدول زمني لذلك. وقال بيرس: إنه ملزم بموقف اسحق رابين، وسيتمسك بالمسيرة السلمية بكل قوته.

انشغل بيرس بتشكيل حكومته، وأنجز هذه المهمة بسرعة، ومثلما فعل قبله رابين واشكول وبن غوريون، قرر الاحتفاظ بمنصب وزير الدفاع إلى جانب منصب رئيس الوزراء، وعين اهود براك وزيراً للخارجية، وحاييم رمون وزيراً للداخلية. عينني بيرس منسقاً لأعمال المسيرة السلمية وقال لي: إنه يعتزم ضمي إلى حكومته بعد الانتخابات القادمة.

كان أول قرارات بيرس، اثر توليه منصب رئيس الحكومة هو توجيه أمر للجيش بمواصلة اتفاقية التسوية المرحلية، كان يجب على المسيرة السلمية أن تتواصل. وفي نهاية ١٩٩٥، وفي التواريخ التي التزمت بها إسرائيل، انسحب الجيش من طولكرم وقلقيلية ونابلس ورام الله وبيت لحم.

لقد أصبحت إعادة الانتشار ممكنة في تلك الأونة، بسبب الصدمة التي بدت بوضوح على اليمين، وعلى وجه الخصوص في أوساط اليمين المتدين، فقد حاولت بعض هذه الأحزاب، إجراء حساب نفس، وتفحص المبادئ والقيم الوطنية

والدينية التي استخدموها في تثقيف الجيل الشاب. وقد قال (زبولون اورلوف) سكرتير عام المجدال: "الحقيقة هي أن أعضاء اليمين المتطرف هم من معتمري القبعات الدينية وخريجي مؤسسات التعليم الديني. إن معارضتنا للتصريحات التي اندلعت من المعسكر الديني القومي لم تكن قوية بما فيه الكفاية".

لقد فشل اليسار الإسرائيلي في تلك الأونة في توحيد صفوفه مع الجهات السياسية الدينية التي بدا أنها تعيد حساب النفس، وتشعر بتأنيب الضمير، حتى لو كان ذلك التأنيب مؤقتاً.

كانت إسرائيل تشرب دماً في تلك الأونة بسبب الرصاصات التي أطلقها (ايغال عمير)، بيد أن أفكار رايبين وزملائه اتخذت طريقها إلى التنفيذ واحدة تلو الأخرى: إعادة الانسحاب، الانتخابات الفلسطينية، محاربة الإرهاب، المفاوضات مع السوريين، مفاوضات مع الفلسطينيين حول التسوية الدائمة، الآمال في شرق أوسط جديد، ومحاربة الأصولية والإرهاب.

الفصل التاسع

شرق أوسط قديم-جديد

لم يكن لمقتل رابين بيد يهودي متعصب يعمل بوحى التحريض الأصولي اليهودي - في البداية - أي تأثير على المسيرة السلمية، بيد أن الصدمة التي خلفها مقتل رابين، لم يسهم في جعل إصرار الأصوليين العرب محاربة (التهديد) المتزايد للسلام يضعف.

وسرعان ما اتضح أن المتطرفين من الجانبين - لا زالا ملتزمين بتتمة الخوف بغية تعزيز أسوار الكراهية والبغضاء والشكوك القادرة على حماية مجتمعهم من التعاون مع "الاعداء الأبديين".

وبعد شهر من توزيع صور اسحق رابين في إحدى مظاهرات القدس، وهو يرتدي ملابس نازي، دعت حركة حماس -في بيان لها- الفلسطينيين للإعراب عن سرورهم بمقتله.

عكف صانعو القرارات الأصوليون المسلمون في قياداتهم في طهران - على تصدير العنف، مستعينين بحلفاتهم المتعصبين في الشرق الأوسط المتمثلين في حماس والجihad الإسلامي، وحزب الله اللبناني.

وفي مطلع عام ١٩٩٦، وزعت أوامر على هذه الجهات للشروع بجولة جديدة من العمليات بغية قتل أكبر عدد من الإسرائيليين، وبالتالي تدمير السلام الذي لا زال في مهده، مظهرة هذا السلام في صورة "الخنوع المخزي".

اعتقد هؤلاء الأشخاص أن مقتل عدد كبير من الإسرائيليين، سيسهم في دق إسفين بين إسرائيل والفلسطينيين والسوريين، وسيضعف، بل ربما يهدم الحكومة التي احتلت القدس.

ووجهت أوامر علنية وصريحة، إلى مقاتلي حزب الله للعمل على خلق حالة فوضى تامة، ومن الجدير بالذكر أن معسكرات حزب الله في لبنان كانت

مركزاً لتدريب اللبنانيين والفلسطينيين، مع محاولة غرس العقيدة الإسلامية فيهم، وملء نفوسهم بأيدولوجية الحرب المقدسة، والثواب الذي سيحصلون إذا ما ضحوا بأنفسهم، واستشهدوا في سبيلها.

السلام مع سورية - الصيغة الشاملة:

عكفنا في تلك الآونة - ومن خلال إدراكنا للأخطار المحدقة بنا - على التخطيط لإمكانية إحداث انفراج جديد يعزز المسيرة السلمية واخذ بيرس يتوجه نحو تجسيد استراتيجية السلام الإقليمي. لقد كان هذا الاتجاه دون أدنى شك، أحد أهم الأسلحة ضد الأصوليين والمتطرفين.

وفي غضون شهرين تشرين الثاني وكانون الأول، نسق بيرس مع الأميركيين استراتيجية سلام شاملة، تنص على العمل من أجل إحراز سلام مع سورية، في غضون أقل من عام. لقد كان السلام مع سورية بمثابة الحلقة المركزية في سلسلة السلام الشامل، والتي ستقضي، في نهاية المطاف، إلى إيصال النزاع العربي الإسرائيلي إلى نهايته.

تحدثت خطة السلام مع الفلسطينيين على التمسك التام بالتجسيد التدريجي والدقيق للتسوية المرحلية، بادئ ذي بدء، عبر نقل الصلاحيات بسهولة إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية، ثم إجراء الانتخابات الفلسطينية الحرة الأولى. وكان على الطرفين، في أعقاب ذلك، الشروع بالتفاوض حول التسوية الدائمة، ومعالجة القضايا العويصة الباقية: القدس، المستوطنات، اللاجئين الفلسطينيون، والحدود النهائية. وكان يفترض أن تبدأ هذه المحادثات في الرابع من أيار ١٩٩٦، وتنتهي في موعد لا يتجاوز الرابع من أيار ١٩٩٩.

تسلمت في منتصف شهر كانون الأول مهام عملي رئيساً لطاقم المفاوضات مع سورية بدلاً من السفير الإسرائيلي في واشنطن، (إيتمار رايبوفيتش). وعندما درست المعطيات المتوفرة، وجدت أن من الضروري تغيير التصورات ووجهات النظر التي كانت لدي. لقد غرقت طيلة سنتين ونيف في حوار مكثف ومعتد مع ممثلي منظمة التحرير، وكان عليّ الآن، أن أبدأ التفاوض

مع ممثلي دولة سيادية، وان اجتمع مع أناس ذوي خلفية سياسية ونمط تفكير مختلف جدا عن الفلسطينيين.

في الرابع عشر من كانون الأول ١٩٩٥ قام وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر، بزيارة المنطقة لوضع الأساس للمباحثات القائمة على توجهات بيرس أنفة الذكر. وقد استقبل في دمشق بالترحاب وكان يحمل معه رسالة خطية وضعت في مغلف خاص من مغلفات مكتب رئيس الحكومة، يتصدرها رمز الدولة- من بيرس، يعرب فيها عن اهتمام إسرائيل بدفع المفاوضات مع سورية إلى الأمام بالطريقة التي يراها الأسد- سرا أو علنا، وعلى مستوى موظفين حكوميين، أو مستوى الزعماء. لقد كان بيرس معنيا بخلق مناخ إيجابي، يؤدي إلى تسريع المسيرة السلمية بيد أنه أصر على أمر واحد، وهو طرح جميع المشاكل القائمة بين الطرفين للنقاش في آن واحد.

وقد رد الأسد على الرسالة شفويا، بصورة إيجابية. وبناء على ذلك أصبح بمقدور كريستوفر لدى عودته إلى إسرائيل الإعلان عن استئناف المفاوضات بصورة (تعلل) ثلاثة وفود: إسرائيلية وسورية وأميركية في أحد المواقع القريبة من واشنطن.

كان من المفروض أن نبدأ المفاوضات بناء على المحادثات السابقة التي كان يوجهها اسحق رابين، ويشرف عليها السفير (رايبنوفيتش). وفي مناسبتين أجرى رئيس أركاننا -هود بارك أولا، ثم امنون روبنشتاين، فيما بعد - محادثات مع رئيس الأركان السوري (حكمت الشهابي).

اشتملت اتفاقية السلام التي بناها الأميركيون تأسيسا على الاتصالات مع إسرائيل وسورية على: علاقات دبلوماسية، وتجارية، وسياحية، وترتيبات أمنية متبادلة، لكن ليس تساوفا على الصعيد الجغرافي في مناطق متفق عليها بين الطرفين، انسحاب إسرائيل كامل من هضبة الجولان، وجدول زمني تدريجي لتجسيد الأسس المختلفة في اتفاقية السلام من خلال الاتصالات والتبادل بينهما.

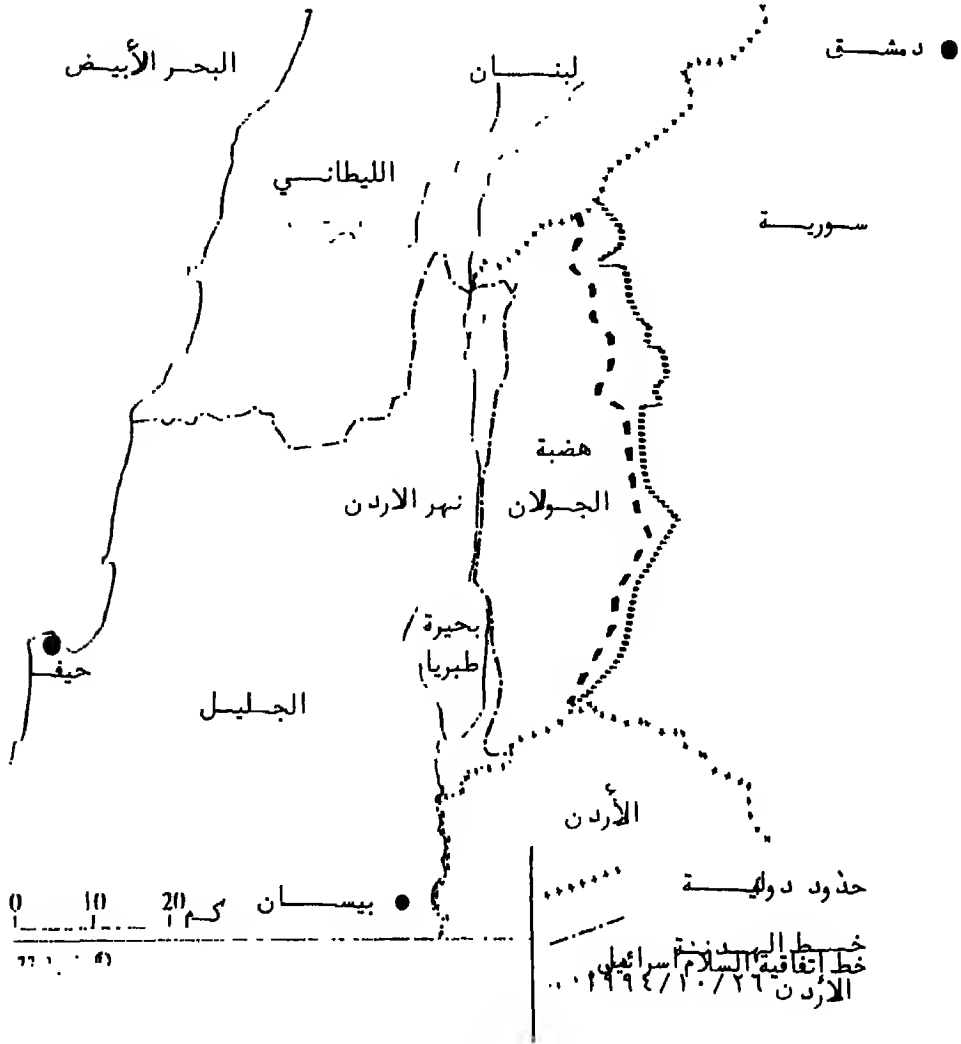
ورغم ذلك لم يكن هناك اتفاق حول أي من الموضوعات آنفة الذكر. وكل ما في الامر، هو أن الطرفين وافقا على أن هناك علاقة تبادلية بين العوامل الأربعة الأساسية: الانسحاب، والتطبيع، والترتيبات الأمنية، والجدول الزمني. أما فيما يتعلق بقضية الحدود، فقد طالب السوريون بأن يتم ترسيم الحدود الذي كان معمولا به في الرابع من حزيران ١٩٦٧. وفي أعقاب المحادثات التي أجراها كريستوفر مع رابين، في أيار ١٩٩٤، اعلم السوريين "شفهيا أن الولايات المتحدة تفهم أن إسرائيل على استعداد لتنفيذ "انسحاب كامل"، شريطة أن تستجيب سورية لجميع احتياجاتها، وهذا يعني العودة إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ ومن الجدير بالذكر، أنه لا وجود على الصعيد الرسمي لخط من هذا القبيل - بمفهوم حدود سارية المفعول - وإن الامر يتعلق بمجموعة معقدة من الخطوط التي نجمت عن التوسع السوري في أقسام مختلفة من الأراضي الإسرائيلية، قبل حرب عام ١٩٦٧.

وبناء على أقوال كريستوفر وروس، فإن الشيء الذي كان السوريون يريدونه، خارج إطار الحدود الدولية - والتي تمر على بعد عدة أمتار شرقي خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ - كانت بلدة (الحمة). لقد جرت جميع تلك الاتصالات حول "الصفقة الشاملة" شفهيا، ولم تكن هناك أي تعهدات إسرائيلية مباشرة تجاه سورية حول عمق الانسحاب من المنطقة التي احتلتها عام ١٩٦٧. بل إن السوريين لم يقبلوا في أي يوم من الأيام المطالب التي طرحها رابين، بشأن مجموعة العوامل الأخرى لاتفاقية السلام، وعلى وجه الخصوص الترتيبات الأمنية، التي كانت تعتبر بمثابة شرط لاستعداده للانسحاب من الهضبة.

وهكذا، اتضح من مجمل ما أوردته أن علينا أن نبدأ المحادثات من نقطة ضبابية.

وكان من مهمتنا إدخال سورية في توجه جديد لسلام ثنائي، يفضي بناء، مثلما كان بيرس يعتقد، إلى منظومة إقليمية من التعاون والتطوير الاقتصادي. كنا نسعى لأن تكون بنية هذا السلام ذات أسس فلسطينية، وسقف سوري، وجدران

قادرة على الانغلاق على اقتصاد إقليمي جديد. وكان يقترح أن تعمل الطرق والطاقة والتزود بالمياه، والتجارة والسياحة على الوصل بين دول الشرق الأوسط الجديد. ومن المتوقع أن يؤدي الازدهار الاقتصادي لهذه الدول في المستقبل إلى تقليص رغبتها ونزعتها للنزاع.



وفي إطار محاولتنا استيضاح هذا المفهوم مع السوريين، توجه وفدنا في السابع والعشرين من كانون الأول ١٩٦٥، إلى بيت الضيافة في (واي بلنتيشن) في الولايات المتحدة.

كانت غرف نوم وفدنا تقع في أحد الأجنحة في الطابق الأرضي، في حين نزل السوريون في طابق آخر، وصل الأميريكيون بيننا. وكنت، أنا و(ايتمار راينوفيتش) نقوم يوميا بإطلاع بيرس وبراك وشاحك على التطورات خلال الحوار.

وحال وصولنا اجتمعت برئيس الوفد السوري السفير وليد معلم، والذي ظهر لي كمفاوض محنك ومتشدد، داعية سلام، يحاول تجسير الهوة القائمة بين عالمين شديدي الاختلاف، في واشنطن ودمشق.

لقد أكمل دراسته في سورية، وخدم في الجيش، واعد رسالة الدكتوراه حول التاريخ السوري، ثم التحق بوزارة الخارجية، ثم عين سفيرا لبلاده في واشنطن، واعتبر مسئولاً عن المحادثات بوصفه كاتماً لأسرار الرئيس السوري.

وبوصفه مفاوضاً محنكاً، فقد كان يدرك تماماً، ما الذي تريده دمشق منه، بيد أنه كان أيضاً واقعياً، ويجيد تفهم مواقف الطرف الآخر. لقد أضفى ملام على وفد بلاده كفاءة خلقة إلى حد كبير جداً. وقد تمكنت، أنا وهو، من خلق لغة مشتركة، ودرجة معينة من الثقة المتبادلة.

أما العضوان الآخران في الوفد السوري للجولة الأولى، فكانا ميخائيل وهبه مدير مكتب وزير الخارجية السوري، والمستشار القضائي رائد داودي. وفي الجولات التالية شارك في المفاوضات جنرالان هما، إبراهيم عمر، رئيس المخابرات السورية، وحسن خليل، نائب رئيس الأمن الداخلي.

قاد معلم وفد بلاده بيد قوية، وكان في حقيقة الامر الناطق الوحيد باسمه، ورغم أن زملاء كانوا مؤدبين وخلقين إلا أنهم لم يشذوا مرة واحدة، عن الخط الرسمي. رغم أنهم كانوا يبدون انفتاحاً أكبر، في المحادثات الخاصة، ويحاولون إقناعنا بتطلعاتهم وتطلعات أبناء شعبهم الصادقة إلى السلام.

بدا الجنرالان السوريان متشددين جدا خلال المفاوضات الرسمية، رغم أنهما كانا يبديان ليونة أكثر في الحوارات الخاصة مع نظيرهما الإسرائيليين، دون أن ينحرفا عن جديتهما وحرص على التحدث فقط باللغة العربية شارك في المحادثات المترجم المعروف للوفد الأميركي، جميل حلال.

أما وفدنا، فقد ضم (رابينوفيتش) و(زينجر) وأنا، ثم انضم إلينا الجنرالات داني يتوم، و(عوزي ديان)، و(شاؤول موفاز).

وضم الوفد الأميركي (دنييس روس)، و(مارك بريس) من البيت الأبيض، (هارون ميلر)، و(توني فرستبرج)، وفيما بعد انضم (الجنرال كريستمان).

استغرقت المحادثات في (واي بلنتيشن) عشرة أسابيع، في ثلاثة جولات. وخلال الفترات الفاصلة بين الجولات، أجريت عشرات اللقاءات بين روس و(معلم) وأنا، فيما يمكن تسميته بالمسار اللارسمي من وراء الكواليس، بموافقة بريس والأسد.

لقد كانت اللهجة والجوهر في هذه المحادثات يختلفان اختلافا بينا عما ألفناه في المحادثات مع الفلسطينيين. كان السوريون يمثلون دولة سيادية فخورة، ترى في نفسها زعيما إقليميا. وبدا لأول وهلة، أن أعضاء الوفد هم رسل نظام مغلق على نفسه، يتولى شخص واحد فقط، إملاء مبادئه وقيمه، لقد أحاطت سورية نفسها بسور من الشكوكية، بيد أن رئيس هذه الدولة وممثليه كانوا يدركون أن العالم خارج هذا السور أخذ في التغير بصورة ستؤثر عليهم حتما.

وسرعان ما بدا لنا بوضوح أن السوريين يرغبون في الانطلاق خارج السور، وفي نفس الوقت إيقاؤه كاملا وسليما. فقد أرادوا مساعدات أميركية، بيد أنهم رغبوا في منع أي تغلغل أميركي في بلادهم. وادادوا إقامة سلام مع إسرائيل لكنهم خشوا قوتها الاقتصادية. أي أن الحل الذي كانوا يرتأونه، تمثل في مساعدات بلا تأثير، و سلام دون علاقات.

كانت المفاوضات - من وجهة نظرنا - اصعب بكثير من المفاوضات مع الفلسطينيين، نظرا لانه كان يتوجب علينا أن نتأقلم مع نمط تفكير يختلف اختلافا بينا مع نمط تفكيرنا. ورغم ذلك كانت المفاوضات على المستوى الحسي، اسهل من المفاوضات مع الفلسطينيين. فلم يكن يتقّل علينا الإحساس بالاشتغال بقضايا تتعلق بالوجود والتعايش في نفس البقعة من الأرض، أي أننا كنا نرى بقاء الوضع دون تسوية، ممكنا أكثر مما هو عليه مع الفلسطينيين.

لقد تحولت المفاوضات مع الفلسطينيين بمضي الزمن إلى رقص، حاول كل طرف أن يتفوق فيه على الآخر، وسرعان ما اكتشف انه مرتبط بالطرف الآخر، في حين بدت المفاوضات مع السوريين وكأنها لعبة شطرنج معقدة، يجب على اللاعبين أن ينهوها بتبادل مرض للطرفين. وكان على أن أتقّل بين الرقص الفلسطيني والشطرنج السوري دون توقف.

لقد حسب الرئيس الأسد خطواته بحذر بالغ ودقة، على أمل أن نحرك، نحن أحد أحجارنا في اتجاه ما، قبل أن يعطينا هو إلماحة حول الاتجاه الذي سيحرك فيه حجارته.

لقد بنيت فهمي لهذا الرجل، من خلال أحاديثي مع أعضاء الوفد السوري، لقد خشي الأسد من أن يؤدي السلام والتغييرات التي سيحملها معه، إلى وضع تحديات أمام نظامه العلوي - الذي يستند إلى طبقة سورية لا تتعدى ١٢% من مجموع الجماهير السورية- وفي نفس الوقت، كان يدرك، كما يبدو، انه لن يستطيع الامتناع عن إدخال تغييرات معينة، في نظامه المنغلق، في أعقاب إحلال السلام مع إسرائيل، وتحسين علاقات بلاده مع الولايات المتحدة، كانت تلك هي بسبب الأزمة السورية. كان الأسد يرغب في إحلال السلام، وفي نفس الوقت يخشاه، لذا اتخذ خطواته بحذر وببطء.

عمدت قبل المشاركة في المحادثات إلى قراءة عشرات الخطابات والمقابلات التي أجراها الأسد، وخلصت إلى استنتاج مفاده، أن انعدام المرونة السورية، يتطلب منا أن نتحدث مع السوريين باللغة (السورية) فإذا كنا نرغب في

توضيح مصالحناء، كان علينا أن نجيد (لفتهم) التي تقدر المصالح والكرامة الوطنية.

هذا في نفس الوقت، الذي كنا نحن أيضا نحمل بعض المساوئ الجديدة كشركاء في المفاوضات مع سورية. فرغم أننا طورنا توجهات واقعية ومتداخلة للمحادثات، إلا أننا نزعنا نحو التمسك بفهم السلام، كتعبير نفسي خارج إطار الوعي للمودة -تقريباً- تجاهنا، وليس كمنظومة مصالح متبادلة وقائمة. سألت أعضاء الوفد الإسرائيلي: "بعد كل هذه السنوات من العداء، هل نرغب حقاً في تطوير علاقات حميمة مع دمشق؟؟ ما الذي يجب أن نفعله إذا كان السوريون لا يرغبون في إقامة علاقات حميمة مع أي جهة؟؟"

ومن الجدير بالذكر، إننا نواجه خلال المفاوضات مع جيراننا العرب، دائماً، خطر أن تدفعنا رغبتنا في القبول لطرح مطالب مبتدلة نحقق خلالها إنجازات رمزية، بدلا من التركيز بصورة منطقية على مصالحنا الاستراتيجية بعيدة المدى. فعندما تصل الأمور إلى التفاوض حول تطبيع العلاقات، فإننا نتجه نحو المبالغة في المطالبة بالسيناريو النموذجي جدا للعلاقات الحميمة. وعندما تطرح القضية الأمنية، فإننا نتجه نحو الاهتمام بجميع التطورات لأخطر السيناريوهات المحتملة. ونحن نولي قضايانا واحتياجاتنا الأمنية اهتماما وثقلا كبيرين جدا، على الرغم من أن المسيرة السلمية هي بطبيعتها مسألة سياسية.

إننا نميل إلى الاستعداد لإحلال أفضل سلام مع الدفاع عن أنفسنا ضد أخطار أسوأ الحروب -ولا شك أن هذا المزيج يضم في أعطافه أبعادا متناقضة فيما يتعلق بطبيعة الاتفاقية المرغوب فيها- وذلك بدلا من أن نفتش عن حل وسط واقعي لخلق وتطوير المصالح المشتركة.

كان السوريون يعانون من وضع مماثل تماما، فقد اعتبروا السلام شيئا أقل من الحرب تقريبا، لذا عندما وصلت الأمور إلى حد تطبيع العلاقات، عرضوا علينا اقتراحات هامشية جدا. وعندما ناقشنا الأوضاع الأمنية، تحدثوا بلغة وعناوين متفائلة، بقولهم أن السلام يلغي جميع احتمالات الحرب. وهكذا،

كان عليهم هم أيضا، التحرك باتجاه حل وسط واقعي، يمكننا من خلق مزيج لمصالحنا معا. ورغم ذلك استهل (معلم) الحوار بالقول: إن هناك ضرورة لضمان انسحابنا من كل هضبة الجولان أولا. وقال: "يجب أن نضمن إقلاع مسيرتنا كالطائرة". فقلت: "ما الذي تقصده؟؟"

- معلم : "يجب أن نعلم انه سيتم الاعتراف بحقوقنا على أرضنا بكاملها".
- أنا : "وعلينا أن نعرف أين ستهبط الطائرة؟؟ وما الذي ستكون عليه صورة السلام بيننا، ودون أن نعرف المطار الذي ستهبط فيه الطائرة، لا أجد أي جدوى في التحدث عن إقلاعها.

- معلم: "يجب علينا أن نتحرك من جزيرة الحاضر إلى جزيرة المستقبل، وإن نحدد ، خلال التحرك، الاثنيتين".

لقد تمكنا خلال الحوار، ومرار الزمن، من الاتفاق المجازي على التفسير بين الماضي والمستقبل. وكان الجهد المشترك لبناء هذا الجسر بكامل أجزائه، هو الذي سيدفع بسورية وإسرائيل من دوامة الحرب إلى واحدة السلام في صورة مراحل متفق عليها.

لقد أتاح هذا الفهم، والطبيعة الخلاقة والمفتوحة جدا للمحادثات، الفرصة لنا لتحديد مصالح مشتركة والتقدم إلى الأمام على صعيد عدة قضايا جوهرية خلال الشهرين ونصف الشهر من لقاءاتنا في (واي بلنتيشن).

حدود السلام الإسرائيلية مع سورية

الأسد تهرب من قمة سورية-إسرائيلية فقرر بيرس إجراء انتخابات مبكرة

اتفاقيات مبدئية على قضايا جوهرية:

طابع السلام:

توصلنا خلال نقاشاتنا حول تطبيع العلاقات إلى وجهة نظر براغماتية توطئة لبناء علاقاتنا المستقبلية. اتفقنا أن لا نحشو أراشيفنا القضائية بعشرات الاتفاقيات حول التعاون، والتي لا تثير اهتمام أي مناء، بل أن نكرس جهودنا حول الخطوات العملية التي تخدم مصالحنا المشتركة، وبشق طريق بين الدولتين، وليس بصياغة اتفاقية مواصلات كاملة.

وحددنا مجموعة من مجالات التطبيع، والتي صغناها في ثلاث منظومات رئيسية: سفارات، سياحة، وتجارة، بما فيها إنهاء المقاطعة واقامة اتصالات هاتفية وفاكس وبريد، وصلات قطارات، وعلاقات تجارية بحرية وما شابه ذلك.

العلاقات الاقتصادية:

اعتقدنا أن بناء السلام بعيد الأمد يتطلب منا العمل على الربط بين التطبيع والعلاقات الاقتصادية. بيد أن السوريين لم يكونوا معنيين بإقامة علاقات ثنائية مع إسرائيل خشية أن يسيطر الاقتصاد الإسرائيلي القوي جدا على نظيره السوري. لذا كان يتوجب علينا بناء جسر بين المصالح السورية في العلاقات مع الغرب وبين المصالح الإسرائيلية في العلاقات مع سورية ولبنان، كاسلوب لتعزيز وتعضيد السلام. سعينا نحو تطوير اقتصاد شرق أوسطي يرتبط أحده بالآخر دون التأثير على الطابع الأيديولوجي لكل اقتصاد منها- ويرتبط بالعالم كله، وبالاستقرار. ولم يكن هناك ما هو أكثر من ذلك ضمانا للسلام. ولا أقوى تأثيرا على الأصولية.

ولهذا السبب، عمدنا إلى برامج اقتصادية لمعالجة قضية إلغاء الديون السورية للدول الاقتصادية العظمى - بلغ حجم الديون السورية سبعة مليارات دولار وتطوير الاقتصاد السوري بوتيرة سريعة، وخلق صلات اقتصادية بينها وبين إسرائيل - بصورة خاصة عبر بناء بنى تحتية في مجال الطاقة والمياه والطرق - خلق علاقات اقتصادية متعددة الأطراف مع دول أخرى في المنطقة، وتطوير هضبة الجولان، باستخدام استثمارات اجنبية دولية، وعلى وجه الخصوص في المجال السياحي.

وكانت الدول المرشحة للمشاركة في هذه المبادرة: الولايات المتحدة والدول الأوروبية، واليابان، إضافة إلى السعودية.

بدا أن السوريين شديداً الاهتمام بإشراك الأميركيين في الحوارات الثنائية حول الصفقات الاقتصادية الشاملة. بيد أن الولايات المتحدة لم تكن على استعداد لمثل هذه المشاركة، خشية معارضة الكونغرس.

قام طاقمنا الاقتصادي المؤلف من مدير عام وزارة المالية ديفيد برودت، ويوسي فردي، وعوديد عيران، وأنا - بإجراء محادثات موسعة حول صفقة اقتصادية شاملة مع دنيس روس وطاقمه. كما أجرينا مشاورات غير رسمية مع محافظ البنك الدولي - جيمس ولفسون، ومع نائب رئيس صندوق النقد الدولي ستانلي فيشر.

كان السوريون مهتمين بصورة أساسية، بمساعدات اقتصادية أميركية - على غرار النمط المصري - بيد أنهم أدركوا ضرورة تجنيد الجهود الخاصة على هذا الصعيد. وقد اقترحنا تشكيل شبكة غير رسمية من الأشخاص، من القطاع الخاص في الولايات المتحدة، وإسرائيل والسعودية وسورية - ومجموعات من الاتحاد الأوروبي واليابان على أن تتضمن في موعد لاحق - كي تطور - بالاستعانة بالمجموعة الأميركية - برامج لمشروعات محتملة لعهد السلام. وقد طلب الأميركيين من (لستر بولك) من شركة (الأخوة ليزر) - وهو

رجل أعمال لامع ومحكك- ترؤس المجموعة الأميركية، كما وافق السعوديون- عبر سفيرهم النشط في الولايات المتحدة الأمير بندر-على التعاون. لقد كان اللقاء الذي عقده وزير الخارجية الأميركية كريستوفر مع رؤساء خمس شركات أميركية كبيرة في الثالث والعشرين من شباط في مبنى وزارة الخارجية الأميركية، بمثابة الخطوة الأولى على صعيد بناء هذه الشبكة الجديدة والواعدة. وافق الرئيس الأسد على تشكيل مجموعة الأعمال آفة الذكر في إطار بنية غير رسمية، بل وأشار إلى جهات في القطاع السوري الخاص، ممن كان بمقدورهم التعاون في هذا الجهد.

*** **

السلام الشامل:

ربما تمثل الجانب الواعد في المحادثات مع السوريين في (واي بلنتيشن) في مجرد قدرتنا على التوصل إلى تفاهم مع السوريين، يفيد بأن إبرام السلام الثنائي بين إسرائيل وسورية- وإسرائيل ولبنان، سيفضي إلى وضع حد للنزاع الإسرائيلي العربي، وسيكون بمثابة بادئة للسلام الإقليمي.

وفي إطار الجهود الرامية إلى إنجاز هذا الهدف، كان الطرفان على استعداد للاستعانة بالولايات المتحدة، ومساعدتها في ضمان أن تتبنى الدول العربية اتفاقية السلام الإسرائيلية السورية. وأن تقوم هذه الدول بتطبيع علاقاتها مع إسرائيل.

لقد حصلت -أنا شخصيا- على تأكيد بأن هذا هو الموقف السعودي، وقد بعث السعوديون رسالة إلى بيرس، أشاروا فيها إلى أنه إذا ما تم إنجاز سلام إسرائيلي سوري، فإنهم سيقومون بعلاقات دبلوماسية مع إسرائيل- رغم أنهم لم يحددوا مستوى هذه العلاقة.

لقد قال لنا السوريون المرة تلو الأخرى: "لقد توصلتم إلى سلام مع المصريين والأردنيين، والفلسطينيين، ورغم ذلك بقيتم في حالة نزاع مع العالم العربي، لكن عندما تصنعون السلام مع سورية، وعندما يقول الرئيس الأسد

لأعضاء الجامعة العربية، أنه سيسمح لإسرائيل بفتح سفارة لها في دمشق، حينها فقط سيتحرك العالم العربي بكامله أيضا، في هذا الاتجاه.

لم تكن رؤيتنا للشرق الأوسط الجديد" وعلى وجه الخصوص للجانب الاقتصادي منه مشابهة للرؤية السورية.

لقد تمكنا من التعرف على التطلعات والتنبؤات السورية للمستقبل، خلال جلسات يوم الخميس، والتي كانت تجري دائما بإشراف وزير الخارجية الأميركي كريستوفر، وتخصص لمناقشة مستقبل المنطقة، فقد تتبنا معلم، خلال هذه الجلسات، بأن إحلال السلام بين سورية وإسرائيل سيدفع بطهران إلى الكف عن معارضتها للمسيرات السياسية الدائرة في المنطقة. وألمح إلى التحسن المرتقب في العلاقات بين سورية وتركيا. بيد أن أهم جانب من جوانب التحليل تبدى في مدى تأثير السلام على العلاقات الأساسية القائمة في المنطقة.

وبناء على التحليلات التي كان معلم يقدمها، اعتقدنا أن بالإمكان أن تتحدد التطلعات الإقليمية السورية والإسرائيلية حينما يحين الوقت بالاعتماد على الاهتمام المشترك بالاستقرار وإقامة علاقات جيدة مع الولايات المتحدة.

وإذا كان السلام مع الفلسطينيين ذا أسس تتعلق بالقيمة بصورة أساسية، فإن السلام مع سورية يجب أن يبنى على أسس استراتيجية إقليمية.

الترتيبات الأمنية:

كان التفاهم حول الترتيبات الأمنية أصعب جانب في المفاوضات. وكنا نعتقد أن إسرائيل لا تستطيع الانسحاب من هضبة الجولان دون ضمان عدم استغلال سورية للميزة الاستراتيجية الناجمة عن انسحابنا من الهضبة لشن هجوم مفاجئ علينا. ووفقا لذلك قام الجيش بإعداد سلسلة من المطالب المفصلة، والتي يأتي تنفيذها كضمانة لأمن إسرائيل، وتضمنت هذه الخطوات: وضع قيود على انتشار القوات السورية، ترتيبات وإجراءات لمتابعة عمليات الانتشار، التنسيق بين الجيشين، شبكات إنذار مبكر، وإمكانية تواجد طرف ثالث في هضبة الجولان.

كان السوريون معنيين بترتيبات أمنية هامشية، ورمزية، وبدور أميركي موسع لضمان هذه الترتيبات، وعارضوا بمنتهى الشدة وجود محطات إنذار إسرائيلية مبكرة في جبل الشيخ.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض التضارب في آرائنا بهذا الصدد، نجم عن التعارض القائم في نظريتنا. كانت نظريتنا تنص على أن السلام سيصبح مضمونا، إلى حد كبير، بالاعتماد على الترتيبات الأمنية. في حين نصت النظرية السورية على أن السلام سيضمن الأمن. لقد اتسمت النقاشات حول الترتيبات الأمنية بمشاركة جنرالات- من الجانبين- بأنها طويلة وغير مثمرة.

كانت جذور المشكلة تكمن في رفض السوريين لمبدأ المراقبة في كل ما يتعلق بحجم الجيش السوري وإعادة نشره في عهد السلام. لقد كان مطلبنا لمعرفة كيفية انتشار الجيش السوري تجاه إسرائيل، في أعقاب إنجاز السلام، بمثابة انتهاك لقدس الأقداس بالنسبة للسوريين، وكانوا يردون علينا قائلين: الرئيس الأسد وحده هو الذي يعرف كيف يمكن نشر الجيش السوري آنذاك. كانت هذه النقطة هي أشد العقبات التي تقف على طريق السلام.

طرحنا مشكلة الإرهاب في لبنان، في إطار مناقشة الأوضاع والترتيبات الأمنية، وتقديم سورية الحماية للمنظمات الفلسطينية الإرهابية المعارضة لعرفات، وقد قال السوريون، أن جميع هذه الأعمال ستتوقف حال إحلال السلام. ووصفوا العمليات في لبنان كنضال مقاتلي حرية، لقد اعتبروا "العنف" بمثابة ورقة مساومة يجب الاحتفاظ بها حتى نهاية المفاوضات، أضف إلى ذلك، أنهم كانوا يعتزمون تطوير العلاقات القائمة بينهم وبين حلفائهم من معارضي السلام، وخصوصا بينهم وبين إيران كشركاء استراتيجيين بديلين لاحتفالية عدم نجاح المسيرة السلمية مع إسرائيل.

لقد ارتكب السوريون خطأ جسيما بإصرارهم على التمسك بهذه الاستراتيجية نظرا لأن مصلحة المنظمات الإرهابية الموالية لإيران، كانت تقتضي تقويض السلام. واعتقد أننا أيضا أخطأنا لأننا لم نطلب من سورية، في

صورة إنذار، أن ترغم رجال حزب الله، على وضع حد لجميع نشاطاتهم خلال فترة المفاوضات. لقد اعتبرنا السلام الشامل بمثابة الحل الناجع لجميع المشاكل السياسية والأمنية.

عمق الانسحاب من هضبة الجولان:

لم تطرح قضية الانسحاب من هضبة الجولان، وعندما كان السوريون يتطرقون إلى هذه القضية قائلين أن من الواضح لهم أن إسرائيل ستانسحب حتى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧، كنا نرد عليهم قائلين: أن الوقت لم يحن بعد، لمناقشة هذه القضية، وأنا نعلم، أن رابين تعهد شفها بشأن الانسحاب، بيد أن هذا التعهد كان مشروطاً.

اتفقنا، أنا و(معلم)، على الصعيد الفني، أن يتم طرح قضية ترسيم الحدود المستقبلية أمام مجموعات عمل' سيتم تشكيلها حينما يجري تشكيل مجموعات العمل في المستقبل في إطار اللجنة الأمنية.

كان واضحاً أن سورية لن توافق على سلام حقيقي مع إسرائيل، إلا إذا تم تطبيق (السابقة المصرية) في المجال الإقليمي، وقد عمد السوريون أكثر من مرة، إبان مقارنتهم للسلام الإسرائيلي مع سورية ومصر، إلى القول: أن السلام مع سورية أكثر جدوى لإسرائيل، ومجد أيضاً لسورية.

وهكذا، تمثلت مهمتنا في تحديد الماهية الدقيقة والمحتملة للسلام والأمن في ظل جميع المفاهيم، بحيث يتم تعويضنا لتخلينا عن هذه المناطق المهمة استراتيجياً لأمنا الوطني، والمقارنة بين الربح الذي سنحرزه مقارنة بالجمود المتواصل في العلاقات مع سورية وانعكاساته.

لقد أدركنا أن "حدود السلام" النهائية ستصبح قابلة للترسيم، فقط، عندما نتأكد من أن علاقاتنا ستحول هضبة الجولان، من هضبة استراتيجية حيوية، إلى مجرد هضبة صخرية كباقي الهضاب العادية.

المياه:

يتدفق ثلثا مياه بحيرة طبريا التي تعتبر بمثابة احتياط المياه الوطني الإسرائيلي - من هضبة الجولان وجنوب لبنان، أو تتبع منها. لذا أوضحنا للسوريين، أنه إذا لم يتم التوصل إلى حل مرض لمشكلة المياه، فإننا لا نستطيع التوصل إلى اتفاق سلام. وقد توصلنا إلى تفاهم حول ضرورة ضمان تزويد الطرفين بالمياه على الصعيدين الكمي والنوعي. وكان ذلك يعني، بالنسبة لإسرائيل، استمرار تدفق المياه عبر نظام يتم الاتفاق عليه بين الطرفين. أما بالنسبة لسورية، فكان ذلك يعني العثور على أسلوب لسد احتياجاتها المائية في تسوية ما مع تركيا، تجري بلورتها تحت رعاية الولايات المتحدة. وقد قال (معلم)، خلال النقاشات أن تركيا ستكون شريكا في السلام الإقليمي الشامل.

ومن الجدير بالذكر، أن غالبية النقاشات حول مشكلة جرت بين كل طرف من الطرفين والولايات المتحدة على حدة. وقد اعتزم بنيس روس إجراء حوار مع الحكومة التركية حول ذلك.

دور الولايات المتحدة في المفاوضات:

كان دور طاقم السلام الأميركي برئاسة روس دورا مضيفا ووسيطا ومراقبا. وقد قام الطاقم الأميركي بهذا الدور بكفاءة وحكمة ودون أي محاولة لفرض رأيه. كما لم يكف روس عن التأكيد على العامل المشترك بين أعضاء الوفدين، وأبدى ارتباطا إزاء كل تقدم. بل عمد إلى إبعاد إجمال غير رسمي مكتوب في نهاية الجولة الثانية من المفاوضات، أجمل فيه ست نقاط تفاهم بين الطرفين والتي من الضروري تطويرها وتوسيعها عبر مفاوضات أكثر إسهابا. وإذا كان هناك ضعف في الموقف الأميركي، فقد تمثل، في التدخل المبالغ فيه -كوسطاء- في المحادثات.

حاولت -بوجود روس- إقناع معلم بالانتقال بالمفاوضات من النمط الثلاثي، إلى النمط الثنائي - بيننا وبينهم، وهو النمط الأكثر جدوى وتحديدًا، على افتراض أن تواصل الولايات المتحدة التحدث مع الطرفين، كل على حدة.

وفي محاولتي إقناع معلم، رويت له رواية سمعتها من بيرس: "كان هناك شاب يجب قتله حيا جما، بيد أن خجله منعه من التصريح لها بهواه، وأخذ يرسل إليها رسالة يوميا مع ساعي البريد، وبعد سنة تزوجت حبيبته من الساعي. انفجر معلم بالضحك حينما سمع الرواية، وقد اقترحت عليه أن يقصها على الرئيس الأسد.

التطورات السياسية داخل إسرائيل والمسار السوري:

أنماط للتقدم في المستقبل:

توصلنا في كانون الثاني ١٩٩٦ إلى نقطة تحول بسبب التطورات السياسية الداخلية في إسرائيل. فكلما اتضح أن بيرس يعتزم إجراء انتخابات مبكرة، كلما بدأت الأصوات في حزب العمل تنحو نحو (البرايمرز) -الانتخابات التمهيدية- داخل الحزب، وتباطأ العمل على صعيد المسيرة السلمية.

وبدا أن الكثيرين من أعضاء الحزب يميلون نحو توجيه الانتقادات إلى سورية، نظرا لأن هذه الانتقادات تشغف أذان ناخبي الحزب، الذين يشكون في مدى جدية الموقف السوري تجاه السلام. وقد رد السوريون على هذه التصريحات الإسرائيلية بشدة. بل ووجد بعض مرشحي الحزب ضرورة لتوجيه انتقادات أو شن هجوم على أعضاء الطاقم المفاوض.

تابع السوريون باهتمام بالغ وكبير التمخضات السياسية الداخلية في إسرائيل، وعزوا إلى تلك التصريحات أهمية كبيرة. لقد شعر السوريون أن الساحة الإسرائيلية الداخلية غارقة في الفوضى، وأن بيرس غير قادر على فرض الانضباط داخل الائتلاف الحكومي.

كان من المفروض إجراء الانتخابات في تشرين الثاني ١٩٩٦، بيد أن التمخضات آنفة الذكر جعلت بيرس يعتقد أن من الأفضل عدم الانتظار حتى تشرين الثاني، وإجراء انتخابات مبكرة ليحصل على تخويل جماهيري لمواصلة تجسيد سياسته السلمية.

كانت نصيحتي لبيرس مختلفة. فقد كنت أرغب في أن تتاح لنا الفرصة لدفع اتفاقية السلام مع سورية إلى الأمام خلال عام ١٩٩٦، فقلت له: أن هناك احتمالاً كبيراً - لكن ليس مؤكداً - بإمكانية التوصل إلى اتفاقية سلام مع سورية تفي بمصالحنا الاستراتيجية، وتؤدي إلى اتفاقية سلام شاملة.

فرد بيرس قائلاً: إن الطريق الوحيد لدفع المفاوضات إلى الأمام، ولضمان تقدم مصالح إسرائيل، يتمثل في إجراء سلسلة لقاءات قمة بينه وبين الأسد. فإذا ما وافق السوريون على ذلك، فإنه لن يعمل على إجراء انتخابات مبكرة لإتاحة الفرصة، لاستغلال فرص التسوية حتى نهاية عام ١٩٩٦. وقد قام وزير الخارجية كريستوفر بنقل رسالة إلى دمشق بهذا المعنى في الخامس من شباط ١٩٩٦.

وقد رد الأسد بالقول: أن من الواضح له أنه سيضطر للاجتماع برئيس حكومة إسرائيل في وقت ما، بيد أنه لا يستطيع الالتزام بتاريخ محدد. وقد فهم بيرس هذا الرد على أنه محاولة للتهرب، لذا، رد على ذلك في الحادي عشر من شباط بالإعلان عن إجراء الانتخابات المبكرة إلى أيار.

بعث بيرس رسالة أخرى إلى الأسد عبر كريستوفر قال فيها: أن المفاوضات ستستأنف بعد الانتخابات بوتيرة سريعة على أمل التوصل إلى إنهائه عام ١٩٩٦. وقد وافق الأسد على هذا الاقتراح بعد تردد طويل.

واجهنا في جولة السابع والعشرين من شباط حتى الثالث من أيار في (واي بلانتيشن) مشكلة الترتيبات الأمنية، ولم نحرز تقدماً يذكر ورتبنا الأوضاع بالنسبة للجان العمل التي ستجتمع بعد الانتخابات.

اتفقنا أنا ومعلم على أن نسجل في المرة القادمة التفاهم الذي تم إنجازه بيننا في جميع القضايا كما اتفقنا على تشكيل لجنة توجيه، تشرف على عمل ثلاث لجان خاصة.

١. لجنة الترتيبات الأمنية، والتي ستتضمن لجنة فرعية للانسحاب ولترسيم الحدود الجديدة.

٢. لجنة تطبيع، على أن يكون ضمن عملها الاهتمام بالعلاقات الاقتصادية، والمياه والسلام الإقليمي الشامل.

٣. لجنة صياغة برئاسة زينجر ورياض داودي.

وخلال المحادثات بين القضائيين تطرق داودي إلى بنية الاتفاق السلمي المستقبلي، وأعرب عن رغبته في تضمينه الأسس المبدئية في صيغة الاتفاق نفسها، وليس في الملاحق الطويلة، وقال لا يجب أن يشتمل الاتفاق على أكثر من ثلاثين صفحة، وأن أي اتفاق يشبه الوثيقة التي وقعنا عليها مع الفلسطينيين (١٠٠ صفحات) غير وارد في الحساب، لأنه سيعقد الوضع، وقد رد زينجر على ذلك بالقول أن مدخل الاتفاق قد يصل إلى ثلاثين صفحة، واقترح أن يتم مناقشة طابع الاتفاق فيما بعد.

وقد اتضح من خلال الحوار بينهما، أن لكل طرف توجهها مختلفا عن الآخر فيما يتعلق بالكلمات. فالسوريون رغبوا في استخدام الكلمات للتعبير عن مبادئ رئيسية، في حين أردنا نحن استخدامها لوصف واقع محدد بإسهاب كبير. ورغم ذلك، بدا بوضوح أن الطرفين راغبان بجدية للتوصل إلى سلام. وقد أعرب معلم عن اعتقاده بأن بالإمكان التوقيع على اتفاقية سلام بعد أشهر معدودة من الانتخابات.

وبدأت اقتنع أكثر فأكثر بإمكانية التفاوض مع سورية حول السلام بالاستناد إلى مصالح استراتيجية مماثلة وليس على وهم القتال. وكنت أدرك أن مثل هذا النوع من المفاوضات قد لا يعكس (الدفء) من النوع الذي بدا لنا ضروريا، بيد أنه يستخدم مصالحنا على المدى البعيد، ويعزز أمننا الوطني.

كان العديد من زملائي يشكون في ذلك، نظرا للحذر البالغ الذي يديه الأسد، بيد أنني اعتقد أن ديناميكية الثمن ومقابلته، والتي ستتأثر بالعوامل والمؤثرات الدولية ستفاجئ خبراء الوضع الراهن، بل وربما زعيم الوضع الراهن السوري نفسه.

لقد شاءت المفارقات أن يشعر حتى معارضي السلام، أن السلام أصبح في متناول اليد، وبالتالي يجب إحباط إمكانية تدمير الاتفاق بأعمال العنف. وبدأت رسل الموت تنفذ التعليمات التي أرسلتها إليها طهران. ومما زاد الطين بلة في قطاع غزة انفجار جهاز هاتف خلوي بين أيدي رئيس الذراع العسكري لحركة حماس المسمى المهندس (يحيى عياش) مما أدى لقتله في الخامس من كانون الثاني ١٩٩٦. لقد كان هذا الرجل مسؤولاً عن مقتل أكثر من خمسين يهودياً، وكان عرفات يخشى من زجه في السجن.

وأنا لا اعتقد أن مثل هذه العمليات مجد، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار العدد الكبير من (المخربين) المنتشرين ضدنا، ولا اعتقد أيضاً أن مقتل عياش هو الذي أدى إلى الأحداث التي برزت في أعقاب ذلك. فحوافز الإرهاب كانت ولا زالت مسألة استراتيجية لا دخل لها أبداً في الأعمال الانتقامية.

وقعت العملية الانتحارية الأولى في الخامس والعشرين من شباط ١٩٩٦-أي في نفس يوم عودتنا للجولة الثالثة إلى (واي بلانتيشن) وقد وقع الانفجار الانتحاري في حافلة على خط-١٨ في القدس مما أسفر عن مقتل أربعة وعشرين إسرائيلياً. ولم يبد أن السوريين يشعرون بالأسف على الحادث، فقد كانوا يعتبرون "الإرهاب" خطوات مشروعة في إطار الدفاع عن الوطن. لقد دقت ردود فعلهم على أحداث تلك الأيام إسفيناً حسياً بيننا وبينهم، ومست بهم كثيراً حسب اعتقادي.

وفي نفس اليوم وقع حادث انفجار آخر على طريق عسقلان، وأسفر عن مقتل امرأة واحدة.

لقد طرحت قضية الإرهاب خلال آخر لقاء بيننا، والذي تم في شقة روس في الثالث من آذار. وقد أعرب روس عن خشية الأميركيين من أن الإيرانيين يستخدمون سورية كقناة لنقل الأوامر إلى حركة حماس، بشأن تصعيد عملياتها الإرهابية ضد إسرائيل. فسال معلم فيما إذا كانت لديه أي إثباتات على

ذلك؟؟

وقع حادث انفجار انتحاري آخر في غضون أربع وعشرين ساعة في حافلة في القدس، في نفس الشارع ونفس الحافلة، مما أسفر عن مقتل ثمانية عشر شخصا.

راقبنا على شاشات التلفزيون مناظر القدس المعروفة لنا، وشوارعها الملتفة بالدم، والمناظر المفزعة الناجمة عن الانفجار، وشعرنا برغبة شديدة، في العودة إلى عائلتنا، وحينما طلبنا ذلك من إسرائيل، قيل لنا أن الرد سيأتي في غضون أربع وعشرين ساعة.

وقد جاء الرد فعلا في صورة عملية انتحارية أخرى قام بتنفيذها رامز عبيد- وهو طالب في كلية الفنون من خانيونس، واختار هذه المرة شارع (ديزنجوف) وخلال عيد المساهر، مما أدى إلى مقتل ثلاثة عشر شخصا، وإصابة العشرات الآخرين بجراح. وفي أعقاب هذا الحادث كنا نتوجه على أول طائرة إلى إسرائيل.

جاء دنيس روس لوداعنا في الطائرة، وقال لي أنه يشعر بالانزعاج الشديد، ويشاطرني الرأي في أن السلام يتعرض لخطر شديد. وقال: إن الرئيس الأميركي سيعقد مؤتمرا حول الإرهاب في القاهرة، وسيقوم الرئيسان كلينتون ومبارك بالعمل كمضيفين. إن المنطقة كلها وإسرائيل في أمس الحاجة إلى التزام دولي صارم، بشن حرب مشتركة ضد الإرهاب.

التقيت حال عودتي ببيرس، الذي بدا وكأنه أكبر سنا بعشر سنوات مما رأيته قبل سفري، لقد اضطر أربع مرات في الأسبوع لزيارة أماكن الانفجارات ورؤية القتلى والدماء وسط صرخات الغضب التي أطلقتها الجماهير التي فقدت إيمانها بالمسيرة السلمية.

وكان على بيرس اتخاذ خطوات لترميم هذا الوضع وموازنته، بيد أن الخطوات التي كان عليه اتخاذها لا تتساق مع استراتيجية السلام.

بدأت استطلاعات الرأي العام تشير إلى أن بيرس ونتنياهو، اللذين كان الفارق بينهما لصالح بيرس أكثر من ٣٠%- قد بدا يسيران جنبا إلى جنب. لقد

عاد اليمين -من المخبا الذي لجأ إليه في أعقاب مقتل رابين- للسيطرة على الشارع الإسرائيلي من جديد.

ورغم أن نتتياهو تصرف بفطنة وأيد خطوات الحكومة ضد الإرهاب، بما فيها فرض الإغلاق على المناطق، إلا أن عددا من مؤيديه شجبوا سياسة الحكومة ووصفوها بأنها العامل الأساسي المحفز للإرهاب.

كانت ردود فعل الجماهير الإسرائيلية خلال هذه الموجة من الإرهاب شديدة للغاية، لقد ساد الفرع بصورة شاملة، وعبر قسم من الجماهير عن هذا الفرع في صورة هستيرية، وبدا وكأن قدرتنا على الردع قد تراجعت وضعفت، وتمكنت المخاوف والفرع من تحويل الإرهاب إلى سلاح استراتيجي حقيقي.

لقد جاءت ردود فعلنا، تماما، مثلما تمنى الإرهابيون واشتهوا، وبدأت الأسافين تدق بيننا وبين شركائنا في السلام. وزاد الطين بله أن الكثيرين بدأوا يخلطون بين حماس وعرفات.

في الثالث عشر من آذار ١٩٩٦- أي ثمانية أيام بعد الانفجار في (ديزنجوف)، ترأس الرئيس كلينتون مؤتمر شرم الشيخ الذي أعد خصيصا لدفع المسيرة السياسية إلى الأمام، ومحاربة الإرهاب.

وقد أم هذا المؤتمر ثلاثون زعيما- نصفهم من الشرق الأوسط، ونصفهم من شتى أنحاء العالم، جاءوا إلى المؤتمر كي يقولوا "لا للإرهاب".

لقد تعرضت إسرائيل طيلة وجودها لهجمات إرهابية، بيد أن الوضع بدا الآن مختلفا، لقد وقف ثلاثة عشر زعيما عربيا إلى جانبها في شرم الشيخ ضد الإرهاب. بل لقد أعلن عرفات نفسه، أمام الحاضرين، قائلاً: سوف نجتث الإرهاب من جذوره ونحطمه. وسنبذل جهودا كبيرة لكبح جماح المتطرفين من أمثال حماس والجهاد الإسلامي.

أما بيرس، فوجه أصابع الاتهام إلى إيران بالقول: "هناك يد إيرانية تشرف على الإرهاب داخل بلادنا، وعلى طول حدودنا".

ما كاد الرئيس الأميركي يقلع بطائرته من إسرائيل، في أعقاب زيارته لنا، قادما من شرم الشيخ، حتى وجدنا أنفسنا نواجه هجمة إرهابية أعنف من حزب الله في جنوب لبنان، تناولت مواقع جيشنا هناك، ومستوطناتنا في الشمال، التي بدأت تتعرض لصواريخ الكاتيوشا التي يطلقها أعضاء الحزب. وإزاء هذا الوضع تزايدت الضغوط الجماهيرية على الحكومة لوضع حد لها، عبر توجيه ضربة شديدة إلى حزب الله.

مشكلة جنوب لبنان، تتطلب إبرام اتفاق سلام أوسع مع سورية، والذي كان سيقود بالضرورة إلى إبرام اتفاقية سلام مع لبنان. ولم تكن لدينا أي أطماع في لبنان، سوى الحفاظ على أمننا، بيد أن هذا الهدف، كان صعب المنال طالما بقي حزب الله يعمل من الجنوب. وكانت سورية، التي تسيطر عمليا على لبنان- هي المفتاح لتخليصنا من هذا الوحل، بيد أن السوريين لم يكونوا معنيين بتخليصنا منه، ولم تكن لديهم أي مصلحة في تحييد حزب الله وكف يده عنا، قبل ضمان إبرام اتفاقية سلام سورية إسرائيلية. شرعت الولايات المتحدة في الثامن عشر من آذار بالتحرك بغية إقناع السوريين بكبح جماح حزب الله، وقد قرر بيرس إتاحة الفرصة للدبلوماسية الأميركية كي تفعل فعلها، بيد أن جميع توسلات الأميركيين ذهبت أدارج الرياح، ولم تحرك سورية ساكنا للقيام بدورها، رغم الوعود التي قطعها وزير الخارجية السوري فاروق الشرع لوزير الخارجية الأميركي كريستوفر، بأن تتدخل بلاده من أجل ذلك.

خلفت هجمات حزب الله، ورد سلاح الجو الإسرائيلي على هذه الهجمات تصعيدا، أرغم بيرس على التفكير في ضرورة الرد. وبالتشاور مع جميع الجهات الأمنية، اقترح بيرس على الحكومة أن تشن إسرائيل هجوما على قيادات حزب الله بالطائرات في العمق اللبناني، بما فيها قيادات الحزب في بيروت تحت اسم عملية "عناقيد الغضب".

لقد تخوفت من مثل هذه العملية والآثار التي ستخلفها، وبعثت إلى يوسي بيلين رسالة بهذه الروحانية. لقد نظرت إلى المسألة على النحو التالي: نظرا لأن إسرائيل تحملت قدرا كبيرا من الخسائر المادية والبشرية، فقد أصبحت ضحية للإرهاب، لذا يجب علينا أن نرد على هذا الوضع، رغم تخوفاتي من الآثار التي قد تتجم عن هذا الرد. بيد أنني كنت أخشى من الانجرار وراء التدخل العسكري العميق في لبنان، بصورة لا تتسابق مع المصالح الإسرائيلية بعيدة المدى.

بدا أن الضربة العسكرية لقيادات حزب الله باتت محتومة إزاء انعدام وجود أي بدائل أخرى، والاعتقاد السائد في إسرائيل والقائل بأن هناك حلا عسكريا لكل مشكلة، لقد أرغمتنا الأصوليون على الانخراط في لعبتهم، وعلى سلحتهم.

شكلت هذه العملية مساسا خطيرا جدا بالمسيرة السلمية، ولا شك أن بيرس كان يدرك ذلك جيدا، بيد أنه في ظل الشروط القائمة فضل إظهار القبضة الحديدية، ثم العودة إلى مسار المسيرة السلمية.

لقد كان يواجه ثلاث مشاكل عويصة للغاية في آن واحد: تحد هائل لاستغلال القبضة العسكرية، والرغبة في إنقاذ المسيرة السلمية، وخوض المعركة الانتخابية.

وفي الثالث من نيسان وجه سلاح الجو الإسرائيلي ضربة شديدة إلى قيادة حزب الله في بيروت. وبدا لأول وهلة أن سلاح الجو قادر على رد الصاع صاعين، وإسكات مصدر الفتنة، واسترداد الكرامة الوطنية، بيد أن صواريخ الكاتيوشا واصلت التساقط فوق مستوطناتنا الشمالية، مما اضطّر المستوطنين للفرار إلى الملاجئ. فردت إسرائيل بقصف مواقع وقيادات حزب الله مما تسبب في فرار جماعي لسكان الجنوب اللبناني من قراهم.

تواصلت المعارك والهجمات في لبنان، وأملت قيادة الجيش الإسرائيلي، في أن تؤدي أزمة وماساة سكانه إلى دفع الحكومة اللبنانية، لممارسة ضغط على

الأسد، لدفعه لكبح جماح حزب الله، ووقف تدفق المواطنين اللبنانيين شمالاً، بيد أن الرئيس الأسد ليس بالرجل الذي يتأثر من مثل هذه الضغوط.

وفجأة وقعت المأساة ففي السابع عشر من نيسان هوجمت وحدة مدفعية إسرائيلية داخل الأراضي اللبنانية، فسارعت إلى الرد على مصادر النيران، والتي كانت تتمركز قرب موقع قوات الطوارئ الدولية في الجنوب بالقرب من قرية (قانا). بيد أن وحدة المدفعية الإسرائيلية لم تكن تعلم أن المئات من اللبنانيين كانوا قد لجأوا إلى هذا الموقع مما أدى إلى مقتل مائة مواطن وإصابة مئات آخرين بجراح.

مازق قانا:

وجد بيرس نفسه في مأزق، وبدا شديد الذهول، وكذلك قيادة الجيش الإسرائيلي، ورغم أن قائد موقع الأمم المتحدة اتهم حزب الله باستخدام الموقع لإطلاق النار على الجيش الإسرائيلي إلا أن الغضب العالمي انصب كله على إسرائيل.

فكر بيرس للحظات في إيقاف العملية، بيد أنه سرعان ما أدرك، أن وقف العملية، والاعتقاد بأن وقفها هو بمثابة هزيمة لإسرائيل. سيدفعان بحزب الله إلى القيام بعملية تحريض، وعمليات عسكرية أخرى ضدنا، فأمر بمواصلة القتال حتى توصل الطرفين إلى إتفاق يضمن الهدوء على حدودنا.

وعندما قابلت بيرس بعد عملية قانا، شعرن أن حزنه كان حقيقياً، وقال لي : لن أتهرب من المسؤولية، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده، أعرب عن حزنه العميق وأسفه، وعن تحميله الكامل لمسئولية ما حدث.

لقد أثار قلقي إلى حد بعيد، أن الجماهير الإسرائيلية التي كانت مشغولة بإلقاء اللوم والتأنيب على حزب الله، لم تكلف نفسها عناء الإعراب عن ذرة من الأسف على موت مائة مواطن لبناني بنيران قواتنا.

ونظراً لإدراكنا بأن سورية هي التي تحمل مفتاح الحل، فقد قام دنيس روس وكريستوفر وطاقم السلام الأمريكي في العشرين من نيسان بزيارة إلى

المنطقة تستغرق عشرة أيام للتفاوض مع سورية وإسرائيل، بيد أن الأسد لم يكن في عجلة من أمره. وبعد مفاوضات قاتلة ومدمرة للأعصاب، تمكنا من التوصل إلى إتفاق يخرج مناطق مدنية على الجانبين من إطار لعب القوات المسلحة والأعمال العسكرية.

وبناء على اقتراحات بيرس، والتدخل الأمريكي، تم الاتفاق على تشكيل جهازين جديدين : الأول يقوم بمراقبة الوضع الأمني في جنوب لبنان، بمشاركة ممثلين عن إسرائيل وسورية ولبنان وفرنسا والولايات المتحدة، والثاني للعمل على ترميم الاقتصاد اللبناني بإشراف الولايات المتحدة وفرنسا.

الفصل العاشر

بدرس طرح شعار السلام وتنتياهو أبدى أوصلو ككارة٠٠٠ ففازت الكارة

أرض جديدة قديمة :

شهد شهرا آذار ونيسان ١٩٩٦ أخطر هجمات أصولية ضد المسيرة السلمية إلى الدرجة التي حدثت بالكثير من الإسرائيليين للإعلان بأن إتفاقيات أوصلو قد قضت نجبها، ورغم أن الأمر لم يكن قد بلغ إلى هذا الحد، إلا أنه كان لزاما علينا أن نعود لإدارة المسيرة السلمية، بصورة تشجع شركائنا على مواصلة محاربتهم للإرهاب من جهة، وضمان التعاون الأمني بيننا من الجانب الآخر.

اجتمعت في أعقاب عودتي من (واي بلانتيشن) مع أبو علاء، كان آنذاك قد رشح نفسه لمجلس الحكم الذاتي، في الانتخابات التي جرت، نهاية كانون الثاني، وحقت خلالها السلطة الفلسطينية نجاحا كبيرا، فقد تم انتخاب ياسر عرفات رئيسا للسلطة بأغلبية ٩٠% من أصوات الناخبين، وحظيت حركة فتح بحوالي ٨٠% من الأصوات في إنتخابات المجلس التشريعي، وتم انتخاب أبو علاء الذي حظي بأكثر عدد من الأصوات في منطقة القدس، رئيسا للمجلس الفلسطيني، وأخذ يكرس كافة جهده ووقته لبناء البرلمان الفلسطيني.

بدا أبو علاء متكبرا، وأعرب عن ذهوله، وأسفه البالغ للعمليات الإرهابية التي تقوم بها حركة حماس، وقال لي : إن عائلته كلها، تشعر بالأسف لذلك، ومن الجدير بالذكر أن أبناءه حرصوا على الحفاظ على اتصال دائم بزوجتي، وأولادي طيلة فترة غيابي، في (واي بلانتيشن)، وشاركهم في حزنهم وأسفهم.

نصحتني أبو علاء بأن أكرس غالبية وقتي وجهدي لإنقاذ عملية السلام، وقال : "هناك عدد كبير من الفلسطينيين يعارضون ما حدث ويحدث، ولأول مرة تجري في غزة مظاهرات ضد الإرهاب".

ورغم ذلك ما كان عليه أن يجري مفاوضات بصورة مباشرة بحكم منصبة الجديد، إلا أننا اتفقنا على إجراء اتصالات - دائمة بيننا، والتشاور حول أفضل الأساليب لمواصلة العمل ودفع المسيرة إلى الأمام.

كان جهازنا الأمني على قناعة تامة بأن فشل السلطة الفلسطينية في الحيلولة دون وقوع عمليات إرهابية، يرجع إلى عدم وجود سياسات شاملة ضد الإرهاب، لقد وضعت أجهزة الأمن الفلسطينية نصب عينيها، هدف إحباط العمليات الإرهابية التي يجري التخطيط لها، وإقناع زعماء حماس، بالتحول إلى حزب سياسي، بيد أنها لم تعمل على مطاردة زعماء حماس المسؤولين عن الإرهاب واعتقالهم، وتدمير بنية الإرهاب ولم تقم بمصادرة الأسلحة غير المشروعة من أيديهم.

عمدت حركة حماس، مثل جميع المنظمات الأصولية الأخرى، إلى تجنيد مؤيديها بالاحتياجات الرئيسية، وأقامت مؤسسات اجتماعية، ورفاه ومدارس ورياض أطفال ومنتديات ونوادي، ورعت مساجد، ومستشفيات ومراكز تدريب وتأهيل مهنية، وقامت جميع هذه المؤسسات بتزويد العديد من الفلسطينيين بالطعام والعمل والخدمات الصحية والتأهيل في أعقاب قضاء فترات سجن.

واستخدمت كل هذه المؤسسات أيضا لأدلة الفلسطينيين، وزرع نظريات فيهم تساوي بين التسوية والخنوع، وتجنيد الانتحاريين.

أدرك عرفات طبيعة الوضع، والأخطار الناجمة عنه على نظامه، لذا لجأ إلى أسلوب (فرق تسد)، فعمل على ضم بعض زعماء الحركة إلى جانبه بالوعود بإشراكهم في نظام حكمه، وأبعد قسما آخر، بيد أنه لم ينتبه إلى النشاطات التي تقوم بها الأسس الأصولية المتطرفة، والتي وضعت نصب عينيها هدف تدمير إتفاقياته مع إسرائيل بالإرهاب.

اجتمعت بعرفات قبل عشرة أيام من العملية الانتحارية في القدس، وخيل إلي أنه يبالغ في مدى سيطرته على الوضع، وقال لي: " قل لرئيس الحكومة

أنني أبذل كل يوم الجهد اللازم"، بيد أنه أعرب عن قلقه من تأثير (العناصر الخارجية).

لقد وضعت العمليات أمام تحدٍ علني لسلطته، وفي نهاية المطاف، بدأ يدرك أن نتائج النضال ستسهم في بلورة وقبوله هوية المجتمع الفلسطيني، بل وأيضا الدولة الفلسطينية المستقبلية.

وإزاء هذا الفهم، قرر عرفات العمل بصورة أكثر شمولية ضد الإرهاب، أردنا أن نضمن قيام عرفات بذلك، فأرسل بيرس إليه أولا، (أمنون شاحك)، الذي بدا غاضبا وملحا، ثم أرسل إليه يوسفي (جينوسار) بمطالب متشددة، وطالبنا خلال هذا اللقاءات، بأن توغل السلطة الفلسطينية في كيل الضربات لحماس، وهدم بنيتها ومصادرة أسلحتها، واعتقال المشبوهين بممارسته الإرهاب أو الحث عليه، وفي نفس الوقت فرضت إسرائيل إغلاقا محكما جدا على قطاع غزة والضفة الغربية عزلها وفصلها فصلا تاما عن إسرائيل.

ولأول مرة، منذ اتفاقيات أوسلو، يعرب بيرس عن شعوره بالإحباط من عرفات، ويتهمة علنا بالتقصير، وعدم اتخاذ جميع الخطوات اللازمة ضد الإرهاب، ورغم أن الاتهام آنف الذكر جاء في إطار محاولة بيرس إبداء القوة، إلا أنه أسهم أيضا في إضفاء اللاشعورية على عرفات في أعين الجماهير الإسرائيلية وساعد اليمين الإسرائيلي في شن حملته ضد أوسلو، وهكذا، وللمرة الثانية نجح الأصوليون في دفعه مجددا إلى الزاوية.

بعث بيرس جينوسار إلى عرفات من أجل بناء قناة اتصال سرية جديدة للمفاوضات، وتم تعييني، أنا وأبو مازن لتروؤس هذا المسار الجديد، أما المشاركون الآخرون فكانوا ضباطا وموظفين آخرين، يعملون في مجال الأمن ومكافحة الإرهاب.

جرت خلال الفترة الواقعة بين ٢٣ آذار و١٧ نيسان عشرة لقاءات سرية، في إطار المسار السري الجديد، في القدس وعسقلان وأماكن أخرى، وكانت اللقاءات ترمي لبلورة تفاهم حول العمل ضد الإرهاب والتعاون الأمني

واستئناف المسيرة السلمية، وقد بدا لي أبو مازن كشريك صادق وجدي، وقد اعترف بأن السلطة الفلسطينية أخطأت باعتقادها إمكانية التوصل إلى تفاهم مع حماس بالحوار الموسع الذي أجرته مع زعامتها في غزة والسودان. وبناء على ذلك، أصدر عرفات أمرا يقضي بتوجيه ضربة شديدة لحماس والجهاد الإسلامي.

وقد أعلمني أبو مازن، باعتقال المنشآت من الحركتين، وإغلاق مؤسسات إجتماعية ودينية، وأكاديمية، كانت تعمل تحت إشراف حماس. وقد أدت التحقيقات الواسعة، التي تم إجراؤها والمواد الكثيرة المضبوطة، إلى إقناع المحققين، بأن الهدف الحقيقي لحماس، هو السلطة الفلسطينية نفسها، وأن العنف الذي يمارس ضد إسرائيل ليس سوى أحد وسائل الاقتتال الفلسطيني الداخلي.

وفي نفس الوقت، ألقى المفوضون الفلسطينيون قسما كبيرا من اللوم علينا، بشأن تعاضم قوة حماس، وقال حسن عصفور، سياسة الإغلاق التي تتبعونها منذ أوصلو، هي التي خلقت البطالة واليأس والمرارة التي دفعت بالآلاف من الفلسطينيين إلى أحضان حماس، وحتى في أعقاب العمليات الإرهابية صرخ المتظاهرون في غزة "نعم للسلام لا للإرهاب" وفي أعقاب تشديدكم للإغلاق، صرخوا في شعاراتهم : "نعم للسلام، لا للإرهاب لا للإغلاق"، وفي أعقاب تدهور الوضع الأمني، بدأوا يصرخون، " لا للاحتلال لا للإغلاق"، ولن يطول الزمن، حتى تتحول هذه الصرخات إلى "لا للسلام". إن سياستكم قصيرة النظر، وأنتم لا تفقهون عن سلام حقيقي".

وقال عصفور أيضا : إن عرفات لم يكن قادرا على شن حرب شاملة ضد حماس، لأنه لم يكن لديه بالمقابل ما يقترحه على شعبه، طالما بقيت سياسة الإغلاق، سيد الموقف.

وفي حقيقة الأمر فقد ركزنا كل اهتمامنا على ممارسات وقدرة الزعامة الفلسطينية على التنفيذ إلى الدرجة التي أعمتت عن رؤية الجماهير الفلسطينية

واحتياجاتها، وأن من واجب زعامتها سد هذه الاحتياجات، ولهذا السبب بالغت في مدى قوة عرفات، أضف إلى ذلك، أن عرفات فشل في فهم مدى تأثير الرأي العام على أسلوب اختيار إسرائيل لسياستها في المسيرة السلمية.

قلت لعصفور أن على السلطة الفلسطينية أن تقدم ردوداً شافية وسريعة، وأن تقوم بتدمير المعارضة العنيفة كخطوة أولى على صعيد إحياء المسيرة السلمية، وفي نفس الوقت الذي ناقشت فيه الجهات الأمنية من الطرفين أساليب محاربة الإرهاب، عكفنا أنا وأبو مازن على بناء بنية جديدة للتعاون، بحيث تشمل.

- التعاون على الصعيد الاستخباري في الوقت الحقيقي.

- مراقبة نشاطات السلطة الفلسطينية ضد الإرهاب.

- تعاون الطرفين انطلاقاً من مبدأ المساواة.

قامت السلطة الفلسطينية خلال الأسابيع التي تلت ذلك بشن حرب شاملة ضد حماس والجهاد الإسلامي، هذا إضافة إلى التحسن الهائل الذي طرأ على التعاون الأمني بيننا وبينهم، وتم اعتقال المئات من أعضاء حماس، وصودرت أسلحة ومعدات حربية وجرى إقالة شخصيات عسكرية ودينية وأكاديمية من وظائفها، وأصبح العديد من الأهداف المدنية، بل والمساجد، أهدافاً لاجتياح رجال الشرطة الفلسطينية، لقد قاتل عرفات ليس فقط من أجل انقاذ المسيرة السلمية، بل أيضاً من أجل إنقاذ السلطة الفلسطينية نفسها.

بدأت أجهزة الأمن الإسرائيلية تتلقى تحذيرات باحتمال وقوع عمليات إرهابية ضد إسرائيل، بيد أنها كانت تشعر بالارتياح التام جراء التعاون الفلسطيني الوطيد على الصعيد الأمني، لقد أثبتت الشراكة الإسرائيلية الفلسطينية أنها قادرة على العمل حتى في أصعب الظروف، لقد وصلت المسيرة السياسية بعد ستة أسابيع من عملية ديزنجنوف إلى ثلاثة معالم طريق.

* صادق عرفات وبيرس في السابع عشر من نيسان على وثيقة غير رسمية مفصلة للتعاون بين سلطات الأمن من الطرفين ضد الإرهاب، وأعلننا عن

استئناف المسيرة السلمية، وتفعيل جميع لجان العمل بهذا الشأن، وتواصلت الاستعدادات لإعادة الانتشار في الخليل، والتي تم تحديد موعدها بيني وبين أبو مازن في الخامس عشر من حزيران - أي في أعقاب انتخابات الكنيست. وحال توصلنا إلى ذلك، اتجهنا نحو أحد أكثر اللقاءات التي عقدناها غرابة، وقد قدم بيرس إلى الاجتماع وبصحبتة رئيس الأركان ورئيسا جهاز الأمن العام وشعبة الاستخبارات العسكرية.

أما عرفات فقد جاء وبصحبتة مسئولو أجهزة الأمن الفلسطينية، وفي أعقاب تناول طعام الغداء استعرض الفلسطينيون النشاطات التي قاموا بها ضد الإرهاب منذ العمليات الانتحارية التي وقعت في شباط وآذار، وقام محمد دحلان بتفصيل تلك النشاطات باللغة العربية، في حين قام أحد رجال جهاز الأمن العام بالترجمة إلى اللغة العبرية.

والحقيقة هي أنني لم أكن لأتخيل في يوم من الأيام، أننا سنرى ضباط الجيش الإسرائيلي يصغون إلى ضباط منظمة التحرير، والسجين السابق وهو يشرح لهم كيف يحارب أبناء شعبه ضد الإرهاب بجدية، ومنهجية.

* في الرابع والعشرين من نيسان وصلنا إلى معلم الطريق الثاني، فبينما بيرس في طريقه للاستقبال السنوي لوزير الدفاع الذي يجري بمناسبة عيد الاستقلال، تلقى بياناً من عرفات يعلمه فيه أن المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة اتخذ قراراً بأغلبية ٥٠٤ أصوات ضد ٥٤ صوتاً بإلغاء مفعول بنود الميثاق الوطني الداعية إلى تدمير دولة إسرائيل، لقد أتى هذا التصويت في إطار الالتزام الذي بعث به عرفات في رسالة إلى رئيس الحكومة اسحق رابين، في التاسع من أيلول ١٩٩٣، في إطار الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير وإسرائيل، وقد أطلعنا الفلسطينيون على صيغة قرار المجلس الوطني الفلسطيني مسبقاً إبان الاتصالات السرية بين أبو مازن وزينجر وبوساطة جينوسار. كي يؤكدوا على أنه يتلاءم مع التزاماتهم، وقد أكد زينجر لرئيس الحكومة، أن الفلسطينيين يوفون حقاً بالتزاماتهم.

رغم أن منظمة التحرير كانت قد اعترفت بإسرائيل على جميع الأصعدة، إلا أن لقرار المجلس الوطني- بوصفه برلمان جميع الفلسطينيين والذي يشمل الفلسطينيين الذين لا يسكنون الضفة الغربية وغزة، ويضم فصائل تعارض إتفاقيات أوسلو، وتنفي وجود دولة إسرائيل كالجبهتين الشعبية والديمقراطية-كان أهمية خاصة.

وبهذه المناسبة قال عرفات : " لقد صنعنا سلام الشجعان، ويجب علينا أن نكون شجعانا بما فيه الكفاية، من أجل تغيير الميثاق الوطني. ونظرا لان الميثاق كان يخص بعبارات الرفض والعداء، فقد قرر المجلس تشكيل لجنة لإعداد صيغة ميثاق جديد، وقد اعتقد أبو علاء الذي كان نشطا جدا خلال جلسة المجلس، أن الميثاق الجديد سيصبح تشريعا للدولة الفلسطينية المستقبلية.

وعندما أعلن بيرس عن قرار المجلس الوطني أمام الحاضرين في باحة وزارة الدفاع، ووصفه 'بالتغيير التاريخي' انطلق الحاضرون بتصفيق حاد. في الخامس من أيار ١٩٩٦ وجدت نفسي قرب فندق هيلتون في طابا، حيث قدم ممثلو الفلسطينيين والإسرائيليين للشروع بمفاوضات التسوية الدائمة، والتي كان يفترض أن تقودنا إلى المصالحة التاريخية وقد ترأست أنا وأبو مازن الوجدين.

جلست في غرفتي في الفندق كي أضغ اللمسات الأخيرة على الكلمة التي سألقها في الاجتماع الأول ، ووجدتني أضيف الصيغة المعدة، الكلمات التالية : "نعم، يجب على شعبنا أن يفصل أحدهما عن الآخر، و الفصل يستخدم أصلا لتشجيع التعاون.... وبوضعنا أسس هذا الفصل، نكون قد أوضحنا أن الجانبين مسئولان عن هويتهما".

لم يكن الطرفان في أي يوم ماض مؤهلين لمواجهة القضايا المطروحة آنذاك على جداول أعمال اللقاء : القدس، الحدود، اللاجئين، الفلسطينيون، والمستوطنات الإسرائيلية، لولا أنهما سارا معا على الطريق الصعب.

جمعت أوراقي وتوجهت إلى الجناح الذي كان أبو مازن ينزل فيه، ولم يكن هناك شك بصعوبة المهمة التي نواجهها وعمق الخلافات القائمة بين مواقفنا ورغم ذلك كان يسري بيننا تفاهم عميق فيما يتعلق بأهداف المسيرة: المصالحة التي سيتم إنجازها ستلتزم بالمساواة والتقدير المتبادل، وستضمن السلام والأمن والتعاون الاقتصادي.

وقد عقب أبو مازن قائلا نحن مصرون على وضع حد لعقود من النزاع، وعلى التعايش السلمي بكرامة وأمن متبادل. استهللنا الاجتماعات بمراسيم توقيع دامية بيد أن هذا الاجتماع كان يخدم هدفاً، فقد أقمنا خلاله مجموعات عمل على جميع الأصعدة ولجنة عليا لتوجيه المفاوضات.

وخلال اللقاء المغلق الذي أجريناه أنا وأبو مازن قررنا إنشاء مسار سري والذي أملنا أن تتمكن عبره من إحراز تقدم حقيقي.

اجتمعت في السابع من أيار ١٩٩٦ مع أبو علاء ورويت له ما حدث في اجتماع طابا الذي لم يتمكن من حضوره ومن الجدير بالذكر أن علاقاته مع أبو مازن في تلك الأونة اتسمت بالتوتر. قال أبو علاء : " من السابق لأوانه جدا أن أشارك في المفاوضات، وتساءل كيف سأواصل المفاوضات.

قلت له : "لا أعتقد أن علينا الانطلاق من رؤيتنا للوضع عام ١٩٩٦، بل ولا من نقطة رؤيتنا للقضايا التي يجب علينا أن نتخذ قرارا بشأنها حتى أيار ١٩٩٩، بل أعتقد أن علينا الانطلاق من وضعنا للأهداف المشتركة مثلما ستبدو عام ٢٠٠٠، أي بعد سنة من التوقيع على اتفاقية التسوية الدائمة، لأن القضية الموضوعية على كفة الميزان هي طبيعة علاقاتنا المستقبلية.

يجب علينا أن نحرص على وصف العلاقات المرغوبة بيننا، على الصعد السياسية، والأمنية والاقتصادية.

وافق أبو علاء على ذلك قائلا : لقد رفعت طيلة الطريق لواء التعاون العميق فيما بيننا هذا هو الطريق الوحيد الذي سيؤدي إلى تعزيز الطرفين.

قلت : "يجب علينا أيضا أن نضمن أن ندفن النزاع نهائيا حال التوقيع على الاتفاق إنني أعتزم عرض إقامة نوع من التحالف بين الشعبين يكون خلاله تعاون أمني حقيقي ضد أعداء الشعبين، وإزالة الفواصل الاقتصادية القائمة بيننا، وأيضا بين اقتصادنا والاقتصاد الأردني وخلق شراكة سياسية وتؤدي إلى تعاون إقليمي. وعندما نتوصل إلى التوقيع إلى اتفاق حول علاقاتنا المستقبلية، حينها سنبدأ مواجهة القضايا الصعبة.

ضحك أبو علاء وقال : حسنا أوري ، أرى أنك لست بحاجة إلي الآن، اتصل بي هاتفيا عام ١٩٩٨ عندما تكون هناك ضرورة للمواجهة بيننا".
لم يخطر ببالي أبدا أن هذا اللقاء هو آخر لقاءاتي مع أبو علاء أو مع أي مسئول فلسطيني آخر بوصفي منسقا للسلام، لقد مضى منذ بدأنا مسيرة أوصلو وحتى هذه المحادثة ألف ومائة يوم من المفاوضات حول السلام، لقد كنت منشغلا بوضع مخططات لمواجهة العديد من القضايا، وذلك على افتراض أن بيرس سيفوز في الانتخابات القادمة.

وعندما رويت لبيرس ما قلته لأبو علاء ولأبو مازن وافقني الرأي وقال لي : يجب أن تستعد لخصوص المفاوضات على المسارين الفلسطيني والسوري في حزيران القادم بعد الانتخابات فقلت له: "لقد توصلت إلى تفاهم مماثل أيضا مع وليد معلم".

كانت الحكومة تعلم بأن إيران معنية بتغيير السلطة في إسرائيل، وذلك على افتراض أن هذا التغيير سيفضي إلى وقف المسيرة السلمية وبناء على ذلك، أمرت إيران المنظمات الإرهابية بمواصلة أعمال العنف ضد إسرائيل، وقد أكد اللواء أيلون ذلك علنا.

وقد تلقينا تأكيدا مماثلا حول النوايا الإيرانية من مصادر أمنية فلسطينية بالاستناد إلى المعلومات التي تم الحصول عليها من التحقيقات التي أجروها مع معتقلي حركة حماس.

وفي الرابع عشر من آذار اكتشفت سلطات الأمن البلجيكية صاروخا قصير المدى كان معدا للإطلاق على سفارة إسرائيلية في أوروبا، على متن سفينة انطلقت من إيران وحطت في ميناء أنتورفن مما حدا بي للإعلان عن حالة الطوارئ في جميع سفاراتنا في أوروبا واتصل بيرس بالرئيس كلينتون وشيراك والمستشار كول فقام الثلاثة بتحذير إيران من مواصلة العمل بمثل هذه المخططات.

لقد ارتبطت الحملة الانتخابية الإسرائيلية بالنضال من أجل المسيرة السلمية وضد معارضيها المتسمين بالعنف، وقد انقسمت الجماهير الإسرائيلية إلى معسكرين: الذين قدروا إنجازات المسيرة السلمية وأيدوها، أولئك الذين اعتبروا العنف الممارس ضد المسيرة السلمية دلالة على أن هذه المسيرة ساذجة ومضللة من أساسها.

يهاز بنيامين نتنياهو السابعة والأربعين وهو أصغر رئيس حكومة إسرائيلي يخوض الانتخابات الرئاسية، وقد حرص في حملته الانتخابية اليومية على التأكيد صباح أمس، بأن أوصلو هي بمثابة خنوع لمنظمة التحرير الإرهابية، وأن وضع أمتنا بين أيدي زعيم إرهابي، لن يفضي إلا إلى حمام دموي، وفي الدعاية الإعلامية التي كان الليكود يبثها ليليا، كان يعرض مناظر دموية من العمليات الانتحارية، ويؤكد أنه لا وجود للسلام ولا للأمن ولا يوجد أي سبب للتصويت لبيرس، في حين كانت حملة حزب العمل تعرض إنجازات المسيرة السلمية دفع المنطقة باتجاه مصالح سياسية كوسيلة وحيدة لإحراز الأمن على المدى البعيد، وتظهر وجهة إسرائيل المتجه نحو المستقبل.

بيد أن التمزقات القائمة في المجتمع الإسرائيلي كانت أعمق من الخلافات السياسية فقد شارك قسم من الجماهير في ثورة السلام واعتبر انهيار الأسوار التي كانت تطوق إسرائيل بمثابة طوق النجاة للدولة، في حين اعتبر القسم الآخر من الشعب، المسيرة بمثابة كارثة.

وهكذا ما بدا لنصف الشعب كافتتاح آفاق وفرص جديدة أمام إسرائيل، بدا للقسم الآخر كترك الدولة مشاعا دون قدرة على الدفاع أمام العنف وتغلغل القيم الأجنبية، وبالتالي اعتبرت الرؤية الأخيرة أن إسرائيل ليست محاطة بدول مجاورة، بل بأعداء أبديين.

هذا هو الوضع اليهودي الذي ساد آلاف السنين، ومثلما جاء في التوراة "شعب وحده سيسكن"، لقد فهمت عملية منح الثقة للآخرين كتركنا مشاعا بين أيديهم.

كانت دعايات الليكود اليومية تبدي عرفات وبيرس وهما يسيران يدا بيد، فبدا هذا الرمز لبعض الإسرائيليين كأنه إحدى ضرورات المصالحة فيما بدا للآخرين كمسيرة نحو الكارثة.

لقد أثبت نتنياهو قدرة فذة على توحيد معسكرات مختلفة- تشاركه في تطلعاته- خلفه فضم إليه اليمين العلماني الذي خارت قواه بسبب النزاعات بين قادته، ثم ضم إليه حامل لواء القضايا الاجتماعية وزير الخارجية السابق (ديفيد ليفي) وضم إليه حركة شاس الدينية الطائفية تحت قيادة الحاخام (عوفاديا يوسف)، كما نجح نتنياهو في ضم جماعتين انتخابيتين أخريين هما : المتدينون من مؤيدي المفدال، و(الحراديم الإشتناز) لقد بدت انتخابات أيار ١٩٩٦، بمثابة استفتاء شعبي اجتماعي حضاري أكثر منها اختيارا بين المسيرة السلمية وبديلها.

لقد بدا لي طيلة سنوات المفاوضات الثلاث، وأيضا أثناء الحملة الانتخابية أن روح الطاقة والقتال في إسرائيل انحرقتا باتجاه اليمين الديني لقد كان لدى هذا التيار رسالة يرغب في إشاعتها وقد اعد العدة والاستعداد اللازم لعمل ذلك بحماس بالغ في الوقت الذي بدا فيه اليسار الممسك بمقاليد السلطة و صولجان الحكم خاملا وغير مبال.

لقد اعتقد أقطابه أن الاتجاه الإيجابي الذي فرضته قرارات الحكومة، سيجر وراءه غالبية الشعب، ورغم الصعوبات وأعمال العنف، وبدا بتصرفه ذلك

وكانه يعتقد انه يعيش عهد ما بعد السلام في حين أصغر اليمين على التخندق في
بؤرة النزاع الأبدي.

وقد ارتفعت ثقة جماهير اليسار وأقطابه وهي ترى نتائج استطلاعات
الرأي العام التي كانت تشير حتى يوم الانتخابات تقريبا إلى تفوق بيرس بنسبة
تتراوح بين ٣-٥% على ننتياهو.

دعاني بيرس، أنا وعليزة جورن وأفي جيل يوم الانتخابات التاسع
والعشرين من أيار، لتناول طعام الغداء معه، وكان متفائلا جدا، بل وتحدث عن
الاستعداد لاستئناف المفاوضات بعد الانتخابات، ثم بدا غاضبا جدا على الشارع
الدعائي الذي تم توزيعه والقائل : "نتتياهو جيد لليهود".

وعندما زار بيرس بعد الظهر قيادة الحملة الانتخابية، إكتشف أن النشاط
هناك متدن وليس على ما يرام، وخصوصا في الوسط العربي، في الوقت الذي
كانت فيه التوقعات الأخيرة لسير الانتخابات تشير إلى سير الناكبين جنبا إلى
جنب.

وفي حوالي الساعة العاشرة ليلا، سمعنا نتائج النموذجين اللذين
عرضتهما القناتان التلفزيونيتان الأولى والثانية، واللذين أشارتا فيهما إلى تفوق
بيرس، وبدأت التهائي تنهال علي في بيتي ، ومن ضمن الذين اتصلوا كان أبو
علاء، الذي تساءل قائلا : "هل يمكنني أن أهنئ الآن؟؟". قلت له بحذر: "الأمر
جيد جدا، بيد أن الرواية لم تنته بعد".

قررت عدم الاتصال ببيرس حتى يتأكد نبا النموذجين، وفي حوالي الساعة
الواحدة والنصف ليلا وعندما اتضح أنه لا يوجد تغيير في النموذجين اتصلت
ببيرس وقلت له : "حظ سعيد، يخيل إلي أنك فعلتها؟" فقال : "نعم، لقد اتصلوا بي
من القناة الثانية، وقالوا لي : إن الفارق بيني وبين نتتياهو يتسع، وأنه أصبح
٢,٥%، أعتقد أنه يجب على أن أذهب للنوم، كي أتوجه إلى هيئة الانتخابات
صباحا، أريد أن أقابلك هناك في الثامنة والنصف أنت و(يوسي بيلين) و(أفي
جيل) كي نرى من أين سننطلق؟".

وفي حوالي الساعة الثانية بدأت النتائج تحت صورتى المتنافسين في التلفزيون تتغير فوصلت أولا إلى التعادل ٥٠-٥٠ ثم إلى ٥١-٤٩ لصالح نتتياهو، وشاهدت على شاشة التلفزيون الفرحة التي عمت ناخبي نتتياهو، فاتصلت (بموشيه توميم) صديق بيرس القديم، ومستشاره لشئون الرأي العام فقال لي بصوت حزين : "إن عد الأصوات تسير إلى تحول درامي لصالح نتتياهو، لقد خسرنا، ولا شك في ذلك. وقد اتضح في نهاية عملية حساب الأصوات، أن نتتياهو فاز على بيرس بأقل من ١%. اتصل بي (أفي جيل)، وقال لي إن بيرس ذهب للنوم، وهو يعتقد أنه فاز في الانتخابات وقد اتصل جيل بابنته تسيكي، وطلب منها ومن زوجها الا يوقظاه وأن يتركاه كي يعرف النبأ السيء في الصباح.

وعندما قابلنا بيرس في الثامنة والنصف مثلما اتفقنا وجدنا أمامنا إنسانا حزينا جدا، وقويا جدا، وقد اعد عملية نقل السلطة إلى نتتياهو وأخذ يواسي أولئك الذين قدموا لمواساته، مؤكدا على انه سيواصل العمل من أجل السلام.

في الثامن عشر من حزيران يوم تشكيل الحكومة - قدمت استقالتى لوزير الخارجية الجديد (ديفيد ليفي)، كي أدع له الفرصة لاختيار مدير عام جديد قادر على تنفيذ سياسته بارتياح.

وبعد عدة أسابيع استقلت من سلك خدمة وزارة الخارجية بقلب متقل بالألم، بعد عمل دام واحد وعشرين عاما.

قال لي أبو علاء في حديث خاص دار بيني وبينه في أعقاب تشكيل حكومة نتتياهو : "نحن بحاجة إليك والى بيرس ، إن الفلسطينيين يقدرون بيرس كزعيم عالمي وداعية سلام، ويجب عليك أن تواصل ما بدأناه".

قلت له: "سنناضل من أجل معتقداتنا عبر قنوات أخرى لقد قررنا - بيرس وأنا- أن ننشئ مركز سلام سيخصص لتعزيز التعاون بين شعبينا أما المسار السياسي، فهو الآن رهن بأيدي الحكومة ورئيسها الجديد".

-أبو علاء : نعم، لقد سمعت خطابه، إننا قلقون جدا، فهو يتحدث من ناحية عن استمرارية المسرة السلمية، ومن الناحية الأخرى يتحدث عن توسيع الاستيطان، ولا شك أن هاتين المسألتين لا تسييران جنبا إلى جنب، ما زلنا لا ندري كيف سنتصرف حيال هذا الوضع الذي فاجأنا .

أنا : كل ما أستطيع قوله لكم هو أن تبذلوا قصارى ما في وسعكم لإحلال السلام مع الحكومة الجديدة.

لقد خلقت مسيرة أوسلو ديناميكية تدفع أمامها مازقا كبيرا، لقد انتصر اليمين حقا في الانتخابات بيد أنه فقد برنامجه الأيدلوجي، فلم يعد هناك بعد الآن "أرض إسرائيل الكاملة"، أضف إلى ذلك، أن نتائجه وعد بالسلام والأمن، وهو لا يستطيع توفير هذا ولا ذاك بدونكم، هل تذكر أننا كنا نقول أن مسيرة أوسلو، أقوى من جميع معارضيه؟؟ يجب عليكم أن تساعدوا في تأكيد ذلك، لقد كان لحماس تأثير لا يستهان به على نتائج الانتخابات بيد أنه لا يجب بأي حال أن نسمح للمتطرفين بأن يحرزوا الانتصار.

يجب أن نتذكروا بأنه إذا ما نجحتم في الاتفاق على السلام مع حكومة اليمين فإن ٨٠-٩٠% من الإسرائيليين سيؤيدون هذا السلام لذا لا يجب أن تتخلوا عنه.

صافحني أبو علاء وقال : سأواصل المحاولة ما دمت حيا، ويخيل الي انك أيضا ستفعل ذلك، ثم ضحك بصوت عال وقال لي اعتقد أنها اللعنة التي تصاحبنا.

الفصل الحادي عشر

لقاء آخر

قبل زمن قصير عدت والتقيت مع الرجل الذي قدم الي في أوسلو على انه العدو رقم ١- لإسرائيل فمنذ عهد أوسلو وأنا أواصل إقامة علاقات وطيدة مع مجموعة من الأشخاص، مثل (لاريسون) و(مونه) اللذين عادا إلى أوسلو بيد أنهما لا زالا ينجذبان نحونا، و(دنييس روس) و(مارتن ايندك) اللذين لا زالا يحافظان على المسيرة السلمية، ولا زلت أصبر على علاقتي وصلتي مع أبو علاء، الذي لا زال يشغل منصب رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني، ولا زال يؤمن بالسلام، ويعمل من أجل إقامة الدول الفلسطينية.

وقبل وقت قصير، وخلال إحدى الأزمات العميقة التي وقعت التقيت أنا وهو وموظف من حكومة نتتياهو، وقد توجه إلينا هذا الموظف بفضول كبير وسألنا قولوا لي: "كيف فعلتم ذلك؟؟".

ابتسمت لأبو علاء، وقلت له : قل له حقا كيف فعلنا ذلك.

أبو علاء : "لم نفعل ذلك انتم لا تتذكرون؟؟ لقد كنا نعارض ذلك تماما". وانفجرنا نحن الاثنين بالضحك معا لا زالت روح النكتة تربط بيننا.

وقلت لذلك الموظف : يقف أمامك صديقان سبق لهما أن أدارا أحد أقدم المفاوضات واصليها بل وأكثر وحشية، وتقلنا من أزمة إلى أخرى، في الوقت الذي كانا فيه عدوين يتسمان بالعنف، وأجواء الشكوكية والعداء تمتد عليهما الطريق، بيد أن الأهم من كل ذلك حدث منذ البداية عندما خلقنا شراكة تقوم على قرارات زعمائنا وعلى العلاقات بيننا.

أبو علاء : نعم لقد كان أوري شريكي وهو أيضا صديقي، ونحن لم نتفق على شيء تقريبا باستثناء الأمر شديد الأهمية: أنه إذا ما تقدمنا معا فإن شعبينا

سيكونان قويين، لان كلا منا قادر على تقديم المساعدة للآخر، وخلق واقع جديد، وإذا لم نفعل ذلك فإن الجانبين سيتحملان المعاناة.

أبو علاء : لقد قلت لسبير في أوصلو إن الجانبين سيرتكبان أخطاء كثيرة ولا شك أن هذا ما حدث حقا لقد وصلنا إلى مرحلة الحوار بعد زمن طويل من العداء المر وسفك الدماء والكرهية، وتجربة ضئيلة على صعيد السلام لذا، هناك حاجة إلى الكثير من الصبر لمواجهة مثل هذا التحدي، الصبر، والإيمان والتمسك بالهدف. أنا : ويجب أن يتم كل ذلك انطلاقا من خلال الشعور بالمساواة، فالحوافز تحرك الأشخاص وليس الأوامر، لقد أدركنا منذ البداية أن الشراكة ستخلق جوهر الاتفاق وليس العكس.

أبو علاء : وتذكرنا أيضا أن البديل رهيب ومأساوي، لذا فإننا ملزمون بأن نقدم للجيل القادم لأبنائنا حياة مختلفة عن تلك الحياة التي عرفناها ونحن شركاء في ذلك .

أنا : "بالضبط هو كذلك يا أبو علاء:" بدا وجه أبو علاء مكفهرا، وسادت لحظة صمت ثقيلة جعلتني أخشى مما سيقوله، بيد أن تقاطيع وجهه عادت إلى الإرتخاء، وقال للموظف الصامت " هل فهمت؟؟".

👉 الكتب الصادرة عن دار الجليل 👈

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١-	عمود النار ، الأسطورة التي قامت عليها اسرائيل	غازي السعدي	
٢-	الأستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية طبعة جديدة (مزيده ومتقحة)	عبد الرحمن ابو عرفة	
٣-	حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية ، تموز ١٩٨١	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٤-	الكتاب السنوي ١٩٨١ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٥-	الكتاب السنوي ١٩٨٢ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٦-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٧-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
٨-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وادانة	غازي السعدي	
٩-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٤) اهداف لم تتحقق	سليم الجنيدي	
١٠-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل انصار - وصراع الارادات	غازي السعدي	
١١-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف و ايهود يعاري	غازي السعدي
١٢-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية	زكي درويش	
١٣-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
١٤-	الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
١٥-	رسائل من قلب الحصار من ابو عمار الى الجميع		
١٦-	يوميات من سجون الاحتلال - زنزانة رقم (٧)	فاضل يونس	

- ١٧- المثلث الايراني : العلاقات السرية الاسرائيلية - الصحفي شموئيل سيجف
الأمريكية الايرانية في عهد الشاه
- ١٨- هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟
الوف هراين
غازي السعدي
- ١٩- عملية الدبوا كما يرويها منفذوها
المحامي درويش ناصر
- ٢٠- مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣- ١٩٨٣
دكتور نظام بركات
- ٢١- مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧-
منهر الهور وطارق الموسى
١٩٨٥
- ٢٢- غوش ايمونيم - الوجه الحقيقي للصهيونية
داني روينشتاين
غازي السعدي
- ٢٣- عش العصفور - قصة للأطفال
منهر الهور
- ٢٤- رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات
د . احمد صدقي الدجاني
- ٢٥- أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك
الدكتور احمد العلمي
- ٢٦- حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير
يوسف قرايعين
- ٢٧- الأحد الأسود: تصور امريكي صهيوني للعمل
حسن اسماعيل مشعل
الغدائي الفلسطيني
- ٢٨- خارطة فلسطين - وهي خارطة تمثل سهول
وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطين
(ملونة)
- ٢٩- بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الاول
عجاج نويهض
- ٣٠- بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الثاني
عجاج نويهض
- ٣١- الاردن وفلسطين - وجهة نظر عربية
د . سعيد التل
- ٣٢- الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام
د . فؤاد حمدي بسو
- ٣٣- الاستعمار وفلسطين
رفيق شاكر التنشدة
- ٣٤- الحرب من اجل السلام
عيزر وايزمن
غازي السعدي
- ٣٥- الموساد ، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري
دنيس اينبرغ ، ايلى لاندان
اورى دان
- ٣٦- التوازن العسكري في الشرق الاوسط
مركز الدراسات الاستراتيجية
نبيه الجزائري
- ٣٧- بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء
د . كامل قمبر
الفلسطيني)
- ٣٨- بطاقات فنية (مجموعة)
د . كامل قمبر
- ٣٩- بطاقات على شكل دفتر الشيكات
الكتاب الأسود
- ٤٠- عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦
سميح القاسم

- ٤١- الخيار النووي الاسرائيلي شاي فيلدمان
- ٤٢- انتهاك حقوق الانسان في الأراضي المحتلة
- ٤٣- شهادات مشفوعة بالقسم نقاط فوق الحروف
- مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد خالد الحسن وبريجتيف
- ٤٤- قراءة سياسية في مبادرة ريفان خالد الحسن
- ٤٥- فلسطينيات خالد الحسن
- ٤٦- الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك خالد الحسن
- ٤٧- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) يعقوب الهاب جرائم الأرغون وليحي ١٩٣٧- ١٩٤٨
- ٤٨- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٢) مجازر وممارسات ١٩٣٦- ١٩٨٣
- ٤٩- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) د. حمدان بدر دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل
- ٥٠- ملصق يوم الأرض سليمان منصور
- ٥١- ملصق جمل المحامل سليمان منصور
- ٥٢- ملصق قبة الصخرة - صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في القدس
- ٥٣- فلسطين تاريخاً ونضالاً نجيب الأحمد
- ٥٤- فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي طيور المحامي وليد الفاوم نفي ترتسا
- ٥٥- المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء بشير البرغوثي اسرائيل عسكر وسلاح (١)
- ٥٦- اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في نظر القانون الدولي
- ٥٧- الجذور - وثيقة الأوقاف الاسلامية فتحي فوراني
- ٥٨- فلسطين .. الأرض والوطن (١) قرية الدوايمة موسى عبدالسلام هديب
- ٥٩- خط الدفاع في الضفة الغربية أريه شليف
- وجهة نظر إسرائيلية
- ٦٠- تشريفة بني مازن د. عبداللطيف عقل
- ٦١- القمع والتكميل في سجن الفارعة لجنة الحقوقيين الدوليين
- القانون من أجل الانسان
- ٦٢- صورة العربي في الأدب اليهودي (١) الدكتورة ريزا دومب
- ٦٣- الشخصية العربية (٢) في الأدب العبري الحديث غانم مزعل
- ١٩٤٨- ١٩٨٥
- غازي السعدي
- غازي السعدي
- غازي السعدي
- غازي السعدي
- عاطف عطاري

- ٦٤- فلسطين أرض وتاريخ د . محمد النحال
- ٦٥- القدس ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها فايز فهد جابر
- ٦٦- القضية الفلسطينية في القانون الدولي .. والوضع د . جابر الراوي
- الراهن
- ٦٧- شوكة في عمونكم منير كهانا غازي السعدي
- ٦٨- حرب الاستنزاف د . محمد حمزة
- ٦٩- القرار - ألفان وأثنا عشر يوما في سجون الاحتلال رشاد أحمد الصغير
- ٧٠- المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية بشير شريف البرغوثي
- المجاورة
- ٧١- أزمة الاستخبارات الاسرائيلية تسفي لنيير قسم الدراسات
- ٧٢- اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)
- ٧٣- دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي . والعرب أريه . ل . افنيري بشير البرغوثي
- في الفترة ١٨٧٨ - ١٩٤٨
- ٧٤- ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل
- والروح الجماعية
- ٧٥- سميح القاسم - قصائد -
- شخص غير مرغوب فيه
- ٧٦- القضية الفلسطينية الأكرم زعيتير
- ٧٧- فلسطين الأم وابنها البار - عبدالقادر الحسيني عيسى خليل محسن
- ٧٨- عرب التركمان - أبناء مرج ابن عامر علماء الخطيب
- ٧٩- المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي ميسون العطاونة الوحيددي
- ٨٠- نادية برادلي - الفدائية المفربة الشقراء غسان كمال
- ٨١- الاعلام الاسرائيلي غازي السعدي ومنير الهور
- ٨٢- تقرير الأرض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨)
- للمجلس الوطني الفلسطيني قسم الدراسات والأبحاث
- ٨٣- الوجه الحقيقي للموساد د . وجيه الحاج سالم
- وانور خلف
- ٨٤- العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة بدر عقيلي
- ٨٥- شخصيات صهيونية (١) مذكرات الجنرال رفايل ايتان غازي السعدي
- ٨٦- شخصيات صهيونية (٢) وتهجير يهود العراق شلومو هيلل غازي السعدي
- ٨٧- شخصيات صهيونية (٣) نيوودور هيرتسل قسم الدراسات
- عراب الحركة الصهيونية
- ٨٨- شخصيات صهيونية (٤) شارون غازي السعدي
- بلدوزر الارهاب الصهيوني
- ٨٩- شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية عبدالكريم النقيب
- ٩٠- شخصيات صهيونية (٦) غازي السعدي
- موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد

- ٩١- شخصيات صهيونية (٧) غازي السعدي
- ٩٢- شخصيات صهيونية (٨) الأميرة دينا
عبد الحميد
دار الجليل
- ٩٣- شخصيات صهيونية (٩) رسائل بن غوريون
حياتي .. غولدا مائير
- ٩٤- شخصيات صهيونية (١٠) ليني برنر
حركة التصحيح الصهيونية من عهد جابوتنسكي
الى عهد شامير
- ٩٥- شخصيات صهيونية ١/١١ مذكرات اسحق راين - القسم الأول
- ٩٦- شخصيات صهيونية ٢/١١ مذكرات اسحق راين - القسم الثاني
- ٩٧- شخصيات صهيونية ١٢ مذكرات ناحوم غولدمان
- ٩٨- شخصيات صهيونية ١٣ مذكرات اسحق شامير
- ٩٩- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩ - ١٩٤٨ زياد عودة
الكتاب الأول
- ١٠٠- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩ - ١٩٤٨ زياد عودة
الكتاب الثاني
- ١٠١- الحركة العمالية العربية في فلسطين سلمم الجنيدي
- ١٠٢- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (١) زئيف شيف
- ٢٠٣- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢) عوديد غرانوت
- ١٠٤- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٣) عمي شامير
- ١٠٥- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٤) سلاح الهندسة
سلاح المشاة
- ١٠٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٥) ايلان كفير
- ١٠٧- دراسات في تعليم الكبار د . عدنان أبو عمشة
- ١٠٨- وجه قببح في المرأة بروفيسور ادير كوهن
- ١٠٩- تاريخ ما أهمله التاريخ عبد الهادي جرار
- ١١٠- الاعلام الفلسطيني د . حسين أبو شنب

دار الجليل	موشه زاك	١١١- النزاع العربي - الاسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى
	فاضل يونس	١١٢- تحت السياط
	اكرم النجار	١١٣- الغضب
	د . يوسف هيكل	١١٤- جلسات في رغدان
بدر عقيلي	ايسر هرتيل	١١٥- منجل في النجمة السادسة (التجسس السوفياتي في اسرائيل)
	خالد الحسن	١١٦- اشكالية الديمقراطية والبدل الاسلامي في الوطن العربي
	د . عبدالقادر يوسف	١١٧- تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا
	دار الجليل	١١٨- صرخة في وجه العالم (اليوم الانتفاضة)
دار الجليل	المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر	١١٩- الاستخبارات والأمن القومي
	غازي السعدي	١٢٠- الاحزاب والحكم في اسرائيل
	د . يوسف هيكل	١٢١- ربيع الحياة
	صباح السيد عزازي	١٢٢- قس من تراث المدينتين والقرية الفلسطينية
	اكرم النجار	١٢٣- اشتغالات حمدان - مجموعة قصصية
احمد بركات		١٢٤- الحافلة رقم ٣٠٠ (فضيحة الشين بيت)
	اكرم النجار	١٢٥- آه يا بلدي - رواية
احمد بركات العجبري	افرايم ومناحم تلمي	١٢٦- معجم المصطلحات الصهيونية
	قدري أبو بكر	١٢٧- من القمع الى السلطة الثورية
	د . يوسف هيكل	١٢٨- أيام الصبا
	فؤاد ابراهيم عباس وعمر شاهين	صورة من الحياة وصفحات من التاريخ
		١٢٩- معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية
بدر عقيلي		١٣٠- صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل
بشير شريف البرغوثي		١٣١- قمع شعب
		شهادات ميدانية مشفوعة بالقسم
	اكرم النجار	١٣٢- جليلة .. وهج في جذور الانتفاضة - رواية
دار الجليل		١٣٣- اسلحة وإرهاب
		وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة ابحاث
بدر عقيلي	موشيه رافر	١٣٤- حدود (أرض اسرائيل)
	سليم عبدالعال القزق	١٣٥- هذه قضيتك يا ولدي
بدر عقيلي		١٣٦- حرب سيناء ١٩٥٦ - تصورات اسرائيلية
دار الجليل	شمونيل سيجف	١٣٧- المثلث الايراني - الكتاب الثاني - دراما العلاقات الايرانية - الاسرائيلية - الامريكية
	المحامي درويش ناصر	١٣٨- الفاشية الاسرائيلية

دار الجليل	ارنييل ليفيا المعيد محمد يوسف العملة	١٣٩- النظرية العسكرية الاسرائيلية - دفاع وهجوم ١٤٠- الأمن القومي العربي ونظرية تطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي
بدر عتملي	المحرر زئيف كلاين محمد أزوقة	١٤١- سياسة اسرائيل الأمنية ١٤٢- دقيقتان فوق تل ابيب
دار الجليل	د . عمران ابو صبيح	١٤٣- الهجرة اليهودية حقائق وأرقام
دار الجليل	زئيف شيف وايهود يماري يوسي ميلممان ودان رافيف	١٤٤- انتفاضة ١٤٥- جواسيس المخابرات الاسرائيلية
دار الجليل	يعقوب شريت محمد خالد الأزعر	١٤٦- تاريخ .. وجغرافيا ' دولة ' اسرائيل - وثائق
	اكرم النجار	١٤٧- الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية
	غازي السمدي	١٤٨- بقايا من خبز وكتاب
	احمد عزالدين بركات	١٤٩- اسرائيل في حرب الخليج ١٥٠- المثلث المحتوم
دار الجليل	بروفيسور ألشع ايفرات زياد ابو صالح ورشاد المدني	الولايات المتحدة - اسرائيل والفلسطينيين ١٥١- الاستيطان الاسرائيلي جغرافيا وسياسيا
	نجوى قموار قرع فاتن أبو فردة	١٥٢- حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين ١٥٣- انتفاضة المصافير
احمد بركات المجري	عمنوتيل فالد	١٥٤- موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١)
دار الجليل	حشاقيا أرييه	القدس مدنها وقرائها ١٥٥- انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية
دار الجليل	برنارد ر. هندرسون	١٥٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦) سلاح الدروع
	عمسى خليل محسن	١٥٧- بولارد قصة جاسوس
	محمد نورالدين شحادة	١٥٨- أبو عجاج العنبروسي الدكتور الثائر
د . عادل احمد جرار	عبدالله عواد	١٥٩- قناع القناع
	عبدالله عواد	١٦٠- الأسلحة الكيميائية والبيولوجية - وتأثيراتها البيئية -
دار الجليل	بني موريس	١٦١- دولة مجدو ١٦٢- الشئع
	ابراهيم عبدالكريم	١٦٣- طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين - وثيقة اسرائيل -
د . عمران ابو صبيح	د . عمران ابو صبيح	١٦٤- الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل ١٦٥- دليل المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة (١٩٦٧- ١٩٩١)

- | | | |
|-------------------|--|---|
| بدر عقيلي | تقرير طاقم مركز الأبحاث
الاستراتيجية الاسرائيلي : يافه | ١٦٦- حرب في الخليج
(إبعاد على اسرائيل) |
| دار الجليل | د. حسن صالح عثمان | ١٦٧- فلسطين في سيرة البطل عبدالحليم
الجيلاني |
| دار الجليل | يوسف أرجمان
د. عبدالرزاق حسين
شمعون بيرس
غازي السعدي | ١٦٨- ثلاثون قضية استخبارية وأمنية
في اسرائيل |
| دار الجليل | وليام بولوس
وروبرت ويندم
بدر عقيلي | ١٦٩- الادب العربي في جزر البهار
١٧٠- الشرق الاوسط الجديد
١٧١- الاعهاد والمناسبات والطقوس
لدى اليهود |
| دار الجليل | امين ابو عيسى
بنهايم تنتهاو
يشعياهو ليفوفيتش
صلاح خلف
د. محمد ربيع
عبد الرزاق حسين
يوسف النجار
اورلي ازولاي | ١٧٢- اسلحة الدمار الشامل
١٧٣- المفصل في تعلم اللغة العبرية
بمعلم وبدون معلم
١٧٤- القاموس العلمي / عبري - عربي
١٧٥- مكان تحت الشمس
١٧٦- احاديث في العلم والقيم
١٧٧- فلسطين بلا هوية
١٧٨- الحوار الفلسطيني - الامريكي
١٧٩- دوائر القمر
١٨٠- قرية جزو |
| محمد عودة الدويري | جاك كنو | ١٨١- الانقلاب السياسي في اسرائيل
الاسرار والخفايا |
| سلمان الناطور | شلومو نكديمون | ١٨٢- مشكلة الاراضي في النزاع القومي
بين اليهود والعرب منذ وعد بلفور |
| دار الجليل | سالم أحمد قواطين | ١٨٣- الموساد في العراق
انحيار الامال الاسرائيلية والكردية |
| دار الجليل | د. أمنون كابلون | ١٨٤- دولة فلسطين
الوصع القانوني |
| دار الجليل | عماد نذاف | ١٨٥- اسحق رابين
اغتيال سياسي |
| بدر عقيلي | عاموس عوز | ١٨٦- نايف حواتمة يتحدث
١٨٧- سوغخي |
| دار الجليل | | قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات |

دار الجليل	بنيامين تموز	١٨٨ - اليسستان
لينا وهيب	البروفيسور موشيه ماعوز	١٨٩ - سورية واسرائيل
		من الحرب الى صناعة السلام
دار الجليل		١٩٠ - اتفاقيات أوصلو
		الاتفاقيات الاسرائيلية الفلسطينية
		حول الضفة الغربية وقطاع غزة
محمد الدويري	يوفال اليتسور	١٩١ - الحرب الاقتصادية
بلر عقيلي		(١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية
		بين اليهود والعرب
دار الجليل		١٩٢ - اثشولوجيا الوجه الآخر
		قصص عبرية مختارة
بلر عقيلي	أوري سبير	١٩٣ - المسيرة
		خفايا أوصلو. . . من الألف الى الياء

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة - هاتف ٤٨٩٤٩٤١ - ص.ب ١٥٢٨٦

المسيرة

حكاية أوصلو من الألف إلى الياء



أوري سبير

هذا الكتاب

سيتعرض تفاصيل التفاصيل في المفاوضات التي قادت الى اتفاق أوصلو، ويقلم عرابها الاسرائيلي أوري سبير الذي لم يترك شاردة ولا واردة دون أن يشير اليها، فخرأ أحياناً، وخبثاً في أحيان كثيرة. ويضع نقاطاً اسرائيلية سوداء على كلمات فلسطينية كانت، حتى أوصلو، تشع بالتصميم والعزم والارادة، واد كانت مدريد انطلاقة ما بعد الجذر السياسي الذي أعقب حرب الخليج الثانية، فإن أوصلو شكلت حالة من الاستفراغ الاسرائيلي، ربما، جسدت أسلوب الخروج من المازق فلسطينياً واسرائيلياً على حد سواء. ويرتسم صورة تتصارع فيها الألوان على التقيضين: عقلية «أرض اسرائيل» من جهة، والرغبة الفلسطينية العارمة في العودة الى «الوطن» مروراً بجسر وام، على أمل أن يكون أكثر متانة في المستقبل، انطلاقة من مقولة «إذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون».

وعلى مدى ألف ومائة يوم، غلقت السرية المطلقة، كانت «أوصلو» مسرحاً للضغوط والغضب والحرر والفتارات» التي بلغت أحياناً حد «كسر العظم»، بيد أن مصالح الطرفين، رغم تناقضها غدت الخطى نحو الاتفاق، الذي صيغ بأسلوب يحتمل «تفسير التفسير»، وكان اسرائيلياً أكثر منه فلسطينياً.

يضع كتاب «المسيرة» القارئ أمام حقائق مذهلة، وربما ظل المزيد طي الكتمان، صحيح أن «الراوي» هو عراب اسرائيل في «أوصلو» الذي احتفل مؤخراً بصدور كتابه بمشاركة بيرس وقرع، لكنه يظل اسرائيلياً، ربما يحرف الكلم عن مواضعه، وهو ما يحتاج ايضاحات فلسطينية.

يظل أن نقول، أن كتاب المسيرة، يحتل المكانة الثامنة عشرة بين الكتب الأكثر انتشاراً في الولايات المتحدة الأميركية باعتباره أفضل ما كتب عن أوصلو، وسيتم تصويره في فيلم سينمائي، ينتظر أن يُعرض منتصف عام ١٩٩٩.

المؤلف، أوري سبير (حزب العمل)، كبير المفاوضين الاسرائيليين في أوصلو، من مواليد ١٩٥٥، تخرج في الجامعة العبرية (علاقات دولية) تدرج في المناصب الدبلوماسية، وعُيّن مديراً عاماً للخارجية، حتى أخلى مركزه لنائبه وخصمه ايتان بنتسبون، إثر صعود الليكود برئاسة نتتياهو الى الحكم، ويشغل حالياً منصب مدير مركز بيرس للسلام.



دار
الجليل للنشر

عمان - ص.ب. ٨٩٧٢ ، تلفون ٥١٥٧٦٢٧

تلکس ٢٣٠٣١ - فاكسيميلي ٥١٥٣٦٦٨

والدراسات والأبحاث الفلسطينية